
في
أيدي
العسكر
ديفيد كيركباتريك

فايكنغ بصمة 375 Hudson Street New York, New York 10014 penguin.com
Penguin Random House LLC

رسم توضيحي للخريطة بواسطة جيفري إل وارد

أسماء بيانات الفهرسة في النشر بمكتبة الكونجرس: كيركباتريك، ديفيد د.، -1970مؤلف.

العنوان: في أيدي الجنود: الحرية والفوضى في مصر والشرق الأوسط / ديفيد د. كيركباتريك.

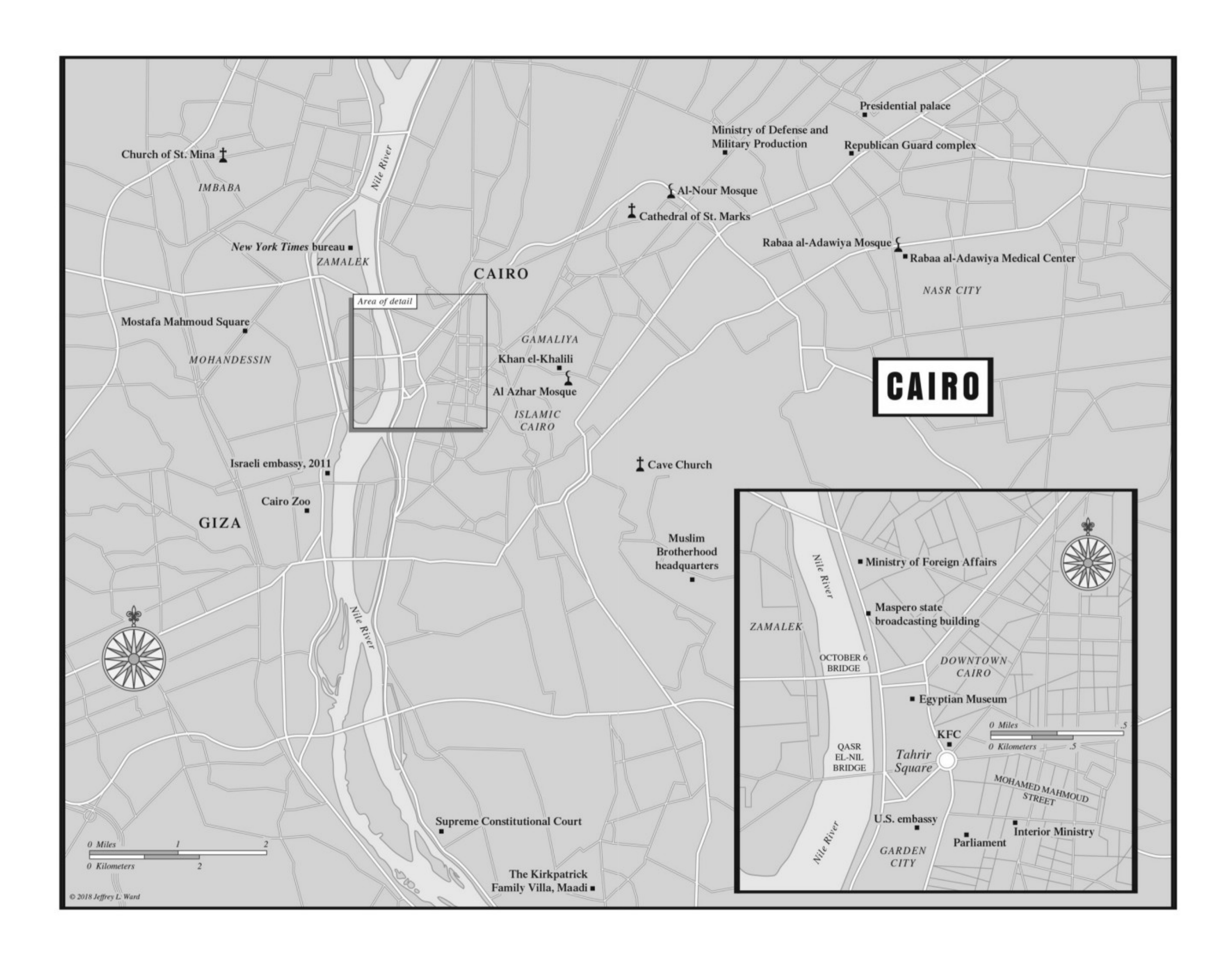
الوصف: نيويورك، نيويورك: فايكنغ، بصمة شركة Penguin Random House LLC، 2018. | تتضمن مراجع ببليوغرافية وفهرس. | المعرفات:
LCCN 2018025162(طباعة) | LCCN 2018028471 (كتاب إلكتروني) | ISBN 9780735220645 (كتاب إلكتروني) | ISBN 9780735220621 (غلاف فني)

المواضيع: LCSH: مصر--سياسة وحكومة--1102- | الربيع العربي، 2010- | مصر--تاريخ--الاحتجاجات، 2011-2013. | مصر--تاريخ--الانقلاب 2013. |
الشرق الأوسط --السياسة والحكومة --القرن الحادي والعشرون.

التصنيف: LCC DT107.88 (كتاب إلكتروني) | LCC DT107.88 .K57 2018 (طباعة) | DDC 962.05/6--dc23 LC سجل متاح على 2018025162
https://lccn.loc.gov/

النسخة 1

محتويات


CAIRO
Presidential palace
Ministry of Defense and
Military Production
Republican Guard complex
Church of St. Mina
IMBABA
Nile River
Al-Nour Mosque
Cathedral of St. Marks
Rabaa al-Adawiya Mosque
Rabaa al-Adawiya Medical Center
New York Times bureau
ZAMALEK
CAIRO
NASR CITY
Area of detail
Mostafa Mahmoud Square
MOHANDESSIN
GAMALIYA
Khan el-Khalili
Al Azhar Mosque
ISLAMIC
CAIRO
Cave Church
Israeli embassy, 2011
Cairo Zoo
GIZA
Muslim
Brotherhood
headquarters
Ministry of Foreign Affairs
Maspero state
broadcasting building
ZAMALEK
OCTOBER 6
BRIDGE
DOWNTOWN
CAIRO
Egyptian Museum
KFC
QASR
EL-NIL
BRIDGE
Tahrir
Square
MOHAMED MAHMOUD
STREET
U.S. embassy
Parliament
Interior Ministry
GARDEN
CITY
Supreme Constitutional Court
The Kirkpatrick
Family Villa, Maadi
0 Miles 1 2
0 Kilometers 2
© 2018 Jeffrey L. Ward

1
من يشرب الماء

د

قد يكون التوجه شرقًا من تونس هو أفضل طريقة للاستمتاع بمعجزة النيل. ويتبع الطريق ساحل البحر الأبيض المتوسط لحوالي ألف وسبعمائة ميل. تقريبًا كل شبر منه يتحول إلى اللون البني لمدة اثني عشر شهرًا في السنة، كالصخور والرمال التي تحترق في الشمس. ثم تعبر خطًا غير مرئي على حافة وادي النيل. في كل مكان هو انفجار أخضر. ولا يمكن حتى لازدحام القاهرة أن يحتوي على شغب الغطاء النباتي.

لآلاف السنين، لم تنتج أي منطقة أخرى في الشرق الأوسط مثل هذه المكافأة. وفي حين كان الفيضان السنوي للفرات عنيفًا ومدمرًا، كانت دورات نهر النيل لطيفة ويمكن التنبؤ بها. ومن البديهي أن تاريخ مصر والعراق يتبع نهريهما. وقد حفر سلاطين العصور الوسطى بئراً، تعرف اليوم بمقياس النيل، في جزيرة الروضة بالقاهرة لقياس منسوب المياه.

وكان الارتفاع السنوي يحدد مدى سخاء المحاصيل في ذلك العام، وكان السلاطين يفرضون الضرائب على الفلاحين وفقًا لذلك. كانت الزراعة بهذه السهولة. وأصبح وادي النيل سلة غذاء العالم العربي. كان المصريون يفتخرون بنهرهم. ومن يشرب ماء النيل يعود مرة أخرى إلى مصر، كما يقول المثل القديم.

كما يحب المصريون أن يقولوا إنهم ظلوا يلتفون حول المشاريع القومية الكبرى منذ أن بنى الفراعنة معابد طيبة. بعد توليه السلطة عام 1952، قرر الرئيس جمال عبد الناصر بناء سد كبير في أسوان، بالقرب من الحدود السودانية، لتسخير نهر النيل لتوليد الطاقة الكهرومائية. ووعد عبد الناصر بسد "أروع وأكبر من الأهرامات بسبعة عشر مرة".

أعلن وزير الخارجية جون فوستر دالاس في عام 1955 أن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ستقدمان 70 مليون دولار كمساعدة لبناء السد. لكنه لم يعجبه إدانات عبد الناصر للاستعمار، أو رفضه التحالف حصرياً مع واشنطن. وبعد سبعة أشهر، سحب دالاس العرض. وتوجه عبد الناصر إلى موسكو.

أصبح السد نصبًا تذكاريًا للهندسة الستالينية. وقد أدى بنائه إلى نزوح مائة وعشرين ألف نوبي، وهم المصريون ذوو البشرة الداكنة من سكان المنطقة الأصليين. وكادت البحيرة التي شكلها السد أن تهدم المعابد الفرعونية الخلابة في أبو سمبل؛ وقد أنقذتهم اليونسكو من خلال دفع أموال لمقاولين من أوروبا الغربية لنقل المجمع، حجرًا بعد حجر، إلى أرض أكثر جفافًا.

أوقف السد الذي تم الانتهاء منه تدفق الطمي والمواد المغذية التي حافظت على خصوبة جزء كبير من وادي النيل لعدة قرون. أدى استنزاف المياه إلى تدمير الأراضي الزراعية في اتجاه مجرى النهر وصيد الأسماك حول مصب نهر النيل. وأدى تباطؤ التيار إلى انفجار الأمراض المنقولة بالمياه مثل داء البلهارسيات.

ولمكافحة المرض، أطلق خلفاء عبد الناصر حملة تطعيمات واسعة النطاق. لكن العاملين الصحيين الحكوميين أعادوا استخدام الإبر غير المعقمة. أدى ذلك إلى انتشار وباء التهاب الكبد الوبائي سي الذي استمر لعقود من الزمن. أصيب حوالي واحد من كل خمسة مصريين بـ"فيروس سي"، كما أطلق عليه المصريون باللغة الإنجليزية المستوردة. ينشر الحلاقون المرض عن طريق إعادة استخدام الشفرات، لذلك كان الرجال المصريون العقلاء يحملون مقصاتهم الشخصية لقص الشعر، وأنا فعلت ذلك أيضًا.

إن القول المأثور حول شرب مياه النيل لا يزال قائما اليوم باعتباره دعابة سوداء. النهر قذر جدًا لدرجة أن محطتك الأولى ستكون المستشفى.
ومع ذلك، لا يزال تلاميذ المدارس المصرية يتعلمون كيف يحتفلون بالسد العالي الذي بناه عبد الناصر باعتباره انتصارا خالصا. أفكر في السد كلما قمت بقص شعري: وهو مثال للتخطيط المركزي والسلطة غير الخاضعة للمساءلة.

لقد حالفني الحظ بأن أكون صحافية أميركية أعيش في القاهرة خلال الثلاثين شهراً التي تحرر فيها المصريون من الاستبداد الذي حكمهم. وأدى هروبهم إلى اندلاع ثورات من بنغازي إلى بغداد.

لكن النظام الاستبدادي القديم كان مختبئاً تحت الأرض، ولم يتحطم. لقد عادت للانتقام. وقد فعلت ذلك الاستبداد الذي أعيد تنشيطه

من الأفضل أن تمحو ذكرى تلك الأشهر الثلاثين من الحرية.
دعني أخبرك بالقصة.

2
مدينة التناقضات

14أغسطس 23-2010يناير 2011

م

كانت مقدمتي إلى مصر عبارة عن إفطار –الوجبة الطقسية عند الغسق لكسر صيام رمضان –في يوم قاسٍ من شهر أغسطس/آب .2010.

انتقلت أنا وعائلتي ذلك الأسبوع إلى فيلا من طابق واحد في المعادي، وهي منطقة محاطة بالأشجار على بعد ستة أميال على نهر النيل من مكتب صحيفة نيويورك تايمز في جزيرة الزمالك. كلا الحيين –المعادي والزمالك –مليئان بالمغتربين الغربيين والأموال المصرية القديمة. كان علي أن أقود السيارة لمدة عشرين دقيقة للوصول إلى العمل إذا كانت الشوارع فارغة. عادة ما تستغرق حركة المرور الخارجة عن القانون الرحلة أكثر من ساعة. انحرفت سيارات السيدان المرسيدس وسيارات لاند روفر حول عربات تجرها الحمير محملة بالجزر أو الثوم. وتكدست عائلات مكونة من أربعة أو خمسة أفراد على ظهور الدراجات النارية الكورية، وكانت الأمهات يركبن السرج الجانبي مع أطفالهن بين أذرعهن. لقد قمت أنا وزوجتي، لورا، بحمل مقعد السيارة الخاص بطفلنا البالغ من العمر سنة واحدة على طول الطريق من واشنطن. لقد شعرنا بالحرج الشديد.

لقد انجذبت إلى مصر جزئياً بسبب الهجمات الإرهابية التي وقعت في سبتمبر/أيلول

في 11سبتمبر .2001كنت أعرف أن جذور تنظيم القاعدة وأيديولوجيته تعود إلى مصر. كما أنني كنت قد بلغت الأربعين من عمري في عام .2010وأردت التغيير من واشنطن، حيث كنت أعمل في السنوات الست الماضية. وكان ذلك يتعلق بمدى تحضيري لمنصبي في القاهرة.

لقد شعرت بسعادة غامرة بهذه الوظيفة. وكانت مصر، موطن ربع العرب، قد حددت كل الاتجاهات الرئيسية في الدين والثقافة والسياسة في جميع أنحاء العالم العربي لأكثر من نصف قرن. قادت مصر أكبر جيش عربي وحافظت على تماسك المنطقة. وحافظت على السلام مع إسرائيل. وبعد إسرائيل، تلقت القاهرة المزيد من المساعدات الأمريكية

على مدى العقود الماضية أكثر من أي دولة أخرى -أكثر من 70مليار دولار، بمعدل 1.5مليار دولار سنويا في وقت وصولي. كل ما حدث في مصر كان بطريقة ما قصة أمريكية.

كان المسؤول النحيل المسؤول عن وسائل الإعلام الدولية قد رحب بي في مصر قبل بضعة أيام فقط. أخبرني أن وزارة الخارجية استدعته من قنصلية سان فرانسيسكو لاستخدام خبرته في العلاقات العامة في إعادة الانتخاب المقبلة للرئيس حسني مبارك، الذي كان آنذاك في الثانية والثمانين من عمره ويسعى لولايته السابعة لمدة خمس سنوات في منصبه. لكن البيروقراطي اللطيف، عطية شكران، تحدث في الغالب عن مدى أسفه لمغادرة سان فرانسيسكو. وقال لي: توقع الكسل والخلل من المصريين. آي بي إم في مصر ترمز إلى إن شاء الله، وبكرة، ومليش -إن شاء الله، غدًا، آسف!

وكان نحو ثلاثين شخصا قد تجمعوا لتناول الإفطار في غرفة طعام خاصة في فندق سوفيتيل على طرف الزمالك، مع إطلالة شاملة على النهر. افتتحت السفيرة الأميركية مارغريت سكوبي الحدث بالتذكير بالإفطار الذي استضافه الرئيس توماس جيفرسون في البيت الأبيض. وكررت المواضيع الرئيسية التي طرحها الرئيس باراك أوباما في خطاب ألقاه في القاهرة في العام السابق، حول "بداية جديدة" للعلاقات الأمريكية مع العالم الإسلامي. ولكنها تجاهلت الأجزاء غير الحساسة، مثل تحذير أوباما القرآني بأن "قل الحقيقة دائما"، أو إشارة إلى الحق العالمي في "التعبير عن رأيك وإبداء الرأي في كيفية حكمك".

بدت طاولتي وكأنها مشهد من فيلم من أفلام الحرب العالمية الأولى حيث يجتمع الجنرالات المتحاربون لتناول الشاي أثناء استراحة في المعركة. وكانت السفارة قد دعت بعض أبرز المعارضين في مصر وجلسوا معي. كان أحدهم مدونًا ذو شعر أشعث وقبيح الفم ومعروفًا بنشر مقاطع فيديو عن انتهاكات الشرطة والتحرش الجنسي؛ وكانت الأجهزة الأمنية قد أغلقت موقعه الإلكتروني مؤخرًا. وكان آخر عالم سياسة مصري في الجامعة الأمريكية بالقاهرة متخصص في عيوب الاستبداد العربي. والثالث كان باحثًا في هيومن رايتس ووتش. لقد أبقى مبارك المنظمة في مأزق قانوني، حيث رفض تلبية أو رفض طلب الترخيص الذي تقدمت به، مما يعني أن شرطته قد تسجن باحثتها هبة مرايف في أي لحظة.

وعلى الجانب الآخر من الطاولة كان هناك دبلوماسيون أميركيون ومسؤولون من مبارك، وكلهم يدردشون بشكل ودي معي ومع المنشقين.
هل كنت على دراية بالتين والحساء الذي يتم تقديمه تقليديًا أولاً بعد يوم من الصيام، لتنشيط عملية الهضم؟ هل جربت الكشري، الطبق الرئيسي المحبوب في المطبخ المصري؟ (الأرز والمعكرونة ممزوجان بالعدس والفاصولياء، بنكهة ثلاث صلصات مختلفة في وقت واحد -الخل والثوم والطماطم والفلفل الحار.) أو ماذا عن الحمام المشوي؟ لقد كانت شهية هنا. لقد أجرينا محادثات قصيرة حول السياسة في واشنطن والقاهرة.

لقد ظهرت الكثير من التناقضات في العلن في أواخر الصيف
عام 2010. استعارت صفحات فيسبوك تقنيات التسويق في وادي السيليكون للتحريض ضد مبارك، واجتذبت جمهورًا يصل إلى عشرات الآلاف. مجموعة ناشطة ذات توجهات يسارية تطلق على نفسها اسم حركة شباب 6 أبريل، بعد تاريخ الإضراب العشوائي في مصنع للنسيج، حصدت أكثر من سبعين ألف عضو على الإنترنت. لكن حُكم على كاتب عمود في إحدى الصحف الذي شكك في صحة الرئيس بالسجن بتهمة زعزعة استقرار البلاد. وكانت العضوية في جماعة الإخوان المسلمين غير قانونية، لكن ثمانية وثمانين من أعضائها خدموا علناً في البرلمان. لقد شكلوا 20% من أعضاء المجلس، وكانوا يشكلون المعارضة الحقيقية الوحيدة لمبارك. غطت الصحف المصرية أقوال وأفعال "المرشد العام" للإخوان المسلمين، وهو طبيب بيطري يبلغ من العمر ثمانية وستين عامًا، بنفس الطريقة التي قد تغطي بها الصحف الشعبية في نيويورك رئيس الأساقفة الكاثوليكي في المدينة (أو، في هذا الصدد، الطريقة التي تغطي بها الصحف المصرية رئيس الأساقفة الكاثوليكي في المدينة). غطت الصحف بابا الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر، التي يشكل أعضاؤها حوالي 10 أو 15 بالمائة من السكان).

وكان المحافظون في قيادة جماعة الإخوان المسلمين -بما في ذلك أستاذ هندسة مغمور من دلتا النيل يدعى محمد مرسي -قد طردوا مؤخراً مجلس إدارتهم من أكثر المعتدلين كاريزمية في حركتهم، وهو طبيب يدعى عبد المنعم أبو الفتوح. لكن في صيف عام 2010، كانت جماعة الإخوان المسلمين تجمع التوقيعات لصالح الترشيح الرئاسي لمحمد البرادعي، الدبلوماسي الحائز على جائزة نوبل والذي أصبح الليبرالي الأكثر شهرة في العالم العربي. شراكات غريبة. وبطبيعة الحال، فإن مبارك لن يسمح أبداً للبرادعي بالترشح. الولاية

وكانت الصحف منشغلة بتلويث سمعته بتقارير كاذبة تفيد بأنه حرض على الغزو الأمريكي للعراق. ونشرت إحدى الصحف صوراً لابنة البرادعي وهي ترتدي البيكيني، وهو ما يشكل وقاحة صادمة بالنسبة لمعظم المصريين. وقد عثر مساعدو البرادعي على أخطاء في المراقبة الصوتية في مكتبه في ذلك الصيف، ولم تبذل الحكومة أي محاولة تقريبًا لإنكار أو فرض رقابة على التقارير التي تفيد بأن وكالات الاستخبارات –المخابرات –كانت وراء ذلك. وكنت الوحيد الذي فاجأ.

ولم ير أحد أي فرصة لظهور شخصية النظام
التغيير في أي وقت قريبا. ولهذا السبب يستطيع المسؤولون الحكوميون والمعارضون البارزون تناول الطعام معًا بشكل مريح. ومع ذلك، فإن الخلل اليومي الذي تعانيه الدولة كان يحيّر ذهني. وتنافست الإقطاعيات داخل البيروقراطية الحكومية علناً مع بعضها البعض. واحتج القضاة على أن الشرطة هددت استقلالهم. أدار الدبلوماسيون أعينهم على رئيسهم المسن. وكانت وزارتا الجيش والداخلية تتنافسان بشكل أو بآخر بشكل علني على النفوذ والسلطة. وفي عام 1986، قام عدة آلاف من مجندي الشرطة بتنظيم تمرد مسلح. وواجهتهم قوات الجيش بإطلاق النار في شوارع المدينة وردهات الفنادق. والآن كانت الشائعات التي تدور حول إفطار السفارة تدور حول مدى العداء الذي يشعر به القادة العسكريون تجاه نجل الرئيس ووريثه المحتمل، جمال مبارك البالغ من العمر ستة وأربعين عاماً. كان من المتوقع أن يصبح أول رئيس دولة مصري من خارج الجيش منذ ثمانية وخمسين عامًا، منذ أن أطاح الضباط الأحرار التابعون لعبد الناصر بالنظام الملكي المدعوم من بريطانيا.

أصبح جمال –أو جيمي، كما يطلق عليه المصريون –ثريًا
كمصرفي استثماري في لندن والقاهرة. ثم قام والده بتثبيته على رأس الحزب الحاكم وبدأ بإعداده للمناصب العليا. الجميع كان يفعل ذلك. لقد ورث حافظ الأسد السلطة في سوريا لابنه. وكان زملاؤه من الطغاة في تونس وليبيا بصدد نقل وظائفهم إلى أفراد عائلاتهم. كانت الكثير من الدول العربية ممالك وراثية مباشرة (الأردن والمغرب والمملكة العربية السعودية وأربعة من جيرانها في الخليج الفارسي). فلماذا لا جمال؟ كان يطرح نفسه كزعيم لجيل جديد: ثلاثة من كل أربعة مصريين تحت سن الأربعين، واثنان من كل ثلاثة تحت سن الخامسة والثلاثين.

كنت جالساً بجوار صديق مقرب لجمال، تميم خلاف. هو
كان دبلوماسيًا التحق بالجامعة مع الباحث في هيومن رايتس ووتش. والآن تمت إعارته من قبل وزارته لمساعدة المعلم جمال.
أخبرني خلاف أنه شاهد الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام 2008 من خلال زمالة في جامعة هارفارد، وعندما علم أنني قمت
بتغطية السباق كان مليئا بالأسئلة.

ماذا حدث لهيلاري كلينتون؟ هل آذت سارة بالين جون ماكين؟

كان لدي سؤال له أيضا. فهل يترشح صديقه جمال فعلا؟
للرئيس أن يخلف والده في عام 2011؟ غمز لي خلاف عمليا. وكان آل مبارك يتعاملون مع القصر الرئاسي باعتباره مزرعة شخصية.

وعلمت لاحقًا أن رئيس المخابرات العسكرية، الفريق أول عبد الفتاح السيسي، كان في خضم الإجابة على نفس السؤال.

تشمل الاستخبارات في العالم العربي في بعض الأحيان التجسس على رئيس الدولة نفسه، وكان السيسي قد أبلغ كبار الجنرالات
في ذلك الصيف أن الرئيس قد يسلم مكتبه لابنه بمجرد عيد ميلاد مبارك الأب الثالث والثمانين، في مايو 2011. وتنبأ السيسي
للجنرالات بأن المصريين سوف يثورون.

وسيرد مبارك بإصدار أمر للجيش بقمع الاضطرابات.
ثم سيواجه الجنرالات بعض القرارات.
وسحق الجيش احتجاجات الخبز في عهد الرئيس أنور السادات
في عام 1977 وتمرد الشرطة في عهد مبارك في عام 1986. لكن الجيش كان بارونا في حد ذاته. لقد كانت تحمل الأسلحة الثقيلة،
وكانت طاعتها لأي مدني لا تزال مسألة اختيار. فهل يستجيب الجنرالات لنداء الرئيس؟

وفي يناير/كانون الثاني 2010، وفي حفل ترقيته إلى منصب رئيس المخابرات العسكرية، أشاد السيسي علناً بمبارك باعتباره
أباً لبلاده. وقال السيسي: "علم مصر سيظل يرفرف عاليا تحت قيادته".

وبعد بضعة أشهر فقط، أوصى الجنرالات بأن يرفضوا مبارك. وطلب السيسي من الجنرالات إعلان الولاء للشعب وليس
للرئيس. وينبغي لهم أن يشكلوا عملية التحول الخاصة بهم. الدولة الحديثة قد تسمي ذلك خيانة. لكن الوقت كان لا يزال ينضج
عندما اجتمعنا في ذلك الصيف لتناول الإفطار.

لقد تخطيت الغداء. وبمجرد أن غربت الشمس غطست فيها
الحمص وورق العنب ولحم الضأن والكسكس وأي شيء آخر يمكنني الوصول إليه. المسلمون من حولي اختاروا الطعام فقط.
أخبروني أنهم كانوا يجهزون أنفسهم لقضاء ليلة طويلة من الأكل الاحتفالي. لقد استيقظوا للتو، وسوف ينامون في اليوم التالي.

الليل نهار والنهار ليل في رمضان في القاهرة.

...

في منتصف القرن العشرين، قادت مصر العالم العربي إلى الاستقلال عن القوى الاستعمارية السابقة. وأصبحت منبع القومية أنا
العربية والإسلام السياسي والجهاد العالمي. بدا أن كل شيء في العالم العربي بدأ في القاهرة. وكان أي شخص في المنطقة يهتم
بالسياسة المحلية يتابع السياسة في القاهرة أيضًا. لقد جذبت الحيوية والحياة الليلية والمناخ أمراء الخليج الغني بالنفط لقضاء إجازتهم
على شواطئ شرم الشيخ أو فندق الماريوت في الزمالك. وكانت شعوب الدول المجاورة مثل اليمن أو الأردن أو ليبيا أو الأراضي
الفلسطينية تنظر إلى مصر باعتبارها الأخ الأكبر. وكانت القاهرة مكانًا للتعليم والثقافة في وقت كبير.

لكن الخبراء في واشنطن أكدوا لي أنه لن يحدث أي شيء آخر مثير للاهتمام في مصر. لقد أصبحت الآن نموذجاً للركود في
المنطقة. فمواطنوها المطيعون لن يتحدوا أبداً حكامهم الفاسدين. ولم يتمكن حكامها الفاسدون أبدًا من تلبية احتياجات سكانهم الذين
يتزايد عددهم بشكل كبير. في الاقتصاد والسياسة والثقافة، كان قلب الوطن العربي القديم في حالة تدهور لا رجعة فيه.

عاش معظم المصريين في عالم بعيد عن الزمالك أو المعادي.
وكان عددهم 78 مليوناً في عام 2010، مقارنة بـ 66 مليوناً قبل عقد من الزمان. ما يقرب من ربعهم يعيشون في القاهرة، و 95 في
المئة في وادي النيل. وكان أكثر من 40% من المصريين –والأغلبية العظمى في العديد من المناطق الريفية –يعيشون على أقل من
دولارين في اليوم. ونجا الخامس بأقل من 1.25 دولار. بسعر حوالي 5.00 دولار للرطل، كان لحم البقر إسرافًا. ما يقرب من واحد من
كل أربعة مصريين بالغين لا يستطيع القراءة.

كان 40% من الأسر تفتقر إلى إمكانية الوصول إلى شبكات الصرف الصحي، و01% تفتقر إلى المياه
الجارية (بما في ذلك العديد من الأسر في المناطق الحضرية).

الأحياء الفقيرة في القاهرة والإسكندرية). وكان %8فقط من السكان يملكون سيارة، وكان ذلك أكثر من كافٍ لسد شوارع العاصمة.

لقد أحضرت معي الافتراضات الغربية القياسية. دين الاسلام

ولم يكن من الممكن أبداً الفصل بين الدين والسياسة، والمسجد والدولة، ولذلك كان محكوماً على العرب بالاختيار بين الرجال العلمانيين الأقوياء والمتطرفين الدينيين. وقيل لي إن الثقافة العربية والإسلامية مقاومة بشكل فريد لانتشار الديمقراطية. على مدى العقدين الماضيين، ترسخت الديمقراطية في أوروبا الشرقية، وأميركا اللاتينية، وشرق آسيا، ومنطقة جنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا، ولكن ليس في الشرق الأوسط بعد، باستثناء إسرائيل. الاستثناء العربي كما أسماه علماء السياسة.

لقد تصورت مصر وإسرائيل كأعداء لا يمكن الحفاظ عليهما في سلام هش إلا من خلال المدفوعات الأمريكية لكلا الجانبين. لكن المساعدات العسكرية الأمريكية البالغة 70مليار دولار على مدى عقود جعلت من جنرالات مصر أفضل حلفاء واشنطن العرب. كانت الأسر العربية قبلية، والثقافة العربية معادية للحداثة، وتم التعامل مع المرأة العربية كأنها متاع. وما إلى ذلك وهلم جرا. تقريبا كل ذلك كان خطأ.

لقد فوجئت بما لا أستطيع أن أسميه سوى الشعور الاستعماري في حياتنا. كنا نشرب الجين والمقويات على طاولات النزهة بين أشجار النخيل في حديقة نادي المعادي البريطاني، وهو من بقايا الاحتلال. لقد سبحنا في نادي أكثر خصوصية، تديره السفارة الأمريكية لموظفيها ومقاوليها (ولأعضاء هيئة التدريس غير المصريين في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، حيث قامت لورا بتدريس القانون وتقديم المشورة للإدارة). قام مندوب السفارة بتزويد النادي بالنبيذ والبيرة ولحم الخنزير المستورد ومنتجات أخرى يكاد يكون من المستحيل العثور عليها في أي مكان آخر في مصر. قضى أصدقاؤنا في الزمالك عطلات نهاية الأسبوع في نادي الضباط البريطاني السابق الذي يضم حمامات سباحة متعددة وإسطبلًا للخيول. لقد قام عبد الناصر بتأميمها منذ عقود، لكن انخفاض عدد أعضائها كان لا يزال رمزًا للمكانة. هذا يعني أن عائلتك كانت تنتمي لفترة أطول.

وقفت الشرطة دائمًا إلى جانب الأجانب –الخواجة هو المصطلح المهين –في أي نزاع مع المصريين. كانت الزوجة العربية لصحفي غربي أعرفه تعرض بطاقة عمل زوجها لأي شرطي مرور يوقفها، وكان الشرطي دائمًا يسرعها في طريقها. في الفيلم المصري حسن وماركوس

،(2008)أعلن لواء في وزارة الداخلية أن خمسة وسبعين شخصًا لقوا حتفهم أثناء "محاولة" الهروب من انفجار قنبلة إرهابية.
“والحمد لله أنهم جميعًا مصريون! لا أجانب! ضحكة كبيرة من رواد السينما المصريين.

لقد اندفع المصريون من الطبقة العاملة لمساعدة الأجانب مثلنا، وفي بعض الأحيان فقط كانوا يصطادون البقشيش. (أخبرني أحد مدرسي اللغة العربية أن سائقي سيارات الأجرة يرونك كحقيبة من المال). لكن أعضاء النخبة الناطقة باللغة الإنجليزية حاولوا دائمًا الارتباط بنا بسبب إخفاقات مواطنيهم الفقراء، مثل البيروقراطي الذي أخبرني عن IBM" "المصرية" والمفقودين في سان فرانسيسكو.

كتب الروائي المصري نجيب محفوظ في الخمسينيات رواية
شخصية كمال في سيرته الذاتية، الذي كان صديقه المصري الثري يشتاق إلى باريس أو لندن. "كم يؤلم كمال كلما أطلق صديقه تلميحًا عن شعوره بالتفوق على الشعب المصري [كما لو] كان يتحدث عن شعب لا ينتمي إليه أي منهما". تحدث العديد من النخبة بهذه الطريقة بعد ستين عامًا.

اعتاد وزير الثقافة أن يتحدث على شاشة التلفزيون الحكومي عن "التخلف" المأساوي لمواطنيه المصريين.
كان المصريون الأثرياء في كثير من الأحيان متعصبين بحماس تجاه وطنهم -"أم الدنيا"، كما أطلق عليه المصريون. فكيف يمكن لنفس الأشخاص أن يتعاطفوا مع الغرب بهذه الغرور ويتنازلوا بشدة عن مواطنيهم؟ كنت لا أزال جديدًا في عالم ما بعد الاستعمار.

كانت النوادي والفنادق والمطاعم الحصرية قد أغلقت بالكامل تقريبًا ضفاف نهر النيل في القاهرة بحلول وقت وصولي. وفي محاولة يائسة للحصول على الهواء، تجمع سكان القاهرة الفقراء ليلاً في صفوف من الكراسي البلاستيكية على الأرصفة الضيقة للجسور، وهم يحتسون العصير أو الشاي من الباعة الذين كانوا يسيرون ذهابًا وإيابًا وهم يحملون الدبابات على ظهورهم. على أطراف المعادي، كانت العائلات تتنزه في قطعة صغيرة من العشب بين محطة بنزين توتال والطريق المزدحم على طول النهر.

ولم يبدأ الأغنياء بالفرار إلى مجتمعات مسورة في الضواحي المبنية حديثاً إلا خلال العقد الماضي. تم تصميم العديد منها لتبدو مثل بالم سبرينغز، مع حمامات السباحة، وملاعب الغولف، والري المستمر.

وكان وزراء مبارك قد باعوا الأراضي الصحراوية المملوكة للقطاع العام في جميع أنحاء المدينة بأسعار منافسة لأصدقائهم ذوي العلاقات الجيدة. بعد الارض

كان السباق لبناء الضواحي قد امتص قدراً كبيراً من رأس المال بعيداً عن الاستثمارات الأخرى، الأمر الذي ساعد في إحداث ركود في جميع أنحاء البلاد. تم بيع مشروع راقٍ على ضفاف نهر النيل في الجيزة باسم "الريف الأوروبي" -وهو عبارة عن حروف عربية يمكن أن تتهجى كلمة "أوروبي" إذا تم نطقها بشكل صحيح. قام أحد المطورين الأثرياء (ونائب الحزب الحاكم) بتسويق أحد مشاريعه باسم "مايفير"، على اسم حي في لندن. وأخرى على البحر الأبيض المتوسط، أطلق عليها اسم "قرية شاطئ فيرجينيا".

ذات يوم، أعلن الخديوي إسماعيل باشا، الحاكم الوراثي الذي قاد مصر إلى التبعية لبريطانيا في أواخر القرن التاسع عشر: «إن بلدي لم يعد في أفريقيا؛ نحن الآن جزء من أوروبا". ربما كان يشعر وكأنه في بيته في ضواحي أوائل القرن الحادي والعشرين. وكان تطورهم يعني أنه للمرة الأولى منذ قرون لم تعد القاهرة تجبر الأغنياء والفقراء على الاختلاط في الشوارع.

في إحدى ليالي صيف عام ،2010تناولت أنا ولورا العشاء في منزل المدير التنفيذي الباكستاني المولد الذي كان يدير سيتي جروب في مصر في إحدى الضواحي. وبينما كنا ننظر إلى حمام السباحة وملعب الجولف الخاص به، كان يشرح لمجموعة متنوعة من الضيوف الغربيين والمصريين الناطقين باللغة الإنجليزية أنه لا يمكن لأي شعب فقير وغير متعلم مثل شعب مصر أن يحكم نفسه من خلال انتخابات ديمقراطية. وقال إنه تعلم ذلك في باكستان. أومأ الجميع بالاتفاق.

ثم قام أحد المسؤولين التنفيذيين الأمريكيين في شركة تبغ دولية، وهو يستمتع بالنبيذ، بطرح سؤال على الطاولة. وتساءل هل صحيح أن اللغة العربية لا تحتوي على كلمة تعني "التسوية؟"

حتى بالنسبة لأكثر المصريين غرورا، كان هذا أكثر من اللازم. العربية
لقد تطورت اللغة على مدى قرون عبر مجموعة واسعة من البلدان في ثلاث قارات. لقد راكمت عددًا كبيرًا من المرادفات لكل شيء، بما في ذلك التسوية. وكان هذا العجز المفترض أسطورة حضرية في الغرب. وصححه المتحدثون بالعربية بأدب. تدفق النبيذ على. لكنني علمت حينها أنني كلما سمعت أحدهم يقول: "العربية ليس بها كلمة تعني ..". . . ،"كنت في حضور عنصري.

البطل الأكثر وضوحًا في عمليات الخصخصة التي أدت إلى إنشاء
كانت الضواحي الجديدة أحد أقطاب صناعة الصلب ووسيط السلطة في الحزب الحاكم

اسمه احمد عز . وكان وجهه يظهر بشكل شبه يومي على الصفحات الأولى من الصحف المصرية الخاصة. في أيام دراسته الجامعية كان يعزف على الطبول في فرقة روك أند رول على طراز فليتوود ماك.

ثم استغل انفتاح الاقتصاد المصري في عهد السادات من خلال توسيع أعمال والده في بيع مواد البناء. وبحلول التسعينيات، كان عز ثريًا ومتصلًا بما يكفي لدرجة أن مبارك عينه في مجلس تجاري أمريكي-مصري مشترك.

وهناك أصبح صديقًا لعضو آخر في المجلس، وهو جمال مبارك.

وكان ذلك أيضًا هو الوقت الذي تمكن فيه عز، في عام 1996، من شراء السيطرة على شركة صناعة الصلب الضخمة المملوكة للدولة. وقال إنه كان الوحيد الذي كان على استعداد لضخ رأس المال اللازم؛ وقال منتقدوه إنه حصل على صفقة جيدة من خلال علاقاته بمبارك. وفي كلتا الحالتين، أصبح يسيطر الآن على ما لا يقل عن ثلثي سوق الصلب المزدهر. لقد جمع صافي ثروة شخصية تزيد عن 2 مليار دولار. وأصبح رئيساً لأهم لجنة مالية في البرلمان، وانضم إلى صديقه جمال على رأس الحزب الحاكم.

وكان لكل طاغية عربي عز في تلك الأيام. واتبعت مصر وسوريا وتونس وليبيا ودول عربية أخرى النصيحة الغربية وفتحت اقتصاداتها التي تهيمن عليها الدولة للمنافسة والأسواق. لكن حكامهم المستبدين لم يبذلوا أي جهد لفتح أنظمتهم السياسية، أو لجعل المسؤولين الحكوميين الذين كانوا يبيعون الأصول مسؤولين أمام الجمهور. وانتهت الخصخصة بإعطاء مكاسب هائلة لحفنة من المقربين. وفي كل بلد، برز رجل أعمال واحد يتمتع بعلاقات جيدة باعتباره الوجه المبتسم للإصلاح الاقتصادي -عز في مصر، وصخر الماطري في تونس، وحسن طاطاناكي في ليبيا، ورامي مخلوف في سوريا، وما إلى ذلك. لقد تصورتهم جميعًا حول طاولة في فندق فور سيزونز في دبي، وهم يرفعون كؤوسهم ليشربوا نخب إجماع واشنطن.

بدا عز وكأنه قزم رأسمالي. كان طوله حوالي خمسة أقدام ونصف، وكان له شعر داكن مموج ومفرق إلى الجانب وسوالف حتى أسفل أذنيه. كان يفضل الأحذية ذات المنصات، والبدلات الإيطالية، والياقات الممتدة، وأزرار الأكمام الفضية، وسيجاريلو كوهيبا. واحتفظ بثلاث زوجات -وهي ممارسة يسمح بها القانون المصري والتقاليد الإسلامية ولكنها عملية فقط للأغنياء والجريئين. كان يبلغ من العمر تسعة وأربعين عامًا في عام 2007 عندما تزوج زوجته الثالثة شاهيناز النجار، وهي وريثة وسيدة أعمال وعضوة في الحزب الحاكم.

الكتلة البرلمانية (أصر على الاستقالة بعد زواجهما).
أفاد كتاب أعمدة القيل والقال في القاهرة أنه دفع لها مهرًا قدره 5 ملايين دولار واشترى خاتمًا بقيمة 175 ألف دولار. سافروا إلى سويسرا لحضور حفل الزفاف، وانتقلت إلى شقة في فندق فور سيزونز.

(كانت زوجته الثانية تعيش في شقة أخرى بالفندق، بينما كانت زوجته الأولى تعيش في مجمع في الضواحي).

وبحلول عام 2010، كان بإمكان عز أن يتباهى بأن الخصخصة حققت العجائب.
وقد نما الاقتصاد بنحو 50 في المائة على مدى العقد، وهو أعلى معدل منذ أربعين عاما. وكان المزيد من المصريين يشترون السيارات ومكيفات الهواء. كان بناء المنازل مزدهرا. هكذا كانت تجارة الصلب. لكن بالنسبة لغالبية السكان، كان عز يجسد الفجوة الآخذة في الاتساع التي تفصلهم عن القلة المحظوظة داخل الضواحي الجديدة المسورة.

...

يا

ستريتش! نعامة! هنا أيتها النعامة!» "بسست! حمار وحشي، هل تريد رؤية حمار وحشي؟

أخذنا أبناءنا إلى حديقة الحيوان بالقاهرة، وذكرني مربي الحيوانات ولورا بتجار الأواني الذين اعتادوا نداء المارة في حديقة واشنطن سكوير في مدينة نيويورك. وبدلاً من رعاية الحيوانات، كان الحراس هناك لقواتها.

للحصول على بقشيش بالدولار، يمكنك لمس أو إطعام أو ركوب أي حيوان تريده. التقطنا صورًا لطفلنا البالغ من العمر أربع سنوات وهو يركب حمارًا وحشيًا، ويطعم فيلًا، ويختلط مع حيوانات الكنغر، ويداعب أشبال الأسود.

أقنعنا أحد الحراس بالسماح لابننا بالوقوف مع نمر أم، بينما كان الخادم نفسه ينظر إليه بعصا تهديد في يده.

واقترح أن نضع اليد في فم الأسد. أننا رفضنا.

وكانت علب السجائر الفارغة تطفو بجانب التماسيح. لقد رأينا أ
حارس يضرب نمرا بعصا. حدقت الحيوانات بذهول. وعلمت فيما بعد أن الاتحاد العالمي لحدائق الحيوان والأحياء المائية قد طرد حديقة الحيوان بالقاهرة لمخالفتها المعايير الدولية لمعاملة الحيوانات. عندما فكرنا في القسوة، أفسدت المتعة.

أسس الخديوي إسماعيل، الذي أعلن مصر جزءًا من أوروبا، حديقة الحيوان في عام 1881. وكلف ما لا يقل عن غوستاف إيفل بتصميم جسر لحديقتها. لكن الجزء الأكثر روعة من حديقة الحيوان الأصلية يقع على طول نهر النيل، وقد تم بيعه قبل فترة طويلة من زيارتنا. فندق فور سيزونز يحجب الآن منظر النهر. تبحث العائلات المصرية عن بضعة ياردات من العشب للتنزه أو اللعب فيها، وتتدافع على الثمانين فدانًا المتبقية. وكانت الحيوانات، لأغراض عملية، مملوكة لحراس الحديقة. رأى كل منهم أن مهمته هي فرصة للاستفادة مما تبقى من حديقة الحيوان.

وفي عام 2010، أنفقت الحكومة المصرية أكثر من ربع هذا المبلغ
وتغطي ميزانيتها رواتب أكثر من ستة ملايين موظف مدني مثل حراس الحديقة، وهذا الرقم يستثني ملايين آخرين في الجيش والشرطة. كان هؤلاء الملايين الستة يمثلون حوالي 20% من القوى العاملة المدنية في مصر - أي أكثر من ضعف عدد الموظفين الحكوميين الذين توظفهم الولايات المتحدة والمملكة المتحدة معًا، أو ثلاثة أضعاف حجم القوى العاملة في القطاع العام في تركيا، حيث يبلغ عدد السكان كان أصغر قليلا ولكن الناتج المحلي الإجمالي كان أكبر بثلاث مرات. وكانت تركيا، المشهورة ببيروقراطيتها المتضخمة، نموذجاً للكفاءة مقارنة بمصر.

وكان معظم موظفي القطاع العام المصريين ينظرون إلى وظائفهم على أنها أصول يمكن تأجيرها أو حجبها، ومصدرًا للبقشيش. أخذ رجال شرطة المرور رشاوى صغيرة لنسيان مخالفات الحركة (وبالتالي، كانت حركة المرور خارجة عن القانون بالطبع). أو قد يمنعك شرطي من ركن سيارتك في مكان قانوني تمامًا، لكنه لن يطلب منك سوى بضعة جنيهات للسماح لك بركن سيارتك في أي مكان تريده، بغض النظر عن تأثير ذلك على تدفق السيارات والمشاة. كان موظفو الخدمة المدنية يحضرون الخضروات إلى العمل، ويقشرونها في مكاتبهم، ويعودون إلى منازلهم لطهي طعام الغداء.

لقد كان هذا هو العقد الاجتماعي الناصري، وقد سادت نسخ منه في معظم أنحاء المنطقة. لقد وفرت الدولة الأبوية ذات يوم وفرة من فرص العمل إلى جانب الدعم السخي للطعام والوقود.

لقد ضمن عبد الناصر وظيفة لكل شخص يحمل شهادة جامعية، بغض النظر عن مدى اكتظاظ الفصول الدراسية أو سوء تدريب الخريجين، وحتى عام 1990، استمر مبارك في هذا التظاهر.

وفي المقابل، تحمل المصريون حكومة ليس لهم رأي فيها على الإطلاق. ولكن بحلول عام 2010، كانت الصفقة قد انهارت. يمكن لأي شخص

رؤيته. ما عليك سوى المشي من فندق Four Seasons عبر قذارة حديقة الحيوان.

ولكن بالنسبة لدولة بوليسية، فقد وجدت مصر في عام 2010 منفتحة بشكل ملحوظ. كان مبارك قد سمح لأول مرة بالملكية الخاصة للمؤسسات الإخبارية قبل حوالي ستة أعوام من وصولي. ولم تكن مستقلة بشكل كامل: فكل الصحف وشبكات التلفزيون كانت مملوكة لحفنة صغيرة من رجال الأعمال المقربين من مبارك، وكان أصحابها يعتمدون عادة على الدولة لتحقيق مصالح تجارية أخرى. وكان صحافيوهم يعملون ضمن حدود واضحة.

إن انتقاد الجيش أو مبارك أو الإسلام قد يؤدي بك إلى السجن.
لكن ضمن هذه السطور، تمكنت صحف مثل المصري اليوم –أو مضيفي البرامج الحوارية مثل منى الشاذلي –من لفت الانتباه إلى العديد من أوجه القصور التي تعاني منها الدولة، بما في ذلك الاقتصاد الرهيب، وارتفاع أسعار الخضروات، أو حتى الوباء. انتهاكات الشرطة المصرية

سمعت الكثير في ذلك الصيف عن سائق حافلة صغيرة يُدعى عماد الكبير. قبل عامين، هاجمت الشرطة ابن عمه في موقف للسيارات، وارتكب كبير خطأ محاولته التوسط. اعتقلته الشرطة، وجردته من ملابسه نصف عارية، وعلقت قدميه في السقف، وضربته حتى فقد وعيه، ووضعت عمودًا أسود في شرجه. وباستخدام الهاتف المحمول، سجل أحد الضباط مقطع فيديو لإذلال كبير.

"يا باشا، سامحني، أرجو رحمتك، سامحني"، توسل كبير.

أجاب الضابط: "كل من في ساحة انتظار السيارات سيرى هذا غدًا".

وصل الفيديو إلى الإنترنت، وكان لا يزال متداولاً بعد سنوات قليلة عندما وصلت إلى القاهرة. كان المدون الذي كان يجلس على طاولتي أثناء إفطار السفارة، وائل عباس، قد لفت انتباه الجميع إلى مقطع الفيديو الكبير. أخذت البرامج الحوارية الأمر من هناك. أصبح عماد الكبير أحد الأسماء الأكثر شهرة في مصر.

وردا على سؤال حول الفيديو، ردت وزارة الداخلية باعتقال الكبير للمرة الثانية. هذه المرة حُكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر بتهمة الاعتداء على ضابط. ولم تعتقل الشرطة اثنين من الضباط إلا بعد احتجاجات ساحقة

متضمن. أم أن ذلك كان مجرد ادعاء؟ وسرعان ما تم إطلاق سراح الجلادين وإعادتهم إلى عملهم.

عاد عماد الكبير إلى الأخبار في صيف 2010 بسبب الصدى. وفي يونيو/حزيران، قام رجال الشرطة في الإسكندرية بسحب شاب حليق الذقن من أحد المقاهي لسبب غير معروف. وقالت الوزارة في وقت لاحق إن رجال الشرطة اشتبهوا في أنه يدخن أو يتاجر في الحشيش، لكن دوافعهم كانت غامضة. اقتادوه إلى مبنى سكني قريب، وضربوه، وضربوا رأسه بدرج رخامي. وأمام شهود عيان شاهدته الشرطة وهو يموت متأثرا بجراحه.

والتقط أحد المتفرجين صورة للبقايا الدموية بهاتفه المحمول

الهاتف، وتذكر الكبير، عرف المصريون ما يجب عليهم فعله.

وفي غضون أسابيع، تمكنت صفحتان متنافستان على فيسبوك مخصصتان لاسم آخر ضحايا الشرطة –"كلنا خالد سعيد" –من جمع عشرات الآلاف من المتابعين. وقال مسؤولون بوزارة الداخلية إن خالد سعيد اختنق حتى الموت بسبب كتلة من الماريجوانا أثناء محاولته ابتلاع الأدلة. لقد حاولوا بالكاد بيع الكذبة. وبدا أنهم لا يهتمون إذا كان أي شخص يصدق ذلك، كما أن الانفتاح الجديد لوسائل الإعلام جعل استهزاء الوزارة صارخاً بشكل خاص.

وصل الفيلم الناجح، This Is Chaos، إلى القنوات الفضائية في ذلك الصيف. تم طرح الفيلم في دور العرض عام 2007 للمخرجين المصريين يوسف شاهين وخالد يوسف، وبدأ الفيلم بإخلاء المسؤولية لتهدئة الرقابة: "نحن نقدر الدور الوطني الذي تلعبه مؤسسة الشرطة للحفاظ على الاستقرار والأمن. هذه مجرد أعمال معزولة". ولكن هذا أضاف فقط خط الضحك. ومع تلاشي بيان إخلاء المسؤولية، أظهر الفيلم مئات من عناصر شرطة مكافحة الشغب وهم يدمرون سوق الخضار في الحي بلا مبالاة لمطاردة حفنة من المتظاهرين السلميين. قامت الشرطة بضربهم بالهراوات، وحبسهم في زنزانة، وتعذيبهم بشكل متقطع طوال مدة الفيلم.

الشخصية الرئيسية، شرطي اسمه حاتم، أصبح أيقونة.

"إذا لم تُحسن إلى حاتم، فأنت لا تُحسن إلى مصر!" أجبر أصحاب المتاجر المحليين على التكرار وهو يهزهم للحصول على رشاوى.

"قانون؟ هنا، هناك قانون واحد فقط. "قانون حاتم" قال لأحد السجناء:

صعقه بالكهرباء على صدره بينما كان الأسير معلقا في السقف. "الآن دع القانون يساعدك!"

وفي أحد المشاهد، حاول حاتم سرقة لوحة زيتية ثمينة من مكتب مفوض الشرطة عن طريق استبدال لوحة مزيفة. وكان من المعروف في وزارتي الثقافة والآثار أن المسؤولين كانوا يسرقون الكنوز المصرية لسنوات باستخدام أساليب مماثلة. اشتكى علماء الآثار الغربيون والمصريون من أن عددًا كبيرًا جدًا من القطع المقلدة الرخيصة قد تُركت في مخازن المتحف المصري، لدرجة أنه أصبح من الصعب معرفة ما هو حقيقي بعد الآن. كما تحولت تلك الأصابع اللزجة إلى فضيحة عامة في صيف عام 2010. فقد سُرقت لوحة زهور الخشخاش، التي رسمها فنسنت فان جوخ والتي تبلغ قيمتها أكثر من 50 مليون دولار، من جدران متحف حكومي مصري. من الواضح أنها كانت وظيفة داخلية. وكانت اللوحة نفسها قد سُرقت من نفس المتحف من قبل، في عام 1977، على الرغم من استعادتها لاحقًا في الكويت. لم تتم محاسبة أحد، وهذه المرة لم تظهر اللوحة من جديد. في هذه هي الفوضى، كان الشرطي حاتم تافهًا للغاية لدرجة أنه مزق القماش، ومزقه من إطاره، وهو غير مدرك أنه دمر قيمته.

لكن الذروة كانت هي ما جعل فيلم This Is Chaos لا يُنسى.
اقتحم سكان الحي الذين سئموا مركز الشرطة، وتسلقوا الأسوار، وألقوا الحجارة، مما دفع رجال الشرطة إلى الفرار في حالة من الرعب. حتى أن كبار مسؤولي الشرطة القلقين الذين واجهوا الحشود وضعوا حاتم قيد الاعتقال. أم أن ذلك كان مجرد ادعاء، مثل الاعتقال القصير لجلادي كبير؟ "حاتم، ألا تعلم أننا نحبك؟ نحن نحاول حمايتك!" همس مفوض الشرطة وهو يقود حاتم بعيدًا.

وبعد سنوات من الفيلم، وصف كاتب عمود في إحدى الصحف مصر بأنها "أمة الحاتمين". لقد فهم كل قارئ.

...

في لقد كانت أشينغتون الدعامة الأساسية لأمة مبارك من المغول، حراس الحديقة وحاتم. وكانت السفارة الأمريكية في القاهرة واحدة من أكبر السفارات في العالم. لقد احتلت مبنىً سكنيًا في المدينة، وبدت وكأنها حصن، وأشرفت على ميزانية مساعدات هائلة. الولايات المتحدة

أرسلت 1.3مليار دولار سنويًا في صورة أجهزة وخدمات للجيش المصري و052 مليون دولار أخرى للحكومة المدنية. ووصفت صحيفة نيويورك تايمز مصر بأنها "حجر الزاوية في النظام الإقليمي المدعوم من الولايات المتحدة". "ماما أمريكا"، كان المصريون يطلقون على الراعي الغربي لحكومتهم.

لقد افترضت أن الولايات المتحدة تبنت مصر بعد كامب ديفيد عام 1979، لكن القصة تعود إلى أوائل الخمسينيات. في تلك الأيام الأولى من الصراع مع السوفييت، كان المحاربون الباردون الأمريكيون يشعرون بالقلق إزاء الجاذبية الشعبية للشيوعية في جميع أنحاء المنطقة وخاصة في مصر. كتب كيرميت روزفلت الابن، حفيد ثيودور روزفلت وجاسوس أمريكي رفيع المستوى، تقريرًا حكوميًا داخليًا يتخيل فيه حليفًا عربيًا مثاليًا، "حليفًا يتمتع بسلطة أكبر بين يديه أكثر من أي زعيم عربي آخر على الإطلاق،" القدرة على صنع وهو قرار لا يحظى بشعبية». كان روزفلت يعرف مصر جيدًا. وكان قد أنشأ أول عملية استخباراتية أمريكية في القاهرة خلال الحرب العالمية الثانية ثم أنشأ برنامج تدريب عسكري تديره وكالة المخابرات المركزية. وعندما عاد إلى القاهرة في فبراير 1952، التقى بمجموعة صغيرة من الضباط كان من بينهم العقيد جمال عبد الناصر البالغ من العمر أربعة وثلاثين عامًا. (وفي العام التالي، في عام 1953، دبر روزفلت انقلابًا لإقالة رئيس وزراء إيران).

وبعد بضعة أشهر من زيارة روزفلت إلى القاهرة، في يوليو 1952، عبد
أراد ناصر وضباطه الأحرار إعادة الاتصال بالحكومة الأمريكية. وقال البعض في وقت لاحق إنهم اتصلوا بملحق القوات الجوية الأمريكية في القاهرة، ديفيد إيفانز، في وقت مبكر من 19يوليو. وفي الساعة 3:00 صباح يوم 23يوليو، أرسل عبد الناصر مبعوثًا ليطرق باب المعادي. منزل السفير الأمريكي جيفرسون كافيري، مع تحذير مسبق: الضباط الأحرار خططوا للإطاحة بالملك فاروق في ذلك اليوم في انقلاب عسكري. لقد أرادوا واشنطن معهم.

"لقد ارتبطت صورة الولايات المتحدة ارتباطًا وثيقًا بثقافتنا
"العقول تدافع عن قضية الحرية وتدعم حركات التحرر"، هكذا كتب أنور السادات، أحد الضباط الأحرار المتآمرين، في مذكراته، سعيًا إلى التملق جزئيًا فقط. "علاوة على ذلك، من خلال إنشاء مثل هذا الارتباط، سعينا إلى تحييد البريطانيين".

وبعد ثلاثة أيام، في 26يوليو/تموز، رافق السفير كافيري
فاروق إلى يخته في رحلة إلى المنفى. في السنوات التي

وبعد ذلك، يُقال إن السفير أشار إلى الضباط الأحرار كأنهم تلاميذ تقريبًا: "أبنائي".

وقال رجال عبد الناصر في وقت لاحق إنه بعد الاستيلاء على السلطة، مرر كيرميت روزفلت للرجل القوي الجديد ما لا يقل عن مليون دولار تحت الطاولة في محاولة لإثبات ولائه. تقول الأسطورة أن عبد الناصر استخدم المال لبناء برج القاهرة، وهو عمود يبلغ ارتفاعه 614قدمًا في الزمالك. الناصريون يسمونه انتصاب روزفلت.

ولكن أميركا وقفت إلى جانب "أولاد" كافيري في لحظة حرجة. أربعة
وبعد سنوات من الانقلاب، قام عبد الناصر بتأميم قناة السويس. ورداً على ذلك، تآمرت إسرائيل وبريطانيا وفرنسا لغزو مصر والاستيلاء على القناة والإطاحة به. ويعرف الغربيون هذه الحادثة باسم أزمة السويس. ويطلق عليه المصريون اسم العدوان الثلاثي.

كان الرئيس دوايت د. أيزنهاور غاضبًا. وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة قد سحبتا مساعدتهما لسد أسوان قبل بضعة أشهر فقط، إلا أن أيزنهاور هدد الآن بقطع الدعم المالي الأمريكي الحيوي والواردات النفطية عن الحلفاء الثلاثة إذا استمروا في عمليتهم. وقام بنشر الأسطول السادس لمواجهة السفن البريطانية والفرنسية في طريقها إلى مصر، وألمح إلى أن الأسطول قد يحاصر إسرائيل.

لقد كان يمارس التفوق الأمريكي في فترة ما بعد الحرب، لكن في الخطابة،
على الأقل، بدا وكأنه صديق الثورة الذي كان الضباط الأحرار يأملون فيه. «بما أنه لا يمكن أن يكون هناك مواطنون من الدرجة الثانية أمام القانون في أمريكا. . . "لا يمكن أن تكون هناك أمم من الدرجة الثانية أمام قانون المجتمع الدولي"، أعلن أيزنهاور، مستشهدا بنضال المؤسسين الأمريكيين. "يمكن أن يكون هناك قانون واحد فقط، وإلا فلن يكون هناك سلام". لقد نجا عبد الناصر، ويدين بالشكر لأيزنهاور.

لكن تصاعد الحرب الباردة أدى إلى تهدئة الموقف الأمريكي
تصريحات حول "لا دول من الدرجة الثانية" و"قانون واحد فقط". حاول عبد الناصر الحصول على دعم الاتحاد السوفييتي وكذلك واشنطن، وفي عام ،1965عاقب الرئيس ليندون جونسون مصر بقطع الواردات الحيوية من القمح المدعوم.

ودعم جونسون المملكة العربية السعودية في حرب ساحقة بالوكالة ضد مصر في اليمن؛ وكانت مصر قد دعمت المتمردين الناصريين هناك في حرب قبيحة أصبحت فيما بعد فيتنام. وبعد عامين من قطع القمح،

انضم جونسون إلى إسرائيل بشكل حاسم في حرب الأيام الستة المدمرة ضد مصر والعرب.

"كانت هناك قوة واحدة تحكم مصر والعالم، وهي
"هي: أمريكا"، هكذا خلص أنور السادات بعد أن خلف عبد الناصر عند وفاته عام .1971وفي الشرق الأوسط،
"تمتلك الولايات المتحدة %99من الأوراق".

بناءً على هذا التقييم، تودد السادات سرًا إلى هنري كيسنجر، الذي أصبح مستشار الأمن القومي للرئيس
ريتشارد نيكسون في عام 1969ووزيرًا للخارجية في سبتمبر .1973

لقد عمل كيسنجر بشغف على إحباط مصر في الأيام الأولى من حربها التالية مع إسرائيل، في أكتوبر/تشرين الأول .1973ولكن في
الوقت نفسه، كان السادات يطمئن كيسنجر سرا في برقية سرية مفادها أن مصر ليس لديها أي نية "لتكثيف الاشتباكات أو توسيع
المواجهة". ."

محمد حسنين هيكل كان مستشار عبد الناصر.
كان مقربًا وكاتبًا شبحًا منذ المراحل الأولى لانقلاب الضباط الأحرار، واستمر في لعب دور مركزي خلف الكواليس
في الشؤون المصرية حتى وفاته في عام .2016(كنت أعرفه في القاهرة). وقد وصف هيكل مناورة السادات مع
كيسنجر "أول مرة في التاريخ تكشف فيها دولة في حالة حرب عن نواياها لأعدائها، وتطلق يدهم على الجبهتين
السياسية والعسكرية".

لكن السادات فاز في لعبته. بعد خمس سنوات من الحرب، وقف عند
كامب ديفيد مع الرئيس جيمي كارتر ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن. وقال السادات لمساعديه: "سأوقع
على أي شيء يقترحه الرئيس كارتر دون قراءته"، مما أثار صدمتهم وفزعهم.

لم تفعل اتفاقيات كامب ديفيد الناتجة الكثير فيما يتعلق بالأساس
الصراع العربي الإسرائيلي ولا شيء على الإطلاق يتعلق بمحنة الفلسطينيين. لكن واشنطن التزمت للمرة الأولى
بدعم ذلك النوع من الحكم الاستبدادي العربي الذي اقترحه كيرميت روزفلت في عام 1951 - زعيم "يتمتع بسلطة
اتخاذ قرار لا يحظى بشعبية"، وهو زعيم، كما كتب روزفلت أيضًا، يريد السلطة "في المقام الأول من أجل لمجرد
السلطة."

التقيت كارتر في القاهرة، وقال إنه يتفهم الشكاوى المصرية بشأن هذا الترتيب: كانت واشنطن تدعم
الديكتاتورية في القاهرة من أجل رفاهية إسرائيل. "أنا أعتقد أن هذا هو

قال لي: "صحيح أننا كنا كذلك". "ولا أستطيع أن أقول أنني لم أفعل ذلك أيضًا."

لقد حاول الرئيس جورج دبليو بوش لبعض الوقت دفع مصر نحو الديمقراطية. وكان ذلك جزءاً مما أسماه "أجندة الحرية"، وربما كان حثه هو الذي دفع مبارك إلى اتخاذ القرار في عام 2005 بإجراء أول انتخابات رئاسية في مصر بمشاركة أكثر من مرشح واحد. (لم يُسمح لمنافسه الوحيد، أيمن نور، بالفوز إلا بنسبة 7% من الأصوات، ثم تم سجنه فور خسارته).

كما سمح مبارك أيضًا بانتشار حركة معارضة شعبية تحت شعار كفاية! -كفى! -كما كان الحال خلال ثلاثة عقود من حكم مبارك أكثر من كافٍ. كل من التقيت بهم في القاهرة تقريبًا، والذين لعبوا أي دور في السياسة أو النشاط السياسي، فقدوا أسنانهم في كفاية! وكان ظهورها في عام 2005 بمثابة قدر من الحرية السياسية لم يعرفه المصريون على الإطلاق.

ولكن بحلول ذلك الوقت، رأى الجيش الأمريكي أن مصر ذات أهمية حيوية فريدة من نوعها: ضامن السلام مع إسرائيل، وحارس قناة السويس وطرق الطيران الاستراتيجية، ومفترق طرق ثلاث قارات، والرائد الإقليمي. لقد سمعت نفس الجملة عدة مرات من المسؤولين الأمريكيين.

وأصبح لدى واشنطن الآن مخاوف أكثر إلحاحاً من الديمقراطية، وحتى الجرعات الصغيرة منها يمكن أن تكون مثيرة للقلق. لقد عارضت جماعة الإخوان المسلمين الهيمنة الغربية على مصر لما يقرب من ثمانية عقود، وحققت فوزا كبيرا في الجولة الأولى من الانتخابات البرلمانية عام 2005. وفي العام التالي، فازت حماس، الفرع الفلسطيني المتشدد لجماعة الإخوان المسلمين، في أول انتخابات تشريعية في الأراضي الفلسطينية.

وبسبب انزعاج البيت الأبيض في عهد بوش، ظل صامتاً بينما قام مبارك بقمع الإخوان المسلمين للحد من مكاسبهم في جولة الإعادة من التصويت البرلماني (ما زال الإخوان يحصلون على خمس المقاعد، وهو أمر غير مسبوق). وفي الأراضي الفلسطينية، دعمت الولايات المتحدة بقوة التدخل الإسرائيلي لإلغاء الانتخابات وإبعاد حماس عن السلطة.

وبعد مرور عشر سنوات، سمح أوباما بإجراء دراسة سرية تشكك في هذه الحقيقة

استمرارية النظام الاستبدادي في مصر وعدد قليل من البلدان الأخرى في المنطقة. وقد اعترف مجلس الأمن القومي التابع له، بطريقة مجردة، بأن الأنظمة الاستبدادية في الأنظمة الستة السابقة

عقود لا يمكن أن تقف لفترة أطول. حذرت وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون زعماء العالم العربي في خطاب ألقته في الدوحة بقطر في 13 يناير/كانون الثاني 2011من أن "أساسات المنطقة تغرق في الرمال". ولكنها حثت على إصلاحات غامضة فقط. ولم تكن الدراسة حول جدوى النظام قد اكتملت بعد. وباستثناء خطاب أوباما في القاهرة، فإن السياسة الأميركية لم تتغير كثيراً. لقد ماتت "أجندة الحرية".

وقال مسؤول كبير في وزارة الخارجية لمجموعة من الدبلوماسيين المتوجهين إلى المنطقة في عام 2010، تلخيصًا لوجهة النظر الأمريكية: "كان الله في عوننا إذا حدث شيء لمبارك". ولم أفهم إلا بعد سنوات الدور الذي واصلت واشنطن لعبه في نضال المصريين للحصول على حرياتهم.

• • •

كنت أدرس اللغة العربية بدوام كامل في خريف عام 2010، وتعلمت كيفية طلب القهوة التركية بالكمية المناسبة (المظبوط) من
أنا

السكر، أو طلب الحمام (الحمام) بدلا من الحمام (الحمام). لقد عملت مع مدرسين اثنين، كلاهما قاهريين، لكن من عالمين مختلفين.

كانت جيهان زوجة رجل أعمال ثري يعيش في فيلا كبيرة في حينا المعادي. حصلت على درجة الدكتوراه من الجامعة الأمريكية بالقاهرة وأصبحت مترجمة محترفة للكتب، وتعمل باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية. كانت ترتدي عصابة رأس، وبنطلونًا، وبلوزات بألوان الباستيل، وقدمت لنا مدبرة منزلها القهوة التركية، بينما كنا نراجع الدروس على طاولة خشبية مصقولة تطل على حديقة مُعتنى بها جيدًا.

"هل تعلم لماذا يصاب الجميع دائمًا بنزلة برد في القاهرة؟" سألتني ذات يوم باشمئزاز. "لأن المصريين لا يغسلون أيديهم أبدًا!" لم ألاحظ نزلات البرد. لكنني كنت معتادًا على رفض النخبة للمصريين العاديين.

وكان معلمي الآخر، حاتم، ابنًا لأحد العاملين في نادي الجزيرة الرياضي بالزمالك، وهو نادي الضباط البريطاني السابق.

لقد كان والده شخصية إضافية في الوصايا العشر، قال لي بكل فخر. جاء حاتم إلى فيلتي في سيارة فيات حمراء صدئة، وكثيرًا ما كان يقاطعني وهو يعلمني اللغة العربية للتنفيس عن حياته. هو

عانى من ارتفاع ضغط الدم والسكري. كان يتقاسم شقة مكونة من غرفتين غير مكيفة مع زوجته وابنه الرضيع، وكثيرًا ما كان يفقد أعصابه معهم لإبقائه مستيقظًا في الليل. لقد اشتبهت في أنه أطال دروسنا للاستمتاع بجو الفيلا الخاصة بي. لكنه كان غير مرتاح في المنازل التي يديرها الغرب، وكان يخفض عينيه دائمًا لتجنب النظر إلى لورا. أخبرني أنه إذا استخدمت الحمام في منزل عربي، فيجب أن أبقي عيني على الأرض في جميع الأوقات، خشية أن ألمح بالخطأ زوجة أو ابنة.

وبينما هزت جيهان رأسها على تخلف المصريين، غضب حاتم من فساد حكامهم. إحدى الكلمات الأولى التي علمني إياها حاتم كانت الفساد. وكان يشير دائماً إلى دائرة مبارك على أنها "عصابة اللصوص تلك"، بالطريقة التي يكرر بها المسلمون الملتزمون كلمة "صلى الله عليه وسلم" كلما ذكروا النبي محمد.

قرأت له الجريدة اليومية بصوت عالٍ باللغة العربية للتدرب، ونحن
وجاءت قضية هشام طلعت مصطفى، عضو البرلمان عن الحزب الحاكم والمطور المليونير وراء "مايفير" و"فيرجينيا بيتش فيليدج". كان مصطفى، الذي كان في الحادية والخمسين من عمره، قد دفع لضابط شرطة مصري متقاعد مليوني دولار ليقتل عشيقته، نجمة البوب اللبنانية سوزان تميم البالغة من العمر ثلاثين عامًا. حكمت محكمة ابتدائية على مصطفى بالإعدام، وأبطلت محكمة الاستئناف الحكم لأسباب فنية، والآن حكم عليه قاض جديد بالسجن خمسة عشر عامًا. ألم يكن حاتم مسروراً بتحقيق العدالة؟

لا، لا بد أن مصطفى قد اختلف مع مبارك، هكذا قال حاتم. ومن المؤكد أن هذا كان السبب الوحيد لإدانته.

من يعرف؟ وتم نقل مصطفى من السجن لأسباب صحية
الأسباب بعد ثلاث سنوات. تولت أخته مقعده البرلماني.

بالكاد أستطيع أن أتخيل لقاء بين اثنين من مدرسي اللغة العربية. وكان حاتم ينظر إلى قدميه؛ سيبحث جيهان عن الأوساخ على يديه.
لكن كلاهما اتفقا على شيء واحد. كان لا بد من إعطاء شيء ما.

ورغم أنني لم أكن في الخدمة بعد، إلا أنني تطوعت لمساعدة التايمز في تغطية الانتخابات البرلمانية التي ستعقد في الخريف، وتعلمت أمرين جديدين

كلمات: فودة، للفوضى، وبلطجية ، للبلطجية .

وبدا أن التقدم على جميع الجبهات قد توقف تماما. العالمية

وقد أدى الركود الاقتصادي في عام 2008إلى توقف ارتفاع مستويات المعيشة في مصر. ولم يعد مبارك تحت الضغط الأميركي، وكان يغلق المجال السياسي المفتوح حديثاً. وكان قد أضاف تعديلات جديدة على الدستور قضت على أي أمل في إجراء انتخابات نزيهة وأي حق في محاكمة عادلة. وظن المتهكمون أنه كان يضع الأساس لخلافة جمال.

شاهدت التصويت يوم 28نوفمبر 2010من الإسكندرية أ

المدينة التي ارتبطت فيها بلورنس دوريل، سي بي كافافي، والعالمية عبر البحر الأبيض المتوسط. كنت أشعر بالفضول تجاه المكان لأنني عرفت أنه منذ انقلاب عبد الناصر أصبحت المدينة معقلاً للإسلاميين. وفي مركز اقتراع بمدرسة ابتدائية، هرع النوادل إلى الداخل والخارج حاملين معجنات مجانية للناخبين، في صناديق تحمل شعار الحزب الحاكم. لكن مراقب الانتخابات المسجل لجماعة الإخوان المسلمين -وهو رجل أصلع وبدين يرتدي بدلة غير مناسبة، وله حافظة -كان عالقًا في الخارج. ورفض حراس الشرطة احترام أوراق اعتماده. وبينما كنت أقف معه، مرت ثلاث شاحنات تابعة للشرطة وأناشيد إسلامية مدوية عبر النوافذ الصغيرة ذات القضبان. وكان بالداخل إخوان مسلمون قامت الشرطة باعتقالهم في جميع أنحاء الإسكندرية لمنعهم من التصويت.

وكان المقر الرئيسي لجماعة الإخوان المسلمين في حالة مزرية ومملة. كان هناك رجلان ملتحيان يشغلان الهواتف تحت أضواء الفلورسنت. عندما قمت بتشغيل صنبور الحمام، كانت المياه تجري عبر مصرف بدون أنبوب وتتناثر على حذائي. وعلى شاشة التلفزيون، كان أحد نواب جماعة الإخوان المسلمين من الإسكندرية يحمل حفنة من قذائف الرصاص. وطاردت حافلة صغيرة تابعة للبلطجية أنصاره بالسكاكين، وأطلق شرطي النار من بندقيته.

"أنتم تحاولون قتلنا أيها الطغاة!" كان يصرخ. "أنتم تقتلوننا في الشوارع لعدم انتخابكم!"

هرعت لأجد الرجل الذي يظهر على شاشة التلفزيون، صبحي صالح، ولحقت به وهو يغادر المستشفى. لقد كان محامياً حليق الذقن، وأراني ربطة عنقه الممزقة وخطوط الدم على رقبته وياقته. وقال إن البلطجية ضربوه . ثم استدار صالح وبدأ يسير وسط شارع خالي

من المساكن، وهو يردد شعار الإخوان الدائم بأعلى صوته: الإسلام هو الحل -الإسلام هو الحل.

وترددت مئات الأصوات من النوافذ. عشرات

تدفّق الشباب من الأبواب وسقطوا في الدرج وهم يهتفون خلفه. ارتجفت وتساءلت: ما هو "الحل" الذي كان يدور في ذهن هؤلاء الرجال؟

وقتل تسعة أشخاص ذلك اليوم في اشتباكات حول مراكز الاقتراع، بحسب جماعات حقوق الإنسان. وفقد صالح مقعده. وهكذا فعل كل إسلامي. وللمرة الأولى منذ عام ،1984 تم إقصاء جماعة الإخوان المسلمين بالكامل. تم تخفيض نسبة 20 في المائة من مقاعدهم في البرلمان إلى عدم وجود مقاعد على الإطلاق.

نشر أحمد عز، بارون الصلب، مقالا افتتاحيا في إحدى الدول
صحيفة تعلن أن انتخابات 2010 كانت أنظف انتخابات في تاريخ مصر. وعرّفته الصحيفة بأنه "الرجل الذي يقف وراء الفوز الساحق الذي حققه الحزب الحاكم".

لم يكن محمد البرادعي -الليبرالي البالغ من العمر ثمانية وستين عاماً، والدبلوماسي السابق، والمرشح الرئاسي -من جماعة الإخوان المسلمين. بنظارته ذات الإطار القرني، ورأسه الأصلع، وشاربه الناعم، لم يكن أحد يعتقد أنه ثوري أيضًا. لكنه غضب من الاحتيال. "احتفظوا بسجل لكل حالة تعذيب وقمع وانتهاك للحرية الشخصية، لأنه سيكون هناك حساب"، حث المصريين في رسالة مسجلة بالفيديو من عرينه والتي تم تداولها عبر وسائل التواصل الاجتماعي. "سيكون هناك عنف."

3
يوم الشرطة

24يناير 11-2011فبراير 2011

أ

تجمع عشرات الرجال والنساء لتناول الشاي بالسكر والنسكافيه في مكتب محاماة بالقاهرة. وكانوا جميعاً في أواخر العشرينيات أو أوائل الثلاثينيات من عمرهم، مما جعلهم أكبر سناً من معظم المصريين.
وكان بعضهم يساريين، والبعض الآخر ليبراليين، وآخرون من الإخوان المسلمين.
كان العديد منهم أصدقاء منذ أن كانوا طلابًا في جامعة القاهرة.
لقد ظلوا ينظمون أنفسهم معًا لسنوات –ضد الاحتلال الإسرائيلي، وضد الغزو الأمريكي للعراق، ودائمًا ضد الشرطة المصرية. الآن أصبحوا أطباء ومحامين ومهندسين.

وكان لدى البعض أطفال صغار. المترفين، يمكن أن نسميهم. ولم يعرف أي منهم أي رئيس آخر غير حسني مبارك.
كانت ليلة الاثنين الموافق 24يناير/كانون الثاني، وفي اليوم التالي كان يوم الشرطة، وهو العيد السنوي لإحياء ذكرى المذبحة التي راح ضحيتها خمسون من رجال الشرطة الذين قاوموا الجيش البريطاني في عام 1952.وكانت نفس زمرة المترفين تستخدم نفس اليوم من كل عام للتظاهر. ضد انتهاكات الشرطة، دائمًا في ميدان التحرير -ميدان التحرير، باللغة الإنجليزية.

تقريبا لم يظهر أي شخص آخر. وطاردتهم الشرطة في حوالي خمسة عشر دقيقة. ولكن يبدو أن هناك فرصة ضئيلة لأن يكون هذا العام مختلفا.

أول يوم رسمي لي في العمل كمراسلة دولية
كان يوم 9يناير/كانون الثاني، وكنت قد سافرت في ذلك اليوم إلى تونس العاصمة. كان بائع متجول شاب قد أحرق نفسه حتى الموت قبل ثلاثة أسابيع تقريبًا بعد مواجهة مع ضابط شرطة متنمر في إحدى المدن الداخلية. وقد ألهمت إحراقه لنفسه مجموعة كبيرة من المقلدين، بما في ذلك عدد قليل من المصريين. تخيلت مقالاً عن سيكولوجية الانتحار.

وكانت تونس، المستعمرة الفرنسية السابقة، ذات يوم المثال الأكثر حميدة للاستبداد العربي. وعلى عكس عبد الناصر، كان أبو استقلال تونس هو المحامي الحبيب بورقيبة. وحتى عندما كان يخطط للإطاحة بالحكم الاستعماري، كان يخطط أيضًا لتوسيع العلاقات التجارية مع فرنسا وأوروبا. انفصلت تونس عام 1965، واستثمر في التعليم ومحو الأمية. دافع عن حقوق المرأة، وشجع تحديد النسل، وأنهى تعدد الزوجات، ونجح في خفض معدلات المواليد وتوسيع الطبقة الوسطى.

(كانت تونس الدولة العربية الوحيدة التي تحظر تعدد الزوجات).

لكن حتى أفضل الأنظمة الاستبدادية كانت لها حدود. قام بورقيبة بسجن معارضيه، ولم يذعن لأي محكمة، ولم يفكر قط في أي خليفة محتمل. وفي عام 1987، استولى رئيس جهاز الأمن زين العابدين بن علي على السلطة من خلال انقلاب طبي، وقام بتجنيد الأطباء لإعلان أن الرئيس لم يعد صالحًا للمنصب.

وعلى النقيض من سلفه، لم يتلق بن علي أي تعليم سوى التدريب العسكري في فرنسا والولايات المتحدة. وبعد خمس سنوات من توليه السلطة وهو في الثالثة والخمسين من عمره، ترك زوجته الأولى لامرأة تصغره بعقدين من الزمن، وهي ليلى الطرابلسي، مصففة شعر. وبحلول عام 2010، كانت عشيرة بن علي والطرابلسي المترامية الأطراف تمتص الكثير من الاقتصاد، لدرجة أن التونسيين وصفوها بأنها مافيا حاكمة: العائلة. شقت العائلة طريقها بالقوة للسيطرة على البنوك وشركات الاتصالات وخطوط الطيران والفنادق وموزعي السيارات ومحطات الراديو وصحيفة وعقارات رئيسية ومطور عقارات وغير ذلك الكثير. أول رخصة لتقديم خدمة الإنترنت كانت من نصيب ابنة بن علي. وكانت صحيفة الصباح مملوكة لصهره صخر الماطري الذي كان يعتبر خليفة محتملا. كان اثنان من الطرابلسيين الأصغر سناً قد سرقوا ذات مرة يختاً من برونو روجرز، رئيس شركة لازارد فرير، وكان من بين أفراد عائلة بن علي تاجر مخدرات مشهور.

وجاء في برقية من السفارة الأمريكية كشف عنها موقع ويكيليكس: "يبدو أن نصف مجتمع الأعمال التونسي يمكنه أن يدعي أن له علاقة ببن علي من خلال الزواج، ويقال إن العديد من هذه العلاقات استفادوا إلى أقصى حد من نسبهم". "تخبرنا جهات الاتصال أنهم يخشون الاستثمار خوفًا من أن ترغب الأسرة فجأة في الحصول على حصة". ولخص الدبلوماسيون: “لا توجد ضوابط في النظام”.

أخبرني صحفيون آخرون ألا أزعجهم بالزيارة. إن الدولة البوليسية التونسية تضع مصر في العار. كانت المخابرات تلاحقني من المطار، وتتجسس على غرفتي في الفندق، وتخيف الجميع وتبعدني عني.

وكان التونسيون أقل خبرة من المصريين في مجال النقاش المدني أو السياسة التنافسية.

لكن سلسلة الأحداث التي أثارها انتحار بائع الفاكهة المتجول في 17ديسمبر/كانون الأول أدت إلى اتجاهات غير متوقعة. وشهدت الجنازة هتافات مناهضة لبن علي. أطلقت الشرطة النار على الحشد. وانتشرت لقطات محببة بالهواتف المحمولة على فيسبوك وقناة الجزيرة. وفي غضون أيام، انتشرت دوامة الشهداء والجنازات والاحتجاجات والمزيد من الشهداء من مدينة إلى أخرى، باتجاه العاصمة. وكانت نيران الشرطة قد أدت إلى مقتل أكثر من ثلاثين مدنياً بحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى تونس العاصمة. وكان بن علي قد ندد بالمتظاهرين ووصفهم بجواسيس أجانب وإرهابيين إسلاميين -البعبع الدائم- وتعهد بسحقهم.

استخدام سكايب لتجنب مراقبة الهاتف، ناشط عرفته

أرسلت لي القاهرة بيانات الاتصال بالمحامية التونسية المعنية بحقوق الإنسان، راضية النصراوي. عندما وصلت إلى شقتها في ذلك الأربعاء، رأيت أن مفصلات بابها الأمامي قد تمزقت. وكانت ألعاب الأطفال متناثرة على الأرض. كان النصراوي، ذو الوجه المتغضّن والشعر القصير المجعد، جالساً في ثوب منزلي ويبكي على الأريكة.

وكانت مجموعة من الرجال المسلحين يرتدون ملابس مدنية قد اقتحموا المنزل وجروه

زوجها حمة الهمامي، زعيم الحزب الشيوعي التونسي المحظور. (كانت السياسة العربية في جمود عميق لدرجة أنه لا تزال هناك أحزاب شيوعية). وقد أجرى مقابلات على شاشة التلفزيون الفرنسي أثنى فيها على الاحتجاجات الريفية. قال لي النصراوي: "لذلك كنا ننتظر اعتقاله". صرخت ابنتها البالغة من العمر عشر سنوات من الرعب عندما حطمت الشرطة الباب، وأرسلت النصراوي بناتها الثلاث بعيدًا خوفًا من أن يعود المهاجمون لوالدتهن.

كان النصراوي يدير مجموعة حقوقية تونسية تعارض استخدام

التعذيب، وقد قامت الشرطة بسجنها وضربها هي وزوجها عدة مرات من قبل. لكن هذه المرة كانت قوات الأمن متوترة ولا يمكن التنبؤ بتصرفاتها. هل لي أن أكتب عن اختفاء زوجها؟ هي سألت. لم يكن اختطاف معارض تونسي آخر يستحق النشر، لكنني قلت إنني سأحاول.

عندما تركتها، أخبرني سائق سيارة أجرة كان يتفقد موقع فيسبوك على جهازه المحمول، بشأن احتجاج قادم. وحدث ذلك بعد ساعة خارج السفارة الفرنسية، وتعرضت للغاز المسيل للدموع. لذلك في اليوم التالي قمت بتفقد الفيسبوك كأول شيء في الصباح. رأيت دعوات للاحتجاج في الحمامات، منطقة إيست هامبتون في تونس العاصمة، حيث تحتفظ عائلة بن علي بمنازلها الصيفية، ووصلت إلى هناك بحلول وقت مبكر من بعد الظهر.

واشتعلت النيران في سيارة شرطة وأكوام القمامة في الشوارع. وكان مثيرو الشغب قد أشعلوا النار بالفعل في كل بنك في المدينة، بما في ذلك البنك المجاور لمركز الشرطة. وفر معظم رجال الشرطة. ووقفت الحفنة المتبقية -وجميعها من عائلات محلية -أمام المحطة تطلب الرحمة من الغوغاء.

اتركونا وشأننا واذهبوا ونهبوا قصور عائلة بن علي. أشارت الشرطة إلى الطريق.

وفي قصر سفيان بن علي، عم الرئيس، على شاطئ البحر، كان اللصوص يحملون طاولات القهوة وأجهزة التلفزيون الملونة عبر نافذة مكسورة. وأشعل آخرون النار في زوج من العربات الصالحة لجميع التضاريس في الحديقة. قام سائقو الدراجات النارية بحركات بهلوانية بالدراجة من حولهم.

شخص ما "حرر" مركبًا شراعيًا. ركض حصان كستنائي اللون على الشاطئ بينما كان قارب خفر السواحل التونسي يراقب من الماء.

قال لي مثيرو الشغب: "انظروا يا شعب تونس، شعب تونس"، وأظهروا لي مقاطع فيديو لأنفسهم على هواتفهم المحمولة أثناء العمل. لقد أعطوني أسمائهم، دون خوف من الانتقام. وقال شيادي محمد، وهو عامل في المطار يبلغ من العمر 32عاماً: "الآن، يمكننا أن نقول ما نريد". "لقد بدأ يتغير."

وفي طريق العودة إلى تونس، رأيت دبابات وناقلات جنود مدرعة تتجه في الاتجاه الآخر. تساءلت ما هي الاحتجاجات الأخرى التي كانوا يعتزمون سحقها.

أعلن بن علي حظر التجول وألقى خطابا ثالثا. لكنه هذه المرة لم يعد يصف المتظاهرين بالإرهابيين أو يتعهد باستعادة النظام. اهتزت يديه على منبره. لقد هز الميكروفون. وكان قد صبغ شعره باللون الأسود وهو في الرابعة والسبعين من عمره وظهر ذلك في عينيه. وحاول طمأنة التونسيين: "أقول لك إنني أفهمك، نعم أفهمك". حتى مع إتقاني اللغة العربية، كنت أسمع الخوف في صوته.

وتعهد بعدم الترشح لإعادة انتخابه. ووعد بفتح وسائل الإعلام. عادت المواقع المحجوبة إلى الإنترنت بنهاية خطابه.

وأضاف أنه من الآن فصاعدا لن تطلق الشرطة النار على المتظاهرين.

خارج الفندق، كان السائقون يتجاهلون حظر التجول، ويطلقون أبواق السيارات
والتلويح باللافتات احتفالا. لكن جميع السيارات كانت متشابهة، وكذلك اللافتات. وكانت سيارات حكومية في مظاهرة منظمة. ولم ينخدع التونسيون.

لكنهم سمعوا وعود بن علي. في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، على
توجهت راضية النصراوي، اليوم الجمعة، إلى مقر وزارة الداخلية بشارع الحبيب بورقيبة. وكانت قد علمت أن زوجها محتجز هناك منذ يوم الأربعاء، وأرادت أن تحضر له ملابس بديلة.

وصلت مع مجموعة من الصحفيين التونسيين، وبدا حراس الشرطة أكثر قلقا من أي وقت مضى. وفي حوالي الساعة 9:00 صباحًا، بعد حوالي ساعتين من وصولها، دعوها إلى الداخل للقاء المدير السياسي للوزارة، وعرض عليها السماح لها برؤية زوجها –فقط إذا قامت بطرد الصحفيين.

رفضت وظلت تنتظر. وانضم للصحفيين أ
تزايد الحشود في الخارج، وتضخمت الأعداد أكثر عندما انتهت صلاة الظهر. "انظر ماذا فعلت بهذه المظاهرات؟" أخبرها شرطي بملابس مدنية باتهام، كما لو أنها وزوجها هما المسؤولان. "الآن هل أنت سعيد؟"

ومع تزايد الحشد، اتصل بها أحد المحامين وأبلغها برسالة من وزير الداخلية. ثم اتصل أحد أصدقاء بن علي حاملاً رسالة من الرئيس. وقالا إن بإمكانها أن تأخذ زوجها إلى المنزل إذا أبعدت الحشود.

قالت لهم بغضب: "أنا لست زعيمة عشرة آلاف شخص، ولا أستطيع أن أفعل شيئاً من أجل بن علي!"

وكان حمة الهمامي يسمع الهتافات من زنزانته. كان هذا هو يومه الثالث الذي يقضيه في الحبس الانفرادي، وكان ذراعيه مقيدتين خلفه معظم الوقت. وحوالي الظهر، دخل مسؤول كبير في الوزارة وقال له: "أنا أحمل لك أخبارًا جيدة. سوف تغادر، سوف تغادر! إذا قلت كلمة للناس قد تهدأ الأمور وسنسمح لك بالخروج".

ارتفع الضجيج في الخارج فجأة، وبدأ رجال الشرطة يركضون في القاعات. وهتفوا بأن الوزارة تتعرض للهجوم.

كنت بالخارج، وبحلول وقت مبكر من بعد الظهر، امتد حشد من عشرات الآلاف إلى عدة بنايات من الجادة الواسعة، حتى الكاتدرائية الفرنسية القديمة. وهناك لافتة باللغة الإنجليزية تقول "نعم نستطيع" في محاكاة لشعار حملة أوباما. قال لي زياد محرسي، الطبيب البالغ من العمر 33عاماً والذي كان يحمل اللافتة: "ما حدث هنا سيؤثر على العالم العربي بأكمله". ربما في يوم من الأيام، اعتقدت.

بحلول ذلك الوقت، بدا الاحتجاج أشبه بالاحتفال. وكان بن علي لا يزال في الداخل
قصره ولكن سلطته قد هربت بالفعل. إن السلطة السياسية أشبه بسحر القصص الخيالية: فهي لا تعمل إلا إذا كنت تؤمن بها.

بعد الساعة الثالثة بعد الظهر بقليل ، شقت مجموعة من الرجال طريقهم إلى الأمام
وزارة الداخلية والنعش على أكتافهم. وانتشرت شائعة أنهم حملوا جثة ضحية أخرى قتلتها الشرطة، ونفد صبر الوزارة. واقتحم المئات وربما الآلاف من رجال شرطة مكافحة الشغب الحشود.

لقد أصبتُ بالعمى تقريبًا بسبب الغاز المسيل للدموع، وتضاعفت أعراضي بسبب السعال

تعثرت قاب قوسين أو أدنى. أمسكني رجل في منتصف العمر يرتدي معطفًا وشاربًا صغيرًا من كتفي. شعرت بالذعر، واعتقدت أنه شرطي، لكنه سحبني إلى أسفل الدرج مع ستة آخرين. هناك سلمني نصف ليمونة. قال لي: افركيه على وجهك. علاج منزلي للغاز المسيل للدموع.

لقد كان المحررون في مكتبي في حالة من الرعب أيضًا، كما علمت لاحقًا. لم يسبق لي أن قمت بتغطية أي شيء أكثر حزنًا من الكونجرس أو الكتب أو الأعمال -ولا حتى حريق في المنزل. لقد فات الأوان للطيران في يد أكثر خبرة. تونس أغلقت مطاراتها.

وبحلول الوقت الذي توقف فيه الغاز وتوجهت إلى الفندق، كان بن علي قد فعل ذلك
هرب إلى المملكة العربية السعودية. وقد أوصلت الشرطة الهمامي إلى منزله لزيارة زوجته. في 14يناير ،2011أطاحت انتفاضة شعبية بحاكم عربي.

اعتاد الناشطون المصريون ذوو الخبرة على إرسال رسائل تشجيعية للمبتدئين في تونس عبر الإنترنت. والآن يرد التونسيون بـ "نصيحة لشباب مصر": "ضعوا الخل أو البصل تحت وشاحكم ضد الغاز المسيل للدموع". وكان المصريون غير السياسيين يتبادلون النكات عبر الإنترنت: "مبارك، طائرتك تنتظر!"

كنت أرغب في العودة إلى القاهرة لحضور عيد الشرطة، بعد أحد عشر يومًا، ولكن
لقد طلب مني المحررون أن أبقى في تونس. كان الانتقال هناك هو القصة الكبيرة. "لن يحدث شيء في مصر"

...

قام تسعون ألف مصري بالنقر فوق رابط خاص بالطفل البالغ من العمر ستة أشهر

صفحة "كلنا خالد سعيد" على الفيسبوك لتقول أنهم سيفعلون ذلك

انضموا إلى مظاهرة عيد الشرطة هذا العام، وهو رقم يفوق أي تجمع منظم خلال العقود الأربعة التي تلت وفاة عبد الناصر. كان الأصدقاء في مكتب المحاماة الذين يخططون ليوم الشرطة يأملون أنه إذا كانت الحشود كبيرة بما فيه الكفاية، فقد يطالبون باستقالة وزير الداخلية.

ومع ظهور أخبار تونس في الأخبار، اقترح أحدهم أن يقوموا هذا العام بتجربة تطور جديد. لقد تواصلوا دائمًا مع أصدقائهم في الطبقة المتوسطة الصغيرة في القاهرة. وتساءلوا هذا العام لماذا لا يكون الفقراء؟ يتذكر أحدهم لاحقًا: "نبدأ دائمًا من النخبة، بنفس الوجوه". "لذلك هذه المرة فكرنا، دعونا نحاول."

سيأتي العديد من الغربيين لرؤية هؤلاء الطبقة الوسطى الدنيوية

المترفين يشبهوننا أكثر مما كانوا مثل المصريين الآخرين. لقد كانوا يستغلون تقنيات وادي السيليكون في التكتيكات اللاعنفية لمارتن لوثر كينغ جونيور. ونحن الصحفيون الغربيون في مصر قمنا بطبيعة الحال بإبراز التفاصيل التي لاقت صدى لدى الغربيين. أنا متأكد من أنه كان لي دور في تعزيز الشعور بأن هؤلاء المنظمين الساحرين لديهم الكثير من القواسم المشتركة مع قراء نيويورك تايمز مقارنة بمواطنيهم. لكن في يوم الشرطة هذا، حفزت زمرتهم شيئًا أوسع نطاقًا. إن الابتزازات والصفقات الذاتية، والصفقات المكسورة للعقد الاجتماعي الناصري، ووقاحة الشرطة، وتراجع الحقوق، وتزوير الانتخابات –سلطت الثورة التونسية الضوء على كل ذلك في لحظة قضية مشتركة بين المصريين. من كافة الأعمار والطبقات والمعتقدات.

انتشر المنظمون في أحياء الفقراء وأحياء الطبقة العاملة صباح يوم الشرطة، 25يناير/كانون الثاني .2011وهتفوا هتافات قديمة، مثل تلك التي تسخر من شرطة أمن الدولة شبه العسكرية، "أمن الدولة -أمن فين؟" دولة فين؟" "أين الأمن؟ أين الدولة؟" لقد فشلت حكومة مبارك في توفير أي من الخدمات العامة أو المساءلة التي يتوقعها المواطنون من دولة حديثة، ناهيك عن الأمن. وكانت الشرطة المصرية تشكل خطرا. لكن في يوم الشرطة هذا، تناول المنظمون أيضًا قضايا أساسية، مثل أسعار البقالة والحد الأدنى للأجور.

"إنهم يأكلون الحمام والدجاج، ونحن نأكل الفول طوال الوقت."

"يا إلهي، عشرة جنيهات لا يمكنها أن تشتري لنا سوى الخيار الآن، يا له من عار، يا له من عار."

"انزلوا يا مصريين! "انزل"، دعا المتظاهرون إلى الشرفات. ونزلوا. وتضخمت الوحدات المكونة من بضع عشرات في كل حي إلى الآلاف. واندمجت الروافد في أنهار، وتلاقت جميعها في اتجاه الدوار المركزي للمرور في ميدان التحرير. قال لي أحد المنظمين لاحقاً: «دخلنا شارع نهيان بمئتين وخرجنا بعشرة آلاف». الأغنياء والفقراء، الصغار والكبار: لم تكن هذه ثورة المترفين.

وحافظ زعماء جماعة الإخوان المسلمين على مسافة خاصة بهم
لحماية أنفسهم. لقد علموا أنهم صنعوا هدفًا كبيرًا وسهلاً.
وبسبب أعدادهم، فإن أعضائهم سيطغون على أي مسيرة تنضم إليها المنظمة. وسوف يرفض القائمون على دعاية مبارك بسهولة كل المتظاهرين باعتبارهم متطرفين إسلاميين، وسوف تقوم شرطة مبارك بضرب الإخوان المسلمين. علاوة على ذلك، بالمقارنة مع عبد الناصر أو السادات، كان مبارك لطيفا تجاه الإخوان. لم تكن هناك حاجة للمخاطرة بما فازوا به.

لكن بعض الإخوان المسلمين الأصغر سناً في العشرينات والثلاثينات من عمرهم

كانوا من بين المنظمين الأساسيين الذين اجتمعوا في مكتب المحاماة وخططوا ليوم الشرطة. وانضم آلاف الأعضاء الآخرين إلى المسيرات كأفراد، دون انتظار الضوء الأخضر من قادتهم. وتجمع مئات آخرون في مظاهرة موازية ليوم الشرطة بقيادة مشرعين سابقين من جماعة الإخوان المسلمين في محكمة بالقاهرة. أحدهم، محمد البلتاجي، أحضر للشرطة باقة من الزهور، ليشكرهم على كل الانتهاكات والسجن. قادت نائبة من جماعة الإخوان المسلمين مجموعة من النساء الإسلاميات اللاتي توغلن عبر خطوط الشرطة على طول الطريق إلى ميدان التحرير. ربما كانت النساء الإسلاميات أول من فعل ذلك.

صديقي وزميلي في التايمز كريم فهيم كان في القاهرة لتغطية المسيرات. "Bedlam،"أرسل بريدًا إلكترونيًا في منتصف النهار. لكن هذه مجرد بدايه. "هذا القرف مجنون" ، كتب مرة أخرى في تلك الليلة. "المعركة تنتشر."

وواجهت أمن الدولة المتظاهرين بالغاز المسيل للدموع والهراوات والرصاص المطاطي، وفي النهاية الذخيرة الحية؛ كانت حفنة أو أكثر

قتل برصاص الشرطة. واستغرق الأمر حتى وقت متأخر من الليل من قبل القوات الأمنية لطرد المتظاهرين من الساحة. ثم توجه البعض إلى زياد العليمي الذي عقد الاجتماع التخطيطي في مكتبه للمحاماة. ماذا يحدث الآن؟ لقد سألوا.

قال لهم بثقة: «نحن ذاهبون إلى السجن».
ويبدو أن البيت الأبيض يوافق على ذلك. "تقييمنا هو أن

وقالت وزيرة الخارجية كلينتون للصحفيين في واشنطن إن الحكومة المصرية مستقرة. وقال نائب الرئيس جو بايدن، الذي قال إنه يعرف مبارك "جيدا إلى حد ما"، في مقابلة تلفزيونية ألا يصفه بأنه "ديكتاتور".

ماذا عرفت واشنطن؟ وعلمت لاحقاً أن وكالات الاستخبارات الأميركية تعرف كبار الجنرالات جيداً وتتنصت عليهم أيضاً. لكن حكومة الولايات المتحدة لم تكن تعرف سوى القليل عما كان يحدث داخل قوات الشرطة، أو بين الناشطين ذوي الميول اليسارية، أو داخل جماعة الإخوان المسلمين. واعتمدت واشنطن بشكل أو بآخر على أجهزة المخابرات المصرية. "القيادة التي كنا نعتمد عليها كانت معزولة وغير مدركة لموجة المد التي كانت على وشك أن تضربها"

واعترف مايكل موريل، نائب مدير وكالة الاستخبارات المركزية، في وقت لاحق.

وكانت السفارة قد أمرت موظفيها بالخروج من الشوارع في ذلك اليوم، وكانت وكالات الاستخبارات متواجدة على الأرض. نشر ستيفن أ. كوك، عالم السياسة الأمريكي الذي تصادف وجوده في القاهرة، ملاحظة على تويتر وبعد لحظات قليلة تلقى اتصالاً من البيت الأبيض.

وقال دانييل شابيرو، المدير الأول لشؤون الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في مجلس الأمن القومي، لكوك: “أنت عيني وأذني”. "هل يمكنك أن تخبرني ماذا يحدث؟"

اتصلت بمحمد البرادعي، أمل مصر الليبرالي العظيم. كان يعمل على مذكراته في مكتبه في فيينا. قال لي: “بصراحة، لم أكن أعتقد أن الناس مستعدون”. الآن كنا نتسابق للعودة إلى القاهرة.

• • •

في استيقظت يوم الجمعة 28يناير لتكتشف أن الحكومة قد أغلقت جميع خدمات الإنترنت والهاتف المحمول. طلب مني منظمو يوم الشرطة أن أحضر صلاة الظهر في مسجد قريب

الجيزة، وبينما كان بضعة آلاف منا يغادرون قاعة الصلاة، بدأ البعض يهتفون من أجل الخبز والحرية. ضربتنا الشرطة جميعًا بالغاز المسيل للدموع وخراطيم المياه. كان سائقنا قد أوقف سيارة ميتسوبيشي ذات الدفع الرباعي في مكان قريب. اخترقت قنبلة غاز مسيل للدموع النافذة الخلفية، فدمرت مقعد السيارة الخاص بالطفلة الصغيرة لورا الذي اصطحبناه أنا ولورا على طول الطريق من واشنطن.

لقد تم توجيهي إلى ذلك المسجد بسبب محمد البرادعي
كما صلى هناك. كان يرتدي سترة من جلد الغزال ونظارة شمسية، وكان رجال أصغر سنا يمسكونه من كل ذراع لتثبيته في مواجهة قوة خراطيم إطفاء الحرائق. وبمساعدتهم، ظل ثابتًا على مكانه لبعض الوقت، مبلّلًا ومتطايرًا، حتى في الأبخرة. ربما كانت أفضل أوقاته.

وعندما تراجعنا كلانا إلى داخل المسجد، أراد أن يذكر صحيفة نيويورك تايمز بأن الشرطة قامت بإغراق أحد الحائزين على جائزة نوبل للسلام وقتلته بالغاز. قال لي، وهو لا يزال يقطر مبللا ويلهث: "هذا عمل نظام همجي". لقد قالوا للشعب المصري أن عليهم أن يثوروا". ثم تقاعد في فيلته الكبرى في مجتمع مسور في الجيزة.

قام شاب بدين في السابعة والعشرين من عمره، ذو شعر منسدل ومعطف رياضي فضفاض، بسحبي إلى زاوية غرفة الصلاة. قال إنه وليد راشد من حركة شباب 6أبريل، المعروف باستخدام الإنترنت لحشد المعارضة لمبارك أو لدعم العمال المضربين.

وقال لي: "لا تقلق بشأن البرادعي". "نحن نصنع ثورة، وليس احتجاجًا، بل ثورة."

وبناءً على نصيحته، عدت عبر النهر إلى جانب وسط المدينة من جسر قصر النيل، وهو عبارة عن مساحة مسطحة بها أسود حجرية من الحقبة الاستعمارية عند كل مدخل. كان الوقت بعد الظهيرة عندما وصلت، وأمامي كانت كتيبة مكونة من أكثر من ألف من رجال الشرطة يرتدون معدات مكافحة الشغب السوداء، مسلحين بالهراوات والبنادق. وكانت خمس ناقلات جند مدرعة تتحرك معهم وتطلق الغاز المسيل للدموع. وكانت شاحنتا إطفاء تستخدمان خراطيمهما كمدافع. لكنهم جميعًا لم يتمكنوا بطريقة أو بأخرى من صد حشد المتظاهرين الذين حاولوا عبور الجسر من الجيزة.

وقفت مذهولا. اندفعت الكتلة السوداء من الشرطة إلى الأمام، وأطلقت النار وحطمت، محميين بالخوذات والسترات الواقية من الرصاص. لقد استعدت لمذبحة. كنت على يقين من أن الشرطة سوف تنكسر

من خلال، لكنهم لم يفعلوا ذلك أبدا. وارتدى المتظاهرون خوذات الدراجات النارية وقصاصات من البلاستيك تحت قمصانهم. وقاموا بلف البصل أو الليمون تحت الأوشحة حول أنوفهم وأفواههم (كما اقترح التونسيون)، أو رشوا وجوههم بالخل أو الكولا -وهي علاجات منزلية أخرى للغاز المسيل للدموع. التقطوا قنابل الغاز المسيل للدموع الساخنة والمدخنة وألقوها في النهر. كانت مسارات طويلة من الأبخرة الرمادية تتقوس بشكل مهيب خلفهم.

وبينما تلاشت إحدى الموجات بسبب الإرهاق، توجهت موجة جديدة إلى الخطوط الأمامية. كان الجسر مليئًا بالمتظاهرين. لقد فاق عددهم عدد الشرطة. على الرصيف من حولي، جلس مجندون هزيلون من الشرطة خرجوا للتو من المعركة وقد خلعوا خوذاتهم، يلهثون، ويتصببون عرقا، ويهزون رؤوسهم غير مصدقين.

امتدت الظلال واستمرت المعركة. الهواتف كانت ميتة. وكانت الشوارع في حالة من الفوضى. وقد هربت سيارات الأجرة. وتم إغلاق أو إعاقة الجسور الثلاثة من وسط القاهرة إلى الزمالك.

شعرت بالقلق من العودة عبر النيل إلى مكتبي في الجزيرة، مشيت بجانب النهر للبحث عن ممر سيرًا على الأقدام عبر أحد الجسور.

قبض عليّ اثنان من رجال الشرطة أسفل كوبري 15 مايو. الصحفي –الصحفي –كررت. لكنهم مزقوا دفاتر ملاحظاتي الكاملة ثم طردوني. قالوا لي إنسوا العودة إلى الزمالك.

انطلقت نصف مسرعة نحو وسط المدينة، وانعطفت عند المنعطفات دون أن يكون لدي أدنى فكرة

حيث كنت ذاهبا. لقد أصدر مبارك قراراً بحظر التجول في السادسة مساءً ، وكان الموعد النهائي لصحيفتي يقترب. لقد رفعت إبهامًا للتنقل.

سمح لي رجل طويل ملتحٍ بركوب سيارته الفيات الزرقاء وقدمني

نفسه محمد المصري –محمد المصري، وبالتأكيد ليس اسمه الحقيقي. قلت إنني صحفي في صحيفة نيويورك تايمز، وبدون مزيد من التوضيح أدار سيارته. قاد سيارته جنوبًا حتى وجد، بعد عدة محاولات، جسرًا صالحًا للوصول إلى الجيزة، على الجانب البعيد من النيل، حتى يتمكن من العودة إلى الزمالك. لقد كانت رحلة مدتها ساعة في ليلة خطيرة. محمد المصري سأل شيئا واحدا فقط: هل أحمل رسالة لأوباما؟

"أدعو الرئيس أوباما، على الأقل في تصريحاته، إلى التضامن مع الشعب المصري ومع الحرية، حقا، كما يقول"، أملى ذلك عبر مسجل الصوت الخاص بي. تمكنت من الضغط عليه

أقتبس في الصحيفة، والتي كنت آمل أن تصل إلى مكتب الرئيس.

في وقت متأخر من تلك الليلة، تمكن المتظاهرون على جسر قصر النيل من اختراق الجسر أخيرًا. أحرق اللصوص مقر الحزب الحاكم واستولوا على أجهزة الكمبيوتر وأجهزة التلفزيون والحقائب وخزائن الملفات والهدايا التذكارية المتنوعة التي تحمل شعار الحزب الحاكم. ثم توجه الحشد مباشرة إلى المقر التجاري لأحمد عز، قطب الصلب وصديق جمال.

وبحلول منتصف الليل، أشعل الغوغاء النار في ما يقرب من مائة مركز للشرطة.
وتناثرت ما يصل إلى ألفي سيارة شرطة محترقة في الشوارع. لا أستطيع إلقاء اللوم على مثيري الشغب، لكنني كنت أشعر بالفزع في كل مرة أسمع فيها الغربيين يصفون المظاهرات بأنها "سلمية" أو "غير عنيفة". (لقد قمت بتأهيل تغطيتي الخاصة، ووصفت الاحتجاجات بأنها غير عنيفة إلى حد كبير).

لقد كنا نسقط مُثُلنا الخاصة على "شباب الفيسبوك" هؤلاء.
وخلص تحقيق أجرته الحكومة المصرية في وقت لاحق إلى أن 849مدنياً قتلوا خلال الانتفاضة، جميعهم تقريباً برصاص الشرطة، وكلهم تقريباً في تلك الليلة. (الإحصائيات الواردة من جماعات حقوق الإنسان المستقلة هي نفسها تقريبًا). ولكن بحلول منتصف الليل، كانت الشرطة المهزومة قد اختفت من المدينة.

وتمسك مبارك بالسيناريو. وقال في خطاب متلفز حوالي منتصف الليل إن الاحتجاجات كانت "جزءًا من مؤامرة أكبر". "هناك خط رفيع جدًا يفصل بين الحرية والفوضى."

ربما يتذكر أوباما الاضطرابات التي عاشها عندما كان رئيساً
طفل في إندونيسيا، أخبر مستشاريه في ذلك اليوم أن مبارك محكوم عليه بالفناء. قال لي بن رودس، نائب مستشار الأمن القومي والمساعد القديم لأوباما، في وقت لاحق: «لقد ألقى نظرة واحدة على ما كان يحدث في الشوارع وفكر: علينا أن نقف على الجانب الصحيح من هذا الأمر».

وقال رودس: "كان يعلم أن النظام القديم كان فاسداً وأن الوضع الراهن غير قابل للاستمرار". لقد اعتقد أوباما أن هذه فرصة يجب اختبارها. لقد أراد أن يكون مستقبل مصر هو الشعب الموجود في الميدان، وليس مبارك".

تقريبا كل شخصية بارزة في مجلس الأمن القومي لأوباما
أرادوا الوقوف إلى جانب مبارك: وزيرة الخارجية كلينتون، ونائب الرئيس بايدن، ووزير الدفاع روبرت جيتس، ومستشار الأمن القومي توم دونيلون، وآخرون. واستدعوا الإيراني

ثورة 1979. كانوا قلقين بشأن الحلفاء العرب المستبدين الآخرين في جميع أنحاء المنطقة، مثل الملوك الوراثيين في الأردن والمغرب والخليج العربي. ماذا لو سار المواطنون على تلك القصور الملكية أيضًا؟ ولا ينبغي للولايات المتحدة أن "ترميهم إلى الذئاب"، كما قال جيتس في وقت لاحق.

قال لي رودس: "تجلت الديناميكية في ذلك اليوم عندما أراد الرئيس التخلص من مبارك، لكن معظم أعضاء حكومته لم يفعلوا ذلك".

وبعد اتصال هاتفي مع مبارك، ألقى أوباما بيانا من البيت الأبيض. وقال أوباما إن مبارك "تعهد بديمقراطية أفضل". "أخبرته أنه يتحمل مسؤولية إعطاء معنى لهذه الكلمات." وعلى الرغم مما قاله داخل البيت الأبيض، إلا أن أوباما تحدث وكأن مبارك لا تزال أمامه سنوات في السلطة.

...

ت كانت ساحة التحرير على عكس ساحة المدينة التي قد تجدها في الجديدة يورك أو لندن. لقد كان فراغًا حضريًا غير مخطط له من الأوساخ والأرصفة مترامي الأطراف فوق العديد من مباني المدينة، على شكل مثلث ممدود مدور عند زاويتيه السفليتين، مثل الدمعة. يوجد مسجد ومبنى إداري حكومي يحتل أحد جوانب الدائرة السفلية، مقابل كنتاكي فرايد تشيكن. وفي النقطة الشمالية كان المتحف المصري يقع بجوار ممر واسع أسفل الكوبري المؤدي إلى كوبري 6 أكتوبر.

في يوم الجمعة ذاك –الذي يُذكر على أنه يوم الغضب –كان المتظاهرون قد فعلوا ذلك متقاربة على الساحة من جميع أنحاء المدينة. في الليل استولوا عليها. بعد ذلك لم تنخفض الأعداد أبدًا عن بضعة آلاف، بل وتضخمت أحيانًا إلى عشرة أضعاف ذلك العدد، أو حتى إلى مئات الآلاف. بعد نجاح عيد الشرطة، خرج قيادات الإخوان المسلمين من مقاعدهم وطلبوا من كل عضو قادر أن يسير إلى ميدان التحرير ويبقى فيه.

ومع رحيل الشرطة، نشر الجيش مئات الجنود داخل السياج الحديدي للمتحف المصري، لحماية المومياوات على الأرجح. وكانت بضع دبابات وناقلات جند متوقفة في محيط الساحة، لكن الجنود لم يفعلوا شيئا. كانوا ينظرون إلى الأسفل من أبراج دباباتهم والبنادق عبر حضنهم، أو يحتسون

عصير من خلال القش من أكياس بلاستيكية صغيرة (أرخص من الأكواب) يبيعها الباعة الجائلون المتجولون.
وكان المتظاهرون –وهم عادة من الإخوان المسلمين الشباب –ينامون ليلاً تحت مداس الدبابات لمنع أي تحركات مفاجئة.
وحلقت المروحيات والطائرات العسكرية على ارتفاع منخفض فوق وسط المدينة، وهتفت الحشود كما لو أن الطيارين انقلبوا على مبارك. لم أفهم أبدًا ما الذي كان ينتظره كل هؤلاء الجنود خلف سياج المتحف. فهل حل الجيش محل الشرطة أم انقلب عليها أم كان ينتظر الانطلاق وسحق المظاهرة؟

ومقارنة بالدول الحديثة -حيث يخضع كل من الجيش والشرطة لنفس السلطة المدنية -كان العالم العربي مربكا.

وسرعان ما نشأت مدينة خيام مزدهرة بين الدبابات والجنود. ربتني متطوعون مبتسمون عند مدخل الميدان مع اعتذارات مبالغ فيها، معلنين عن التناقض مع الشرطة المصرية المتغطرسة والوحشية. وكان المزيد من الخيام والبطانيات والكراسي ومكبرات الصوت يصل كل يوم (من مانحين أثرياء في مكان ما).

قام الباعة المتجولون ببيع المشروبات والشاي والبطاطا الحلوة المحمصة والذرة على قطعة خبز. وتدفق عشرات الآلاف مرة أخرى يوم الثلاثاء، ليبدأوا إيقاعًا كل أسبوعين من المسيرات الأكبر والأكبر كل يوم ثلاثاء وجمعة.
وحتى في منتصف الليل، كان عدد سكان ميدان التحرير لا يزال بضعة آلاف على الأقل. عادت خدمة الإنترنت في 3فبراير/شباط، لكن المنظمين لم يعودوا بحاجة إليها لنشر رسائلهم؛ وشبكات الأقمار الصناعية تنقلهم الآن.

وتناوب السياسيون والدعاة ومغنو البوب على المسرح الصوتي. تمركز الإخوان المسلمون في مكان واحد من الميدان، والناشطون اليساريون في مكان آخر، والأطفال الأغنياء من الجامعة الأمريكية في "ركن غوتشي" الخاص بهم، بالقرب من كوبري قصر النيل إلى الزمالك. وكان لكل دائرة انتخابية مكانها. لقد كانت جمهورية صغيرة تعددية، من خلال مرآة مصر مبارك.

لقد ناضل الصحفيون الغربيون، وأنا منهم، لكي لا يبدوا مذهولين. كان من الصعب فهم حقيقة ميدان التحرير حتى عندما شاهدتها. كان الرجال والنساء يختلطون بحرية وأمان، ليلاً ونهارًا، بالجلباب والبدلات والنقابات والرقبة على شكل حرف V. وكان معظمهم تحت الأربعين. ولكن كان هناك الكثير من كبار السن أيضًا، سواء كانوا أغنياء أو فقراء. وقف المسيحيون الأقباط يحرسون المسلمين أثناء الصلاة؛ الإخوان المسلمون يحرسون قداسًا قبطيًا. ردد الأناشيد الوطنية

عزف مغنيو منتصف القرن من مكبرات صوت عملاقة. وقاد شباب الشعراء المتجولون وسيم الغناء لحث مبارك على الخروج بالفعل.

عقد الأزواج حفلات الزفاف هناك. وفي الساعات الأولى من الليل كان الشعراء -وبعضهم معروف -يعقدون قراءات.

أنشأ الأطباء عيادات ميدانية، مع "مستشفيات" مركزية في المسجد وخلف مطعم كنتاكي. واستخدم المتطوعون تويتر لتنسيق التبرعات لصيدلية التحرير الممتلئة بكل شيء من الضمادات إلى الأنسولين وأجهزة استنشاق الربو. وكانت المطابخ المؤقتة توزع شطائر الجبن والخبز البلدي المسطح ، وهو الخبز "الريفي". وكانت الخدمات الاجتماعية فعالة وصادقة. بدا الميدان وكأنه دولة فاعلة أكثر من الحكومة المصرية.

انتشرت كتابات متوهجة على الجدران: أهلة إسلامية عليها صلبان مسيحية، ومومياوات تصرخ بغضب، وملك أسود يسقط على رقعة شطرنج باللونين الأحمر والأبيض، وتمثال الحرية بنقاب إسلامي، وملائكة داكنة بأجنحة مضيئة تحمل زجاجات المولوتوف. كان المفضل لدي هو الباندا الحزين والبدين الذي يحدق في دبابة.

التقطت إحدى الصحفيات الغربيات صورًا بجهاز iPhoneالخاص بها وغطت جدران دورها العلوي في الزمالك بطبعات 11 × 8½من الكتابة على الجدران الثورية.

نحن جميعا أحب ذلك.

سمعت شائعات عن وجود شرطة مكافحة "ثورية"، وحراس يقبضون على المتسللين الحكوميين المشتبه بهم ويضربونهم، ثم يحبسونهم في محطة مترو الأنفاق المغلقة أسفل الميدان. أطلقوا عليه اسم "سجن الشعب".

قال لي صديقي أحمد عبد الله، أستاذ الهندسة الشاب الناشط في حركة شباب 6أبريل: "لم نرغب في الإبلاغ عن ذلك، لكنه حدث بالطبع". وحاولت دون جدوى تأكيد تلك الشائعات حينها. ربما لو كنت أقل انبهارًا بالكتابات على الجدران والقراءات الشعرية لكنت بذلت جهدًا أكبر.

في أحد الأيام، شاركني شخص غريب معه حامل ثلاثي الأرجل في سيارة أجرة من ميدان التحرير إلى الزمالك. لقد كان مصريًا في مثل عمري تقريبًا، وتبين أنه لا يتحدث اللهجة المحلية والعربية الفصحى فحسب، بل يتحدث أيضًا الفرنسية والإنجليزية بطلاقة. قبل الانتفاضة، كان قد أنتج مقاطع فيديو ساخرة على الإنترنت حول انتهاكات الشرطة، تحت اسم مستعار أحمد شريف. وبعد استنكار الشرطة لفيديو تعذيب عماد الكبير ووصفه بأنه مزيف، نشر أحمد شريف فيديو على الإنترنت ظهر فيه جيري سينفيلد وهو يقدم جائزة الأوسكار لأفضل مخرج إلى السينما.

الشرطي الذي اعتدى على سائق الحافلة. حصل كبير على جائزة أفضل ممثل. حقق فيديو الأوسكار نجاحًا كبيرًا على فيسبوك.
الآن كان زملائي من الركاب يصورون مقاطع فيديو في العراء، ومن هنا
الحامل ثلاثي القوائم –باسمه الحقيقي عالم واصف. وفي الأربعين من عمره، كان قد ترك بصمته في باريس ونيويورك كناشر ناجح، ومصمم برمجيات، ومصور، وفنان. ساهم بعمود منتظم عن مصر في موقع صحيفة لوموند.

بدا أن أشخاصًا غير عاديين مثل واصف يظهرون طوال الوقت حول ميدان التحرير في تلك الأيام. كان الشباب المصريون المتعلمون يجيدون ثقافتي كما كانوا يجيدون ثقافتهم، وكانوا أكثر تطوراً في كليهما مما كنت عليه في أي منهما. لقد كان من السهل الإعجاب بها، ومن السهل الوصول إليها، ومن السهل تقديمها بشكل جذاب للقراء الغربيين البعيدين.

خذ الزمرة وراء يوم الشرطة. في أحد الأيام كنت أساعد زياد
العليمي، الذي استضاف الاجتماع التخطيطي في مكتبه، وضع بعض الكراسي القابلة للطي في الساحة. كيف انتهى بك الأمر هنا؟ انا سألت.
ودون أن ينظر إلي، أخبرني أن الشرطة المصرية اعتقلته لأول مرة بسبب نشاطه الاشتراكي عندما كان في السادسة عشرة من عمره. وقد سُجن ثلاث مرات أخرى بعد ذلك. عندما كان في الثالثة والعشرين من عمره، عذبته الشرطة وضربته، وكسرت ساقه، ومزقت ظهره. قال لي بصراحة وهو يفتح كرسياً: "لقد أعدت منظمة العفو الدولية تقريراً -يمكنك البحث عنه".

كان زياد في الثلاثين من عمره وكان يدير جهود حملة البرادعي الرئاسية عندما اندلعت الانتفاضة. كان هو ونفس دائرة المنظمين الذين التقوا في مكتبه قبل عيد الشرطة يجتمعون كل يوم في شقة والدته في وسط المدينة لتنظيم المظاهرات اليومية.

وكان شريك زياد، إسلام لطفي البالغ من العمر 32عاماً، نجماً صاعداً في جماعة الإخوان المسلمين. لكنه كان يعمل نهارًا كمحامي للوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (وهي حقيقة طلب مني عدم نشرها في الصحيفة في ذلك الوقت). لقد كان ليبرالياً عندما يتعلق الأمر بمساواة المرأة، والتعددية الثقافية، وحرية التعبير، وكان يحتقر قادة الإخوان المسلمين بسبب نأيهم بأنفسهم عن الاحتجاج في يوم الشرطة. "قالوا يوم الثلاثاء: "أنت ترتكب خطأ". وفي يوم الأربعاء كان الجواب "لسنا متأكدين". وفي يوم الجمعة: لقد قمت بعمل عظيم ونحن خلفك مباشرة.

اتخذ لطفي والعليمي أسلوبًا عمليًا في تنظيمهما.
وبعد النجاح المفاجئ الذي حققه يوم الشرطة، أجروا "اختبارات ميدانية" في الليلة التالية. وفي الساعة السادسة من ذلك المساء، انطلق كل منهم إلى حي مختلف وهتفوا من أجل الخبز والحرية، لمعرفة نوع الحشود التي يمكنه جمعها. قال لي لطفي: "والشيء المضحك هو أنه عندما انتهينا رفض الناس المغادرة". "كانوا سبعة آلاف وأحرقوا سيارتين للشرطة". كانوا يعلمون أن القاهرة جاهزة.

وقال لطفي إن المنظمين تصوروا لقاء مبارك مع أسلافه عبد الناصر والسادات في الآخرة. وعندما سأل الرؤساء القتلى: ماذا حصل لك؟ طلقة نارية؟ أو السم؟" فيجيب مبارك: «فيسبوك».

كان لطفي والعليمي قريبين من سالي توما، وهي طبيبة نفسية مسيحية قبطية تبلغ من العمر 32عامًا من أبوين أيرلنديين ومصريين. (لقد استخدمت الاسم الأخير لوالدها الأيرلندي، مور، عندما تحدثت إلى الصحفيين الغربيين). وكانت يسارية ونسوية صريحة، وقد ساعدت في التخطيط لمظاهرات يوم الشرطة. كما أنها أنشأت أول عيادة ميدانية ليوم الغضب. وفي أحد الأيام، شاهدت في الساحة العديد من شباب الإخوان المسلمين يثنون عليها بسبب المقابلة التي أجرتها مع هيئة الإذاعة البريطانية.

قالت لي: "أنا أحب الإخوان المسلمين، وهم يحبونني". نحن نعلم أن لديهم دائمًا أجندة خفية، ولا تعرف أبدًا متى تأتي السلطة وكيف سيتصرفون. لكنهم جيدون جدًا في التنظيم. إنهم يطالبون بدولة مدنية مثل أي شخص آخر، فليكن لهم حزب سياسي مثل أي شخص آخر. أعتقد أنهم لن يفوزوا بأكثر من عشرة بالمئة».

كنت أعرف الصديق المشترك لهذا الثلاثي شادي الغزالي حرب أيضًا
اثنان وثلاثون عامًا، لمدة أسبوعين تقريبًا قبل أن يصرح بأنه جراح ممارس تدرب في لندن. وكان قد ألقي القبض عليه في مطار القاهرة بسبب نشاطه في عام 2010، أثناء محاولته العودة لأداء امتحان الكلية الملكية للأطباء.

وفي يوم آخر، رأيت أحمد ماهر، وهو شاب في الثلاثين من عمره ذو ميول يسارية
مهندس مدني قاد حركة شباب 6أبريل، على حافة حشد من الناس في بهو مبنى إحدى الصحف المصرية. كيف فعلتها؟ لقد سالته. كيف اخترقت كوبري قصر النيل؟

كيف تغلبت وحطمت الشرطة المصرية؟
قال على الفور: "جين شارب".

كان علي أن أبحث عنه: كان شارب عالمًا سياسيًا في جامعة هارفارد
درس استخدام التكتيكات اللاعنفية ضد المستبدين (يلعب العنف العلني دورًا في تبريرهم الذاتي للفوضى أو "أنا"). كان ماهر وأصدقاؤه في 6أبريل قد سافروا إلى صربيا للقاء مجموعة تسمى أوتبور! -المقاومة! -التي اعتمدت على قواعد اللعبة التي تمارسها شارب للإطاحة بمستبدهم سلوبودان ميلوسيفيتش. لقد استعارت حركة 6أبريل شعار قبضتها المشدودة من Otpor! لقد تعلموا حيلًا مثل وضع قصاصات من البلاستيك تحت ملابسك للحماية من الرصاص المطاطي، أو تشويش العجلات وأنابيب العادم في مركبات الشرطة المدرعة.

كل ذلك من أستاذ بجامعة هارفارد! بالطبع، نشرت ذلك في صحيفة نيويورك تايمز بأسرع ما يمكن.

أصبح وائل غنيم، الذي كان آنذاك في الحادية والثلاثين من عمره، مشهوراً في الغرب. هو
كان "رجل جوجل": مدير تنفيذي في جوجل يقيم في القاهرة وله زوجة أمريكية وحاصل على شهادة من الجامعة الأمريكية. قال لي: "لقد عملت في مجال التسويق، وأدركت أنه إذا قمت ببناء علامة تجارية، يمكنك جعل الناس يثقون بالعلامة التجارية". لقد كان هو المنشئ المجهول لصفحة "كلنا خالد سعيد" الأكثر شهرة على الفيسبوك. وكان غنيم قد استخدم فن البيع في وادي السيليكون لحشد المعارضة لمبارك.

لقد أجرى استطلاعات رأي على الإنترنت، وطلب محتوى المستخدم، وحول إخفاء هويته إلى وسيلة للتحايل التسويقي: "اسمي هو اسم كل مصري تعرض للتعذيب أو الإذلال في مصر". تواصل جميع منظمي يوم الشرطة عبر الإنترنت مع مدير الصفحة المجهول ولم يكن لديهم أي فكرة أنهم كانوا يكتبون إلى صديق يعرفونه بالفعل، مثل أصدقاء بروس واين غير المقصودين الذين يرسلون بريدًا إلكترونيًا إلى باتمان.

اعتقلت الشرطة غنيم في بداية الانتفاضة واحتجزته لمدة اثني عشر يومًا، غالبًا معصوب العينين، في الحبس الانفرادي. ولماذا سافر إلى الولايات المتحدة؟ طالبه المحققون.

وعلى الرغم من شراكتهم الوثيقة مع وكالات الاستخبارات الأمريكية، كان المحققون مع غنيم متأكدين من أنه جاسوس أمريكي.

"هل تعتقد أننا أغبياء؟ أنت عميل سري لوكالة المخابرات المركزية،» قالوا له وهم يضربونه.

وبعد إطلاق سراحه، عرض عليه أحد المذيعين صوراً له
من المتظاهرين الشباب الذين قتلوا في الشوارع. "إلى الأمهات والآباء، هذا ليس خطأنا"، قال غنيم وهو يبكي. "إنه خطأ الأشخاص الموجودين في مناصب السلطة الذين لا يريدون ترك السلطة".

لقد كانوا جميعًا بطوليين جدًا، وبارعين جدًا، ولكنهم أيضًا مألوفون جدًا. بالطبع وقعت في حبهم. كلنا فعلنا ذلك، حتى أوباما.

وقال أوباما لأحد مساعديه، الذي نقل التعليق على الفور إلى زملائي في مكتب واشنطن حتى يتمكنوا من نشره في الصحيفة: "ما أريده هو أن يفوز الأطفال في الشارع، وأن يصبح رجل جوجل رئيساً".

لقد وضعنا أنفسنا لخيبة الأمل. اين ذهبت؟ انا كنت
غالبًا ما يتم طرحه لاحقًا، في نيويورك أو لندن. ماذا حدث لانتفاضة وادي السليكون اللاعنفية ذات التوجه العلماني الصديقة للغرب والتي هللنا لها في ميدان التحرير؟ ومن سرق تلك الثورة؟ وكانت تلك الصورة للثورة تتعلق بالنرجسية الغربية بقدر ما كانت تتعلق بمصر.

...

ل أمضت هالة يوم الغضب مع أبنائنا في منزل أحد الجيران. وكان مبارك قد أعلن حظر التجول، وانطلقت عائدة إلى منزلها قبل الغسق. كان إيميت البالغ من العمر عامًا واحدًا في عربة الأطفال من طراز بوجابو، وكان توماس البالغ من العمر خمس سنوات يقف في الخلف. ولكن عندما أخرجتهم من بوابات الجيران، رأت مجموعات من الرجال في الشوارع. كانوا مسلحين بمضارب البيسبول، والعتلات، وأغصان الأشجار، وأي شيء آخر يمكنهم العثور عليه، وقاموا بنقل حديد التسليح والرمل والقمامة لبناء حواجز على الطرق في كل زاوية. هل كان هذا كمينًا؟

كيف ستعود إلى المنزل؟
إذا نظرنا إلى الماضي، أعتقد أنها كانت أكثر أمانًا في تلك الليلة من أي ليلة أخرى قضيناها في القاهرة. وبعد فرار الشرطة، ملأت السلطات موجات الأثير بالتحذيرات من الفوضى والنهب الوشيكة؛ أرسل الجيش رسائل نصية إلى كل هاتف محمول. لذلك نظم الرجال في كل حي من أحياء المدينة أنفسهم في فرق لحماية المجتمع. وعندما رأى رجال المعادي لورا مع الأولاد، هبوا للتحرك. عند كل حاجز على الطريق، قام غرباء برفع السيارة البوغاباو وتسليمها. ركب إيميت إلى الداخل مثل فرعون على القمامة. وصلت لورا إلى بابنا وهي مبتهجة بالامتنان. كنت أرتعد عندما أفكر فيما كان سيحدث لو اختفت الشرطة من نيويورك أو واشنطن العاصمة، وحافظت القاهرة على تماسكها.

ومع ذلك، فإن عدالة الأحياء لا تذهب إلا إلى هذا الحد. في صباح أحد الأيام
في الطريق إلى الساحة توقفت عند سوبر ماركتنا المعتاد، وهو جزء من

سلسلة كارفور الفرنسية. كنا بحاجة إلى حبوب الإفطار، وأردت التحقق من شائعات الاقتحام. وتبين أن الأمر أسوأ من ذلك بكثير: فقد تعرض المركز التجاري المحيط بالمتجر للنهب. وظهرت عارضات أزياء يرتدين عباءات داكنة وأغطية رأس لامعة ممزقة في برك من الماء من الرشاشات العلوية. تحطم الزجاج المكسور تحت حذائي. أخبرني رجلان يعملان في عملية التنظيف أن الشرطة التي كانت تقوم عادة بالحراسة قامت بدعوة عصابة من البدو في شاحنة صغيرة. ثم تركت الشرطة مراكزها ليسمح للبدو بتحطيم المكان وأخذ ما يريدون.

اتصلت بلورا من تحت الحطام. كيف تريد أنت والأولاد
لأخذ عطلة؟ كانت جميع الرحلات الجوية التجارية ورحلات السفارات ممتلئة، لذا قام صديق يعمل في شركة نفط بتخزينها هي والأولاد على متن الطائرة التي استأجرها صاحب العمل لنقل موظفيها إلى دبي: أول عملية إجلاء لها.

شعرت القاهرة وكأنها تنقسم إلى مدينتين. إحداها كانت مدينة ميدان التحرير المشمسة وساعات الحي. أما المدينة الأخرى فكانت المدينة الغامضة التي لا تزال تشكلها الأجهزة الأمنية ورجال الأعمال ووسائل الإعلام التابعة لنظام مبارك. وكانت الأخيرة هي المدينة التي انتشر فيها اللصوص المجهولون في المساحات الواقعة بين الأحياء السكنية، مثل مركز كارفور التجاري، وحيث أصبحت تحذيرات وسائل الإعلام الحكومية من الفوضى تتحقق ذاتياً. أصبح كل من الشرطة والمدنيين الذين يعيشون في تلك المدينة عدائيين بشكل متزايد تجاه الغربيين من أمثالي.

أصر كل صوت في محطات التلفزيون والإذاعة التي تديرها الدولة على ذلك
أن الاحتجاجات كانت كلها من عمل جواسيس أجانب. كانت عروض الاتصال تضج بالغضب المسرحي تجاه "الأيادي الخفية" و"الأصابع الأجنبية"، وفي المخيلة المصرية كان الغطاء المثالي للجاسوس هو الصحفي الذي يحمل دفترًا. وذكر التلفزيون الحكومي أن أجانب كانوا يوزعون وجبات عشاء مجانية من الدجاج المقلي لرشوة المعوزين للتظاهر في الميدان. اتصل أحدهم ليخبره أنه رأى "أجنبيين" يطلبان ثمانمائة شطيرة في مطعم مصري للوجبات السريعة، مما يشير بشكل تآمري إلى أن الطلب كان للتوزيع في الميدان. وداهمت الشرطة جماعات حقوقية، واعتقلت نشطاء ليبراليين، واعتقلت الإخوان المسلمين (بما في ذلك عضو البرلمان السابق محمد مرسي). حتى انهم

احتجزت السلطات عدداً قليلاً من الصحفيين الغربيين، ومن بينهم اثنان يعملان في صحيفة نيويورك تايمز لفترة وجيزة. لقد شعرنا جميعًا بكراهية الأجانب.
إن السرد المشوه لتلك الأيام سيصبح فيما بعد محكًا في المناقشات المستقبلية حول السياسة الأمريكية في جميع أنحاء المنطقة. لذا يجدر بنا أن نتذكر التفاعل بين الأحداث بين واشنطن والقاهرة.

بدأت الدراما في واشنطن عندما دعا أوباما إلى عقد اجتماع طارئ لمجلس الأمن القومي في الصباح بعد أن حطم المتظاهرون الشرطة واستولوا على الميدان. وبعد نقاش حاد، اتفق مع مستشاريه على خطة وزارة الخارجية لتشجيع مبارك على تسليم السلطة لرئيس مخابراته وشخصيته المتغيرة، عمر سليمان، البالغ من العمر أربعة وسبعين عاماً.

وكان سليمان هو جهة الاتصال الرئيسية بين مصر وواشنطن وإسرائيل. وكان المشرعون والدبلوماسيون والجنرالات والجواسيس الأمريكيون يعرفونه جيدًا. وكتب مايك موريل من وكالة المخابرات المركزية في وقت لاحق: "لقد كان حكيماً للغاية".
"يمكنك أن تطرح على سليمان سؤالاً واحداً حول أي قضية إقليمية ثم تجلس لتستمع لما قد يتحول إلى محاضرة مدتها نصف ساعة مليئة بالأفكار".

لكن سليمان كان معروفًا داخل مصر في المقام الأول بوحشيته
والتعذيب. وقد حددته برقيات وزارة الخارجية التي نشرها موقع ويكيليكس على أنه لاعب متعطش في برنامج الترحيل السري الأمريكي بعد غزو أفغانستان. "لم يكن شديد الحساسية"، على حد تعبير إدوارد ووكر، السفير الأمريكي السابق في مصر، في وقت لاحق.

كان أوباما متشككا في فكرة سليمان. بالنسبة لأوباما، "لن تتمكن من إعادة الجني إلى القمقم"، قال لي بن رودس في وقت لاحق. لكنه لم يكن ليقول للناس: لا تحاولوا ذلك. وكانت وجهة نظره هي: دعونا نحاول أن نرى ما يمكننا القيام به». وقد وافق أوباما على الخطة.

وقد طور فرانك جي. ويزنر، السفير السابق لدى مصر البالغ من العمر 72عاماً، علاقة قوية بشكل غير عادي مع مبارك، لذلك اختار كبار موظفي وزارة الخارجية ويزنر كمبعوث خاص للرئيس المصري. أرسل له البيت الأبيض نقاطاً للحديث يوم السبت 29يناير/كانون الثاني. وتحدث أوباما هاتفياً لمدة عشر دقائق مع ويزنر صباح يوم الأحد، وانطلق في اليوم التالي على متن طائرة عسكرية في رحلة مدتها عشر ساعات إلى القاهرة. لقد تلقى تعليمات بتقديم عدد قليل فقط من الطلبات المحددة قصيرة المدى للحاكم المستبد المسن: افعل ذلك

وعدم استخدام القوة لسحق المظاهرات، والسماح لخليفة من خارج عائلة مبارك بتولي الرئاسة بعد الانتخابات في سبتمبر/أيلول. ولم يطالب البيت الأبيض بخروج مبارك الفوري ولا بتغيير جذري فوري في النظام المصري.

وكان هدفها السماح لسليمان بإدارة الخلافة، ربما لنفسه.

والتقى ويسنر بمبارك في قصره بالقاهرة يوم الاثنين 31يناير.

في اليوم الثالث الذي اعتصم فيه المتظاهرون بالميدان، وكانت الأحداث في القاهرة تتسارع. في الساعة 9:00مساءً، ظهر جنرال مجهول بصوت أجش وقبعة صلبة الحواف على شاشة التلفزيون الحكومي مع إعلان غير متوقع من المجلس الأعلى للقوات المسلحة. وقال: إن قواتكم المسلحة لم ولن تلجأ إلى استخدام القوة ضد هذا الشعب العظيم، مشيدا بـ"المطالب المشروعة للمواطنين الشرفاء". وبقدر ما أستطيع أن أقول، فإن هذا لا يعني سوى رحيل مبارك الفوري.

فالجنرالات –الذين أخذوا بالنصيحة التي قدمها لهم الجنرال السيسي في عام – 2010لم يوجهوا مبارك أي تحذير. اتصل موظفوه الغاضبون برئيس قسم الأخبار في وسائل الإعلام الحكومية مطالبين بمعرفة كيفية وصول بيان الجيش إلى موجات الأثير. وهرع سليمان إلى استوديو تلفزيوني بعد ساعة للرد ببيان مدته دقيقتين. وأعلن سليمان أن مبارك عينه نائباً للرئيس. وتم تفويضه "للاتصال بجميع القوى السياسية" بشأن الإصلاحات الدستورية.

تحدث مبارك في الليلة التالية وامتثل في الواقع لتصريحات ويزنر

طلبات. ومن خلال تعيين سليمان نائباً للرئيس، أخرج مبارك جمال من الخلافة. وتوقفت القوات الأمنية عن إطلاق النار. والآن أعلن مبارك أنه سيترك منصبه في نهاية فترة ولايته، بعد الانتخابات في سبتمبر/أيلول. فالبيت الأبيض ـ على الرغم من حدس أوباما ـلم يتخلى عن مبارك، وكان مبارك يفعل ما طلبه البيت الأبيض.

ومع ذلك، كانت لهجة مبارك متحدية إلى درجة أنه بدا وكأنه لم يتنازل عن أي شيء على الإطلاق. وقال: "هذه بلدي". «سأموت على ترابها». وقام المتظاهرون في ميدان التحرير بإلقاء الأحذية على التلفزيون الذي كان يبث الخطاب.

واتصل أوباما مرة أخرى بالقاهرة. وقال أوباما لمبارك، بحسب دينيس روس، الدبلوماسي المخضرم في الشرق الأوسط الذي استمع إلى المكالمة: "أعلم أنك تهتم بمصر، وأعلم أنك وهبت حياتك".

"أنت لا تعرف مصر. أنا أعرف شعبي. سينتهي هذا في أ
أيام قليلة”، أصر مبارك.
وبعد مرور ثلاثين دقيقة، بدأ صبر أوباما ينفد: "لماذا لا نتحدث مرة أخرى غداً؟".

فأجاب مبارك: "لا، لا نحتاج إلى ذلك".
أوباما علق. وقال لروس وآخرين: "ليس هناك أمل لهذا الرجل".

وقال أوباما في بيان متلفز آخر بشأن مصر: "ما أشرت إليه الليلة للرئيس مبارك هو اعتقادي بأن التحول المنظم يجب أن يكون ذا معنى، ويجب أن يكون سلمياً، ويجب أن يبدأ الآن".

لكن المتحدث باسم البيت الأبيض واجه صعوبة في صباح اليوم التالي في شرح ما يعنيه أوباما. هل كان التركيز على "الآن" أم "منظم"؟

وأوضح المتحدث أخيراً أن أوباما لم يكن يسعى إلى خروج مبارك فوراً. وكانت رؤية الإدارة حول "الانتقال المنظم" لا تزال في عهد سليمان.

لكن الانقسام بين الرئيس وحكومته بشأن مصر لم يكن سرا في المنطقة. وقد اشتكى ولي عهد أبو ظبي، محمد بن زايد، الحاكم الفعلي لدولة الإمارات العربية المتحدة –المعروف باسم MBZ – للمسؤولين الأمريكيين من أن مستشاري أوباما مثل بن رودس كانوا يصفون سياسة تجاه مصر بينما كان روبرت جيتس وجو بايدن يصفان سياسة أخرى. وتعاطف جيتس مع الشكاوى. وكتب جيتس في وقت لاحق أنه كان يكن دائمًا احترامًا كبيرًا لـ "رؤى محمد بن زايد وأحكامه"، وقد "وجه لي الأمير انتقادات شديدة".

وكان لولي العهد والإماراتيين علاقات عميقة مع مصر وجيشها. من المؤكد أن محمد بن زايد شارك وجهة نظره بشأن الخلاف الذي خلفه خطاب أوباما مع كبار الجنرالات في مصر. إذا كان الإماراتيون يعرفون، فإن الجيش المصري كان يعلم أن معظم المسؤولين المحيطين بأوباما كانوا يأملون في الحفاظ على نسخة من نظام مبارك. كانت رسائل البيت الأبيض مختلطة منذ البداية، وكان بوسع اللاعبين في المنطقة أن يروا أن أوباما يجلس على مسافة من مجلس الوزراء المحيط به.

كان الوقت متأخراً من الليل في القاهرة عندما انتهى أوباما من كلمته، وأنا
أجرى محادثة هاتفية مع الدبلوماسي المصري السابق محمد شكري. كنت أعرف أنه قريب من سليمان.

"ماذا سيحدث إذا كان هناك اشتعال، حيث تم إطلاق بضع رصاصات في الجسم
أيها الشباب، زجاجة مولوتوف؟" كان شكري يفكر بصوت عالٍ. "مليون شخص في الشوارع. كيف سنحافظ على السلام؟"

...

9

أفادت شبكات الإذاعة والتلفزيون المصرية الرسمية في صباح اليوم التالي، الأربعاء 2فبراير/شباط، أن مظاهرة مضادة كانت تتشكل في حي المهندسين بالجيزة -تجمع لشكر مبارك على خدمته والقول "كفى!" إلى القاهرة ميدان التحرير. توجه زميلي في التايمز ليام ستاك .

وقد رصدته مجموعة من أنصار مبارك باعتباره صحفيًا غربيًا وبدأوا في ضربه. لذلك تسلل ليام عائداً من اتجاه آخر.

كان المنظمون يوزعون لافتات مكتوب عليها "نحن آسفون يا سيد".
الرئيس، أو صور وجه محمد البرادعي تحت نجمة داود. لم يسمح هذا الطاقم للاسم الأول "محمد" أن يقف في طريق معاداة السامية. تجمع المئات، وبدا ليام أن عددًا لا بأس به من رجال الأمن بملابس مدنية. وعندما التقط إحدى اللافتات الاستفزازية، اختطفها أحد رجال الأمن.

وبدأ الحشد المؤيد لمبارك يتحرك، معظمه سيرًا على الأقدام، عبر جسر فوق نهر النيل إلى ميدان آخر على الجانب الآخر من المتحف المصري من مدخل ميدان التحرير. استقل ليام والمصور سكوت نيلسون سيارة للحاق بهما. وكان رجال ذوو مظهر خشن ومسلحين بالهراوات والخفافيش والمناجل ينزلون من الميكروباصات. وأحضر آخرون صفائح وقود وصناديق زجاجات فارغة لقنابل الغاز. البلطجية. قارنها ليام بـ سيد الخواتم . "مثل الأوركيين الذين يتدفقون من موردور."

كنت أتجول في ميدان التحرير مع منى النجار، وهي صحافية مصرية تعمل في صحيفة التايمز، وظل الرجال يوقفوننا، الواحد تلو الآخر. كل واحد منهم أراد أن يقول لنا نفس الشيء: خطاب مبارك غير رأيه. لقد تنازل الرئيس بما فيه الكفاية.

كانت هذه الفوضى في الساحة أكثر من اللازم. كان الوقت قد حان للذهاب المنزل. كنا نسمع نفس الحجج في كل ما حولنا من همهمة. حان وقت العودة إلى المنزل، حان وقت العودة إلى المنزل!

وفجأة ارتفعت حدة الصوت، وسمعنا صراخًا. الساعة على
قراءة هاتفي 2:15مساءً

أمسك رجل في منتصف العمر ذو جبين مجعد بذراعي. وقال الرجل ويدعى عبد الرؤوف محمد: "لا نعرف من معنا ومن ضدنا الآن. نحن ضائعون".

"أنا أحب مبارك! أنا بحاجة لمبارك! صرخ شخص غريب قوي البنية
كتفه، فيقطعه.
وانسحب رجل ثالث كبير السن، وهو أحد المتظاهرين ضد مبارك
لي بعيدا. قال لنا هذا الرجل، رضا صادق: "خلال عشر دقائق، سيكون هناك قتال كبير هنا". إنها لعبة قديمة، أقدم لعبة في النظام".

لقد كان مخططًا: لقد استغرق الأمر أقل من ثماني دقائق. تحدث في الساعة 2:22، وبحلول الساعة 2:30، اندلعت عمليات التدافع واللكم في جميع أنحاء الساحة.
ومن الواضح أن رجال مبارك قد حددوا جدول أعمالهم مسبقاً. وتساقطت الحجارة والعصي على الرصيف القريب من المتحف المصري، وقذفتها كتيبة من المتظاهرين الذين كانوا يهتفون "شكرا مبارك". قام المتظاهرون المناهضون لمبارك في جميع أنحاء الميدان بضرب أعمدة الإنارة المعدنية بالطوب، وهو نظام إنذار صاحب مرتجل للتحذير من الاقتحام.

وحاول بعض المتظاهرين المناهضين لمبارك الحفاظ على أخلاقياتهم الشهيرة المتمثلة في اللاعنف، وهي السمة المميزة للاعتصام. ورفع ستة رجال ملتحين في صف ضيق أيديهم وقدموا صدورهم في عرض سلبي، كما لو كانوا مستعدين للاستشهاد. تحطمت الصخور من حولهم. رأيت أنا ومنى شابًا أنيق المظهر يمسك بغصن شجرة كسلاح ويسرع لمحاربة المباركيين القادمين.

"ضعها جانبا،" توسل رجل كبير السن.
صرخ الشاب وهو يشير إلى مبنى سكني: "ثلاثة من أصدقائي ينزفون في الداخل، وصديقي فقد عينه".

لكنه وضع الغصن جانبا وجلس وهو يبكي. وقال لمنى إن اسمه سامح صابر.

بحلول الساعة 3:15، كان التظاهر الأخير باللاعنف قد انتهى. كان خط المعركة بين القوات المتعارضة قد تشكل بشكل عمودي على هيكل المتحف المصري المصنوع من الجرانيت الوردي، أسفل كوبري 6 أكتوبر. وكان المتظاهرون المناهضون لمبارك يسحبون صفائح من الفولاذ المموج من موقع بناء على حافة الميدان لبناء حواجز ضد المهاجمين. استخدم الرجال والنساء قصاصات من الفولاذ لتكسير الرصيف وتحويله إلى صخور. وقام آخرون بنقل هذه الذخيرة الطازجة إلى الخطوط الأمامية في صناديق الحليب أو الأوشحة المستخدمة كرافعات.

واحتشد مئات الشباب في الجبهة لإلقاء الصواريخ.

وقد وفّرت جماعة الإخوان المسلمين، بهيكلها الخلوي المنضبط، العمود الفقري التنظيمي للدفاع عن ميدان التحرير من قبل المتظاهرين المناهضين لمبارك. لكن الصفوف الأمامية كانت تنتمي إلى "الألتراس" -مشجعي كرة القدم الذين يتحدثون بشكل تافه. لقد سخروا من الاشتباك مع الشرطة لسنوات قبل الانتفاضة. لقد قاموا برش الجدران في جميع أنحاء القاهرة بالشعار الإنجليزي ،ACABالذي يعني "كل رجال الشرطة أوغاد". وتطوع متظاهرون آخرون كمسعفين، وحملوا الجرحى على نقالات من الورق المقوى. وكانت الدراجات النارية –"سيارات إسعاف الشعب" – تنقل الجرحى إلى العيادات الميدانية.

لقد تسلقت حفارًا مهجورًا (تركته بالقرب من موقع البناء، وهو فندق ريتز كارلتون المستقبلي) للحصول على رؤية أفضل للحدث. كان مئات الجنود لا يزالون واقفين داخل السياج الحديدي للمتحف، لكنهم كانوا يكتفون بالمشاهدة أيضًا. لقد عادوا إلى الحياة فقط عندما سقطت قنابل حارقة داخل السياج، ولم يبق لهم سوى إخماد النيران بطفايات الحريق.

عندما نظرت خلفي، كان المشهد سرياليًا. الجمال! وكان ما لا يقل عن رجلين من رجال مبارك يمتطون الجمال وثمانية عشر آخرين على ظهور الخيل يهاجمون الميدان. كان الفرسان عادةً يستخدمون حيواناتهم لبيع جولات حول الأهرامات، وسرعان ما تعرضوا للضرب. لكن اتهامهم السخيف أعطى اليوم اسمه: معركة الجمل، بعد معركة بين السنة والشيعة في التاريخ المبكر للإسلام. (لم يفوت أي صحفي غربي يحترم نفسه فرصة ذكر الجمل في كتاباته عن المنطقة).

اعتقدت أنه من المؤكد أن الجنود سيتدخلون. من المؤكد أن الجيش سيسحق الاحتجاجات، التي أصبحت الآن عنيفة بشكل واضح. لكن إراقة الدماء استمرت، حيث أصيب المئات بالحجارة، أو أصيبوا أو طعنوا في قتال متلاحم، أو احترقوا بنيران قنابل الغاز. ولم يفعل الجنود شيئا. حل الظلام وكان علي أن أكتب لصحيفة اليوم التالي قبل أن أعرف من سيفوز.

لقد انتهيت من تعديلات الطبعة الأخيرة قبيل الفجر في القاهرة. كنت أغادر المكتب للبحث عن فندق رخيص - لم تكن هناك سيارات أجرة للعودة إلى المنزل بعد فترة طويلة من حظر التجول -عندما اتصل بي أحد المحررين من نيويورك. وكانت قناة الجزيرة تتحدث عن إطلاق نار في الساحة.

استقلت سيارة من شخص غريب إلى قاعدة كوبري 6 أكتوبر وانطلقت سيرًا على الأقدام فوق النيل. لكن في طريقي للعبور أدركت أنني اخترت المسار الخطأ: فالجسر المطل على الميدان كان تحت سيطرة البلطجية المؤيدين لمبارك. كان بإمكاني رؤية شخصيات داكنة ذات هراوات تتجول حول الجسر أو تنظر من فوق السور. كنت على يقين من أنهم سيضربونني إذا خمنوا من أنا. بالنسبة لهم، فإن أمريكيًا يسير بمفرده هنا في هذه الساعة ومسلحًا بدفتر ملاحظات لا يمكن أن يكون إلا جاسوسًا. نظرت إلى قدمي وواصلت المشي.

درج! لقد انزلقت من الجسر قبل أن يتم ملاحظتي، وفي
وفي الأسفل كانت مجموعة أخرى من الرجال تقوم بسحب هيكل سيارة محترق إلى مكانه لتعزيز الحاجز. لقد قمت بالنقر على كتف رجل في منتصف العمر يرتدي سترة رمادية اللون. المعذرة، سألت بحذر شديد، بلغتي العربية البدائية. هل أنت مع الرئيس أم مع الساحة؟

هل أنت تمزح؟ سأل بلغة إنجليزية ممتازة، مع اصفرار
يبتسم. وقال إنه كان من الإخوان المسلمين، وأعطاني بطاقة عمل تشير إلى أنه أستاذ هندسة في جامعة القاهرة. قادني إلى مستشفى ميداني يديره الإخوان المسلمون في الزقاق خلف مطعم كنتاكي. كان هناك طبيب قصير يرتدي معطف المختبر الأبيض يقف على صندوق مقلوب، ويصدر الأوامر. لقد تنحى لمقابلتي. قام المتطوعون بسحب الملاءات ليظهروا لي جثتي اثنين من المتظاهرين القتلى، قتلا بأعيرة نارية قبل الفجر مباشرة.

أصيب أكثر من ألف ومئتي مصري بجروح خطيرة في المعركة في ذلك اليوم، وتوفي ما لا يقل عن ثلاثة عشر مصريًا، على الرغم من مقتل أو إصابة عدد قليل فقط بطلقات نارية. لم يسبق لي أن اقتربت من جثة إلى هذا الحد، أو رأيت واحدة خارج نعش جنازة، لكن لم يكن هناك أحد يتراجع. لقد لعبت دور مراسل أجنبي وتظاهرت بأنني رأيت كل ذلك من قبل.

وروى جميع الشهود نفس القصة: بدأ واحد على الأقل من البلطجية بملابس مدنية من جانب مبارك في إطلاق النار قبل الفجر بقليل. وبدلاً من الاندفاع نحو مدينة الخيام، أطلق الجنود الذين يرتدون الزي الرسمي النار من أسلحتهم في الهواء في اتجاه المهاجمين المؤيدين لمبارك. وعندها تفرق البلطجية بفضل تدخل الجنود.

أخبرني العديد من الأشخاص في إدارة أوباما لاحقًا أن البنتاغون ووزارة الخارجية قد نظموا قوائم اتصال منهجية للضغط على اتصالاتهم على كل مستوى من مستويات القوات المسلحة المصرية.

وحث الأميركيون على الامتناع عن مهاجمة المتظاهرين.
تذكر علاقتك بشعبك. لا تنقلب على المدنيين الخاصين بك.

لكن البلطجية هاجموا المتظاهرين في الساعة 2:30 بعد الظهر، وانتظر الجيش حتى فجر صباح اليوم التالي تقريبًا لوقف ذلك، بعد أكثر من اثني عشر حالة وفاة ومئات من حالات العلاج في المستشفيات. لماذا انتظر الجيش أربع عشرة ساعة؟ وكان المجلس الأعلى للقوات المسلحة قد تعهد قبل أربعة أيام، في رسالة متلفزة من الجندي المجهول، بعدم التحرك ضد المدنيين.

وعندما هدأت الرغبة في الحصول على الائتمان، أخبرني العديد من كبار المسؤولين الأميركيين -بما في ذلك ليون بانيتا، رئيس وكالة الاستخبارات المركزية آنذاك -أنهم يعتقدون أن الجنرالات قد اتخذوا قرارهم، لأسباب خاصة بهم، حول كيفية اللعب. ويعتمد الجيش المصري على التجنيد الإلزامي. كان الانقلاب على جثث المصريين المتجمعين في الميدان، المصريين من كل لون، أمرا غير وارد. ربما كان الأمر سيختلف لو كان الحشد من الإسلاميين فقط. لكنني تعلمت ذلك لاحقًا فقط.

كتب جون فاينر، أحد كبار المسؤولين في وزارة الخارجية، في وقت لاحق من ذلك اليوم إلى زميلي أنتوني شديد، وهو صديق قديم لفاينر، والذي أرسل لي رسالة البريد الإلكتروني: "إننا نترنح قليلاً". كتب فاينر: "لقد سمعت من مجموعة من الأشخاص الذين طردوا منهم". وقال إن تقرير التايمز كان واحداً من التقارير القليلة التي "وصفت الأمر صراحة بما كان عليه -حملة قمع حكومية، وليس "اشتباكات" بين الجماعات المتنافسة".

"من المثير للصدمة مدى التراجع الذي حدث لهذه الفكرة هنا"
وأضاف أدق. وحتى بعد معركة الجمل، تعاطف الكثيرون في حكومة الولايات المتحدة مع مبارك ولم يثقوا في الثورة.
ولم يدرك البيت الأبيض أن الساحة -تلك الجمهورية الصغيرة التعددية -قد فازت بالفعل.

وبعد يومين، أعلن ويزنر، مبعوث أوباما، دعمه العلني لمبارك.
وقال ويزنر في مؤتمر أمني في ميونيخ: "إن استمرار قيادة الرئيس مبارك أمر بالغ الأهمية". ويتعين على مبارك أن "يكتب تراثه بنفسه" وأن "يبين الطريق إلى الأمام".

كلينتون، في نفس المؤتمر، دعمت سليمان. "من المهم
"لمتابعة العملية الانتقالية التي أعلنتها الحكومة المصرية، والتي يرأسها بالفعل نائب الرئيس عمر سليمان"، قالت للصحفيين، وكأن الجاسوس القديم مناسب تمامًا لقيادة التحول إلى الديمقراطية. "وهذا هو ما ندعمه."

وكانت كلينتون تشعر سراً بالقلق من أنها اقتربت أكثر من اللازم من الضغط على مبارك نحو الباب. وكتبت في رسالة بالبريد الإلكتروني إلى أقرب مستشاريها، جيك سوليفان: "أخشى أن ما قلته بالأمس يُستخدم لدعم فكرة أننا ندفع لتركه".

لكن أوباما، الذي شطب مبارك في يوم الغضب الأول، تمنى لو اقتربت من القيام بذلك على وجه التحديد.
وكتبت كلينتون في وقت لاحق: "لقد أخذني إلى مخزن الحطب".

قال لي رودس لاحقاً: "كان هناك خلاف جوهري".
بعد تسعة أيام من معركة الجمل، قبل وقت قصير من نهاية
أثناء صلاة الجمعة يوم 11فبراير، تلقيت بريدًا إلكترونيًا من البيت الأبيض يطلب مني الاتصال في أقرب وقت ممكن. كان المرسل شخصاً كنت أعرفه في مكتب أوباما في مجلس الشيوخ. عندما وصلت إليه، حوالي الساعة 7:00صباحًا في واشنطن، بدا وكأنه لم يحصل على قسط كافٍ من النوم.

وقال ببطء: «مبارك غادر العاصمة». "لم يعد في القصر الرئاسي."

لم يخبرني كيف عرف ذلك؛ رفض المسؤولون دائمًا الإجابة على هذا السؤال بنفس الطريقة تقريبًا عندما كانت المعلومات تأتي من معلومات استخباراتية سرية أو مراقبة إلكترونية. ماذا يعني ذلك بالنسبة لمصر؟ قال لي: "أترك الأمر لك".

لماذا كان يقول لي أصبح واضحا بما فيه الكفاية. وفي اليوم السابق، الخميس، أصدر المجلس الأعلى للقوات المسلحة "البيان رقم "1يعلن أن الجنرالات قد بدأوا الاجتماع "في دورة متواصلة". وأظهرت صور المجلس بدون مبارك. وألمح زملاؤه علناً إلى أنه سيتنحى قريباً. وقد اقترح بانيتا الشيء نفسه في شهادته العلنية أمام الكونجرس.

وبدلا من ذلك، ألقى مبارك ليلة الخميس خطبة كاملة
من تبرير الذات الصالح، والتنازل الأبوي، والوعود بالمحاربة. "أسوأ خطاب قاله في حياته" عبد اللطيف

يتذكر المناوي، رئيس الخدمة الإخبارية الحكومية، في وقت لاحق. "لقد كان متعجرفًا. كان لا معنى له. لقد كانت كارثة".

ودعا البعض في ميدان التحرير إلى مسيرة ضد الحراسة المشددة
القصر الرئاسي –نزهة إلى فرقة الإعدام. لقد شعر منظمو يوم الشرطة بالقلق من أنهم فقدوا السيطرة.

والآن، في صباح الحادي عشر من فبراير/شباط، توصل مساعدون مقربون من أوباما إلى أن الإطاحة بمبارك كانت بالفعل الرهان الرابح. قال لي رودس لاحقاً: «كنا حساسين تجاه فكرة أن أوباما تأخر في القيام بذلك، لأننا علمنا أنه وصل مبكراً». لقد كان أوباما على حق طوال الوقت، وإذا كان مبارك سيرحل، فإنهم أرادوا منه أن يمتلك ذلك.

لقد أنهيت المكالمة مع البيت الأبيض، ونشرت مقالًا مؤقتًا عن
موقع التايمز عن تقارير عن تحركات مبارك، وسارع إلى الساحة. لم أكن متأكدة مما إذا كنت أتوقع العنف أو الابتهاج. لكن مدينة الخيام كانت مبهجة كما كانت دائمًا. وجدت أنتوني شديد وأخبرته بما سمعته. اتصلنا بزميلنا كريم فهيم، وقد عاد من رحلة إلى السويس. ثم انتظرنا، وواصلنا الانتظار.

وفي بداية صلاة العصر المتأخرة، التفتت للذهاب.
كان آلاف الرجال يسجدون في صفوف مرتبة عبر الأسفلت، وكنت أتدخل بينهم بأقصى ما أستطيع من أدب، وكان تفكيري منصبًا على وضع حذاء المشي لمسافات طويلة.

سمعت صراخًا ونظرت للأعلى. قفز مراهق نحيف من خيمة ممسكًا بجهاز راديو ترانزستور. ماذا كان يقول؟ وسرعان ما عرف الجميع. ونهض الآلاف من ركبهم كموجة عارمة عبر الساحة.

وكان عمر سليمان قد قرأ بيانا مقتضبا أذيع عبر الإذاعة
وسائل الإعلام الحكومية المصرية. لقد سلم مبارك السلطة للجنرالات. وأعلن المجلس الأعلى للقوات المسلحة أنه تولى السيطرة الآن.
ورفع الضابط المجهول ذو الصوت الخشن يده إلى قبعته ذات الحواف الصلبة تحية لأولئك الذين يسميهم الآن شهداء الثورة.

استعدت لأعمال الشغب، وربما النهب خارج الميدان. كنت أتوقع ذلك
واستمعوا إلى هتافات الاعتصام المميزة حول الخبز والحرية والعدالة الاجتماعية. لكن اللحظة كانت أعمق بكثير وأكثر بدائية. لقد سمعت في كثير من الأحيان المصريين يضحكون على فساد بلادهم، وعدم كفاءتها، ورضاها عن النفس، أو يمزحون بأن التاريخ قد تركهم.

خلف. الآن اندفعت مصر إلى الأمام بسرعة كبيرة لدرجة أنني شعرت بأن أحشائي تغرق.
وقد رفعت الذل. كانت الساحة مليئة بالشعور بالارتياح. سمعت ترنيمة جديدة تنشأ من كل الزوايا. "ارفع رأسك عاليا أنت مصري".

4

"نحن لا نفعل ذلك بعد الآن"

12فبراير 2011 – 11 سبتمبر 2011

أ

وكان مجلس الجنرالات قد تولى السلطة من الرئيس. يمكن للمرء أن يسمي ذلك انقلابا. لكن العرب في كل مكان شهدوا ثورة في مصر. اندلعت الاحتجاجات في ليبيا واليمن والبحرين وسوريا وبغداد والأردن والسودان والمغرب والأراضي الفلسطينية وغيرها. لم يكن لدى صحيفة نيويورك تايمز ما يكفي من المراسلين أو الأعمدة لتغطية كل شيء. حتى أن ملوك الخليج العربي قاموا بتوزيع زيادات الأجور على رعاياهم كتطعيم ضد العدوى. كان كل شيء جاهزًا لإعادة التفاوض.

وصلت إلى ليبيا في 25فبراير/شباط 2011، بعد حوالي أسبوعين من خروج مبارك. كان ضباط الأمن يستخدمون السياط والهراوات لصد آلاف العمال المهاجرين الأفارقة ذوي البشرة الداكنة الذين كانوا يحاولون شق طريقهم إلى مطار طرابلس، في محاولة يائسة للخروج من البلاد قبل أن ينهار. كان حكم العقيد معمر القذافي، إلى حد ما، الأكثر صدقاً بين الأنظمة الاستبدادية في الشرق الأوسط. ولم يقم إلا بالكاد بالتظاهر بسيادة القانون، أو الدستور المكتوب، أو حتى البرلمان المصدق عليه. واحتفظ برتبة عقيد تكريما لمثله الأعلى جمال عبد الناصر. لكن القذافي لم يكلف نفسه عناء منح نفسه لقباً رسمياً مثل الرئيس أو رئيس الوزراء. لقد كان ببساطة "القائد". لقد حكم من خلال الإكراه غير المقنع.

لقد حددت السخرية النظام. وحتى أنصار القذافي الأعلى صوتاً لم يبدوا وكأنهم يؤمنون بما كانوا يبيعونه.

شعرت بتغطيته وكأنني أشاهد مسرحًا سيئًا. لقد دعاني أتباع القذافي وعشرات الصحفيين الغربيين الآخرين إلى طرابلس ولكن

ثم حاول حبسنا في فندق ريكسوس الخمس نجوم. فحين سمحت الأمم المتحدة بشن حملة قصف جوي من جانب حلف شمال الأطلسي لكبح جماح قوات القذافي، ألقى موسى كوسا، ذراعه اليمنى، خطاباً معداً سلفاً كان من المفترض أن ينقل إلينا التحدي فقط.

لكن يديه، مثل يد بن علي، كانتا ترتجفان بشكل واضح، وفي غضون أيام كان قد انشق إلى أوروبا.

يبدو أن الجميع يلعبون. كان من الصعب تحديد الأيديولوجية أو الولاء. جاب رجال ميليشيا القذافي شوارع العاصمة مع براميل بنادق الكلاشينكوف البارزة من نوافذ سياراتهم البيضاء من طراز تويوتا هايلكس ذات الكابينة المزدوجة، وكان من الحكمة عرض علم القذافي الأخضر في نافذة سيارتك للحفاظ على سلامتك. لكن عندما هربت من الفندق، لاحظت أن نفس الوجوه ظهرت في المظاهرات المؤيدة للقذافي في يوم وضده في اليوم التالي. "عندما يقصف الناتو ليلاً، أسمع جيراني يصفقون ويهتفون "برافو"، وفي الصباح يكونون مع القائد"، المصري الذي قاد الكنيسة البروتستانتية الوحيدة في طرابلس، القس.

أخبرني حمدي داود عندما تمكنت من التسلل دون أن يلاحظني أحد لحضور قداس صباح الجمعة. (غالبًا ما يتعبد المسيحيون في العالم ذي الأغلبية المسلمة معًا في أيام الجمعة).

في إحدى الليالي دمرت منازل المدنيين في غارة جوية لحلف شمال الأطلسي. أ
أيقظ المتحدث باسم القذافي الجميع عبر مكبر الصوت في الفندق بسعادة غامرة، وكان حريصًا على نقلنا جميعًا بالحافلة إلى هناك لنرى بأنفسنا.
"انتبهوا لجميع الصحفيين، تعالوا على الفور إلى بهو الفندق"، ردد ببطء في كل غرفة من غرف الفندق.
"هناك جثث تحت الأنقاض. وأكرر، هناك جثث تحت الأنقاض".

"حسنًا"، أخبرني المتحدث نفسه، موسى إبراهيم، بذلك الأمر
ليلة على قهوة اسبريسو في مقهى الفندق. "هذا ليس النظام الأكثر شرعية ."

في صباح أحد أيام أواخر شهر مارس/آذار، اقتحمت امرأة ليبية ذات وجه مصاب بكدمات شديدة بهو فندق ريكسوس تطلب صحفيين من رويترز ونيويورك تايمز ، وهما المؤسستان الصحفيتان الدوليتان الوحيدتان اللتان يمكن أن تفكر فيهما. أعطت اسمها إيمان العبيدي وبدأت تحكي قصتها أثناء تناول الإفطار في غرفة الطعام الرئيسية. أوقفها جنود القذافي عند نقطة تفتيش، واحتجزوها لأنها تنتمي إلى قبيلة (العبيدي) متمركزة في منطقة متمردة، واغتصبوها وضربوها مراراً وتكراراً حتى ماتت.

قالت: هربت. وكانت هناك ندبة كبيرة في أعلى فخذها، وعلامات خدوش ضيقة وعميقة في أسفل ساقها، وعلامات ربط حول يديها وقدميها. قالت: "لقد انتهكوا شرفي".

وقبل أن تنهي كلامها، اقتحم الغرفة مرافقونا الرسميون، والمترجمون، ونوادل الفندق، وحتى النادل الخجول المحجب من مقهى الفندق، محاولين القبض عليها. وتبين أنه حتى موظفي الفندق الذين يرتدون الزي الرسمي والذين يقدمون القهوة وأطباق التصفية كانوا جميعهم من عملاء القذافي. واندلعت مشاجرات عندما حاول الصحفيون حمايتها. قام اثنان على الأقل من موظفي الفندق بتهديدها وتهديدنا بسكاكين المطبخ. قام أحد "مرافقينا" بسحب مسدسه.

وخطف آخرون كاميرا سي إن إن ودمروها.
"اقلبهم! اقلبهم!" صاح النادل إلى
الموظفين الآخرين، ونناشدهم أن يبعدونا عنها.
"لماذا تفعل هذا؟ أنت خائن!" صرخ باريستا
في العبيدي، تحاول أن تلبس معطفاً ثقيلاً داكناً على رأسها لتغطية وجهها.

تصارع بعض الصحفيين مع مطارديها. ولكن تم اصطيادها
بعيدًا، وسُجن مرة أخرى، ثم تم ترحيله في النهاية. كنت يقظًا بعد ذلك بشأن ما قلته على مسمع من موظفي الفندق، على يقين من أن موظفي الاستقبال والسقاة وعمال الفندق كانوا جواسيس يلعبون.

في منتصف إحدى الليالي في بداية شهر أغسطس، واحدة من تلك
قادني المرافقون إلى فندق راديسون بلو المغلق والمظلم، حيث كان نجل القذافي، سيف الإسلام، ينتظر بالداخل على مقعد في غرفة جلوس مستعارة. فبعد أن قدّم نفسه لسنوات كمصلح ليبرالي ناطق باللغة الإنجليزية، أطلق لحيته وكان يسبح بأصابعه. أخبرني أنه ووالده كانا يشكلان شراكة مع المتشددين الإسلاميين لمحاربة المتمردين الليبراليين والحكم كفريق واحد. قال لي: "سوف يهرب الليبراليون أو يُقتلون". وأضاف: "ليبيا ستبدو مثل المملكة العربية السعودية، مثل إيران. وماذا في ذلك؟" لقد استمتع بسخريته الخاصة: "إنها قصة مضحكة". لقد كان يختلق الأمر برمته، بهدف تخويف الغرب على ما يبدو، لكنه أصر على أنه يتحدث بجدية.

وكان هذا هو المشهد الأخير له في المسرحية. سقطت طرابلس في أيدي المتمردين بعد أسبوعين فقط. وفي زيارة لمقر الحكومة الانتقالية للمتمردين التقيت بنفس موظف القذافي الذي حشدنا في الحافلات للقيام برحلات دعائية وتعقبنا.

عندما هربنا من فندق ريكسوس (كان يتم القبض عليّ دائمًا في النهاية، بما في ذلك بعد زيارتي للكنيسة).
وفي اليوم التالي لسيطرة المتمردين، وجد وظيفة في تنظيم وسائل النقل لقادة الحكومة الجديدة.

قال الرجل: "عمي وابني كانا جنديين في الثورة".
خالد سعد، أخبرني عندما اصطدمت به. "سيكون الجميع سعداء الآن. لقد تغير كل شيء الآن. الجميع أحرار."

وقد غيّر العديد من أتباع القذافي السابقين ولاءاتهم بهذه الطريقة. وقال لي عبد المجيد الدرسي، الرئيس السابق للإعلام الأجنبي التابع للقذافي، وهو يحتسي القهوة في مقهى بطرابلس المليء بالمتمردين: "إن كل هذه الأشياء التي يفعلونها أمر مشروع –حرية الصحافة وسيادة القانون". "لقد اعتقدنا دائمًا أن هذا هو الشيء الصحيح الذي ينبغي عمله." لقد أحببت ليبيا، ومسرحها السيئ كان جزءاً من السبب.

يبدو أن الجميع يعرفون أن الجميع كانوا يتظاهرون فقط.

...

شعرت بالسخافة عندما قلت كلمة "ثوري" بصوت عالٍ، كما لو أنني لم أقرأ جورج أورويل قط. ولكن لم تكن
أنا
هناك كلمة أخرى لوصفها
المزاج في القاهرة. وفي اليوم التالي لخروج مبارك، دعا منظمو الاعتصام إلى يوم آخر في الميدان لتنظيف الفوضى، وعمل آلاف المتطوعين حتى وقت متأخر من الليل. حضانة أبنائنا تأثرت بالروح، والأطفال جمعوا القمامة في المعادي. قدمت المطاعم الجديدة إصدارات راقية من طعام الفلاحين المصريين، مثل الكشري مع الأرز البني والعدس العضوي، أو الفول الفاخر -الفاصوليا المطبوخة ببطء، ووجبة الإفطار الكلاسيكية -في خبز بلادي فاتح مشرق مصنوع من السبانخ أو البنجر. أخبرني أصدقاء مصريون أنهم للمرة الأولى يبحثون عن المنتجات المصرية الصنع في المتاجر بدلاً من تجنبها. كان العمال في جميع أنحاء البلاد ينظمون إضرابات عشوائية للمطالبة بأجور أفضل، في استمرار للموجة التي بدأت خلال الانتفاضة.

وأصر الجنرالات في القاهرة على أن عصر الإكراه في مصر قد انتهى بإطاحة مبارك. وهرع كبار الضباط لالتقاط الصور مع أشهر قادة الثورة، وكان الجنرال عبد الفتاح السيسي متحمسًا مثل أي منهم. "لقد كانوا لطيفين للغاية"

أخبرني أحمد ماهر من جماعة 6 إبريل فيما بعد. "لقد ابتسموا و

لقد وعدونا بأشياء كثيرة وقال: أنتم أولادنا. لقد فعلت ما أردنا القيام به لسنوات عديدة!

أعلن المشير محمد حسين طنطاوي، وزير الدفاع البالغ من العمر خمسة وسبعين عاماً والضابط العسكري الأعلى رتبة، نفسه رئيساً مؤقتاً للدولة، ويحكم نيابة عن ما يقرب من عشرين جنرالاً في المجلس الأعلى للقوات المسلحة. وتظاهر المجلس بأنه حارس الثورة ووعد بالتحرك بسرعة نحو إجراء انتخابات من شأنها أن تحل محل طنطاوي بحكومة مدنية. ووضعوا مبارك تحت الإقامة الجبرية في منزله الذي يقضي فيه عطلاته على البحر الأحمر.

قام الجنرالات بدعوة مجموعات صغيرة من صناع الرأي –المثقفين، والأساتذة، وكتاب الأعمدة، ومحرري الصحف –إلى سلسلة من وجبات العشاء في فندق ومنتجع الماسة المذهّب في مصر الجديدة (المملوكة للجيش)، حيث أوصلوا إلى منازلهم رسالة مفادها أنهم فخورون بأنهم أطاحوا بمبارك ووضعوا مصر على طريق الديمقراطية. في بعض الأحيان، كان أحد كبار الضباط يشير إلى السيسي ويتذكر توقعاته في عام 2010 بانتفاضة شعبية وتوصيته بالانفصال عن مبارك. قال لي حسن نافعة، أستاذ العلوم السياسية الليبرالية في جامعة القاهرة، الذي حضر إحدى حفلات العشاء: "كان لديهم خطة للنزول إلى الشوارع، لكنهم ببساطة دفعوها للأمام للاستفادة من الثورة". وقال في حفلات العشاء: "لم نتعرف على السيسي على الإطلاق".

في ذلك الربيع، تابعت إحدى كاميرات التلفزيون الرسمي طنطاوي وهو يتجول في الشوارع ببدلة رسمية. هل كان يختبر أداء دور الرئيس المدني؟ اعتقد المصريون أنه كان مضحكا.

"تويز آر أص في عيد الميلاد: لدينا طنطاوي في السراويل القصيرة، وطنطاوي في بدلة رسمية، طنطاوي البحار، طنطاوي الطبيب،" هكذا ترددت إحدى النكات على الإنترنت. لقد أدرك مبارك منذ فترة طويلة، مثله كمثل أي مستبد عربي كفؤ، أن التهديد الأكثر إلحاحاً لسلطته كان الانقلاب الذي قام به وزير دفاعه. وتميز الطنطاوي بودائعه. وسخر منه ضباط الجيش الآخرون ووصفوه بأنه "كلب مبارك".

تدعو بعض البلدان التي تمر بمرحلة انتقالية خبراء دوليين للمشاركة والدروس المستفادة من جنوب أفريقيا، وأمريكا اللاتينية، وأوروبا الشرقية، وكوريا الجنوبية، وأسبانيا، والفلبين، وما إلى ذلك. ولم تطلب مصر مثل هذه المساعدة. كان لدى أحد كبار الجنرالات ابن صادف أنه كان يعمل كمساعد

مستشار قانوني للمحكمة الدستورية العليا، وقام المجلس العسكري بتعيين هذا الابن كأول من بين ثمانية فقهاء في لجنة لإصدار ميثاق مؤقت. ثم توجهت اللجنة إلى جوجل، واعتمدت بشكل أساسي على موقع إلكتروني أنشأته جامعة برينستون بعنوان «كتابة الدستور وحل النزاعات». لقد كان الأمر كله ارتجالاً.

وكان هدف الخبراء القانونيين هو نقل السلطة إلى المدنيين في أسرع وقت ممكن. وبهذه الطريقة لن يكون لدى الجنرالات فرصة لوضع بصمتهم على صياغة دستور دائم. ولكن عندما طُرحت مسودة الميثاق المؤقت للاستفتاء في 19مارس/آذار ،2011فاجأ المجلس الأعلى للقوات المسلحة مصر عشية التصويت بإعادة النظر في أمر لجنته. وأعلن لواء مسؤول عن الشؤون القانونية أن المجلس العسكري سيواصل إصدار تعديلاته الخاصة على الميثاق الانتقالي بعد التصويت. وسمحت تعديلات الجيش للجنرالات بالبقاء في السلطة لفترة طويلة بعد الانتخابات البرلمانية ومن خلال كتابة دستور دائم، مما أدى إلى التراجع عن الهدف الرئيسي للجنة.

ومع ذلك، فإن كل عطلة نهاية أسبوع تحمل معها تذكيرًا جديدًا بحاجة الجنرالات إلى تهدئة الرأي العام. كلما تعثرت العملية الانتقالية، دعا المنظمون وراء يوم الشرطة إلى مليونية أخرى بعد ظهر يوم الجمعة -مسيرة مليونية. وفي كل ليلة خميس، كان الجنرالات يستسلمون، في الوقت المناسب لاسترضاء المتظاهرين.

لقد عزل الجنرالات رؤساء الوزراء، وهزوا الوزارات، وسجنوا مبارك، قدمه هو ووزير داخليته للمحاكمة بتهمة القتل، وحدد موعد الانتخابات، وألغى ما يسمى بقانون الطوارئ الذي يعلق حقوق الإجراءات القانونية الواجبة، وأكثر من ذلك -كل ذلك لنزع فتيل الملايين الوشيكة. قال لي شادي الغزالي حرب، أحد المنظمين: "الشيء الوحيد الذي ينجح هو العودة إلى التحرير، لكنهم يتراجعون بعد ذلك". "خميس التنازلات" كما أطلق عليه بعض المصريين.

الضابط المجهول الذي أعلن الجيش

وظهر الاستيلاء على السلطة باسم الثورة من جديد على شاشة التلفزيون، وهو يهز بسبابته أمام الكاميرا ويطالب بإنهاء الاحتجاجات. وتبين أن اسمه هو اللواء محسن الفنجري، وشبهه المصريون بالصندل الشبيه بالشبشب .

شيب، باللغة العربية المصرية -يُمسك بإصبع من البلاستيك بين أصابع القدم. « الشيب له إصبع والفنجري له إصبع». لم يكن أحد خائفا منه.

بالكاد يمكنك المشي بضع بنايات دون أن تلاحظ اختلافًا في وضع الشرطة. قالت شابة مصرية أعرفها لضابط شرطة: "لم نعد نفعل ذلك، لقد حدثت ثورة"، ودفعته جانباً عندما حاول هزها من أجل الحصول على بخشيش للسماح لها بركن سيارتها. لقد كانت الشرطة هي التي شعرت بالخوف.

وقال محمود قطري، ضابط شرطة سابق: "لقد عاملوا الناس كالآفات، فتخيل عندما تنهض هذه الآفات الآن وتتحداهم وتذلهم". "إنهم يشعرون بالكسر."

محمد إسماعيل، يبلغ من العمر ثلاثين عامًا، ويدير محلًا لبيع الهواتف المحمولة

بالقرب من مركز للشرطة، قال إن الضباط كانوا يطالبون دائمًا بخصم 50بالمائة. والآن تذمروا "من فضلكم" ودفعوا الثمن كاملاً. وأضاف: "لقد انقلبت الطاولة".

وكان هشام فهمي يدير جمعية تجارية للشركات المتعددة الجنسيات العاملة في مصر، وكان هو أيضاً مندهشاً من الطريقة التي سمع بها المصريين العاديين يتحدثون إلى الشرطة. "إنها:" تحدث معي بشكل صحيح! أنا مواطن!'' قال لي مذهولا.

بدأت مجموعة صغيرة من المتظاهرين اعتصامًا خارج الولايات المتحدة
دعت سفارة الولايات المتحدة الأمريكية إلى إطلاق سراح إنساني من سجن عمر عبد الرحمن، الشيخ المصري الأعمى المسجون في الولايات المتحدة بتهمة التآمر المتعلق بتفجير مركز التجارة العالمي عام .1993وقال أميركي يعمل في الاستخبارات لدبلوماسي في السفارة: «لو كان مبارك لا يزال موجوداً، لكان هؤلاء الرجال قد أُلقي بهم في السجن واغتصبوا بالأنابيب».

لم يكن التراجع هزيمة بالطبع، ولم تكن مؤسسات النظام القديم قد اختفت تقريبًا. بعد ثلاثة أيام من الاستفتاء، في أواخر مارس/ آذار، أرسل الجنرالات رسالة إلى كل مؤسسة إخبارية مصرية يذكرونها بـ "ضرورة الامتناع عن نشر أي مواد -قصص أو أخبار أو إعلانات أو شكاوى أو إعلانات أو صور -تتعلق بالقوات المسلحة أو لقادة القوات المسلحة" دون الحصول على موافقة مسبقة. وكانت شبكات الأقمار الصناعية لا تزال مملوكة لنفس الزمرة الصغيرة من الأقطاب المقربين لمبارك، وكانوا يأخذون الأمر على محمل الجد.

في إحدى الليالي، اقترح المدون ذو الميول اليسارية حسام الحملاوي بشكل متواضع في برنامج تلفزيوني أن "أي مؤسسة في البلاد تأخذ الضرائب منا يجب أن تكون عرضة للمساءلة".

فقاطعه مقدم البرنامج محمود سعد قائلاً: "لا لا لا". انه التعلق
على الحملاوي. "لن أسمح لك بقول هذه الأشياء على هذه الشبكة."

استدعى ضابط عسكري الحملاوي للاستجواب في اليوم التالي. وقال الحملاوي: "عندما يقول الجيش: من فضلك احضر، فهو بمثابة أمر، خاصة عندما يحكمون البلاد".

أنا.

وبسبب فضولي بشأن القواعد الأساسية المتغيرة، أقنعت ضابطًا في ذراع الدعاية العسكرية، إدارة الشئون الأخلاقية، بدعوتي إلى مقرها الرئيسي، في حي مصر الجديدة.

كان مكتبه بمثابة محطة إذاعية جامعية. كان الحشو يخرج من وسادة على الأريكة. كانت سماعات الرأس والكابلات المحورية ملقاة في كل مكان. مثل كل ضابط عسكري مصري قابلته في حياتي، أراد مضيفي أن يخبرني عن مدى استمتاعه بتدريبه الأمريكي -في حالته في ماريلاند. لكنه أصر على أن إهانة الجيش لا تزال جريمة في مصر.

"إذا قدم شخص ما دليلاً على أن أي ضابط فاسد، فسيتم
وقال إن الضابط سيخضع للقانون. "إذا لم يقدم الصحفي أي دليل، فسيكون الصحفي خاضعاً للقانون".

وقد ساوى أحد المدونين بين المجلس الأعلى للقوات المسلحة والرئيس السابق مبارك. قال لي هذا الضابط: "لهذا السبب هو في السجن".
"إذا دعوتك بالديكتاتور، يمكنك أن تعتبر ذلك إهانة".

مخاطر عالية، إذا أخذت الأمر على محمل الجد. لكن الحملاوي تجاهل
التخويف. لقد روى قصته لي، على مدونته، ولكل من يستمع. بدا قمع كل المعارضة التي تجوب القاهرة أمرا مستحيلا في ذلك الوقت. وحتى الملحدين –الذين كانوا يخشون في السابق الاعتقال أو النبذ بسبب جريمة إهانة الدين –كانوا يعقدون اجتماعات عامة.

...

ت لقد اندفع البيت الأبيض ووزارة الخارجية الآن

الحماس للثورة المصرية. أعلنت الولايات المتحدة أنها ستحول 65مليون دولار من المساعدات الاقتصادية إلى منح مباشرة لتعزيز الديمقراطية. اشترت وزارة الخارجية إعلانات في الصحف المصرية لالتماس مقترحات المنح، بعد ثلاثة عقود سيطرت فيها حكومة مبارك على كل قرش من المساعدات الأمريكية. بالنسبة للقوميين المباركيين، ربما اعترف أوباما بتمويل الاحتجاجات في المقام الأول.

لكن في الوقت نفسه، كانت الإدارة تحتضن المجلس الأعلى للقوات المسلحة بهدوء أكبر باعتباره أفضل ضمان بأن "الثورة" لن تتعارض مع المصالح الأمريكية. قال لي أحد كبار المسؤولين في وزارة الخارجية في وقت لاحق: "أولاً، عليك أن تميل إلى فكرة أن مبارك يقود عملية انتقالية".

"عندما لا ينجح ذلك، تميل إلى عمر سليمان، وعندما تفشل هذه الفكرة أيضًا، تفكر، حسنًا، دعونا نعمل مع المجلس الأعلى للقوات المسلحة".

وقد قام البنتاغون ومجلس الأمن القومي بإحضار كبار الجنرالات ورؤساء المخابرات المصرية إلى واشنطن، أو أرسلوا كبار المسؤولين للقاء بهم في القاهرة. ولم يخف البنتاغون دعمه لرئيس أركان الجيش، الفريق أول سامي عنان، باعتباره الحاكم القادم لمصر. وكان عنان "رجل البنتاغون في مصر"، حسبما ذكرت زميلتي في صحيفة التايمز إليزابيث بوميلر من واشنطن.

إن السياسة الأمريكية الفعلية، كما أخبرني بن رودس في وقت لاحق، هي "القيام بذلك".
عانق المجلس الأعلى للقوات المسلحة بأكبر قدر ممكن.

...

ت أمن إسرائيل، وهو مصدر قلق دائم للسياسة الأمريكية

وفي مصر، اكتسبت أهمية جديدة في أغسطس/آب من ذلك العام. طائرة حربية إسرائيلية

أدت مطاردة المسلحين الفلسطينيين عن غير قصد إلى مقتل ما لا يقل عن ثلاثة من ضباط الأمن المصريين داخل حدودهم. لقد خفف مبارك من مثل هذه الأحداث من قبل، لكن المصريين الآن يطالبون بالقصاص.

ورضوخاً مرة أخرى لضغوط الشارع، استدعى الجنرالات سفير مصر لدى إسرائيل. عندما بدأ المتظاهرون بالتجمع خارج السفارة الإسرائيلية، المكونة من عدة طوابق في مبنى إداري بالقرب من حديقة الحيوان بالقاهرة، في الجيزة، أقامت الحكومة العسكرية حاجزًا معدنيًا رفيعًا على طول الرصيف لحماية المبنى.

وبعد بضعة أسابيع، وفي تجمع غير ذي صلة في ميدان التحرير يوم الجمعة، 10سبتمبر/أيلول، رأيت مجموعة من المتظاهرين يتوجهون إلى السفارة الإسرائيلية مسلحين بالمطارق والحبال. مشيت خلفهم ووجدت حشدًا من الشباب تتقدمهم مجموعة أساسية من الألتراس، مثيري الشغب في كرة القدم، وكانوا بارزين لأنهم جلبوا معهم أناشيدهم المميزة، والطبول، والأبواق، والألعاب النارية. (كان الإخوان المسلمون غائبين بشكل ملحوظ، ربما لإدراكهم الاهتمام الدولي الآن بحركتهم).

تسلق الألتراس الحاجز، وأحكموا ربطه بالحبل، واستخدموا السيارات لهدمه إلى قطع صغيرة. وبحلول الليل، تم تسويتها بالأرض. ولم تفعل حفنة من الجنود ورجال الشرطة المصريين المتمركزين خارج السفارة أي شيء لوقف اللصوص، الذين تسلقوا البوابة المغلقة بسهولة. وقام المشاغبون بإنزال العلم الإسرائيلي وإشعال النار فيه.

بدا الوضع متفجراً، ولم أعرف نصفه. أنا
علمت لاحقًا أن ستة من موظفي السفارة كانوا محاصرين بالداخل، مختبئين في غرفة آمنة. وكان معهم أسلحة نارية للحماية.

لو كان المهاجمون قد اقتربوا أكثر، لكانت الليلة قد انتهت بـ"مذبحة"، كما أخبرني ستيفن سايمون، مدير قسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في مجلس الأمن القومي آنذاك، في وقت لاحق. لقد كان على خط هاتفي مفتوح مع نظرائه الإسرائيليين، الذين جعلوا موظفي السفارة المذعورين يتحدثون عبر مكبر الصوت. وعبر الهاتف، تمكن سايمون من سماع طرق الألتراس على باب الغرفة الآمنة بالسفارة.

مصطفى السيد، متطرف، يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عامًا، وكان يعمل بالطحن

في الشارع بالخارج، أراني مقطع فيديو بالهاتف المحمول لنفسه مع حوالي عشرين صديقًا داخل السفارة. لقد صوروا أنفسهم وهم يدمرون الأثاث، ويبحثون في الأوراق، ويرمون المجلدات من النافذة. وتفاخر بأنهم اعتدوا على موظف بالسفارة عثروا عليه بالداخل أيضًا. مصري

وفي النهاية قام الجنود بإزالتهم دون إلقاء القبض عليهم. لقد أعادوا تجميع صفوفهم للتو في الشارع.

كانت الساعة حوالي الساعة 11:30 مساءً عندما وصلت شاحنات شرطة مكافحة الشغب أخيرًا.
أحصيت ما يصل إلى خمسين. بحلول ذلك الوقت، كان مثيرو الشغب قد أشعلوا النار في كشك للشرطة في الشارع، وبدأوا في إلقاء الحجارة على الشرطة في لعبة القط والفأر من خلال سحب الغاز المسيل للدموع في جميع أنحاء الحي. اعتقدت أن المشاغبين قد يدمرون السفارة بينما كانت الشرطة منشغلة، والجنرالات يبقون خارجها.

وتحدث أوباما مع بنيامين نتنياهو. جنرال مشاة البحرية
وتحدث جيمس ماتيس، قائد القيادة المركزية، مع الفريق أول السيسي، رئيس المخابرات العسكرية المصرية.
أجرى إيهود باراك، وزير الدفاع الإسرائيلي، مكالمة مذعورة مع ليون بانيتا، الذي كان يشغل الآن منصب وزير الدفاع. هل من الممكن أن يطلب بانيتا من الجيش المصري أن يوقف ذلك؟

ولكن بحلول الساعة السابعة والنصف مساءً في واشنطن -والثانية والنصف صباح اليوم التالي في القاهرة -لم يكن المشير طنطاوي قد رفع سماعة الهاتف بعد للرد على بانيتا.

"أنا متأكد من أنه كان يحاول معرفة ما يحدث"
أخبرني بانيتا فيما بعد، بلطف.
غادر بانيتا البنتاغون لتقديم عرض
قداس برامز الألماني في مركز كينيدي لإحياء ذكرى هجمات 11 سبتمبر الإرهابية. قام المساعدون بسحبه من الجمهور إلى غرفة مجاورة معدة لإجراء مكالمة هاتفية آمنة عندما اتصل طنطاوي به أخيرًا. وقال بانيتا إن طنطاوي ألقى الحديث القصير المعتاد، "لذلك حاولت أن أتجاوز هذا الهراء".

أنا.

"لديك وضع خطير هناك مع السفارة الإسرائيلية"
وقال بانيتا للطنطاوي. وأضاف: "إذا سُمح بحدوث ذلك، فلن يعرض حياة الناس للخطر فحسب، بل سيجعل مصر تبدو غير كفؤة تمامًا في توفير الأمن".

ووعد طنطاوي بالقيام "بكل ما هو ضروري"، وقبل وقت قصير من الساعة الخامسة صباحًا في القاهرة، أنقذت قوات الكوماندوز المصرية أخيرًا الموظفين الستة المحاصرين في السفارة. توفي مصريان أثناء القتال مع الشرطة، أحدهما أصيب برصاصة؛ وأصيب اثنا عشر مئة بجروح خطيرة واعتقل تسعة عشر.

ألقى المسؤولون الإسرائيليون اللوم على "أسلمة" مصر، لكن في هذه الحالة كان المهاجمون من مشجعي كرة القدم غير المتدينين وكانت الحكومة المهملة تحت السيطرة العسكرية. ولم تلعب جماعة الإخوان المسلمين أي دور في الهجوم. وفي اليوم التالي، أدانها الإخوان.

بدأت تلك الليلة في فهم بعض الطبقات المتعددة للعلاقات المصرية الإسرائيلية. ولم تعد الدولتان معاديتين.

كان جنرالاتهم على ما يرام، كما أخبرني ضباط الجيش الأمريكي والدبلوماسيون في القاهرة في كثير من الأحيان. لكن وسائل الإعلام الحكومية والخاصة في مصر أججت نيران معاداة الصهيونية ومعاداة السامية بحماسة لا تتضاءل. وكانت رقابة الدولة قد أسكتت أي نقاش حول السلام أو تناقضاته. ونتيجة لذلك، جمد الرأي العام المصري منذ عشية كامب ديفيد.

قدم القادة المصريون عرضًا عدائيًا لمواطنيهم في الداخل، وساعد هذا العرض المسرحي، سواء عن قصد أو بغير قصد، في إقناع صناع السياسة الأمريكيين بأن السلام كان هشًا للغاية لدرجة أنه يتطلب اهتمامًا ومكافآت مستمرة 1.3 -مليار دولار سنويًا على شكل مساعدات. وفي الحقيقة، لم يكن للجيش المصري جيران معاديون، أو أعداء معروفون.

والآن أصبح حراس السلام المفترضون، الجنرالات، يسيطرون بشكل مباشر على الحكومة، وكانوا يقومون بعمل رديء في حماية أمن إسرائيل. ومن دون أي مطالبة، أطلقوا سراح أكثر من ثمانمائة من المتشددين الإسلاميين المدانين من السجن. وقد سُجن بعضهم بتهمة اغتيال الرئيس أنور السادات عام 1981لأنه صنع السلام. وفي خمس مناسبات منفصلة خلال الأشهر الستة التي تلت الإطاحة بمبارك، فجر مهاجمون مجهولون خطوط الأنابيب التي تنقل الغاز الطبيعي المصري إلى إسرائيل دون اعتقالات أو انتقام. ونفذ متشددون إسلاميون متمركزون في شمال سيناء سلسلة من الهجمات الوقحة عبر الحدود، بما في ذلك هجوم أسفر عن مقتل ثمانية إسرائيليين. (وكان ذلك بمثابة بداية المطاردة التي انتهت بمقتل ضباط الأمن المصريين عن طريق الخطأ).

كان الحكم العسكري المباشر في القاهرة بمثابة كارثة بالنسبة لإسرائيل.

لكن القدس لم ترَ خطراً إلا إذا حصل الجنرالات على المزيد من السلطة، مقتنعين بأن البديل للحكم العسكري في القاهرة سيكون أسوأ بكثير. ويبدو أن الكثيرين في واشنطن يوافقون على ذلك. وحتى بعد رد طنطاوي المماطلة على اقتحام السفارة الإسرائيلية،

ولم يكن لدى بانيتا سوى أشياء طيبة ليقولها عن وزير الدفاع المصري. قال لي بانيتا لاحقاً: "هذا ما أعجبني في الرجل".
"عادة، إذا أعطى كلمته عن شيء ما، فقد فعل ذلك." ولا يزال بإمكان الجنرالات الاعتماد على واشنطن.

5
السيدة الأولى وحمالة الصدر الزرقاء

8مارس 20 – 2011ديسمبر 2011

ت

بعد ثلاثة أسابيع من خروج مبارك، في 8مارس ،2011أحضرت لورا ابننا توماس البالغ من العمر خمس سنوات إلى ميدان التحرير للمشاركة في مظاهرة بمناسبة يوم المرأة العالمي. أحضرت صديقة لورا جوانا ابنتها البالغة من العمر ست سنوات. وركبت جميعهن عربة القطار المخصصة للنساء فقط في مترو أنفاق القاهرة، وهو إجراء عادي للحماية من التحرش أو التحرش. وعندما خرجوا، حملت الأم الأطفال على أكتافهم. توماس وصديقه أمسكوا أيديهم في الهواء.

كان الحشد أقل مما توقعت لورا، بضع عشرات في الغالب
المرأة الغربية. جاء مدرسون ألمان ومصريون من مدرسة أبنائنا التمهيدية ومعهم منشورات لتوزيعها. ونظمت مجموعة من المتظاهرين الآخرين اعتصامًا منفصلاً عبر الميدان للمطالبة بإنهاء الأحكام العرفية. بدا كل شيء سعيدًا بما فيه الكفاية. وجلس الطفلان على أكتاف أمهما، وقاما بتوزيع المنشورات.

"من أين أنت؟" رجل غاضب تحدى لورا. وسمعت طفلاً يبكي. قام رجل آخر بتمزيق المنشورات من يدي ابنة جوانا وكان يمزقها في وجهها.

تجمعت حولها عصابة من الرجال الصراخين. لقد بدوا وكأنهم رجال حي، وليسوا حمقى أو إسلاميين. "الشعب يريد إسقاط النساء!" ردد الرجال باللغة العربية. "العودة إلى المطبخ!"

هربت لورا وجوانا مع الأطفال. النساء اللواتي بقين لفترة أطول تعرضن للمس والاعتداء. لا الشرطة ولا

"الثوار" الذين كانوا يحتجون على الأحكام العرفية فعلوا أي شيء لوقف ذلك.

أصبحت مسألة ما تعنيه الإطاحة بمبارك بالنسبة لحقوق وحريات المرأة المصرية محورا للنقاشات حول الانتفاضة، وخاصة في الغرب. تحطمت سلامة النساء في ميدان التحرير لحظة استقالته. احتفل حشد منتشي بتلك الليلة بالضرب على لارا لوغان، مراسلة تلفزيون سي بي إس. والآن وقع الهجوم على مظاهرة يوم المرأة العالمي في وضح النهار، وسط حشد متفرق وعلى مرأى من الجميع. لقد أخبرتني لورا دائمًا أن دفع عربة الأطفال يحميها من التحرش في الشارع. لكن هؤلاء الرجال كانوا يلاحقون حتى الأمهات اللاتي لديهن أطفال.

اتخذ السؤال بعدا أقبح في الليلة التالية، مارس/آذار
.9تحرك جنود يرتدون معدات مكافحة الشغب لتطهير آخر المتظاهرين المعترضين على الأحكام العرفية، والذين بدأوا اعتصامًا صغيرًا.

هدم الجنود الخيام، وضربوا المتظاهرين بالهراوات، واعتقلوا ما يقرب من مائتي شخص، بما في ذلك مجموعة صغيرة من النساء. واحتجز الجيش أسراه في المتحف المصري، حيث قام الجنود بصعقهم بالعصي الكهربائية. ثم نقلت شاحنة النساء إلى قاعدة عسكرية. هل أنت عذراء؟ سأل الجنود كل واحدة من النساء.

كان السؤال أسوأ من الإذلال. يمكن للتجربة الجنسية
تعني الوصمة الاجتماعية، أو العزلة عن الأسرة والأقران، أو الحرمان من الزواج في الثقافة الأبوية المصرية.
وكان الاستجواب مجرد البداية. أُجبرت كل واحدة من النساء السبع اللاتي أجبن بنعم على العذرية على الخضوع لفحص غشاء بكارتها من قبل طبيب عسكري ذكر. ووقف الجنود للحراسة، والتقطوا الصور، بحسب النساء.
تم إطلاق سراح النساء بعد بضعة أيام، لكن لم يجرؤ أحد على التحدث عن محنتهن.

إن العار الذي يتعرضون له قد يجعلهم منبوذين.
كان هذان اليومان من شهر مارس بمثابة إطار لسنوات من المناقشات. أنصار
تحدث الجيش أو مبارك فقط عن الهجمات التي نفذها مدنيون في يوم المرأة العالمي. ولم يتحدث
الإسلاميون ومن يصفون أنفسهم بالثوريين إلا عن اختبارات العذرية التي أجراها الجنود في الليلة التالية.

كلا الجانبين "ينظران إلى النساء على أنهن عاهرات فقط"، كما تقول مزن حسن،
أخبرتني المديرة المؤسسة لـ "نظرة للدراسات النسوية" لاحقًا،

إذا نظرنا إلى الوراء في ذلك الوقت.
لقد برزت المخاوف بشأن مصير المرأة العربية دائمًا بشكل بارز في المخاوف الغربية بشأن الثورات العربية، بما في ذلك على أعلى المستويات في الحكومة الأمريكية. "أوقفوا خسارة التقدم للأمام بالنسبة للنساء في مصر"، توسلت ميلاني فيرفير، سفيرة الولايات المتحدة المتجولة لقضايا المرأة، في إبريل/نيسان من ذلك العام في رسالة بالبريد الإلكتروني إلى صديقتها القديمة هيلاري كلينتون.

كان فرفير قلقًا بشأن إقالة السيدة الأولى سوزان مبارك، التي كانت رئيسة المجلس القومي للمرأة التابع لزوجها وكانت صديقة لكلينتون منذ سنواتها كسيدة أولى. شعرت فرفير أن سوزان مبارك كانت المصدر الحصري للتحسينات في حقوق المرأة المصرية لعقود من الزمن. لقد أصدرت قوانين تسهل على النساء المسلمات طلاق أزواجهن (رغم أن القوانين لم تساعد المسيحيين)؛ وتحديد الحد الأدنى لسن الزواج بثمانية عشر عامًا (رغم أن "خطوبة" الأطفال أو زواجهم ظل أمرًا شائعًا في الريف)؛ وتجريم أداء ما يسمى ختان الإناث (على الرغم من عدم إدانة أي شخص على الإطلاق). كما أقنعت زوجها بإصدار قرار بحد أدنى لعدد مقاعد النساء في البرلمان (الذي ملأه بالموالين).

وأكد المدافعون عن حقوق الإنسان المصريون أنهم يستحقون ذلك
ائتمان. وقالوا إن تحريضهم لفت انتباه الغرب إلى قضايا المرأة، مما ضغط على سوزان. ولكن مع عدم وجود أي حركة نسوية مرئية في مصر، أصبحت الإجراءات معروفة هناك باسم قوانين سوزان، وجادل فرفير لكلينتون بأن بعض "قادة الشباب" يعتبرون القوانين الآن "غير شرعية". الناشطات الشابات اللواتي التقت بهن فرفير في رحلة إلى القاهرة بدن ساذجات، كما أخبرتني لاحقًا.

ومع ذلك، ظل المجلس القومي للمرأة الذي أسسته السيدة مبارك، تحت قيادة صديقتها المقربة السفيرة ميرفت التلاوي، التي كانت في السابق أمينة عامة للمجلس. وكانت التلاوي، التي كانت آنذاك في الرابعة والسبعين من عمرها، من أوائل النساء اللاتي دخلن وزارة الخارجية، وأسندت إليها مهمة مرافقة السيدة الأولى في المناسبات والمؤتمرات.

وأوضحت التلاوي عندما زرت مكتبها: "في البلدان النامية -الدول العربية -لا تأتي الأمور من القاعدة الشعبية".

على الرغم من أن هذا كان مجرد نزوة ثقافية مثل تفضيل المصريين للقطط على الكلاب. وكانت ترتدي بروشًا ضخمًا مرصعًا بالذهب.
كان خاتم هاتف iPhoneالخاص بها عبارة عن مغنية تغني أغنية.
"على العكس من ذلك، فهو نهج من أعلى إلى أسفل. وتابعت: إما أن تكون ملكية أو سلطة عسكرية هي التي تحكم البلاد. لذلك في الدول العربية، "تتولى زوجة الرئيس القضايا التي تؤثر على النساء والأطفال".

ثم انطلقت التلاوي في إرث هدى شعراوي، عرابة الحركة النسوية العربية واسم مألوف في مصر كنت أعرفه بالفعل.

ولد الشعراوي عام 1879في محافظة المنيا لعائلة
كانت قوية جدًا لدرجة أن والدها كان يُعرف باسم "ملك صعيد مصر"، وتزوجت في سن الثالثة عشرة من ابن عم يبلغ عمرها ثلاثة أضعاف عمرها. لقد ساعدها في ضمها إلى دائرة النخبة السياسية المصرية التي كانت تتحدى الحكم الاستعماري البريطاني. بعد الحرب العالمية الأولى، نظمت الشعراوي النساء للتظاهر من أجل الاستقلال. سافرت إلى أوروبا. التقت مع النسويات الغربيات. وفي عام ،1923بعد عودتها من مؤتمر في روما والحصول على موافقة صهرها، أذهلت العالم العربي بنزولها من قطار في القاهرة دون حجاب وجهها.

أسست منظمة للأثرياء والمرتبطين سياسياً
النساء اللاتي أطلقن على أنفسهن اسم الاتحاد النسائي المصري. أقنعت فاعلي الخير والخديوي بتوسيع نطاق التعليم للنساء والفتيات، وجادلت، دون جدوى، ضد القوانين التي تسمح بتعدد الزوجات وتقييد الطلاق. لكنها لم تسعى قط إلى الحصول على حقوق التصويت للمرأة، أو السلطة السياسية، أو المشاركة في البرلمان. لقد كانت نخبوية، مؤيدة للغرب، وقومية مؤيدة للحكومة بشكل كامل. تم الاحتفال بها لعقود من الزمن على لافتات الشوارع والكتب المدرسية في جميع أنحاء مصر.

ولم تذكر التلاوي ولا الكتب المدرسية أيقونة النسوية العربية البديلة، درية شفيق. ولد شفيق عام 1908 لعائلة من الطبقة المتوسطة في دلتا النيل، وكسر جميع أنواع القواعد. وفي عام ،1935أصبحت أول مصرية مسلمة تشارك في مسابقة ملكة جمال، "وخاطرت بسمعتي"، كما كتبت لاحقًا، وحصلت على المركز الثاني في المسابقة لتمثيل مصر. حصلت على منحة لدراسة الفلسفة في جامعة السوربون. لبعض الوقت أصبحت ربيبة لـ

شعراوي المحجبة -إلى أن منعت شعراوي ودائرتها الأرستقراطية شفيق من الانضمام إلى اتحاد النخبة النسائي، بسبب خلفيتها من الطبقة المتوسطة على ما يبدو.

أسست شفيق منظمتها الشعبية الخاصة، وهي منظمة
ابنة اتحاد النيل، والتي ركزت على التعليم والتواصل مع النساء الفقيرات اللاتي عملن مدبرة منزل أو ممرضات أو عاملات يدويات. نشرت مجلة. لقد أنشأت خططًا ذات منفعة متبادلة مثل وكالة توظيف تديرها النساء لنساء أخريات. والأهم من ذلك كله أنها استخدمت العمل الجماعي للمطالبة بدور أكبر للمرأة في الحياة العامة.

وكتبت شفيق: "لن يسلم المرأة الحرية إلا المرأة نفسها". "قررت أن أقاتل حتى آخر قطرة دم لكسر القيود التي تكبل نساء بلدي".

وفي 19فبراير ،1951عشية انقلاب عبد الناصر، اقتحم شفيق جلسة مغلقة للبرلمان المكون من الرجال فقط على رأس جيش قوامه ألف وخمسمائة امرأة. وسيطروا على السلطة لمدة أربع ساعات للمطالبة بتغيير القوانين المتعلقة بتعدد الزوجات والطلاق، والمشاركة السياسية للمرأة، والمساواة في الأجر مقابل العمل المتساوي.

خلال انتفاضة عام 1952ضد البريطانيين، قادت ميليشيا نسائية ترتدي الزي الرسمي لإغلاق بنك باركليز في القاهرة. وبعد ذلك بعامين، أضرب شفيق عن الطعام لمدة عشرة أيام، الأمر الذي استحوذ على الاهتمام الدولي وساعد في فوز المرأة المصرية بحق التصويت (وإن كان ذلك في عهد عبد الناصر، في استفتاءات لا معنى لها).

فإذا كان الشعراوي يسلم صدقة من فوق، فإن شفيق يقدم مطالب من أسفل، وعبد الناصر، مثل أي رجل قوي، لا يوافق.

وعندما استنكرت "ديكتاتوريته" عام ،1957وضع عبد الناصر شفيق تحت الإقامة الجبرية، وأغلق مجلتها ونقابتها، وحظر اسمها من وسائل الإعلام وكتب التاريخ المدرسية. وفي عام ،1975ألقت شفيق بنفسها من الشرفة حتى وفاتها. خارج الأوساط النسوية المصرية، كانت منسية تمامًا.

وبعد ذلك، كانت الحركة النسائية الوحيدة تقريبًا في مصر
نسوية السيدة الأولى –نسوية جيهان السادات وسوزان مبارك والمجلس القومي للمرأة. منعت الحكومة المصرية فعليًا حتى وكالات الأمم المتحدة من العمل في مصر إذا لم تعمل من خلال مجلس السيدة الأولى. والآن يبدو أن الإطاحة بمبارك تهدد كل ذلك.

لقد أدت التغيرات الاقتصادية منذ فترة طويلة إلى قلب العديد من الأعراف المتعلقة بالجنسين رأساً على عقب وقت وصولي عام 2010. خمسة وسبعون بالمائة من النساء يعملن خارج المنزل. يمكن أن تكون النساء في النخبة الصغيرة طبيبات، أو محاميات، أو اقتصاديات، أو رائدات أعمال، أو أي شيء تقريبًا؛ عادة ما تعمل نساء الطبقة العاملة خارج الكتب في التدبير المنزلي أو الزراعة أو البيع بالتجزئة أو العمل الوضيع. وكانت النساء المعيل الرئيسي لـ 30% من الأسر المصرية. كن مطلقات، أو كان أزواجهن يعملون في الخارج أو عاطلين عن العمل.

(افترض البعض أن قلق الذكور بشأن تقدم المرأة ساهم في التحرش، وإلقاء اللوم على النساء في تحقيق التقدم).
لم تفعل قوانين سوزان الكثير لتغيير الثقافة الأبوية. وفي عام 2011، كانت احتمالات الأمية بين النساء أكثر من الرجال بأكثر من الضعف (إجمالي واحد من كل أربعة مصريين لا يستطيع القراءة أو الكتابة). وفي ذلك العام أيضًا، وفي ظل الحكم العسكري، انتقد رئيس محكمة الأسرة المصرية علنًا قوانين سوزان: وذكرت الصحيفة الحكومية الرائدة أن القاضي اشتكى من أن القوانين تتعارض مع القرآن والشريعة. وكان هذا هو القاضي محمد عزت الشاذلي، الذي عينه مبارك عام 2004 خصيصًا لدعم تلك القوانين. وفي حين أن الطلاق حق مطلق للرجال، قال القاضي، فإنه لا ينبغي أن يمنح للمرأة إلا بموافقة زوجها.

كانت قوانين سوزان تحكم المسلمين فقط، ولم تفعل شيئًا للزوجات المسيحيات من أزواجهن المسيئين. قال التلاوي وهو يتنهد: "الأمر حساس للغاية". "يجب أن يوافق البابا، وإلا فإن الحكومة ستضع نفسها ضد الكنيسة وهذا غير مستحسن".

إن قانون سوزان ضد "ختان" الإناث لم يحقق شيئاً تقريباً. وفقاً لدراسة أجرتها الأمم المتحدة، فإن تسعاً من كل عشر نساء مصريات تتراوح أعمارهن بين الخامسة عشرة والتاسعة والأربعين تعرضن لتشويه أعضائهن التناسلية. وشمل ذلك ثمانية من كل عشرة فتيات تتراوح أعمارهن بين العشرين والرابعة والعشرين، وسبع من كل عشر فتيات تتراوح أعمارهن بين الخامسة عشرة والتاسعة عشرة. وكان الأمر شائعًا تقريبًا بين النساء المسيحيات في مصر - حيث أصاب ثلاثة من كل أربعة - كما كان شائعًا بين المسلمين. (وهو أكثر شيوعا بين المسيحيين منه بين المسلمين في أجزاء من أفريقيا، ولكنه غائب في بعض البلدان ذات الأغلبية المسلمة).

وأظهرت الحكومة أن 59في المائة من الرجال و45 في المائة من النساء يؤيدون هذه الممارسة.

يبدو أن الكثيرين يصفونها، بشكل خاطئ، بأنها مسألة صحية و
صحة. أخبرني أن هذا هو السبب وراء ختان سائقنا لبناته. قامت الصحفية المصرية التي تعمل معي في التايمز، مي الشيخ، بتغطية ندوة حول استشارات الزواج برعاية منظمة غير ربحية تابعة لجماعة الإخوان المسلمين.

عارضت قيادة الإخوان هذه الممارسة رسميًا، لكن "الخبير" المسؤول عن الندوة طلب من الفصل استشارة طبيب حول الحاجة المحتملة. وقال إنه في بعض الأحيان كان البظر كبيرًا جدًا، مثل الزائدة الدودية الملتهبة.

ما الحل الذي اقترحه التلاوي عضو المجلس الوطني؟
عقوبات أشد. قالت: "موقف حازم". "يجب عليهم أن يفعلوا ذلك بشأن كل شيء آخر -المواقف، والسلوك، والأخطاء، في القيادة، في استخدام الكلمات، وفي جميع القضايا الاجتماعية."

ما رأيها في اختبارات العذرية؟ التلاوي قدم الأعذار
للجنود. "لقد اكتشفنا أن هذا الاختبار كان شيئًا قديمًا. لقد كانت قاعدة ثابتة منذ زمن طويل، منذ عهد الملك فاروق. و لماذا؟
لأنهم يعتقدون أن هذه حماية ضد أي امرأة قد تقول إنها تعرضت للاغتصاب من قبل Xأو Yفي الجيش.

ألا تستطيع امرأة لم تعد عذراء أن تدعي أنها كانت كذلك
اغتصبت؟ سألت ، لا تصدق. قال التلاوي بسرعة: بالطبع، لكن مصر مختلفة عن الولايات المتحدة. في مصر، "إذا كانت بطاقة هويتك تقول أنك آنسة، أو أنيسة، فهذا يعني تلقائياً أنك عذراء. . . ."لقد شعرت بالحرج الشديد من الضغط على السؤال.

قبل وقت قصير من وصولي إلى مصر، تحدثت صحفية إذاعية هولندية
بثت ترجمة لإعلان باللغة العربية عن "غشاء البكارة المزيف" يستهدف العرائس اللاتي يسعين إلى التظاهر بالعذرية في ليالي زفافهن. وأصيبت وسائل الإعلام المصرية بالصدمة.

وناقش برلمان مبارك الحظر، وخلص علماء الدين في معهد الأزهر الذي ترعاه الدولة إلى أن الأجهزة كانت خادعة إجرامياً. وقالوا إن قوانين الاحتيال التجاري تحظر بالفعل غشاء البكارة المزيف. الحيلة خدعت العرسان.

تساءلت عما إذا كان غشاء البكارة المزيف لا يزال موجودًا بعد الفضيحة، لذلك ذهبت أنا وصديقة مصرية في رحلة صيد. أخبرتني أن الأجهزة وصلت من الصين وأن الصيادلة اشتراها من منطقة الإمدادات الطبية، وهي عبارة عن أزقة ضيقة وقذرة متفرعة من شارع قصر العيني بالقرب من كلية الطب بجامعة القاهرة. وتجمع الغبار في صفوف من الكراسي المتحركة، والنقالات، وأجهزة المشي خارج واجهات المتاجر المزدحمة بأجهزة مراقبة نسبة السكر في الدم، والسماعات الطبية، والمشابك الجراحية. ومع ذلك، كان يوجد في زوايا بعض النوافذ "أجهزة تدليك للظهر" كهربائية محمولة باليد -غالبًا ما تكون طويلة وضيقة ووردية اللون (ولكن لم يتم تصنيفها مطلقًا على أنها هزازات).

كان الجميع بلا مبالاة كما لو كنا نسأل عن أطقم الأسنان. "اذهب واسأل مينا. يمكنه مساعدتك!" أخبرتنا عميلة في منتصف العمر ترتدي الحجاب عندما سمعت سؤالنا في RFA Medica. ولكن إذا كنت أنا -رجل أجنبي -هو من يقوم بالسؤال، فإن أصحاب المتاجر كانوا قد بيعوا جميعًا في تلك اللحظة. اقترح كل منهم متجرًا آخر في الشارع.

لذلك، في متجر مستلزمات طبية يُدعى النور، تركني صديقي في الخارج. كان يتم تشغيل تسجيل لتلاوة القرآن الكريم في الخلفية، وضحكت موظفة المتجر قليلاً. لكنها اتصلت بسعادة بصاحب المتجر.

"هل أنت مريض أم طبيب؟" -سأل صاحب المتجر. هل كانت بحاجة إلى نصيحة بشأن استخدام غشاء البكارة الجديد؟ عرض إحالة إلى طبيب يمكنه المساعدة. أو ربما ترغب صديقتي في الحصول على صندوق كبير يحتوي على العديد من غشاء البكارة، لإعادة بيعها لأصدقائها، مثل تابروير؟

لقد دفعنا ما يعادل خمسين دولارًا للواحدة؛ علمت لاحقًا أن السعر الجاري كان حوالي عشرة دولارات. لقد جاءت في علبة رقائق عاكسة بحجم بطاقة اللعب. كان بداخله مستطيل صغير من البلاستيك الشفاف مملوء بصبغة حمراء، لإدخاله في المهبل قبل الجماع. من الناحية المثالية، سوف تنفجر بعد الإيلاج لمحاكاة النزيف. يجب على العروس تجنب الأنشطة الشاقة الأخرى –مثل الجري أو الرقص –لتجنب التمزق المبكر.

وذهبت بعض العرائس إلى أبعد من ذلك. "ترميم غشاء البكارة" الذي يؤديه
أطباء أمراض النساء، يمكن أن يستلزم خياطة أجزاء من غشاء البكارة، أو تمزيق الجزء الداخلي من فتحة المهبل للحث على النزيف. وأوضح أحد أطباء أمراض النساء أن "التمزق مؤلم ويمكن أن يؤدي إلى العدوى". "يستغرق التعافي منه ما يصل إلى أسبوع ويتم ذلك عادة قبل يوم واحد من حفل الزفاف. لن نفعل ذلك إلا

النساء اللاتي –لا أعرف كيف أقول هذا –يفعلن ذلك لفترة طويلة. . . ."وقال الطبيب النسائي إن السعر تراوح بين نحو مائتي دولار إلى نحو ثمانمائة دولار، بحسب مدى ثراء الحي أو مدى ثراء المريضة.

سر العذرية: هل يجهل الكثير من المصريين أن ليس كل العذارى ينزفن، أو أن غشاء البكارة ينفجر دون ممارسة الجنس؟ سمعت قصصًا مؤلمة عن جهل ليلة الزفاف (بين المسلمين والمسيحيين على حدٍ سواء). ومع ذلك، فإن الطلب المستمر على افتراءات العذرية يشهد على مستوى من النشاط يتحدى الحكمة العامة.

"الجنس في العالم العربي هو عكس الرياضة" شيرين الفقي
أخبرني ذات مرة مصري بريطاني كتب كتابًا عن هذا الموضوع.
"الجميع يتحدث عن الرياضة ولكن لا أحد يلعب. الجنس هو العكس."
بحثت الفقي في العديد من محلات بيع الملابس الداخلية في وسط القاهرة والتي لم أجرؤ على دخولها أبدًا.
"على الرغم من أن واجهات العرض مثيرة، إلا أن ضخامة المخزون في الداخل تخطف الأنفاس. مجرد كلمات لا يمكن أن تنصف الخيال المحموم الذي من شأنه أن يخلق سيورًا مزينة بعقارب بلاستيكية أو حمالة صدر مزينة بزهور الأقحوان تعزف نسخة صغيرة من "Old MacDonald Had a Farm"عند الاتصال، "كتبت في كتابها الجنس والقلعة. .

وكانت حكومة مبارك تسيطر على كافة استطلاعات الرأي العام
والأسئلة الجنسية الخاضعة للرقابة. ولكن في الدراسات الاستقصائية التي أجريت في البلدان الناطقة بالعربية خارج الخليج العربي، أفاد أكثر من ثلث الشباب -وأحيانا أكثر من ذلك بكثير -أنهم كانوا نشطين جنسيا قبل الزواج، وغالبا مع أكثر من شريك واحد. لكن أقل من خمس الشابات قلن إنهن كن نشيطات على الإطلاق. إما أن بعض النساء كن مشغولات للغاية، أو أن بعض المشاركين كانوا يكذبون.

وبطبيعة الحال، كانت العادات الجنسية العربية تبهر الغربيين دائمًا، بما فيهم أنا. كانت النساء يرتدين العباءات السوداء والنقابات التي تشبه الخيام، ينزلقن في الشوارع في أديرة صغيرة من الخصوصية مثل السلاحف في أصدافها. لكن الشابات اللاتي كن يتسكعن على طول نهر النيل تمكنن من اتباع قواعد الاحتشام الإسلامية حرفيًا ولكن بدون روح. غطوا شعرهم وأذرعهم. لكنهن ارتدين حجابًا ملفتًا للنظر باللون الفوشيا أو طبعات هيرميس، وقمصانًا طويلة الأكمام مشدودة على صدورهن. كانوا يتأرجحون في الجينز الضيق والكعب العالي. يمكن للمرء أن يرمي رأسه إلى الوراء في ضحك في دائرة من الشباب، أو يتجول على طول الرصيف كنصف زوجين.

كانت النوادي الليلية للرقص الشرقي بالقرب من الأهرامات العظيمة مخصصة للرجال حصريًا، لكن أداء الراقصة الشرقية كان أيضًا أمرًا ضروريًا في حفلات الزفاف الراقية، وحتى حفلات الزفاف حيث تغطي جميع الضيوف شعرهن. كانت الدعارة في الشوارع في القاهرة غير قانونية ولكنها شائعة، وكانت هناك أيضًا "زيجات صيفية". كانت تلك علاقات مؤقتة بين النساء المصريات الفقيرات وآباء السكر في الخليج الفارسي. ودفع «العريس» مهراً لـ«العروس»، على أن يطلقها في نهاية إجازته.

وفي مرحلة ما، أثناء إقامتي في مصر، قام وزير العدل في حكومة علمانية بتدوين هذه الممارسة. وطلب من أي رجل غير مصري يتزوج امرأة مصرية تصغره بخمسة وعشرين عامًا أن يدفع وديعة قدرها سبعة آلاف دولار في حساب العروس، وذلك لتوفير "عرائس الصيف" المتبقيات.

قبل عقد من وصولي، كان فيلم مصري الصنع بعنوان "فيلم ثقافي" يتبع رحلة ثلاثة طلاب طب يبحثون عن جهاز فيديو وبعض الخصوصية لمشاهدة شريط فيديو إباحي يظهر فيه سلمى حايك. لقد حاولوا أخيرًا عرضه في أحد المساجد، وكان الأمر مخيبًا للآمال كما كان متوقعًا. لكن الفيلم الثقافي حقق نجاحا كبيرا: فحتى المصريون المتحفظون ضحكوا من النفاق البهيج الذي تتسم به ثقافتهم.

في بعض الأحيان سمعت الغربيين يعزو التشدد الجهادي إلى الإحباط الجنسي. وقيل إن الرغبة في الاستشهاد مستمدة من آية قرآنية وعدت العذارى في الآخرة. وقد عادت هذه الفكرة إلى الظهور في كثير من الأحيان في الغرب منذ الهجمات الإرهابية في عام 2001، حتى أن أحد الباحثين المشكوك فيهم أطلق عليها اسم "نظرية الكرات الزرقاء للإرهاب".

إنه "يقلل من السلوك السياسي للشعوب غير الغربية إلى درجة
وخلص الباحث جيلبرت كالويا من جامعة ملبورن إلى طقوس التزاوج المتقنة.

"النظرية" سخيفة بالطبع. توالت الأصدقاء المصريين بهم
وذكّرتني بالصور النمطية الغربية الأسطورية القديمة قدم الاستعمار: كان الذكر العربي المفرط في الجنس والحيوان نتيجة طبيعية للأنثى العربية العاجزة التي تحتاج إلى الإنقاذ الغربي.

وبعد بعض الجهد، تعقبت شخصًا وصف نفسه بأنه جهادي سابق هاجر إلى الولايات المتحدة وأصر الآن على أنه في شبابه في القاهرة كان قد انجذب إلى العنف عن طريق الجنس.

إحباط. "متلازمة الحرمان من الجنس"، كما أطلق عليها توفيق حامد، الذي عانى منها ذات يوم.

"لقد قرأت هذا الوصف الحسي للغاية للجنة، وأنت كذلك
قال لي وهو جالس في شقته في ماناساس بولاية فيرجينيا: "أنا على استعداد للموت في سبيل الله فقط من أجل ممارسة الجنس في الجنة".
في الحقيقة، لم يقترب قط من الموت من أجل أي شيء. لقد كان ينتمي لفترة وجيزة فقط إلى حركة طلابية إسلامية غير عنيفة في القاهرة. والآن أصبح يكسب روايته المستمرة في إخبار مراكز الأبحاث والمؤتمرات والجهات المانحة المحافظة عن نظريته المثيرة للجهاد الإسلامي.

أدت دعوة إلى واشنطن بعد 11سبتمبر ،2001من أحد الموظفين المحافظين في مجلس الشيوخ، إلى قيام حامد بنشر مقالات افتتاحية في صحيفة وول ستريت جورنال (كان عنوان "مشكلة الإسلام" أحد عناوينها) والاجتماع مع جون نيغروبونتي، مدير المجلة الوطنية. المخابرات في عهد جورج دبليو بوش. أظهر لي حامد رسالة بريد إلكتروني من أنتوني بلينكن، وهو مسؤول كبير في إدارة أوباما، يشكره على الاجتماع ويقدمه إلى مسؤول كبير في وزارة الخارجية. لقد ذهب حامد إلى حد كبير في التلاعب بالصور النمطية الغربية حول المسلمين والجنس والجنس. واعتقدت معظم الناشطات النسويات اللاتي التقيت بهن في مصر أن هذه الصور النمطية غذت المخاوف الغربية بشأن فقدان سوزان مبارك أيضًا.

...

F لم تنتقد الناشطات النسويات "السيدة الأولى" أبدًا الجيش، أو الشرطة، أو وكالات الاستخبارات، أو الجنرالات، أو الرئيس. ولكن هذه
استفادت السلطات جميعًا من الوصمات الثقافية المحيطة بالحياة الجنسية للمرأة. وقامت الشرطة بتعذيب الإسلاميين من خلال التطفل على زوجاتهم وبناتهم في مداهمات لمنازلهم. وتجسست وكالات الاستخبارات المحلية على السياسيات أو المدافعات عن حقوق الإنسان، ثم استخدمت المعلومات المتعلقة بحياتهن الشخصية للابتزاز. أو كانوا يتطفلون على قريبات أهدافهم: صور ابنة البرادعي وهي ترتدي ثوب السباحة كانت مثالاً لطيفاً.

وفي المظاهرات في الشوارع، يمكن للجنود والشرطة والبلطجية الاعتداء على الناشطات مع الإفلات من العقاب. أي امرأة تشتكي سينتهي بها الأمر بتحمل اللوم. لماذا كشفت

نفسها هكذا؟ أين كان والدها أو زوجها أو شقيقها؟ ومن سيتزوجها الآن؟

أخبرتني الناشطات عدة مرات عن قضية نوال علي، الصحفية في الأربعينيات من عمرها والتي تصادف أنها كانت تسير بالقرب من مظاهرة في وسط القاهرة في عام 2005. وكان العشرات من رجال شرطة مكافحة الشغب يراقبون بصمت بينما كان بلطجية يرتدون ملابس مدنية يهاجمون ويتلمسون أجسادهم ويتحرشون بهم. جردوا من ملابسهم وأساءوا معاملة النساء في الحشد، بما في ذلك علي. وعلى عكس الآخرين، قام علي بتوجيه الاتهامات.

الدولة أغلقت الصفوف. ولم يتمكن المدعي العام من العثور على شهود أو
شهادة. وقد شوهتها الصحف الحكومية وحلفاؤها في وسائل الإعلام الخاصة ووصفتها بأنها امرأة فضفاضة. وزعم البعض أنها مزقت ملابسها في مخطط لتشويه سمعة الشرطة. طلقها زوجها. ولم يذكرها المجلس الوطني للمرأة قط.

بعد أربع سنوات من الهجوم –قبل عامين من الانتفاضة –ماتت في خزي وإخفاء هويتها.

"أخبر والدها" أغنية شعبية مصرية قديمة تعكس تلك الثقافة الأبوية. وقالت قصة حفل زفاف. "أخبر والدها أن يستريح إذا كان قلقًا. إنها قفل باب مغلق بإحكام وقد وصل المفتاح إليه. "أخبر والدها أن يتناول العشاء إذا كان جائعاً. اذهب إلى بيتك يا أبي، لقد بلّل الدم الملاءات».

مزن حسن لم تحب الأغنية أبدًا. بعد الإطاحة بمبارك..
رأت حسن ونظرة للدراسات النسوية فرصة لنوع مختلف من الحركة النسوية الشعبية من القاعدة إلى القمة، غير المقيدة بالقيود التي فرضتها حكومة مبارك على جمع الأموال أو التجمع، أو بالحاجة إلى تنسيق المشاريع النسائية من خلال المجلس الوطني. بدأت بتنظيم فعاليات ثقافية جديدة، بما في ذلك العروض الموسيقية الارتجالية التي أنتجت أغانٍ جديدة من قصص النساء في الجمهور.

ومن الأغاني التي ظهرت أيضاً كانت تسمى "أخبر والدها":

قل لأبيها: ابك على المصيبة
لقد كسرتها يديك وانسكبت دموعها على الملاءات

أخبر والدها أنهم خدعوك

ليس شرفها بين رجليها ولكن لا يقولون

الذي -التي

قل لأبيها: إنها ليست سلعة للبيع
ذبحوا وكان النحيب علنا
أخبر والدها أن يستريح إذا كان قلقًا
هي ليست قفل باب ينتظر المفتاح
أخبر والدها أن الفتيات يتألمن
يحملون آلامهم، ويرفعون رؤوسهم

عالي.

تم تسجيلها في النهاية من قبل فرقة روك مكونة من أربع نساء، بنت ال.
"مساروة" -الفتاة المصرية -التي نشأت أيضًا من عروض نظرة. وسرعان ما كانت الفرقة تبيع عروضها في معرض فني بالقاهرة. أصدرت الفتاة المصرية في النهاية ألبومًا تجاريًا يضم أغاني عن العذرية والتحرش وغطاء الرأس ومواضيع أخرى متعلقة بالجنس. قال لي حسن فيما بعد: "إنهم لطيفون للغاية".

بلغت حسن الثانية والثلاثين عام .2011وقد نشأت في المملكة العربية السعودية بينما كان والدها يعمل مديرًا للجامعة هناك.
لكنها أصرت على أن طفولتها في المملكة لم يكن لها علاقة بالنسوية بقدر ما كانت بسبب مشاهدة التمييز الذي واجهته والدتها كأستاذة لعلم الآثار في جامعة الإسكندرية. احتفظ حسن بالسيرة الذاتية لدرية شفيق باللغة الإنجليزية في مكان بارز في شقتها بالزمالك. وبعد ثمانية عشر يومًا من الاحتجاجات التي أطاحت بمبارك، رأت مزن والنساء في نظرة فرصتهن لإحياء إرث شفيق.

قال حسن: "كنا مهووسين بفكرة الحركة".

أنا.

كان حسن ونظرة على النقيض من نسوية السيدة الأولى.
لقد ركزوا أكثر من أي شيء آخر على توسيع المساحة العامة للتنظيم الشعبي. بدأوا بعقد دورات تدريبية لعشرات "المدافعات عن حقوق الإنسان للمرأة"، لتقديم الخدمات القانونية للناشطات وكذلك تسجيل محنتهن وانتصاراتهن.

لقد أعلنوا عن خط هاتفي ساخن وطني للنساء المحتاجات للوصول إليهم.

وقالت: "كان البعض يضحكون علينا". "لقد كانوا يمزحون أننا
يبحثون عن كل قطة ضالة في الشارع ليطلقوا عليها اسم المدافعة عن حقوق الإنسان. وقال آخرون: "إنهم مجرد نسويات
مجنونات"، ويجب أن يكون لدينا جميعًا نفس القضية".

قاموا بجمع قصص النساء اللاتي عانين من سوء المعاملة في
أيدي الشرطة، أو تعرضوا للإيذاء من قبل عائلاتهم بعد إطلاق سراحهم. لقد ساعدوا في تعزيز الجماعات الشعبية مثل عملية مكافحة التحرش الجنسي، التي دربت الرجال والنساء على حراسة ميدان التحرير وغيره من الأماكن العامة، لمكافحة الترهيب الجنسي حتى بين من يصفون أنفسهم بـ "الثوار".

عندما اشتكت امرأة تبلغ من العمر 23عامًا تدعى ميرنا توماس من أن الرجال يهيمنون على مشهد الجرافيتي، ساعدتها نظرة في تنظيم ندوات وتصميم استنسل لإدخال الفنانات في اللعبة. وقاموا برش شعارات مثل "النساء متساويات مع الرجال" في جميع أنحاء القاهرة والمدن الأخرى، إلى جانب صور الكتابة على الجدران لنساء بارزات من التاريخ المصري -النسويات، ومنظمي العمال، والفنانات، والكاتبات، وما إلى ذلك.

قدمت نظرة عروضاً مسرحية نسائية حول مواضيع مثل الذكورة أو العنف الجنسي. وقد جلبت "المدرسة النسوية الشابة" التابعة لها خمسة وأربعين امرأة وخمسة عشر رجلاً تحت سن الثلاثين من المحافظات إلى القاهرة لمدة خمسة عشر يومًا للتدريب في موضوعات مثل المرأة في السياسة، والنساء في تنظيم العمل، والنساء في الفنون، والعنف ضد المرأة. تم طرد عدد قليل فقط من الرجال بسبب ضرب النساء.

وقام برنامج "كوادر" بتدريب النساء على بناء الأحزاب. وقد زودت "أكاديمية التمثيل السياسي" ستة عشر مرشحة من أي فصيل (غير إسلامي) بالتدريب والمساعدة التكتيكية في خطوات مثل جمع التوقيعات، وصياغة البرنامج، وإلقاء الخطب العامة. وكانت برامجهم مختلفة عن مبادرات تعزيز الديمقراطية التي رعتها الحكومة الأمريكية. وقد أحصى هؤلاء عدد مئات أو آلاف المرشحين الذين نقلوهم من خلال مؤتمرات تدريبية استمرت لمدة يومين. وتمسكت "النظرة" بمرشحاتها الستة عشر منذ التسجيل وحتى التصويت. وعندما تحقق الوعد بإجراء انتخابات برلمانية أخيرًا -في وقت لاحق، في عام - 2012أصبحت إحدى خريجات "النظرة"، سناء السعيد من أسيوط، المرأة الوحيدة التي فازت بمقعد لم يأتِ من الأحزاب الإسلامية أو المجلس التشريعي السابق لمبارك. . (من 23

مليون امرأة يحق لها التصويت، وأدلى حوالي خمسمائة ألف بأصواتها، ومن بين ما يقرب من ألف مرشحة، فازت تسع فقط بمقاعد في المجلس. وكانت خمس من النساء التسعة من النساء الإسلاميات. ولكن هذا لم يأت بعد.)

لم يكن حسن ونظرة معروفين جيدًا في مصر. لكنها مثلت تغييرا جذريا: ولادة حركة نسائية مستقلة من جديد، وهي الأولى منذ أغلق عبد الناصر اتحاد ابنة النيل الذي أسسته درية شفيق. وأنشأت "نظرة" مجموعات فرعية مستقلة ومكتفية ذاتيا في خمس عشرة بلدة خارج القاهرة. وكانت أقمار "نظرة" الفضائية، التي تتألف في معظمها من نساء لم يسبق لهن الالتحاق بالجامعات، قد أبلغت عن انتهاكات محلية وخططت لفعاليات نسائية.

وبعضها، مثل المجموعة الموجودة في أسوان، كانت تضم ما يصل إلى خمسين عضوًا.
النقابيون، والمدافعون عن حرية التعبير، والعديد من المجموعات الأخرى
كانوا يستغلون الفرص الجديدة للتنظيم. لكن الأميركيين والأوروبيين كانوا دائما مندهشين من النساء، كما أخبرني حسن. "كان رد الفعل الغربي هو: واو، النساء في الشوارع!" ووسعت عينيها في عجب ساخر. "دوه!"

وكانت منظمة "نظرة" والمدافعات عن حقوق الإنسان التابعات لها من بين أوائل من أبلغوا عن اختبارات العذرية، وساعدوا في إقناع ثلاث من النساء بالتحدث بالاسم. إحداهن، سميرة إبراهيم، رفعت الجنرالات إلى المحكمة.

...

أنا التقت بإبراهيم في تجمع للمدافعين عن حقوق الإنسان الذين يدافعون عن قضيتها. كانت في الخامسة والعشرين من عمرها، وكانت ترتدي الحجاب الأرجواني
مطبوعة بالزهور. لم تنظر في عيني ولم تصافحني. لمست الجانب الأيسر من صدري بدلاً من ذلك، كما تعلمت أن أفعل عندما أحيي النساء المحافظات. قامت زميلتي مي الشيخ بطرح الأسئلة.

قال لنا إبراهيم: "ظللت أقول لنفسي: الناس يصابون بنوبات قلبية، لماذا لا أصاب أنا بنوبة قلبية وأموت مثلهم؟". كانت من قرية فقيرة بالقرب من سوهاج، في ريف جنوب مصر، حيث كانت تعمل في وظيفة مكتبية في إحدى شركات التسويق. ركبت هي وبعض الأصدقاء القطار لمدة تسع ساعات للانضمام إلى الاحتجاجات في القاهرة في شهر مارس من ذلك العام. كانوا يقضون الليالي في فندق رخيص،

قالت، حتى قام الجنود بإخلاء ميدان التحرير، واقتادوها إلى المتحف المصري.

وعندما عادت إلى سوهاج بعد إطلاق سراحها من الحجز العسكري، طلبت منها والدتها أن تلتزم الصمت بشأن محنتها إذا كانت ترغب في الزواج. وكانت إبراهيم خائفة حتى من إخبار والدها، وهو إسلامي يعمل كمقاول بناء.

لكن عندما كان شابا، تعرض للاعتقال والضرب من قبل الشرطة نفسه، بسبب انتمائه إلى جماعة متشددة. وتعرف على آثار الصدمات الكهربائية التي رآها على جلد ابنته.

وأضاف: "التاريخ يعيد نفسه". وأخبرته عن محنتها
ولدهشتها قال إن هذه هي الفرصة لمحاكمة الجيش ومحاسبة الجنرالات. "من أجل الحصول على حقوقي"

حدثنا ابراهيم.

رفع محامو حقوق الإنسان في القاهرة عدة دعاوى قضائية ضد
الجنود نيابة عنها. لكن وسائل الإعلام المصرية ذكرت أن مصادر عسكرية لم تسمها أصرت على أن إبراهيم قام بتلفيق الحادثة بأكملها. وكانت تتلقى مكالمات هاتفية من مجهول ليلاً تهددها بالاغتصاب أو القتل. وتساءل النقاد في وسائل الإعلام: كيف يمكن أن تتهم الجنود الوطنيين بالاعتداء الجنسي؟

ثم دافع الجنرال السيسي علناً عن اختبارات العذرية. وقال لمنظمة العفو الدولية: "لقد تم هذا الإجراء لحماية الفتيات من الاغتصاب، وكذلك لحماية الجنود والضباط من اتهامات الاغتصاب". ومن الواضح أن السيسي توقع أن يتفق العالم على أن العذارى فقط يمكن أن يقعن ضحايا للاعتداء الجنسي.

وفي الحكم الأول على ادعاءاتها، برأت محكمة عسكرية طبيب الجيش الذي قالت إنه أجرى الفحوصات. لقد كانت كلمتها ضد كلمة الجيش. وربما كانت قصتها قد اختفت هناك لولا المواجهة العلنية لامرأة أخرى مع جنود مصريين في ديسمبر/كانون الأول من ذلك العام.

خلال جولة أخرى من الاحتجاجات والاشتباكات مع الأمن
القوات المحيطة بميدان التحرير، شيء ما -ربما زجاجة مولوتوف أو عبوة غاز مسيل للدموع -أشعل النار في مكتبة كلاسيكية جديدة تضم كتبًا ومخطوطات نادرة أنشأها نابليون عام 1798 أثناء الاحتلال الفرنسي. وفر آلاف المتظاهرين بينما احتشد مئات الجنود حول المبنى المحترق.

تعثرت امرأة ترتدي عباءة تقليدية داكنة وسقطت، وحاول صديقها حسن شاهين حملها إلى بر الأمان.

وقبل أن يتمكن من ذلك، لحقت بهم مجموعة من أربعة جنود يرتدون الخوذات والأقنعة وقبضوا عليها. قاموا بجرها على طول الرصيف، ومزقوا ثوبها، ودفعوه على وجهها، فكشفوا سروالها الجينز، وجذعها، وحمالة صدرها الزرقاء الزاهية. ركلها الجنود وداسوها وضربوها بهراوة لعدة دقائق بينما كانت تتلوى نصف عارية على الأرض. ثم قاموا بسحب جسدها الخامل.

ولم يكن هذا هو الهجوم الأول من نوعه. لكن هذه المرة التقطها أحد الناشطين في فيلم. وفي غضون ساعات كانت اللقطات في كل مكان. وفي اليوم التالي، غطت صورة ثابتة لقدم جندي تنزل فوق حمالة الصدر الزرقاء الصفحة الأولى الكاملة لصحيفة مستقلة جديدة تحمل اسم الميدان، التحرير.

وفي مؤتمر صحفي متلفز، أصر اللواء عادل عمارة، من المجلس العسكري، على أن الصور تم إخراجها من سياقها. وقال: "لقد حذر المجلس الأعلى للقوات المسلحة دائماً من إساءة استخدام الحرية التي تؤدي إلى الفوضى وسقوط الدولة بدلاً من سقوط النظام"، وربما كان ذلك مكرراً عن غير قصد خط مبارك بشأن "الخط الرفيع جداً". الذي "يفصل الحرية عن الفوضى".

وقال الجنرال: “هناك خطة ممنهجة لهدم الدولة”.

وقال: “للاشتباك مع القوات المسلحة وإظهارها بصورة سيئة وغير مناسبة، واستخدام العنف ضد المتظاهرين”.

وحاولت صحافية رفع الصحيفة مع صورة الضرب. صاح بها الجنرال. "اطوي الورقة، أنا أعرف ما أتحدث عنه!" ثم بدأ جميع الصحفيين بالضغط. قال الجنرال متلعثمًا: "لا، لم أفتح الباب للأسئلة". "لم أسمح بالحديث! إذا تحدثت مرة أخرى سأطردك! . . . نحن نؤمن الدولة”.

وأخيراً رفعت صحفية أكبر سناً تعمل في وسائل الإعلام الحكومية يدها بأدب. وعرّفت عن نفسها بأنها "امرأة مصرية أولاً، ورئيسة التحرير العسكرية ثانياً". قالت بهدوء: اعتذري واستمعي، "وإلا ستكون الثورة القادمة ثورة نسائية حقيقية!"

انتظر! قال لها الجنرال وهو يفتح ملاحظة. وقال إن الجيش كان قد علم للتو بخطة جديدة لمهاجمة المباني الحكومية، فتجاوزها مباشرة.

الهجوم، بطبيعة الحال، لم يتحقق أبدا.

ألقى الكثيرون على شاشات التلفزيون أو في الصحف اللوم مرة أخرى على المرأة.

لماذا لم ترتدي القميص الداخلي؟ هل كانت تلك حمالة صدر زرقاء أم بيكيني؟

لماذا الملونة جدا؟ هل كانت عباءتها تحتوي على أزرار كبس بدلاً من الأزرار، وهل يعني ذلك أنها أرادت خلع ملابسها؟ لماذا كان الجندي في الصورة يرتدي حذاء تنس بدلاً من الحذاء؟ وأكد أحد مذيعي التلفزيون الرسمي أن "مصداقية الصورة مشكوك فيها".

ووصف الإسلاميون الصورة بأنها مؤامرة لصرف الانتباه عن الانتخابات.

"بغض النظر عما كتب عنها على الإنترنت -كيف أنها لم تكن ترتدي أي شيء تحت عباءتها، أو عن هويتها وماذا فعلت، أو عن ذلك الشخص الذي قال إنها استفزت الجنود وكانت تستلقي من أجلهم لفترة من الوقت". "ساعة واحدة –كل هذا لا يهمني"، هكذا لخص خالد عبد الله، وهو مذيع إسلامي متشدد.

«البنت ذات العباءة المفتوحة (صاحبة السنابل) قامت بأداء

كتبت لميس جابر، كاتبة سيناريو وكاتبة عمود، "عرض التعري حتى تتدفق الكاميرات على ملابسها الداخلية ويظهر جنود الجيش الفقراء كقتلة ينتهكون الشرف".

اعتقدت أنها ستنتهي مثل نوال علي، الصحفية التي تم الاعتداء عليها وفضحها في عهد مبارك. والحمد لله أن الجنود غطوا وجهها.

تم تداول دعوات على وسائل التواصل الاجتماعي من أجل مسيرة أخرى .#bluebra –لقد توقعت الفشل الذريع. ولم تجتذب أي مظاهرة نسائية أكثر من بضع عشرات من الأشخاص منذ ما قبل عبد الناصر.

الخبر الوحيد الذي توقعت نشره من هذا الحدث هو المزيد من العنف ضد النساء.

لكن عندما نزلت من السيارة في وسط المدينة، سمعت صوت هدير على بعد بنايات. لم يكن الحشد مجرد عشرات أو مئات. لقد كانوا بالآلاف، بل عشرات الآلاف. النساء من جميع الأعمار، من الرضع إلى الجدات. وكانوا متنوعين مثل المدينة: شعر غير محجب، وأوشحة للرأس تغطي الشعر فقط، وحجاب أطول يغطي الجذع، ونقابات تغطي الجميع باستثناء العينين. تم تفجير العديد منهم

صور للمرأة التي ترتدي حمالة الصدر الزرقاء تحت أحذية الجنود. وقد صنع آخرون علاماتهم الخاصة:

إذا لم تغادر منزلك اليوم لمواجهة ميليشيات

طنطاوي، سوف تغادر منزلك غدًا حتى يتمكنوا من الاغتصاب

ابنتك.

هل هي ثورة أم انقلاب؟

العار يخجل منكم أيها الجبناء.

"اسحبوني، جردوني، دماء إخوتي ستغطيني!" هتفت النساء. أو: "نعم، كانت ترتدي عباءة ذات أزرار كبس.

كيف لها أن تعرف أنك فاسدة؟»

وكان الرجال هناك أيضا. وسار البعض أمام المسيرة، حتى أنهم لوحوا بأيديهم مثل قائدي الفرق الموسيقية للنساء لكي يهتفن بصوت أعلى.

وسار آخرون جنبًا إلى جنب مثل الرعاة، لحماية المتظاهرين من أي هجوم محتمل. وكانت بعض اللافتات والهتافات أيضًا متحفظة بطريقتها الخاصة، مثل مطالبة رجال مصر بالشجاعة. لكن العدد الهائل من النساء كان هائلا.

ولم يسبق لأحد أن رأى مثل هذا في مصر.

"انزلوا"، صرخوا في الشرفات ونوافذ الطابق العلوي، وفي كل مبنى انضم المزيد والمزيد من النساء. وقف أصحاب المتاجر الذكور في المداخل، يراقبون نهر النساء يتدفق أمامهم. لقد انقلب القطاع العام والخاص رأساً على عقب.

"أين المشير؟ وهتفوا بنات مصر هنا. "يسقط الحكم العسكري!" "حرية، حرية" -"الحرية، الحرية". "كل رصاصة تقوينا."

وتعجب النشطاء الأكبر سنا. وكانت غادة الشهبندر قد تظاهرت مع نوال علي في عام 2005. وقال لي الشهبندر: "لقد ذهب جدار الخوف". "هذا هو الفارق الذي أحدثته الثورة المصرية. والآن عندما نسير من أجل الفتاة الزرقاء، فإننا نسير من أجل نوال علي.

ولم تكشف المرأة عن اسمها قط. لقد وبختني مي الشيخ لأنني وصفتها بالفتاة الزرقاء. وقالت مي إن النساء المصريات يطلقن عليها لقب سيدة البنات.

وكانت قد أثارت أكبر مظاهرة قامت بها المرأة في العصر الحديث

التاريخ العربي. وبحلول الوقت الذي عدت فيه إلى مكتبي بعد ظهر ذلك اليوم، بينما كانت المسيرة لا تزال تتزايد، كان الجنرالات قد تراجعوا

أنفسهم، وقبلوا اللوم، واعتذروا عن "انتهاكات" غير محددة.

"إن المجلس الأعلى للقوات المسلحة يعرب عن أقصى تقديره
حزنًا لنساء مصر العظيمات على الانتهاكات التي حدثت خلال الأحداث الأخيرة”.

لم أسمع قط شيئًا كهذا من قبل: لم يعتذر الجنرالات أبدًا.

وفي الأسبوع التالي، فازت سميرة إبراهيم بتبرئتها أيضًا. مصر
حكمت المحكمة الإدارية لصالحها بشكل غير متوقع وحظرت اختبارات العذرية. وقضت المحكمة بأن “هذه الأفعال تنطوي على إذلال متعمد وإهانة متعمدة للنساء المشاركات في الاحتجاجات” و”انتهاك لحقوق الإنسان والحريات”. ولم يحدث من قبل أن حكمت محكمة مدنية ضد الجنرالات.

بدأت رسومات الجرافيتي لحمالة صدر زرقاء عائمة ووجه سميرة إبراهيم في الظهور على جدران وسط القاهرة. خافوا مني، أيتها الحكومة، اقرأوا اللافتة الموجودة أسفل حمالة صدر زرقاء تحوم بالقرب من القبضة المرفوعة لامرأة محجبة.

لقد كان إبراهيم الشجاع بطلاً فورياً في واشنطن. لقد كانت على وجه التحديد من النوع الناشط الذي تصوره الأمريكيون وهم يقودون الثورة. وربما كان سقوط سوزان مبارك فرصة للمرأة المصرية في نهاية المطاف.

ودعت وزارة الخارجية إبراهيم إلى واشنطن لاستقباله
جائزة المرأة الدولية للشجاعة، التي ستقدمها ميشيل أوباما. لكن إبراهيم، مثل مصر، كان معقدا. في صيف عام 2012، كتبت تغريدة على تويتر تشيد فيها بتفجير انتحاري أدى إلى مقتل خمسة سياح إسرائيليين في بلغاريا. "الكثير من الأخبار الجميلة جدا."

وبعد أسابيع قليلة أثنت على إرهابي 11سبتمبر
هجوم. "فلتحترق أمريكا مرة أخرى كل عام." نقلت عن أدولف هتلر. "لا يقع أي فعل مخالف للأخلاق ولا جريمة ضد المجتمع إلا وكان لليهود يد فيه".

وألغت وزارة الخارجية الدعوة.

6

فيلق طيبة

7مايو 9 – 2011أكتوبر 2011

في

لماذا بدت الكنائس كالحصون؟ لماذا الجدران الحجرية، وشقوق النوافذ، وبرج الحراسة؟ كان سائقنا محسن مليئًا بالأسئلة حول المسيحية. بالحارس

علمت أنه كان يقصد برج الكنيسة.

كنت في طريقي إلى حي إمبابة الفقير بالقاهرة، حيث كان هناك حشد من الغوغاء
أحرقوا كنيستين في الليلة السابقة. وإلى جانب المخاطر التي تتعرض لها إسرائيل وحقوق المرأة، كان التهديد الذي تتعرض له الأقلية المسيحية بمثابة خوف متكرر في المناقشات الغربية حول الانتفاضة المصرية. لقد تخيلت أن الدولة البوليسية السابقة قد حافظت على غطاء على هذه المشاعر الطائفية المظلمة لعقود من الزمن، والآن كانت تغلي. لقد كان ذلك النوع من الاستعارة السهلة التي نعتز بها نحن الصحفيين.

منعت حكومة مبارك إجراء دراسات استقصائية حول عدد أو التركيبة السكانية للمسيحيين في مصر. ويقال في كثير من الأحيان أنهم يشكلون ما يقرب من 10 إلى 15 في المئة من السكان. اتبع البعض طوائف أرثوذكسية أو بروتستانتية أو كاثوليكية صغيرة مختلفة. تنتمي الأغلبية العظمى –أكثر من 90 بالمئة –إلى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية الرئيسية، التي يرأسها بابا الإسكندرية. وترجع جذورها إلى القديس مرقس الإنجيلي، الذي يقال إنه مؤلف إنجيل مرقس. (الكلمات الإنجليزية "Egypt" و "Copt" تأتي من نفس الجذر اليوناني، Aegyptos.) وكان بعض الأقباط فقراء، مثل الزبالين -أهل القمامة -الذين يعيشون على نفايات القاهرة.

وكان آخرون من أغنى الأثرياء في مصر، مثل الأخوين نجيب وناصف ساويرس.

لكن مبارك منع أي شخص من معرفة عدد المسيحيين في مصر، أو مدى ثرواتهم، أو مدى فقرهم. لقد اتخذ موقفًا مفاده أن طرح أسئلة حول الاختلافات بين السكان المسيحيين والمسلمين من شأنه أن يخلق منافسات طائفية أو استياء لم يكن موجودًا من قبل. وكان يصر في كثير من الأحيان على أن مثل هذه المشاعر غريبة على مصر. إذا اندلعت مشكلة بين المسلمين والمسيحيين، فقد يكون ذلك مجرد ضرر من محرضين أجانب أو مظهر من مظاهر ثأر خاص.

وكان هذا ساذجًا تمامًا مثل التأكيد على أن العنصرية غريبة
إلى الولايات الكونفدرالية السابقة، وكان لإنكار مبارك للمشكلة آثار ضارة. قبل بضعة أشهر من وصولي إلى مصر في عام ،2010أطلق ثلاثة مسلمين النار على ستة من رواد الكنيسة وأحد المارة المسلمين خارج كاتدرائية بعد قداس مسائي في نجع حمادي، قنا، في صعيد مصر؛ شطب المدعون الأمر باعتباره عملاً انتقاميًا معزولاً لاغتصاب امرأة مسلمة محلية على يد مهاجم قبطي. واشتكى الأسقف المحلي من أن الشرطة تجاهلت مناشداته لمزيد من الأمن، وسافر تسعة وعشرون سياسيًا وناشطًا ليبراليًا من القاهرة لإظهار التضامن مع المجتمع المسيحي المحلي. ولكن بدلاً من الترحيب بالوفد، تم اعتقاله. واتهمت الشرطة الزوار القادمين من القاهرة بتحويل جريمة القتل إلى قضية طائفية.

في يوم رأس السنة الجديدة ،2011أدى تفجير كنيسة في الإسكندرية إلى مقتل ثلاثة وعشرين مسيحيًا وإصابة ما يقرب من مائة. وألقت وزارة الداخلية باللوم على الإرهابيين الفلسطينيين من غزة، وأصرت على أن عمليات القتل هذه لا علاقة لها بالطائفية المصرية أيضًا. ولم يتم اتهام أي شخص بارتكاب الجريمة على الإطلاق.

ولكن من الناحية العملية، كان التمييز سراً مكشوفاً. تحمل بطاقة الهوية التي تصدرها الحكومة المصرية واحدة من ثلاث تسميات: مسلم، مسيحي، أو يهودي. (لم تكن هناك خيارات للملحدين أو غيرهم).

كانت قوانين الأسرة والعقارات المختلفة تحكم المسلمين والمسيحيين منذ الحقبة الاستعمارية، ويرجع ذلك جزئيًا إلى اهتمام الغربيين بتدوين القواعد التجارية والجنائية فقط. لقد تركوا القضايا الاجتماعية للزعماء الدينيين المحليين. أبعدت كليات الطب المسيحيين عن بعض التخصصات، مثل طب التوليد، مما جعلهم مسلمين حصريًا.

وكانت أعلى الرتب في الأجهزة العسكرية والمخابرات

مغلق أمام المسيحيين، الذين لا يمكنهم العمل إلا كموظفين حكوميين من ذوي الرتب الأدنى. فضل معظم أصحاب الأعمال طائفتهم.
وفي بعض الأحيان تم القبض على كتاب أو مدونين مسيحيين بتهمة إهانة الإسلام. وقيدت قوانين الترخيص المرهقة بناء الكنائس. في
نوفمبر/تشرين الثاني 2010، قالت الشرطة إن المسيحيين في أحد أحياء الجيزة بنوا كنيسة غير مرخصة متنكرة في هيئة مركز مجتمعي،
وعندما احتج المسيحيون –زُعم أن بعضهم ألقى زجاجات مولوتوف –قتلت الشرطة شخصاً وأصابت عدة آخرين. لقد أذهلتني، لأنني
كنت لا أزال جديدًا في مصر، ولم يكن هناك أحد غيري.

وكان البابا شنودة الثالث، رئيس الكنيسة القبطية، قد واجه ذات مرة الرئيس السادات، الذي عاقب البابا على جرأته بالإقامة
الجبرية في أحد الأديرة. لكن شنودة ومبارك كانا على ما يرام. أيدت الكنيسة مبارك كلما لزم الأمر، وسمح مبارك للبابا بإملاء قانون الأسرة
المسيحي وقدم خدمات أخرى. بعد فترة وجيزة من وصولي، كان البابا قد انسحب لفترة وجيزة إلى العزلة للاحتجاج على بعض التظلمات؛
وقد أقنعه مبارك بالتراجع عن طريق العفو عن بعض المسيحيين المسجونين. لقد كانت طقوسهم الدورية.

واتبعت الأقليات المسيحية في لبنان وسوريا والعراق وبقية المنطقة نفس المنطق: فمن الأفضل أن تثق في رجل قوي حاكم بدلاً
من أن تثق في المسلمين من حولها -حتى لو فشل الرجل القوي في ضمان المعاملة المتساوية أو، مثل مبارك، تجاهل التمييز عمداً.

وبعد انهيار الشرطة خلال الأيام الأخيرة لمبارك في السلطة، تصاعدت أعمال العنف ضد المسيحيين بشكل واضح في عهد
الجنرالات.
ومن بين الأحداث الأخرى، بلغ الخلاف حول قصة حب مزعومة بين الأديان ذروته بإحراق كنيسة في مارس/آذار في إحدى قرى حلوان،
جنوب القاهرة. وقد تظاهر المسيحيون في الجيزة ضد الإهمال الذي سمح بإحراق الحريق، وقُتل ثلاثة عشر شخصًا في الاشتباكات -
ثمانية مسيحيين وخمسة مسلمين، وفقًا لتقارير الأخبار.

الآن، في مايو/أيار، كنت في الطريق إلى حي إمبابة، حيث أدت ليلة من القتال في الشوارع إلى حرق كنيستين. قُتل عشرة
أشخاص، ستة مسلمين وستة مسيحيين. وكان أكثر من 230

جريح. وأصيب خمسة وستون شخصًا أو قتلوا بالرصاص. لم يكن لدي أي فكرة عن السبب.

خرجت أنا وزميلتي في التايمز منى النجار من سيارتنا المتسوبيشي في دوار إمبابة الذي كانت تفوح منه رائحة البلاستيك الرخيص والخضروات المتعفنة. كانت أزقة الحي ضيقة للغاية بحيث لا تتسع حتى لسيارة صغيرة، لذلك استأجرنا توك توك بثلاث عجلات ليأخذنا إلى متاهة المساكن المكتظة. ويقال إن امبابة مزدحمة أكثر بأربعة أضعاف من مانهاتن، وهنا لا ترتفع أطول المباني إلا بضعة طوابق. بالكاد أستطيع مد ذراعي بين جدران الأزقة. كان الرجال والنساء والأطفال يصطفون من معظم النوافذ، التي كانت عادة مغطاة بقطعة قماش فقط بدلاً من الزجاج. أطفال يرتدون شبشب يقفزون عبر القمامة المتدفقة من الصناديق الممتلئة. وفي الزاوية، كان قطيع من الأغنام يتجول في الشارع.

وكان المسلحون الإسلاميون المتشددون قد سيطروا على الحي منذ ذلك الحين

فترة في أوائل التسعينيات وأجبرت المسيحيين على دفع ضريبة دينية (الجزية، كما كانت تعرف هذه الممارسة في العصور الوسطى).

وأطلق الصحفيون على المنطقة اسم "إمارة إمبابة الإسلامية". استغرق الأمر اثني عشر ألفًا من شرطة مكافحة الشغب مع الجرافات لاستعادة السيطرة.

الآن كان الجنود يحدقون مرة أخرى من أبراج المدرعات

وتمركزت ناقلات الجنود كل بضع بنايات على طول الطرق الرئيسية. لم يكن أحد يتحدث إلينا على مقربة من أي شخص آخر، وكان إخراج دفتر ملاحظات يخاطر بجذب حشد من الناس أو الاشتباك مع جندي. لكن شاباً يدعى علاء عياد يبلغ من العمر 25عاماً، اصطحبنا إلى المدخل وصعدنا عدة رحلات جوية إلى شقة عائلته. مررنا بالديك على الدرج. وفي الداخل، عُلقت صور القديسين الأقباط والبابا شنودة على الحائط. أظهر التلفزيون رجلاً ذو لحية طويلة على شبكة فضائية قبطية وهو يهاجم المتطرفين الإسلاميين. قام اثنان من إخوة علاء عياد بسحب الكراسي نحو الأريكة للانضمام إلينا، وكنت أرى صلبانًا موشومة على معصميهم. كان العديد من الأقباط يرتدون الوشم: فألف وثلاثمائة عام من الحكم الإسلامي لم تتمكن من محو الإيمان.

الخلاف الذي كان في مركز أعمال العنف، مثل كثيرين آخرين، بدأ مع امرأة. عبير طلعت، وهي أيضًا في الخامسة والعشرين من عمرها، نشأت في أسرة مسيحية بإمبابة. تزوجت من مسيحي في أسيوط، عاصمة المحافظة التي تقع على بعد مائتي ميل جنوب نهر النيل، لكنها تزوجت

لا تنجح. والطريق الوحيد للخروج من الزواج السيئ يمر عبر المسجد.

يحظر قانون الأسرة المسيحي الطلاق فعليًا، ولكن يمكن للمرأة المسيحية أن تتحول للحصول على الطلاق. وقد أدى ذلك في كثير من الأحيان إلى ادعاءات بالتحول القسري أو الاختطاف من قبل طائفة أو أخرى، ومن ثم إلى العنف في كثير من الأحيان. ويبدو أن الشرطة لم تتمكن أبدًا من كشف الحقائق المتعلقة بالأحداث، وانتشرت الشائعات أو الخيالات حول هذه القضايا في جميع أنحاء مصر وخارجها. وكان متشددون إسلاميون في أماكن بعيدة مثل بغداد وليبيا قد فجروا كنائس أو قتلوا مسيحيين باسم كاميليا شحاتة، زوجة كاهن قبطي يُزعم أنها اختطفت على يد مسيحيين لمنعها من اعتناق الإسلام.

فمن أجل الإيمان أو الحرية اعتنقت عبير طلعت الإسلام،
تقدمت بطلب الطلاق، وتوجهت من أسيوط إلى إمبابة. رجل مسلم التقت به على طول الطريق، ياسين ثابت أنور، خطرت له فكرة أن عبير ستتزوجه بدلاً من زوجها المسيحي. لكنها واصلت المنزل وحدها. ثم، في ليلة السبت 7مايو، وصل العريس المسلم إلى القاهرة بحثًا عن المرأة التي اعتنقت الإسلام مؤخرًا والتي كان يأمل أن تكون عروسه.

وذلك عندما وصل الأمر إلى اهتمام حسين قادر، وهو رجل متشدد.
الخط الإسلامي الذي عاد مؤخراً إلى إمبابة بعد أربعة عشر عاماً في السجن. "سأعتبر متطرفاً"، أوضح عندما التقينا به لاحقاً وأخبرنا بقصته في تلك الليلة.

"تتلقى مكالمة هاتفية تقول: تعال بسرعة. لقد تم أخذ زوجة شيخ كبير إلى الكنيسة، وهو يدعو الناس للمساعدة في إخراج زوجته".

ولكن من هو هذا الشيخ المفترض؟ لماذا كانت زوجته في الكنيسة؟ قال قدير إن المتصل لم يستطع أن يقول، لذلك بقي خارج الأمر.
"لا يمكننا تحمل هذا النوع من الكلام. وهذا قد يقتل الثورة».

وقد استقبل علاء عياد المسيحي الجالس معنا في بيته
يدعو في نفس الوقت مع المتطرف الإسلامي. أخبره المتصلون بعياد أن حشدًا من الإسلاميين المتشددين كانوا يتجهون إلى كنيسة القديس مينا، قبالة طريق غير معبد يسمى شارع الأقصر. فاندفع عياد للدفاع عن الكنيسة.

حضر حوالي عشرين مسلمًا حوالي الساعة 6:00 مساءً يوم 7 مايو.
عندما رأوا أن عددهم يفوقهم عددًا، طلبوا تعزيزات، وبحلول الساعة السابعة مساءً، كان هناك حوالي خمسمائة على كل جانب. وتزايدت الأعداد إلى الآلاف قبل انتهاء الليل.

قام عادل لبيب، وهو صاحب مقهى مسيحي، برفع مسدسه إلى سطح بنايته، وفي حوالي الساعة الثامنة صباحاً أطلق الطلقة الأولى. هل أصاب أحداً أو أطلق النار في الهواء؟ لم أتمكن أبدًا من الإجابة على هذه الأسئلة. لكن علاء عياد كان متأكداً أن مسيحياً هو أول من استخدم السلاح.

"كيف يمكنهم أن يقولوا أننا بدأنا ذلك ونحن ندافع عن كنيستنا؟" -سأل عياد. "سأدافع عن كنيستي وبيتي، وإذا أدى ذلك إلى إصابة شخص ما، فلا أستطيع منعه".

اشتبك الجانبان بالطوب والهراوات والسكاكين والمزيد من الطلقات النارية
من أسطح المنازل أو النوافذ. زجاجة مولوتوف تشعل النار في كنيسة القديسة.
كنيسة مينا. انفصل جزء من الغوغاء لإحراق كنيسة مريم العذراء القريبة. ولاذ رجال الشرطة المتمركزون بالخارج بالفرار، واستمرت المعركة حتى الفجر تقريباً. وقال كاهن كنيسة السيدة العذراء مريم، إن الحارس صلاح عزيز البالغ من العمر ثمانية وثلاثين عاماً، احترق حتى الموت بجوار المذبح.

وكانت العروس عبير طلعت قد ذهبت إلى الشرطة طلباً للحماية أثناء أعمال العنف. اعتقلوها للاشتباه في تعدد الزوجات واحتجزوها لمدة ثلاثة أشهر.

وفي اليوم التالي، اتبع المجلس الأعلى للقوات المسلحة قواعد اللعبة المعتادة وألقى باللوم على طرف ثالث في إثارة الاضطرابات.
هذه المرة لم يتم ذكر أسماء الموالين لمبارك ، أي الفلول. وأشار الجميع بأصابع الاتهام. وألقى الأساقفة باللوم على الإسلاميين المتشددين. ألقى الأقباط العلمانيين اللوم على الجيش والشرطة، الذين نادراً ما يعتقلون أي شخص لمهاجمته المسيحيين. أدركت أن استعارة القدر المغلي كانت خاطئة منذ البداية. ولم تتمكن الدولة البوليسية من السيطرة على التوتر الطائفي الفطري. أدى التمييز والإنكار إلى تأجيج العداء.

...

F كان أثير ماتياس والأب فيلوباتير مثيري الشغب. في العقد الذي سبق الانتفاضات، كان المسيحيون الأقباط في مصر يتذمرون في كثير من الأحيان لبعضهم البعض من أن كتاب الأعمدة في صحيفة الأهرام التي تديرها الدولة

أهان الكتاب المقدس علنًا، أو أن حرق الكنائس والجرائم ضد الأقباط لم يتم الإبلاغ عنها. وحتى الصحيفة الكنسية شبه الرسمية كانت لديها "خطوط حمراء" تمنع انتقاد مبارك أو الجيش أو الشرطة. لذلك، في عام 2004، أنشأ ماتياس، الذي كان في الخامسة والأربعين، وفيلوباتير، في السابعة والثلاثين، صحيفة للتوزيع في الكنائس، للتحريض على الحماية المتساوية.

أطلقوا عليه اسم "الفيلق الطيبي"، نسبة إلى كتيبة أسطورية مكونة من 6666 جنديًا رومانيًا كانت حامية في مدينة طيبة القديمة في القرن الثالث. كانت الأسطورة تقول أن جميع الأشخاص البالغ عددهم 6666 قد تحولوا إلى المسيحية. وعندما أمر الإمبراطور بتقديم ذبائح وثنية، رفضوا. لقد اختاروا الإعدام الجماعي.

كان الفيلق الطيبي شجاعًا، بل وحارقًا. ويصور أحد الغلاف مبارك على أنه إسلامي ملتح. وبعد بضعة أشهر، بدأت الشرطة بمصادرة القضايا. ورفض بعض الأساقفة والكنائس توزيعها خوفا من الانتقام. واستدعى البابا شنودة الكاهنين إلى دير في الصحراء غرب القاهرة وطلب منهما التوقف عن إثارة المشاكل. قام بإيقاف الأب فيلوباتير من الكهنوت مرتين بسبب انتقاده لمبارك – المرة الأولى لمدة شهر، والثانية لمدة عامين – وبحلول عام 2006، كان الفيلق الطيبي قد انهار.

ولكن بعد مبارك، رأى الكاهنان فرصة جديدة. في مارس/آذار، احتج بعض المسيحيين الشباب على حرق الكنيسة من خلال التظاهر في الساحة خارج مبنى الإذاعة الحكومية في ماسبيرو، وهو عبارة عن كعكة ضخمة من الخرسانة على ضفاف نهر النيل بالقرب من شارع يحمل اسم عالم الآثار الفرنسي غاستون ماسبيرو. (اختار المسيحيون مساحة أصغر من ميدان التحرير حتى تبدو أعدادهم أكبر). وتمركز أكثر من ثلاثمائة جندي وعشرات ناقلات الجنود المدرعة حول ماسبيرو، وبدأوا في إبعاد المسيحيين. لذلك طلب منهم الأب ماتياس البقاء والتخييم. وقال لاحقاً: "أمرت الشباب بإحضار الخيام والبطانيات ونمنا في الشارع لمدة تسعة أيام".

أنا.

لقد كان هذا هو نشأة اتحاد شباب ماسبيرو، وهو أول حركة سياسية يقوم بها العلمانيون الأقباط منذ ما قبل عبد الناصر، على حد ما يمكن لأي شخص أن يتذكر. قال الأب ماتياس: "لقد كانت صدمة لمصر".

ومن أجل استرضاء المسيحيين، وافق الجنرالات على إعادة بناء الكنائس المحروقة وإطلاق سراح كاهن مسجون، وهو ما يعد انتصارًا. وبعد أعمال الشغب في إمبابة، خيم الأب ماتياس والأب فيلوباتير والمنظمون المسيحيون الشباب مرة أخرى خارج ماسبيرو. مراوغة التسلسل الهرمي للكنيسة. ولم ينضم أي رجال دين آخرين إلى الاحتجاجات. أدى شجار خارج ماسبيرو إلى إصابة ثلاثة وثلاثين مسلماً واثنين وعشرين مسيحياً، وفقاً لوزارة الصحة، وفي أعقاب ذلك اعتقلت الشرطة تسعة عشر مسيحياً (وليسوا مسلمين). وقد حصل البابا شنودة على إطلاق سراحهم بالطريقة المعتادة، كخدمة شخصية من الجنرالات. وفي تبادل واضح للآراء، ألقى تحذيراً نُشر على الصفحة الأولى من صحيفة الدولة في اليوم التالي يطلب فيه من الأقباط ترك الاعتصام.

وقال البابا إن الاعتصام "يؤثر سلبا على سمعة مصر وأيضا على سمعتكم". وأضاف: "صبر الحكام بدأ ينفد، وأنتم الخاسرون إذا واصلتم الاحتجاج". لكن آلاف المسيحيين تحدوا باباهم واحتشدوا مرة أخرى في ماسبيرو. وهتفوا: “بالدم بأرواحنا نضحي للصليب”.

...

جاءت تكرارات أصغر للمظاهرات القبطية وذهبت من ماسبيرو في ذلك الصيف والخريف. بعد المزيد من المشاجرات مع
جنودًا أو مدنيين مسلمين، أراد بعض المنظمين العلمانيين في اتحاد شباب ماسبيرو التحول إلى احتجاجات أقل سهولة في الاستهداف، مثل المسيرات. ولكن بعد ذلك، في أكتوبر/تشرين الأول، هاجم حشد من الغوغاء كنيسة في أسوان، على بعد حوالي ستمائة ميل جنوب القاهرة. وانحاز جنرال الجيش الذي يشغل منصب حاكم المقاطعة إلى جانب الغوغاء وشكك في تصريح الكنيسة. لذلك، في 5أكتوبر، قاد الأب ماتياس والأب فيلوباتير مسيرة لمئات الأقباط من حي شبرا ذي الأغلبية المسيحية عائدين إلى ماسبيرو، على بعد حوالي ساعة سيرًا على الأقدام شمالاً.

وقامت الشرطة العسكرية بتفريقها بالقوة. قام أحد الضباط بضرب وركل الأب ماتياس. سقطت نظارته وتحطمت. وتم تصوير آخرين وهم يدوسون ويضربون مسيحيًا منبطحًا، ثم يسحبون جسده الضعيف عبر الأسفلت.

لذلك دعا الكاهنان إلى مسيرة أخرى من شبرا في ذلك الأحد، 9أكتوبر/تشرين الأول. كنت أقنع أبنائي بالذهاب إلى الفراش في تلك الليلة عندما أرسل لي بن سولومون، مصور الفيديو في صحيفة التايمز، رسالة بالبريد الإلكتروني.

"هل ترى هذا الخبر؟ أمام ماسبيرو؟" هو كتب. "أنا
أعتقد أنني قد أذهب لتصوير بعض منه.
"تحقق من ذلك،" كتب سليمان بعد لحظات قليلة. "يقول تويتر أن المصورين يتعرضون للضرب. تأجيل في الوقت الراهن.

وضعت الكتاب المصور جانبًا واستقلت سيارة أجرة، ثم شقت طريقي
سيرا على الأقدام للامتداد النهائي عبر ميدان التحرير. كانت رائحة الغاز المسيل للدموع في كل مكان. ويبدو أن قوات الأمن كانت تطلق القنابل بشكل عشوائي. كان الناس يتحركون من حولي في قطعان، وكان بعضهم يحمل الهراوات أو المناجل أو الحجارة. وقفزت النيران من السيارات المحترقة. صفارات الإنذار والصراخ ملأت الهواء. لكن خطوط المعركة أربكتني. وكان بعض الناس يهتفون ضد الحكم العسكري أو من أجل وحدة المسلمين والمسيحيين. وكان آخرون يحولون مفضلات ميدان التحرير إلى تهديدات طائفية: "الشعب يريد إسقاط المسيحيين".

وسار أفراد الشرطة العسكرية بمعدات مكافحة الشغب ذهابًا وإيابًا على طول حافة الميدان. لكن كان يسير معهم حشد من المدنيين، وكانوا جميعًا يهتفون معًا، جنود ومدنيون: «إسلامي! إسلامية! أو في لحظات أخرى «مصر إسلامية».

وبالقرب من ماسبيرو، كان ضباط يرتدون معدات مكافحة الشغب يضربون مجموعة من المتظاهرين الذين ظلوا يهتفون "الله أكبر" - عقيدة المسلمين. لم أكن متأكدة مما إذا كان الرجال الذين يرتدون الزي العسكري يضربون المسلمين أيضًا، أو ما إذا كان المسيحيون يتظاهرون بأنهم مسلمون.

وكان هناك صليب مكسور ملقى على الأرض بجوار بركة من الدماء أمام مبنى ماسبيرو. وكانت سيارات الإسعاف تنقل الجثث على نقالات. وأظهر لي كاهن ذو لحية طويلة ورداء ديني غلافين من الرصاص في راحة يده. وهو الأب أفرايم مجدي من كنيسة شبرا، وقال إن الجنود أطلقوا الرصاص الحي.

وقال: "لقد كانوا وحوشاً". "من المستحيل بالنسبة لهم أن يكونوا كذلك
المصريين، ناهيك عن أفراد الجيش الذين حموا الثورة".

بدأت المسيرة في شبرا الساعة 4:30 مساءً، بحشد أكبر من المتوقع، بالآلاف، بما في ذلك عائلات بأكملها، بقيادة الأب ماتياس والأب فيلوباتير. وحاول شبان يرتدون ملابس مدنية إلقاء الحجارة والقنابل الزجاجية على المسيحيين في نقطتين مختلفتين على طول الطريق، لكن المسيرة كانت أكبر من أن تتوقف أو تتجه. يتذكر مينا ثابت، أحد المنظمين من اتحاد شباب ماسبيرو، قائلاً: "لقد فقدنا السيطرة بعد الكتل القليلة الأولى".

"دماء المسيحيين ليست رخيصة"، "ارفع رأسك، أنت رخيص".
"المسيحيون"، هتف المتظاهرون. وطالبوا بإنهاء الحكم العسكري. لكنهم كانوا استفزازيين بطرق أخرى أيضا.
وذكّرت بعض الهتافات المستمعين بأن المصريين كانوا مسيحيين قبل الفتح الإسلامي.

وكرر المشاركون في المسيرة "مصر لنا".
في حوالي الساعة 6:30، مر الحشد تحت الطريق المنحدر المؤدي إلى 6 أكتوبر
كوبري وأمام فندق رمسيس هيلتون. وأطلق الجنود المتمركزون على ناقلات الجند المدرعة النار من بنادق الكلاشينكوف في الهواء، ثم على الحشد. تحركت ناقلات الجنود المدرعة. واصطدم أحدهم بسيارة جيب قريبة وسحقها ثم اندفع إلى الخلف. ودخل آخرون في الحشد.

شهق ثابت عندما مرت ناقلة الجنود المدرعة على بعد متر من ساقه. دموي
الجثث ملقاة تحت العجلات. صرخت النساء وبكيت.
ولاذ المتظاهرون بالفرار في كل اتجاه.
وفي غضون ثلاثين دقيقة، كان ثلاثة وعشرون متظاهرًا مسيحيًا يموتون أو يموتون. وتوفي ثلثهم متأثرين بجراحهم بالرصاص. تم سحق الباقي حتى الموت. وأصيب أكثر من مائتين. قال لي الأب فيلوباتير فيما بعد: "في ماسبيرو رأينا بوضوح من قام بالجريمة، وكانت عسكرية مئة بالمئة".

لكن التلفزيون المصري الرسمي قلب الخبر. "عاجل: متظاهرون أقباط يلقون الحجارة والمولوتوف على الجنود من فوق كوبري 6 أكتوبر ويحرقون السيارات" ظهرت أخبار على طول الجزء السفلي من الشاشة.

واتهمت المذيعة رشا مجدي المصريين بالتخلي عن جيشهم تحت هجوم مسيحي. وأضافت: "شهود عيان يؤكدون أن المئات من المتظاهرين الأقباط الذين أغلقوا الطريق قاموا بإلقاء الحجارة والمولوتوف على قوات الجيش والشرطة المكلفة بحراسة مبنى ماسبيرو"، مشيرة إلى أنباء كاذبة عن سقوط قتلى وجرحى.

جنود. وحثت "المواطنين المصريين الشرفاء" على الدفاع عن قواتهم المسلحة. أجرى مذيعو الأخبار مقابلات مع جنود اشتكوا من كمين مسيحي.

وكان بعض المشاهدين المسلمين يعرفون أفضل من تصديق نشرات الأخبار، وسارعوا إلى الوقوف مع المسيحيين. قالت لي ندى الشاذلي، البالغة من العمر 27عاماً، وهي تسحب قناعاً جراحياً كانت ترتديه للحماية من الغاز المسيل للدموع: "المسلمون يفهمون ما يحدث". وأضافت أن الجيش "يحاول إشعال حرب أهلية".

لكن "المواطنين الشرفاء" أقاموا نقاط تفتيش أهلية في جميع أنحاء وسط المدينة. وطالبوا المارة بمد معصميهم للتحقق من وجود صلبان موشومة، أو أجبروهم على تلاوة عقيدة المسلمين. هربت إحدى صديقاتي المسيحية من خلال الإمساك بذراع امرأة محجبة؛ قالت إنه شقيقها.

فر الأب ماتياس إلى مبنى مليء باستديوهات التلفزيون الخاصة، وسمح له أحدهم بالاختباء في الداخل بينما كان الجنود يقومون بالتفتيش من باب إلى باب. "كنت أرى من النافذة البلطجية يأتون ويهتفون: "إسلامي!" قال لي: "إسلامي!"، "ثم عندما التقوا بالضباط توقفوا عن الهتاف وكانوا جميعًا يدخنون معًا على جانب الشارع".

واختبأ الأب فيلوباتير لمدة ثلاث ساعات داخل سيارة متوقفة بجراج فندق رمسيس هيلتون. وفي النهاية وجد أحدهم شرطيًا مسيحيًا اصطحبه إلى بر الأمان.

في صباح اليوم التالي، في المستشفى القبطي المسيحي الرئيسي، أظهر لي الأطباء سبعة عشر جثة. وقد مات معظمهم متأثرين بجراحهم بالرصاص، ودهست ناقلات الجنود المدرعة ما يقرب من ستة أشخاص. تم سحق جمجمة واحدة تحت عجلة.

...

ت

وكانت مجزرة ماسبيرو من أكثر الأحداث الطائفية دموية العنف في تاريخ مصر الحديث. ألقت الكنيسة باللوم على الكهنة. اجتمع المجمع القبطي في الكاتدرائية في اليوم التالي لمناقشة إحالة الكاهنين إلى محاكمة الكنيسة، "لقيامهما بإغواء الشباب القبطي حتى الموت"، كما أخبرني الأب ماتياس.

وطلب البابا شنودة من الأساقفة أن يغفروا للكهنة، لكنه أيضًا
تجنب مواجهة الجنرالات. وألقى بيان الكنيسة باللوم في أعمال العنف فقط على "المتسللين" الذين "دخلوا بين أبنائنا وارتكبوا أخطاء يجب إلقاء اللوم فيها على أبنائنا". ولم يشر البيان إلى الجيش أو الشرطة.

وتجمع آلاف المسيحيين لحضور الجنازة بعد يومين في كاتدرائية القديس مرقس، الحرم القبطي البارز. كانت قلنسوة البابا شنودة الضخمة ذات اللون الأسود تثقل كاهل رأسه الضعيف، وكانت لحيته تلامس منبره. وأشاد بالقتلى ووصفهم بأنهم "شهداء وأطفال عزل لم يحملوا سلاحا قط". لكنه لم يقل شيئًا عن من قد يكون قتلهم. وبما أنني عشت في مصر لمدة أربعة عشر شهرًا فقط في ذلك الوقت، فقد صدمت من تحفظه.

واستدعى المجلس العسكري المراسلين الأجانب إلى مقر الهيئة العامة للاستعلامات في وقت لاحق من ذلك الأسبوع. كان المجلس يبذل قصارى جهده لإرضاء الغرب والشارع في تلك الأيام، وطلب جنرالان تعاطفنا. وعرضوا علينا صوراً ومقاطع فيديو لمتظاهرين أقباط وهم يهتفون بإعدام وزير الدفاع. وكان المدنيون يحملون العصي والحجارة والقنابل الزجاجية. أصاب أحدهم ناقلة جنود مدرعة بصليب خشبي كبير.

وحمل الجنود زميلهم المصاب على نقالة.
وأكد اللواء عادل عمارة أن "القوات المسلحة لن تطلق النار أبداً على الشعب".

وقال إن المسيحيين أرعبوا الجنود. "تخيل، كما يفعل الوالدان، الجندي الموجود في سيارته الآن والذي يرى المشهد ويريد الهرب للنجاة بحياته. . . . يرى سيارة تحترق، وإذا قفز أحد منها، يضربه الحشد بشدة. لذلك هذا ليس آمنًا أيضًا. ماذا يمكنه أن يفعل سوى محاولة إخراج سيارته من هذا الجحيم إلى بر الأمان؟ لقد أصيب الجنود الفقراء بصدمة نفسية.

وبينما كان الجنرالات يتحدثون، كانت الشرطة العسكرية تعتقل أكثر من عشرة متظاهرين مسيحيين بتهم مثل مهاجمة الجنود، وحرق السيارات، واقتحام مبنى الإذاعة الحكومية. وتم احتجاز الكاهنين أيضاً، لكن أطلق سراحهما في وقت لاحق من ذلك اليوم.

بعد ذلك، أخبرني بن رودس أن إدارة أوباما وجدت صعوبة في إلقاء اللوم على الجيش عندما يتعلق الأمر بالكنيسة القبطية نفسها

لم يكن. ولم يرغب آخرون في مجلس الأمن القومي في تنفير الجنرالات، واعتمدوا عليهم في إدارة المرحلة الانتقالية.

لعبت وزيرة الخارجية كلينتون دور بوليانا. وقالت لرويترز "الجيش لا يريد أن يصبح قوة شرطة." "عليهم فقط أن يتوصلوا إلى كيفية إنشاء قوة شرطة مرة أخرى من شأنها استعادة القانون والنظام مع حماية حقوق الناس." لقد رأت في الجنرالات مصدرًا للاستقرار.

لقد تعقبت الكاهنين بعد سنوات. كان الأب فيلوباتير
هرب إلى أمريكا الشمالية. انتقاداته الصريحة للحكومة المصرية جعلته مثيرًا للجدل في الشتات القبطي، وكان يتنقل من كنيسة إلى أخرى.

"إذا تعمقت في الأمر أكثر وأشعلت الأمور، فسوف يزداد الأمر سوءًا وقد يموت المزيد من الناس. لقد كان هذا دائمًا هو موقف الكنيسة القبطية بحكمة،" أخبرني أحد أبناء الرعية، ملك إسحاق، في ريتشموند، فيرجينيا، وحثني على عدم الاستماع إلى الأب فيلوباتير.

التقيت به على طاولة نزهة خارج مركز تجاري في ضواحي فرجينيا بواشنطن. وكان الناشطون ضد الحكم العسكري قد اشتكوا لي لسنوات من الأب فيلوباتير لسبب مختلف. وقالوا إنه في المستشفى القبطي في صباح اليوم التالي للمذبحة، طلب من عائلات القتلى في ماسبيرو عدم طلب تشريح الجثث، على الرغم من أن فحص الجثث ربما ساعد في إثبات مسؤولية الجنود. وقالوا إنه بعد أن قاد المسيرة قام بالتستر على عملية القتل. ونفى الأب فيلوباتير ذلك. وقال إنه لم يستسلم إلا لرغبات العائلات.

لكن الأب ماتياس، المنعزل في دير من القرون الوسطى في الجبال القريبة من البحر الأحمر، أخبرني أن صديقه كان على حق في عدم المطالبة بتشريح الجثث. كان يعلم أن ذلك لن يحدث أي فرق وأنهم لن يحصلوا على حقوقهم. عندما أنشأنا الفيلق الطيبي، أردنا تغيير الوضع العام في المجتمع. لكن بعد ما حدث في ماسبيرو، عرفنا أننا لن نستطيع الحصول على حقوقنا من الجيش. ولم يكن هناك سبيل أمام المسيحيين للحصول على حقوقهم من الجيش، وهم الآن ضد الجيش. لم يتغير شيء في بلادنا".

لقد فهم صمت البابا أيضًا. "السياسة في مصر هي
قال: “معقد للغاية”. "علينا أن نكذب طوال الوقت لكي نعيش بسلام."

7

"كيف يمكن أن يحدث سقوط الدولة"

23يوليو 25 – 2011نوفمبر 2011

F

أو بالتأكيد! وقال عمر سليمان، رئيس المخابرات القديم، لكريستيان أمانبور من شبكة سي إن إن في مقابلة خلال الأيام الأخيرة لمبارك في السلطة: "الجميع يؤمن بالديمقراطية". "لكن عندما؟

فقط عندما يكون لدى الناس ثقافة الديمقراطية”.
كان هذا هو المصيد دائمًا: كيف نصل إلى هناك؟ وأصر الجميع على أنهم يريدون ديمقراطية منفتحة وخاضعة للمساءلة، ولكنهم كانوا يخشون دائماً أن تتآمر زمرة أو فصيل منافس للاستيلاء على كل السلطة. المسيحيون يخافون من المسلمين. كان الكوزموبوليتانيون يخشون الإسلاميين.

وكان الإسلاميون يخشون الجيش. كان الجنرالات يخشون الغوغاء، على الأقل في البداية.

وبحلول منتصف الصيف، بدت التجمعات والمسيرات الأسبوعية شبه معدومة

لا تنتهي. وكان الجنرالات لا يزالون يسيطرون بشكل مباشر على الحكومة، وكان وزير الدفاع يتولى منصب رئيس الدولة، وبدا أنهم اكتسبوا المزيد من الجرأة بسبب الانقسامات في الشوارع. وكانت الانتخابات البرلمانية والرئاسية التي وعدوا بها تتراجع أكثر فأكثر في المستقبل.

وكان اللواء حسن الرويني قد زار ميدان التحرير ذات مرة أثناء الاعتصام الذي استمر ثمانية عشر يومًا ضد مبارك. تجمع حشد من الناس حوله، وحاول دون جدوى إقناع المتظاهرين بأن المسلحين الذين أطلقوا النار عليهم كانوا من الإخوان المسلمين، وليسوا من الشرطة. والآن، في 23يوليو/تموز، تفاخر الرويني بوقاحة في مقابلة على شاشة التلفزيون الحكومي بأنه كذب للتلاعب بمظاهرات ميدان التحرير.

لنأخذ على سبيل المثال حالة أحمد عز، قطب الصلب المكروه ووسيط السلطة. وقال اللواء: «عندما كنت أرغب في تهدئة الميدان، كنت أقوم بنشر شائعة مفادها أن أحمد عز تم القبض عليه، وكانت الأمور تهدأ».

"هل كنت مصدر هذه الشائعات يا سيدي؟" سألت إحدى المحاورات.

أجاب الرويني: «نعم، بالطبع». «أعرف تأثير الشائعات على الجماعات الثورية. أعرف كيف أهدئ الأمور في الميدان وكيف أجعل الأمور صاخبة.

كان لديه شائعات جديدة للمشاركة. قبل ستة أشهر كان الجنرالات قد فعلوا ذلك
ووعدت حركة شباب 6 إبريل، التي قادت استخدام التكتيكات السلمية ضد مبارك، بالخروج من السلطة في غضون ستة أشهر، ودعت إلى تنظيم مسيرة في ذلك المساء إلى وزارة الدفاع للمطالبة بإنهاء الحكم العسكري. وقد جرت مسيرة تجريبية صغيرة في الليلة السابقة، لكن هذه المرة، كما قال الرويني، سيكون المشاركون في مسيرة 6 أبريل مسلحين بالقنابل الزجاجية.

"هل لديك معلومات بأنهم سيتحركون بقنابل المولوتوف؟" سأل المحاور بلا مبالاة.

"نعم، لدي هذه المعلومات"، أصر الجنرال.
لم تعد حريصة على التقاط الصور مع قادة أبريل
حركة شباب 6 أو نشطاء شباب آخرين، أصدر المجلس العسكري بلاغاً جديداً رقم 69 اتهم فيه المجموعة بارتكاب الخيانة العظمى. وحذر الجنرالات الآن من أن قوى 6 أبريل قبلت أموالاً من قوة أجنبية في مؤامرة لتأليب المصريين ضد جيشهم.

كان الجميع يعلم أنهم يقصدون الأموال من واشنطن.
وكانت السفيرة الأميركية الجديدة آن باترسون قد تحدثت باستحسان في جلسات تأكيد تعيينها عن مساعدات بملايين الدولارات للمجموعات غير الربحية في مصر لتعزيز الديمقراطية. وقد رحبت بها مجلة تديرها الدولة برسم توضيحي على الغلاف يصورها وهي تحمل رزمًا من الدولارات المحترقة وقنبلة ملفوفة في العلم الأمريكي. كان عنوان "سفير الجحيم الذي أشعل النار في التحرير" . وكانت صافرات الإنذار تدق في جميع أنحاء وسائل الإعلام القومية المصرية. وكان جنرال مصري قد ألقى محاضرة في مركز أبحاث بواشنطن في يوليو/تموز الماضي حول كيف أدت المساعدات الأمريكية غير المقيدة للمنظمات غير الربحية إلى تقويض سيادة بلاده واستقرارها. هو -هي

كان بعض "الشكر" على 1.3 مليار دولار سنويًا من المساعدات الأمريكية. لكن رعاة الجنرالات في واشنطن لم يبدوا منزعجين.

هل كان نشطاء 6 إبريل خونة فعلاً بتمويل وتدريب خارجي؟ وقال الرويني في المقابلة: "قال بعض الخبراء الاستراتيجيين إنهم يعرفون ذلك على وجه اليقين".

"سأخبرك ببعض المعلومات غير الكاملة"، الجنرال الرويني أجاب، كما لو كان ينتقي الحكايات من كنز من أسرار التجسس.

وكان من المعروف، كما ذكرت صحيفة التايمز وغيرها، أن أعضاء حركة 6 أبريل سافروا إلى صربيا في أواخر سنوات مبارك للتعلم من جماعة المعارضة أوتبور! والآن يزعم الرويني أن حركة 6 إبريل كانت تنفذ مخططاً صربياً لتدمير ركائز الاستقرار في مصر: الشرطة، والقضاء، والإعلام، والنظام التعليمي، وأخيراً القوات المسلحة. قال لها الرويني: "أنا أشرح لك كيف يمكن أن يحدث سقوط الدولة".

وتابع الرويني أنه لحسن الحظ، كان السكان الوطنيون في الحي المحيط بوزارة الدفاع يقومون بحماية الجنود، من خلال "تفريق الناس وإبعادهم".

لم يكن لدي أي فكرة عن سبب دوران الرويني بهذه الطريقة. ولم تكن الدعوات السابقة لتنظيم مسيرات أمام وزارة الدفاع ذات أهمية كبيرة على الإطلاق.

ومع ذلك، استقلت سيارة أجرة للحاق بمتظاهري 6 أبريل حوالي الساعة السابعة مساءً، وهذه المرة وجدت ربما ألفي متظاهر -معظمهم من الشباب من الطبقة المتوسطة، إلى جانب أقلية لا بأس بها من النساء. كنت أعرف بعض الوجوه، ولم أر أحداً يحمل سلاحاً. لقد ساروا حوالي ساعة ونصف إلى الشمال الشرقي. لكن في ساحة العباسية، التي تظللها مآذن مسجد النور العملاق، أغلقت ست دبابات ومئات الجنود الطريق.

بدأ الجنود بإطلاق النار في الهواء بمجرد وصولي.

انطلق صوت إمام من مكبر الصوت الموجود أعلى مئذنة المسجد. "بسلام، بسلام!" لكن عندما التفتت للتراجع، قام رجال من الحي بإلقاء الحجارة والزجاجات من المباني. وسرعان ما خرج آخرون لمواجهة المسيرة. وكان بعضهم يلوح بالمناجل وسكاكين المطبخ، أو "الأسلحة البيضاء" كما يسميها المصريون. وأغلقوا الطريق في الاتجاه الآخر، العودة إلى التحرير. كثير من ال

كان الجيران يكسبون عيشهم بشكل مباشر أو غير مباشر من مقر وزارة الدفاع القريب، وقد استجابوا لتحذير الرويني بتسليح وحماية أنفسهم. (سمعت تقارير غير مباشرة تفيد بأن الجنود ذهبوا من بيت إلى بيت للمساعدة في نشر الرسالة).

لقد حوصرت مع المتظاهرين. وسرعان ما بدأ المدنيون من الجانبين بتمزيق الرصيف حتى تتطاير الصواريخ على بعضها البعض. وجدت زاوية، أسندت ظهري إلى السياج الحديدي المحيط بالمسجد، وأخرجت دفترًا.

وطلب المتظاهرون من رجل داخل المسجد أن يفتح البوابة حتى يتمكنوا من الفرار. بلطجية –بلطجية –قال المشاركون في المسيرة.

ولكن بينما كنت أتناول كل شيء، أمسكت يد بذراعي الأيمن. أمسك بي طفل هزيل –بدا وكأنه مراهق –وصرخ: "أجنابي، أجنابي" - أجنبي، أجنبي -لطلب تعزيزات.

طولي يزيد قليلاً عن ستة أقدام ووزني مائة وستين رطلاً. الطفل كان أقصر من قدمي وليس أكثر سمكًا مني. لم تكن هذه بلطجية. لن يقوم أحد بتوظيف هذا الطفل باعتباره سفاحًا. لقد سمع عن "الأيادي الخفية" و"الأصابع الأجنبية" التي ظلت الحكومة تلومها، والآن قبض على أحدهم متلبساً.

كان بعض أصدقائه الأضخم قادمين في طريقنا. حررت ذراعي، فمزق الطفل نصف زر قميصي الأحمر الخاص بشركة Brothers. Brooksكنت أقف في الخرق.

والحمد لله أن أصدقائه كانوا أكثر تحضرا. وكنت ضيفهم في مصر قالوا للطفل وهم يلمسون صدورهم اعتذاراً لي.

واستمر القتال في الساحة لمدة ساعتين، ولم يفعل الجنود المراقبون شيئاً. ثم وصلت الشرطة وأطلقت علينا جميعًا الغاز المسيل للدموع. وأخيراً فتحت أبواب مسجد النور لاستقبال الجرحى. (تم علاج ما يقرب من ثلاثمائة في نهاية المطاف من إصاباتهم). تبعت عددًا قليلًا آخر من الخلف للفرار، وعلمت في اليوم التالي أنه بعد بضع ساعات أخرى، اصطحب الجنود المتظاهرين المتبقين إلى ميدان التحرير وإلى مكان آمن.

لم يمت أحد. صحيفة نيويورك تايمز بالكاد غطت المناوشات. لكن الجنرالات أصبح لديهم الآن مدنيون يقاتلون من أجلهم.

أعتقد أن أحداث يوليو/تموز كانت بمثابة نقطة تحول. والخطة الانتقالية للجنرالات، والتي تم توضيحها بعد الاستفتاء في مارس/ آذار،

ودعاهم إلى إجراء انتخابات برلمانية غير مقررة بعد، وسيشرف البرلمان بطريقة أو بأخرى على صياغة دستور جديد. وفي نفس الوقت تقريبًا الذي تم فيه إجهاض المسيرة، قام المشير طنطاوي والمجلس العسكري بتجنيد لجنة جديدة من الحقوقيين وأساتذة القانون لاقتراح مجموعة من "المبادئ" التي سيفرضها الجنرالات على كتابة الدستور. لقد نالت فكرة هذه المبادئ الملزمة إعجاب بعض الليبراليين، الذين كانوا يخشون أن يؤدي وجود برلمان إسلامي إلى تقييد الحريات الشخصية. لقد تصور الليبراليون شيئًا مثل ميثاق الحقوق في الدستور الأمريكي.

لكن بعض القانونيين في اللجنة الجديدة جادلوا لعدة أشهر بأنه لا ينبغي للجنرالات أن يتخلوا بشكل كامل عن السلطة السياسية على الإطلاق، خوفا من أن تسفر الانتخابات عن حكومة إسلامية. وكانت القاضية تهاني الجبالي من المحكمة الدستورية العليا صريحة بشكل خاص في هذا الشأن. وعندما تم الكشف عن ما يسمى بالمبادئ في نوفمبر/تشرين الثاني، فقد منحت الجنرالات بالفعل سلطة دائمة على أي مدنيين منتخبين. وقد عزلت القواعد المجلس العسكري عن أي رقابة، وأذنت له بالتدخل متى شاء في المؤسسات المدنية. خطة للانقلاب الهادئ، كما أطلق عليها البعض.

وفي 18نوفمبر/تشرين الثاني، احتشد عشرات الآلاف من الإخوان المسلمين وغيرهم من الإسلاميين في ميدان التحرير للاحتجاج على الاستيلاء على السلطة.
وفي اليوم التالي، أدى تمشيط الشرطة للساحة إلى اندلاع أعمال شغب. وقد خيمت حفنة من العائلات (التي لم تكن إسلامية) طوال الليل للمطالبة بالتعويض عن وفاة أقاربها الذين قتلوا في بداية الانتفاضة. وعندما قامت الشرطة بسحب خيامهم، استولى أحدهم على شاحنة تابعة للشرطة. تسلق المتظاهرون في كل مكان. تويتر يضج بالصور. ومع اقتحام المزيد من شرطة مكافحة الشغب، تضخم حشد المتظاهرين بشكل أسرع وأسرع. واندفع المئات من الشباب والشابات إلى الساحة رغم الغاز المسيل للدموع.

لقد كانوا يريدون إسقاط المشير
يهتفون عندما وصلت إلى هناك. "يسقط الحكم العسكري!"
"رأينا أن الناس يتعرضون للهجوم ونزلنا إلى هناك
قالت هدى عودة، وهي سكرتيرة تبلغ من العمر ثلاثين عاماً وترتدي حجاباً أحمر داكناً، وهي تسحب وشاحها على وجهها في مواجهة الغاز. نحن ضد الحكم العسكري في هذا البلد تماما».

وكان الناشط الشاب أحمد حرارة قد فقد عينه بسبب طلقات الخرطوش أثناء الانتفاضة ضد مبارك؛ فقد عينه الأخرى في ذلك اليوم أثناء قتال الشرطة.

واستمر القتال لمدة أسبوع. لقد اقتصر الأمر، بشكل غريب، على أ
قطعة واحدة من شارع محمد محمود المتجهة من ميدان التحرير في اتجاه وزارة الداخلية. لكن الحشود المؤيدة في الميدان كانت تتضخم في بعض الأحيان إلى أكثر من عشرة آلاف.

في أحد الأيام، طاف المتظاهرون في الساحة حاملين جثة أحد المتظاهرين الذين قُتلوا في هجوم آخر للشرطة. وأكدت وزارة الصحة مقتل مدنيين بالذخيرة الحية. لكن في صباح اليوم التالي، وقف جنرال في الجيش على درج وزارة الداخلية وأصر لوسائل الإعلام الحكومية على أنه لم يدخل الجيش ولا الشرطة إلى المكان أو استخدما الرصاص. وقال: "هناك يد خفية في الساحة تتسبب في شرخ بين الجيش والشعب".

لقد كان عصرًا ذهبيًا للبرامج الحوارية. جنرالات، شيوخ، سياسيون،
النشطاء والمثقفين، ذهب الجميع إلى موجات الأثير كل ليلة لعرض قضيتهم حول مستقبل مصر. كانت كل ليلة مثل صباح يوم الأحد في واشنطن، وكان الجميع يراقبون.

لكن في ذلك الخريف، كان مقدمو البرامج الحوارية ينقلبون على الجنرالات.

وبث أحد البرامج لقطات لجندي يطلق النار على رجل في ظهره. وعندما سقط جسد الرجل الملطخ بالدماء على الأرض، كان الصوت هو وزير الداخلية الذي يتعهد بأن قواته لم تستخدم السلاح قط.

"هل يريدون منا أن نصدق أن أعيننا لا ترى ما يرون؟" وسأل مقدم البرنامج يسري فودة جمهوره: «أنهم حتى عندما يرون لا يرون، وأنهم إذا كانوا يرون بالفعل فهذا لا يعني شيئًا؟»

وبقي الإخوان المسلمون خارجه. رأى القادة فخًا.
إن وجود الإخوان المسلمين قد يوفر ذريعة لشن حملة قمع أو إلغاء الانتخابات البرلمانية، التي من المقرر أن تبدأ في 28نوفمبر/تشرين الثاني. وقال متظاهرون آخرون إن الإخوان باعوا أنفسهم للحصول على فرصة للفوز بالسلطة. وعندما ظهر أحد قادة الإخوان المسلمين المعارضين للاعتذار، طاردته حشود من الغوغاء. واقتناعا منهم بأن تسوية الإخوان ترقى إلى مستوى التواطؤ، لم يغفر الليبراليون واليساريون أبدا للإسلاميين.

وكان المجلس العسكري قد بدأ في التراجع ذات مرة تقريبًا
بدأ القتال في اليوم التالي للاحتجاج الإسلامي الشامل. في البداية، قام الجنرالات بتخفيض مبادئهم الملزمة إلى مجرد اقتراحات.
ثم أسقطوا الإيحاء بأنهم متمسكون بسلطتهم.
لقد استبدلوا رئيس وزرائهم. وحددوا موعدًا للانتخابات الرئاسية التي ستبدأ في مايو/أيار .2012وتعهدوا بالخروج من الحكومة المدنية بشكل كامل عندما يتولى الرئيس الجديد منصبه.

وأخيرا، في ليلة الخميس 24تشرين الثاني (نوفمبر) -عيد الشكر في أمريكا -دعا الجنرالات إلى التوقف. قامت رافعة عسكرية بتجميع مكعبات من الخرسانة لتكوين جدار يبلغ ارتفاعه عشرة أقدام عبر شارع محمد محمود.

ووقف صف من الجنود فوقه بلا مبالاة. لقد أوقف الجنرالات العنف، كما لو كان بإمكانهم القيام بذلك في أي وقت اختاروه. وكتبوا على صفحة المجلس العسكري في الفيسبوك: "لقد نزفت قلوبنا لما حدث".

وكان مستشار الأمن القومي توم دونيلون وغيره من كبار الموظفين المهتمين بالاستقرار قد عادوا إلى منازلهم لتناول عشاء عيد الشكر. وكانت المجموعة الأصغر سناً التي بقيت في السلطة، بما في ذلك رودس ودينيس ماكدونو، نائب مستشار الأمن القومي، أكثر حرصاً على التغيير في مصر. في الساعة 3:03صباحًا من يوم الجمعة في واشنطن 10:03 -صباحًا في القاهرة -أصدر البيت الأبيض أول بيان له يحث فيه الجنرالات صراحةً على التخلي عن السلطة: "يجب تمكين الحكومة المصرية الجديدة بسلطة حقيقية على الفور" من أجل "الحكومة المصرية الجديدة". "النقل الكامل للسلطة إلى حكومة مدنية" سيتم "في أقرب وقت ممكن".

لقد أصبح عجز الجنرالات عن إدارة المرحلة الانتقالية أمراً بالغ الصعوبة
أخبرني أحد كبار الدبلوماسيين لاحقًا.
عندما استيقظ دونيلون على البيان، كان غاضبًا. "كيف
هل يمكنك أن تدع هذا يحدث؟ اشتكى إلى ستيفن سيمون، الذي أشرف على مصر في طاقم مجلس الأمن القومي.
لكن سايمون أيضًا أخذ إجازة نادرة في ليلة عيد الشكر. يتحدث
إلى ماكدونو ورودس، عاد سايمون للخلف. لقد سئم من شد الحبل الذي يمارسه البيت الأبيض بشأن مصر.

8

الأجداد

26نوفمبر 22 – 2011يناير 2012

ج

هل يتزوج المسلم من يهودية أو نصرانية؟

كان شيخ طويل وثقيل الجسم يجيب على أسئلة المعجبين في أحد مساجد الإسكندرية. كان اسمه ياسر البرهامي. كان يرتدي نظارة ذات إطار سلكي ولحية طويلة جدًا وعنيدة لدرجة أنها بدت وكأنها تشكل حاملًا ثلاثي الأرجل. نمت خصلة واحدة من ذقنه واثنتان أخريان من كل من خديه. كانت كدمة الصلاة على جبهته كبيرة مثل قطعة الدونات.

أجاب برهامي نعم، ولكن على الزوج المسلم أن يظهر لزوجته فقط "الازدراء" حتى تتحول.

الاحتقار في الزواج؟

"هل يجب على كل رجل أن يحب المرأة التي يغتصبها؟" أجاب برهامي.

نصيحة برهامي، مسجلة في مقطع فيديو على الإنترنت تم نشره منذ سنوات

قبل الانتفاضة، اكتسب أهمية جديدة خلال الانتخابات التي جرت في الخريف لبرلمان ما بعد مبارك. بدأ التصويت في 28نوفمبر/تشرين الثاني، بعد أيام فقط من صعود الجدار المقابل لشارع محمد محمود في ليلة عيد الشكر تلك، واستمر التصويت على مراحل حتى 11يناير/كانون الثاني .2012وبحلول أوائل ديسمبر/كانون الأول، كان من الواضح بالفعل أن الشيخ برهامي والحركة التي أسسها، الدعوة السلفية، كانوا من أكبر الفائزين. لقد توقع الجميع تقريباً أن يحصل الإخوان المسلمون على أكبر عدد من الأصوات. وكانت المفاجأة هي السلفيين مثل برهامي، الذين جعل فهمهم المحافظ والحرفي والشوفيني للإسلام الإخوان يبدون وكأنهم ميلكيتوست.

تنظيم القاعدة، وطالبان، ورجال الدين في المملكة العربية السعودية –كانوا جميعاً سلالات من نفس الحركة السلفية. الجميع، مثل السلفيين المصريين، تجنبوا السياسة الانتخابية. لقد كان مصدرًا للفتنة بين المؤمنين، ومحاولة حمقاء لوضع القانون الوضعي فوق الوحي الإلهي. لكن السلفيين المصريين قد تقدموا الآن بطريقة أو بأخرى أمام اليساريين والليبراليين والقوميين الذين ظلوا في السياسة لعقود من الزمن. وحصلت الأحزاب السلفية على ربع الأصوات. وكانوا في المرتبة الثانية بعد الإخوان المسلمين في النفوذ السياسي. ولم يكن أحد -لا الإخوان، ولا السفارة الأمريكية، وبالتأكيد ليس أنا -يتوقع حدوث ذلك. هل أسيء فهمنا جميعًا إلى هذا الحد إلى أين تتجه "الثورة"؟

وإن كان أقل تأثيراً من الإخوان المسلمين في الأحداث
وبعد ذلك، تبين أن السلفيين كانوا مكانًا جيدًا لبدء التعليم في الإسلام السياسي. لقد كانوا ما تصوره معظم الغربيين الذين أعرفهم عندما تخيلوا إسلاميًا: ملتحيًا، متشددًا، مناهضًا للحداثة. قبل أن أنتقل إلى مصر، كنت أفترض أن الاختلافات بين الإسلاميين هي مسألة درجة، من المعتدل إلى المتطرف. وكثيراً ما أصر المصريون الليبراليون أو العلمانيون في القاهرة على أن الفارق كان فقط في درجة الصراحة: فالسلفيون كانوا ببساطة صادقين بشأن ما يريده كل الإسلاميين سراً.

لكن الأهم من ذلك كله هو أن السلفيين أثبتوا أن مصطلح "إسلامي" يمكن أن يحمل معاني كثيرة متناقضة. يختلف الأشخاص الذين يقولون إنهم يسعون إلى الحكم الإسلامي بشكل عميق، وحتى بمرارة، حول الشكل الذي يجب أن يبدو عليه ذلك -الطريقة التي ينقسم بها البروتستانت والكاثوليك حول العقيدة، أو يتصادم الاشتراكيون والشيوعيون حول السياسة. وبالمقارنة مع الإخوان المسلمين، كان السلفيون في كثير من النواحي أكثر تشددا وعقيدية (مثل الشيوعيين)، ولكنهم في الوقت نفسه أقل اتساقا في تعاليمهم (مثل البروتستانت). دعني أشرح.

السلفية تشير إلى السلف الصالح، المسلمين الأصليين الذين كانوا من أصحاب النبي محمد. ولكن هناك بعض المفارقة في استخدام هذا المصطلح. وقد تم نشرها لأول مرة في أواخر القرن التاسع عشر على يد الشيخ محمد عبده، الذي يمكن القول إنه سلف جميع الحركات الإسلامية الحديثة، بما في ذلك جماعة الإخوان المسلمين. لقد استخدم عبده كلمة "السلفية" لتعني عكس ما تعنيه اليوم تقريبًا.

ولد عبده حوالي عام 1850لعائلة مزدهرة في دلتا النيل، ودرس في الأزهر -مسجد ومعهد القاهرة الذي يعود تاريخه إلى قرون مضت والذي ظل المركز الرئيسي لدراسة الإسلام السني عندما كنت أعيش في مصر. ولكن بعد الأزهر، زار عبده أيضًا الجامعات الكبرى في أوروبا، بما في ذلك أكسفورد وكامبريدج.

لقد تشرب عقلانية التنوير التي وجدها هناك، وعاد إلى مصر مقتنعا بأن الإسلام كان يجسد ذات يوم كل الفضائل نفسها -قبل أن تفعلها أوروبا، بينما كان العالم المسيحي لا يزال في عصوره المظلمة. لقد قفزت أوروبا إلى الأمام في العلوم والفلسفة لأن قروناً من الاستبداد في مختلف أنحاء العالم الإسلامي دفنت عقلانية الإسلام الأصلية تحت وطأة التعصب الصارم والتعلم عن ظهر قلب.

لقد صاغ عبده نفسه بوعي ذاتي على غرار الإصلاحيين البروتستانت في أوروبا. لقد علم أن العودة إلى طرق السلفية تعني استعادة العقلانية والانفتاح عند المسلمين الأوائل. وقال إنه فقط من خلال إحياء هذه الروح، يمكن للعالم الإسلامي التخلص من الاستعمار واللحاق بالغرب.

أثناء زيارته لأوروبا، كتب قرب نهاية القرن التاسع عشر:
وكان يجدد دائما أمله "في تغيير أحوال المسلمين إلى الأفضل بإصلاح الدين الذي أفسدوه". أو بطريقة أكثر أقوالاً مأثورة: "ذهبت إلى الغرب ورأيت الإسلام ولكن لم أجد مسلمين؛ فرجعت إلى المشرق فرأيت مسلمين ولكن لا إسلام.

أصبح عبده محرضًا مؤثرًا بدرجة كافية من أجل استقلال مصر، لدرجة أن الخديوي (الحاكم الوراثي لمصر الذي كان في ذلك الوقت دمية بريطانية) أجبره في عام 1882على النفي إلى دمشق وبيروت وباريس. لكن المشرفين البريطانيين على مصر أعربوا عن تقديرهم لإعجاب عبده بثقافتهم. وقد قدروا بشكل خاص تركيزه، كما قال بلطف، على وضع الإصلاح التربوي قبل التغيير السياسي. (في عام 1884، ألبس البريطانيون المتعاطفون عبده ثوبًا أزرقًا لامعًا وعمامة بيضاء لزيارة البرلمان، لجعله يبدو أكثر غرابة وإرضاءً). وبمباركة القنصل العام البريطاني، صعد عبده ليصبح المفتي الأكبر لمصر. أعلى سلطة إسلامية في البلاد -ونشر تفسيرات للإسلام لا تزال تبدو ليبرالية في عام 2011. وعلم أن الإسلام يتطلب حكومات محدودة وتمثيلية، وأن المواطنين يجب أن يحددوا قوانينهم الخاصة، وأن تعدد الزوجات أمر ضروري.

لا يتطلب ذلك ولا يمكن الدفاع عنه في ظل الإسلام، وأن الله وحده هو الذي يستطيع أن يعرف أي الطوائف أقرب إلى رؤيته (لذا يجب على السنة والشيعة التوقف عن القتال حول هذا الموضوع). دافع عبده عن تشارلز داروين قبل عقود من محاكمة سكوبس عام 1925.

كثيرا ما سمعت الغربيين يتحدثون عن الحاجة إلى المسلم

مارتن لوثر. أدركت في مصر أن الوقت قد فات على ذلك: عبده جاء وذهب قبل قرن من الزمان. لكن أفكار عبده لم تذهب بعيداً. قام عبد الناصر بتأميم الأزهر في منتصف القرن الماضي، وأصبحت المؤسسة أكثر تشددا وسلطوية من أي وقت مضى. وبدون حرية التعبير والتجمع، لم يكن هناك أمل كبير في الحرية الدينية أيضًا.

ويقول السلفيون المعاصرون إنهم أيضًا يقلدون صحابة النبي محمد المسلمين الأوائل. وهم، مثل عبده، على استعداد لترك قرون من التقاليد المتداخلة جانباً للعودة إلى تلك الجذور. لكن بدلاً من العودة إلى العصر الذهبي للعقل والنقاش كما اقترح عبده، يبحث هؤلاء السلفيون عن المعنى الحرفي الممكن لنص القرآن أو أحاديث النبي. ويقول السلفيون مثل برهامي إنهم يريدون تطبيق النصوص الأصلية في القرن السابع. كان عبده مُحدثًا. هؤلاء السلفيون يرفضون الحداثة. إنهم يحتقرون عبده باعتباره ألعوبة غربية.

وأشاد السلفيون الذين أعرفهم في مصر بقانون العقوبات النبوي في القرون الوسطى. وأدانوا التحية "عيد ميلاد سعيد" باعتبارها بدعة خاطئة. لقد علموا أن المرأة مصممة للبقاء في المنزل، وليس في مكان العمل، ومنعوا أي اختلاط بين الجنسين خارج الأسرة المباشرة. وإذا أُجبروا على التحدث إلى امرأة غير محجبة، كان الرجال السلفيون يحدقون في الأرض ويرفضون المصافحة. فعلت النساء السلفيات الشيء نفسه إذا اضطررن إلى مقابلتي. وحث بعض الشيوخ النساء على الابتعاد عن الفيسبوك: فوجود وجه ذكر على الشاشة يعتبر حميميًا للغاية. وفي لفتة نحو إدراج المرأة في البرلمان الجديد، طلب المجلس العسكري من الأحزاب السياسية إدراج امرأة واحدة على الأقل في كل قائمة مرشحة. وضع السلفيون لوحات إعلانية تحجب وجوه نسائهم المحجبات: صفين من اللحى، وفي الزاوية زهرة.

سمعت الموسيقى في كل مكان في مدن مصر. أم كلثوم، أ

المغنية المصرية في منتصف القرن العشرين وهي إديث بياف

العالم العربي، يصدح صوت ستيريو كل سيارة أجرة. موسيقى الراب محلية الصنع المخزنة على محركات أقراص USBتنطلق من سيارات الأجرة التوك توك. استحوذت حفلات الزفاف في الهواء الطلق على بنايات كاملة وهزت حتى الفجر. لكن العديد من السلفيين منعوا كل أنواع الموسيقى، حتى في حفلات الزفاف. سمح السلفيون فقط بتلاوة الأشعار الإسلامية أو الآيات القرآنية بدون مصاحبة من الالات الموسيقية. عشية الانتخابات البرلمانية في تشرين الثاني/نوفمبر، صعد شيخ سلفي يدعى حازم شومان إلى مسرح حفل لموسيقى الروك في مدينة المنصورة. أمسك الميكروفون وناشد الجمهور التوبة، حتى تم انتزاعه من المسرح. فكيف يمكن لربع الناخبين المصريين الإدلاء بأصواتهم لصالح مثل هذا التقشف؟

ذهبت للقاء الشيخ برهامي، في منزله بالإسكندرية، في مبنى عليه لافتة صغيرة مكتوب عليها عيادات برهامي الطبية. اتصل بائع خضروات متجول بالخارج، فانحنى برهامي من نافذته لإلقاء المفتاح.

كان يكسب رزقه كطبيب أطفال، حيث كان يمارس مهنته في نفس المبنى الذي كان يعمل فيه والده، وكذلك في عيادة صحية حكومية قريبة. كانت أخته أيضًا طبيبة وكانت تمارس المهنة في نفس المبنى، كما أخبرني بفخر –على الرغم من الأفكار السلفية حول النوع الاجتماعي.

وكان والده وعمه قد سُجنوا بسبب سياساتهم الإسلامية، والتي كانت من النوع الذي هدد عبد الناصر والسادات. وقال لي إن برهامي وجد أن سجنهم "مرعب". لقد اكتشف شكلاً أكثر أمانًا من الإسلام السياسي خلال زيارة قام بها إلى المملكة العربية السعودية عام ،1979في صيغته الصارمة والسلطوية للسلفية. لقد علم شيوخ السعودية أن الطاعة الصارمة لحاكم أرضي (حتى السادات أو مبارك) هي واجب ديني. أي معارضة تعني فتنة –فتنة أو اضطراب بين المؤمنين.

وقد تطوع برهامي لي بأن تأثيره الأكبر كان هو الشيخ عبد العزيز بن باز، وهو عالم أعمى كان الداعية الرائد للسلفية السعودية. ولعل أفضل ما يتذكره الناس هو إصراره في العقود الأخيرة من القرن العشرين على أن الشمس تدور حول الأرض، وهو الموقف الذي تراجع عنه فقط في عام 1985بعد عودة الأمير السعودي سلطان بن سلمان بعد أسبوع على متن مكوك الفضاء ديسكفري . كلمة ملكي كانت كافية للشيخ.

الإسلام البترودولار، أطلق عليه بعض العلماء اسم سلفية المملكة العربية السعودية. سافر عرب من مصر ودول فقيرة أخرى إلى المملكة العربية السعودية للعمل في ظل الطفرة النفطية وأعادوا الأفكار السلفية. واستخدم المانحون السعوديون الأثرياء الجدد حساباتهم المصرفية لتمويل البعثات السلفية والمساجد في جميع أنحاء المنطقة. كان برهامي داعية للسلفية على الطريقة السعودية، واعترف لي بفائدة الأموال السعودية.

"بالطبع الناس في المملكة العربية السعودية يحبون بناء المساجد هنا في مصر. إنها أرخص بكثير!" قال مبتسما.
وسوف ينتهي الأمر دائمًا ببرهامي وغيره من القادة السلفيين بطريقة أو بأخرى
على الجانب السعودي من السياسة في مصر ما بعد مبارك، مع عواقب مصيرية. ولكن ذلك سيأتي لاحقا.

فبينما كان برهامي ينشر السلفية في الإسكندرية، كان مصريون آخرون -وخاصة في ريف الجنوب -يتبعون منهجية سلفية حرفية مماثلة تؤدي إلى نتيجة معاكسة. واستغل هؤلاء السلفيون نصائح النبي محمد لمحاربة منافسي المسلمين الأوائل. واعتبروا حكومة مبارك مرتدة وخاضوا تمردا دمويا ضدها. أحد هؤلاء الجهاديين السلفيين، أيمن الظواهري، وهو طبيب نشأ في الحي الذي أعيش فيه بالقاهرة، قام بتشكيل وقيادة تنظيم القاعدة.

ولم يرغب برهامي والسلفيون المقيمون في الإسكندرية في المشاركة في أي منها
ومن الطبيعي أن احترامهم للسلطة لم يلق سوى التشجيع من مخابرات مبارك. احتجزت الشرطة في بعض الأحيان سلفيين من الإسكندرية لفترة وجيزة في حملات اعتقال إسلامية، لكن ليس بنفس الوتيرة أو بالمدة التي اعتقلت فيها الإخوان المسلمين، وطورت المخابرات علاقة عمل مع شيوخ السلفية. قال لي باسم الزرقا، وهو زعيم سلفي يعيش على بعد بنايات قليلة من برهامي، بشكل دفاعي: "جهاز المخابرات هو كل ما تحتاجه في مصر". هل تقصد أننا عملاء نشطون للمخابرات، أم أننا تحت المراقبة مثل أي شخص آخر؟ إذا كنت تعيش حقًا في مصر، فلا داعي لطرح هذا السؤال.

اعتقد إسلاميون مصريون آخرون أن الإجابة كانت سهلة: فقد كان السلفيون المقيمون في الإسكندرية متعاونين للغاية مع السلطات لدرجة أنهم تحولوا فعليًا إلى عملاء نشطين. مع مرور الوقت، فهمت سمعتهم.

لقد عارض السلفيون دائمًا الاحتجاج على مبارك. وحث برهامي جميع المسلمين على البقاء في منازلهم في يوم الشرطة لتجنب الفتنة وإراقة الدماء. لكن بعد الإطاحة بمبارك، دفع برهامي رفاقه السلفيين إلى إنشاء حزب سياسي خاص بهم، بحجة أنه بخلاف ذلك قد يهيمن الإخوان المسلمون على الانتخابات ويدفعونها جانبا.

من كان يشتري ما كان يبيعه هؤلاء الرجال؟ بعد النجاح المفاجئ الذي حققه السلفيون في المرحلة الأولى من التصويت البرلماني، خرجت أنا وزميلتي مي الشيخ في أوائل ديسمبر/كانون الأول 2011لرؤيتهم على الجذع في قرية شبرامنت بالجيزة.

سافرنا بالسيارة لمدة ساعة تقريبًا إلى الجنوب الغربي عبر خليط من الزحف العمراني وحقول بنجر السكر. وكانت القمامة تطفو في قنوات الري. كانت مضخات المياه المتآكلة التي تعمل بالديزل تهدر مثل الشاحنات ذات الثماني عشرة عجلة.
ضاقت الطريق الترابية. ارتفعت الجدران المصنوعة من الطوب على جانبي

لنا، وعندما أصبحت المساحة ضيقة جدًا بالنسبة لسيارتنا الرياضية متعددة الاستخدامات، علمنا أننا وصلنا. تفوح رائحة السماد الطازج من الطريق، وواصلنا السير على الأقدام إلى قطعة أرض مفتوحة في وسط القرية. وكانت الحمير التي تم ربطها بالعربات ترعى على القش في ساحة انتظار مؤقتة. خلفهم كان هناك مئات من الكراسي القابلة للطي. كانت مكبرات الصوت منتصبة في التراب على جانبي منصة مرتفعة، وكانت الأضواء الكاشفة مثبتة على المبنى المنخفض خلفنا. كانت مجموعة من المشايخ تصعد على المنصة، ولاحظت أن مي هي المرأة الوحيدة في الساحة. (كنت أنا وهي الوحيدان اللذان نرتدي السراويل، وكان الرجال جميعًا يرتدون الجلابيب). لمحت نقابًا يطل من نافذة في الجدران المبنية من الطوب حول الساحة. وكانت وجهات النظر السلفية بشأن الجنس، والكحول، واحتشام المرأة مجرد منطق سليم في مدن مثل شبرامنت (وفي معظم المناطق الريفية في مصر).

فتح المنظمون لنا مقعدين في الصف الأمامي وضغطوا في أيدينا علبتين من صودا البرتقال ميرندا السكرية.

كان الشيخ شعبان درويش، ذو اللحية البيضاء الكثيفة والكرش الكبير تحت جلابيته، يجلس في وسط المنصة، ويتحدث عبر الميكروفون الموجود على الطاولة أمامه.

الدساتير والانتخابات وحرية الضمير وحقوق الإنسان
الأقليات الدينية –ادعى الشيخ درويش أن كل هذه الأفكار نشأت مع النبي محمد.

قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «انتخبوا منكم اثني عشر نائبا». ""انتخب!" انظروا إلى كلمة "الانتخابات"، فهي لنا! "انتخبوا منكم اثني عشر نائبا" أي الممثلين. لذا فإن فكرة التمثيل هي فكرتنا. وهي ليست من الثقافة الغربية كما يزعمون. لقد أخذها الغرب منا.

إنها لنا والآن عادت إلينا".

النبي محمد "وضع أول دستور مكتوب

وتابع الشيخ درويش في إشارة إلى الميثاق الذي أصدره محمد في المدينة المنورة المتعددة الأديان. أومأ أهل شبرامنت برأسهم. "لقد كذب كل من قال إن المواطنة هي اختراع للثقافة الليبرالية الحديثة. المواطنة من الإسلام. لقد أخذها الغرب منا! لقد قاموا بتغليفه وتعليبه وأعادوا تصديره إلينا!

وكما يقول الحرفيون، فإن السلفيين المصريين يمكن أن يكونوا مكتئبين بشكل ملحوظ. فهل تصوروا بجدية أن تقوم الحكومة المصرية برجم الزناة وقطع أيديهم؟ أم هل تنطبق عقوبات العصور الوسطى هذه فقط على بعض المدينة الفاضلة الغامضة في نهاية الزمان، عندما اختفى الفقر والجهل من الأرض؟ هل يجب على الدولة أن تلزم النساء بتغطية شعرهن وتغطية أجسادهن، أم أن هذه مجرد فكرة لطيفة يشجعها المشايخ؟ وما هو رأي المشايخ حقاً في المسيحيين مثلي؟ وقد أعطى شيوخ السلفية والمرشحون إجابات أكثر ليبرالية في مناطق أكثر ليبرالية مثل بورسعيد، لكنهم قدموا إجابات محافظة في أماكن مثل شبرامنت.

ولم يكن هناك بابا أو مرشد عام لوضع السياسة السلفية، التي تنوعت بين الحركات المتحالفة في مختلف البلدان العربية. مثل الأصوليين البروتستانت، اهتم السلفيون بالفرد الذي يقرأ النص لنفسه (أو لنفسه، ولكن في الغالب لنفسه).

لكن الجذور السلفية كانت تمتد إلى ثلاثين عاماً. ولم يسبق أن طردتهم الأجهزة الأمنية من المساجد، أو شوهتهم دعاية النظام، أو شوهتهم بالتشهير الانتخابي. كانوا يديرون جمعيات خيرية وعيادات ومدارس. كان لديهم مصداقية في شارع القرية.

كان الإخوان المسلمون أطباء ومحامين ومهندسين. لقد كانوا محترفين وعظوا وخدموا الفلاحين. وكان السلفيون هم الفلاحون. لقد وقفوا جنبًا إلى جنب، ونظروا باستياء إلى النخب في القاهرة، بما في ذلك، ضمنيًا، الإخوان.

"أين كنت قبل الثورة؟" وقال الشيخ درويش، هذا هو السؤال الذي تطرحه الأحزاب الأخرى الآن على السلفيين.

"للأسف هذا السؤال يتبادر إلى ذهني من خلال وسائل الإعلام، الإعلام الذي يسمع بأذن واحدة ويرى بعين واحدة، فقط عين وأذن التيار العلماني الليبرالي. . . . النخبة تجد أنه من غير المعقول والمستحيل بالنسبة لنا أن نمثل أطفالنا وإخواننا وجيراننا. ويعتقد هؤلاء السياسيون أنهم هم وحدهم الذين يمثلوننا ويتحدثون نيابة عنا. لكن أيها الإخوة، لم يأتوا إلى شوارعنا. ولم يعيشوا في قرانا. ولم يسيروا في قرانا. ولم يرتدوا ملابسنا. ولم يأكلوا خبزنا. ولم يشربوا مياهنا الملوثة. لم يعيشوا في المجاري التي نعيش فيها، ولم يجربوا حياة البؤس وشدة الناس. لم يعيشوا قط أزمة غاز أو أزمة خبز، ولم يقفوا قط في طابور لشراء السلع المدعومة. يكفي أن يظهروا بمظهر جديد في وسائل الإعلام. . . .

"أليس الناس سواسية كأسنان المشط؟" سأل. هل صوت حامل الدكتوراه أكبر من صوت شهادة الدراسة الثانوية؟ . . . وأنتم أيها الشعب المصري هل تقبلون ذلك؟ فهل يقبل أحدكم هذه الإهانة؟

شعرت للحظة أنني كنت أستمع إلى خطبة في كنيسة كبيرة في ضواحي سان دييغو. وإذا كان الغرب قد سرق الدستورية من الإسلام، فإن السلفيين المصريين قد استعاروا الشعبوية الدينية لجيري فالويل وويليام جينينغز بريان.

وقال "أيها الإخوة، نحن السلفيون مؤسسو حزب النور، كنا جزءا من الأغلبية الصامتة". "هؤلاء الناس لا يعيشون معنا، ولا يشعرون بألمنا أو آمالنا." وحذر من أن هذه النخب ستحاول "استنساخ" نظام مبارك، وإعادة خلق "نفس "الديمقراطية" بأخطائها، ونفس الرأسمالية بأخطائها، ونفس الليبرالية بأخطائها، ولكن بعد الثورة، نقبل لا شيء سوى التغيير الحقيقي".

وكان من الصعب قياس الدعم الشعبي لوجهات النظر السلفية
على القضايا الاجتماعية، أو عزل هذا الدعم عن الاستياء الشعبوي الأكثر عمومية. لكن حصولهم على ربع الأصوات في أول انتخابات وطنية حرة في مصر منحهم التفويض. استخدمه زعماء السلفية

لإزعاج كل ما لمسوه في سياسات ما بعد مبارك. برهامي، الشيخ المصاب بكدمة الصلاة العملاقة، هو الذي تسبب في أكبر مشكلة على الإطلاق.

9

البرلمان ينمو لحيته

23يناير 23-2012مايو 2012

يجلس مجلس الشعب خلف بوابات حديدية عالية على مسافة قصيرة
ومظللة جنوب ميدان التحرير، شرق القوات البريطانية والقوات المسلحة.
السفارات الأمريكية وبالقرب من المقر المحصن
وزارة الداخلية، التي هي فرض مثل البرلمان. تم بناء مبنى الجمعية ذو القبة البيضاء، مع أعمدة كلاسيكية جديدة وتيجان من زهور البردي، في عام 1923على يد الملك فؤاد كنصب تذكاري لاستقلال مصر الاسمي. لكنه ظل دمية بريطانية. لم يكن للبرلمان مطلقًا سلطة حقيقية. كما أدى التحضر البسيط خلال عهد عبد الناصر إلى دفن الصرح في المساكن، وواجهات المتاجر، ومحطات الوقود، وعربات الفول (الفاصوليا المطبوخة ببطء التي يحبها المصريون). في عامي الأول من الركض في أنحاء القاهرة، لم ألاحظ المبنى قط.

واجتمع المشرعون المنتخبون حديثاً بعد عام تقريباً من الانتفاضة، في 23يناير/كانون الثاني .2012وإذا كانت مطالبة السلفيين بربع المقاعد في البرلمان مفاجأة الانتخابات، فإن جماعة الإخوان المسلمين كانت هي الفائز بلا منازع. واستولى مرشحوها على ما يقرب من نصف المجلس. وبين السلفيين والإخوان، شكّل الإسلاميون من قطاع أو آخر ثلاثة أرباع الأصوات. وحصل كل من الليبراليين، واليساريين، والديمقراطيين الاشتراكيين، ونشطاء ميدان التحرير، وأعضاء الحزب الحاكم على حصة صغيرة من الربع المتبقي؛ لقد تم غسلهم جميعًا في صناديق الاقتراع.

وكان مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا قد وضع نصب عينيه الحصول على مقعد في البرلمان خلال عقد من بدء حركته في عام .1928والآن، وبعد ثمانين عاماً من النضال في

الظلال، كان ورثته مستعدين أخيرًا لقيادة الجمعية. وصلت بحلول الساعة الثامنة صباحًا، وكان المئات من الإخوان المسلمين موجودين هناك بالفعل.

بالنسبة لجمعية يُفترض أنها سرية، كان من السهل اكتشافهم. وبينما كان السلفيون يفضلون اللحى الجامحة لسحرة القصص، كان الإخوان المسلمون يحافظون على شواربهم مشذبة بعناية. كان نموذج الإخوان المسلمين في منتصف العمر ومن الطبقة المتوسطة، ربما ببطن طفيف يأتي مع التقدم في السن والكشري ، ولكن لم يكن أبدًا بنوع البطن البارز الذي قد يوحي بالشراهة أو الكسل. كان يرتدي بنطال تشينو وقميصًا بأزرار وياقة بأزرار، ولم يكن أبدًا الجلباب التقليدي للشيخ أو الفلاح.

قد يبرز قلم أو قلم رصاص ميكانيكي من الجيب. كان الإخوان –الإخوان –مستقيمين، واثقين من أنفسهم، ومتغطرسين في بعض الأحيان، وربما متعاليين. وكانوا محترفين، أو أصحاب أعمال صغيرة، أو نواب كبار لرؤساء الشركات المتعددة الجنسيات المترامية الأطراف. شغل الأطباء والمهندسون القيادة. قدمت كلية الطب والعلوم الصعبة أضمن الطرق لتحقيق الهيبة لمكافحي الطبقة الوسطى المصرية. وكان محمد بديع، المرشد العام، طبيبًا بيطريًا.

وبطبيعة الحال، اختلفت الصورة إلى حد ما في القرى الريفية، وكان هناك أيضًا طلاب جامعيون وخريجون جدد -يجذبهم الإيمان أو الزمالة أو رؤية مصر البديلة الأفضل. ولكن حتى بين الإخوان الأصغر سنا، كان من الممكن تمييز الخطوط العريضة للنموذج الأصلي القديم: السراويل ذات الثنيات، والنظارات ذات الإطارات السلكية، والسترات الصوفية، واللحى الجماعية الرقيقة. إخواني، أطلق المصريون أحيانًا على المظهر اسم «الإخواني».

وخارج المجلس، أمسك الإخوان والأخوات المسلمون بأيدي بعضهم البعض
ورقصت في الشارع. وغنوا أناشيد دينية ووطنية من الأربعينيات والخمسينيات. شاهدت رجالًا في منتصف العمر يرفعون على أكتافهم مشرعين بدينين يرتدون البدلات وربطات العنق، مثل فريق كرة قدم في المدرسة الثانوية يرفع لاعب الوسط الفائز. بكى الرجال الكبار دموع الفرح. قال عبد المنعم الطنطاوي، وهو مهندس ميكانيكي يبلغ من العمر سبعة وستين عاماً: "هذا أهم يوم في حياتنا".

وجاءت الاحتفالات بعد أسابيع من الاشتباكات الدامية والمتكررة في الشوارع المتاخمة لمجلس الشعب. ولكن كما حدث في معظم الاحتجاجات المماثلة خلال العام السابق، ظل الإسلاميون خارجها

هم. وكانت المعارك قد وضعت شرطة مكافحة الشغب في مواجهة متظاهرين ليبراليين أو يساريين يطالبون بالحكم المدني. (كان هناك الآن ثلاثة معسكرات: قوات الأمن، والإسلاميون، وأولئك الذين يصفون أنفسهم بالنشطاء "الثوريين".) وكان رجال شرطة الشوارع ما زالوا مفقودين أثناء القتال. وقامت شرطة مكافحة الشغب بالاستفزاز أكثر من التفريق.

كان تكتيكهم المميز هو التقاط الحجارة وإلقائها على المتظاهرين المدنيين. قبل شهر واحد فقط، أصاب صاروخ بدائي أطلقه أحد رجال الشرطة من أعلى مبنى مجلس الوزراء حذائي الأيسر، مما دفعني إلى البحث عن خوذة. بعد أن نجح في إنهاء الاشتباكات التي استمرت أسبوعًا قبل عيد الشكر من خلال بناء جدار عبر شارع محمد محمود، أقام الجيش ما لا يقل عن خمسة حواجز إسمنتية أخرى عبر الشوارع المحيطة بالحي لوقف مشاجرات أخرى بين شرطة مكافحة الشغب والمتظاهرين. وارتفعت ثلاثة أخرى في فبراير. أصبح حي جاردن سيتي الفخم بمثابة متاهة من الجدران. في إحداها، رسم فنانو الجرافيتي صورة خادعة لمشهد الشارع خلفها.

وبدا لي واضحا بما فيه الكفاية أن الجنرالات كانوا يكرهون التنازل عن السلطة لبرلمان يقوده الإسلاميون. للإجابة على هذا السؤال، استدعاني جنرال ذو صدر برميلي، وطاقم أبيض، وثمانية صحفيين آخرين من مؤسسات إخبارية غربية لجلسة إحاطة خاصة قبل أداء اليمين، في السابع من ديسمبر/كانون الأول 2011.

وتم استبعاد وسائل الإعلام المصرية.
فلا تقلقوا من انتصارات الإسلاميين الانتخابية يا جنرال.
صرح بذلك مساعد وزير الدفاع مختار الملا. وسيقوم المجلس الأعلى للقوات المسلحة بتعيين رئيس الوزراء. وسيظل الجيش يسيطر على الحكومة. في الواقع، قرر الجنرالات الإشراف على كتابة دستور جديد، وهي المهمة التي دافع عنها جميع المرشحين للبرلمان في حملاتهم الانتخابية باعتبارها المسؤولية الرئيسية للمجلس.

وأوضح الملا: «في مثل هذه الظروف غير المستقرة، لا يمثل البرلمان كل المصريين». وأضاف: "لذا مهما كانت الأغلبية في مجلس الشعب، فنحن نرحب بهم بشدة، لأنهم لن يكون لديهم القدرة على فرض أي شيء".

وأصر على أن الإسلاميين لا يمكنهم أبداً تمثيل مصر الحقيقية. "يفعل
هل تظن أن المصريين انتخبوا من يهدد بلادهم؟

المصلحة والاقتصاد والأمن والعلاقات مع المجتمع الدولي؟ بالطبع لا!"

علاوة على ذلك، قال إن دستور مبارك كان في الغالب على ما يرام.
وأضاف: "الكثير من المشرعين يقولون إن لدينا دستورًا جيدًا جدًا، ودستورًا فريدًا جدًا، باستثناء الفصل الخامس فقط، المتعلق بالانتخابات الرئاسية، لذلك لن نقوم إلا بتعديل هذا الفصل". ووعد بأنه تحت إشراف الجيش، يمكن للجنة من الحقوقيين القيام بهذه المهمة في أقل من شهر. لقد مرت ثلاثة أسابيع فقط منذ أن تخلى الجنرالات عن خطتهم العلنية للحفاظ على سلطتهم من خلال إملاء المبادئ الدستورية؛ الآن كانوا يحاولون اتباع نهج أكثر دقة.

لقد شعرت بالغضب من استبعاد الصحفيين المصريين من المؤتمر الصحفي. لذلك رتبت لموقع نيويورك تايمز لنشر تسجيلي الصوتي. وكان رد الفعل على تعليقات الملا سريعا.

واتهم الليبراليون والإسلاميون الجنرالات مرة أخرى بمحاولة الانقلاب. وانسحبت جماعة الإخوان المسلمين من "المجلس الاستشاري" المدني الذي أنشأه الجنرالات. وفي غضون أيام، تراجع الجيش عن السماح للبرلمان بالإشراف على كتابة الميثاق.

ولكن بقدر ما بدت لي الشكوك المتبادلة بين الجنود والإسلاميين واضحة، فإن العديد من السياسيين والناشطين غير الإسلاميين رأوا مؤامرة. وكانوا مقتنعين بأن الإخوان المسلمين كانوا يعقدون سرا صفقة مع الجنرالات. وذهبت هذه النظرية إلى أن الإخوان قبلوا استمرار سيطرة الجيش على الحكومة. وفي المقابل، كان الجنرالات قد حددوا موعداً لإجراء انتخابات وفق جدول زمني سريع مكّن تنظيم الإخوان المجهز جيداً من تأمين الأغلبية في البرلمان.

والآن، وفي خضم احتفالات الإخوان خارج المجلس، وصل المتظاهرون للتنديد بخيانة الإسلاميين المفترضة وطالبوا الإخوان في البرلمان بالضغط بقوة أكبر للاستيلاء على السلطة من الجنرالات. «لا للعسكر، لا للإخوان، الثورة ما زالت في الميدان!» وهتف مئات المتظاهرين. واستغل البعض التشابه الصوتي بين الكلمة العربية التي تعني "بيع" واسم عائلة المرشد العام للإخوان بديع. «بيع، بيع، بيع الثورة، يا بديع». كان مضحكا باللغة العربية.

لكن الإخوان تلقوا تدريبًا جيدًا في ذلك الصباح. درجات

الأسلحة المرتبطة. سلسلة طويلة أعاقت المتظاهرين. وقام عدد قليل منهم بإلقاء زجاجات المياه البلاستيكية الفارغة على الإسلاميين، لكن الإخوان حافظوا على موقفهم بشكل أو بآخر، وحافظوا على السلام طوال اليوم. فإلى متى سيستمر هذا التقييد؟

...

وفي نهاية المطاف، تحول الحديث عن الثورات العربية إلى جدل حول جماعة الإخوان المسلمين. وكان الإسلاميون المستلهمون من جماعة الإخوان المسلمين في مصر يشكلون المعارضة الرئيسية لكل نظام استبدادي عربي. لم يكن للمقر الرئيسي في القاهرة أي سيطرة على العديد من الفروع المتحالفة بشكل فضفاض حول العالم، لكن كل مستبد عربي باع نفسه للغرب باعتباره حصنًا ضد مخاطر الإخوان المسلمين والإسلام السياسي. فهل تؤدي المشاركة في السياسة التعددية الآن إلى تدجين جماعة الإخوان المسلمين؟ أم أن وعد الإخوان المسلمين بإقامة "ديمقراطية إسلامية" كان بمثابة حصان طروادة مملوء بالجهاديين؟ هل كنا نشاهد انتصاراً للديمقراطية الليبرالية أم صراعاً للحضارات؟

وكانت حكومة الولايات المتحدة تحاول فهم المجموعة منذ ما يقرب من ستة عقود. وكان أيزنهاور قد دعا أحد كبار قادة الإخوان المسلمين إلى المكتب البيضاوي: سعيد رمضان، صهر مؤسس الإخوان المسلمين. لقد جاء إلى الولايات المتحدة عام 1953 لحضور مؤتمر في برينستون، وحذرت برقية من السفارة الأمريكية في القاهرة من "الإساءة إلى هذه الهيئة المهمة".

كان أيزنهاور يأمل في محاكمة الإخوان المسلمين كحليف ضد الشيوعية. ولكن عندما انتهت الحرب الباردة، لم يكن هناك الكثير مما يمكن مناقشته. وعلم مبارك في أوائل التسعينيات أن دبلوماسيين أميركيين في القاهرة تحدثوا مع الإخوان المسلمين، فانفجر غضباً.

"حكومتك على اتصال مع هؤلاء الإرهابيين من

"الإخوان المسلمون"، هذا ما قاله غاضبًا للصحفية ماري آن ويفر، متهمًا الإخوان باتهامات طاردتهم لعقود دون إثبات.

أثار جورج دبليو بوش ضجة عندما سجنت مصر غير الإسلاميين، لكنه فعل ما طلبه مبارك عندما يتعلق الأمر بالإخوان المسلمين.

"نحن لم نتعامل مع الإخوان المسلمين. "نحن لن نفعل ذلك"، قالت وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس أثناء زيارة للجامعة الأمريكية في القاهرة عام ،2005 بعد أن تحرك مبارك لإحباط الانتصارات الإسلامية المبكرة في التصويت البرلماني.

مصر "لديها حكم القانون الخاص بها، وأنا سأحترم ذلك".

تم تعيين الفيلسوف طارق رمضان –ابن الإخوان المسلمين الذي التقى بأيزنهاور وحفيد مؤسس الحركة –كأستاذ في جامعة نوتردام في عام 2004. ورفضت إدارة بوش منحه تأشيرة دخول. واضطر رمضان للتدريس في جامعة أكسفورد.

وبعد سبع سنوات، في عام ،2011 كان البعض في البنتاغون والبيت الأبيض في عهد أوباما لا يزالون ينظرون إلى جماعة الإخوان المسلمين باعتبارها ابن عم قريب من تنظيم القاعدة.

وقال الجنرال جيمس ماتيس: "إنهم جميعاً يسبحون في نفس البحر".

قال ذلك قائد القيادة المركزية في وقت لاحق في خطاب يلقي نظرة على تلك الفترة. ولم يكن يقصد جماعة الإخوان المسلمين وتنظيم القاعدة فحسب، بل كان يعني أيضًا الثيوقراطية الشيعية في إيران. وقد قدم موظفو مجلس الأمن القومي إلى ماتيس تقارير استخباراتية تحدد الاختلافات العميقة وحتى العداوات بين تلك التيارات الثلاث المتنافسة من الإسلام السياسي. لكن ماتيس أصر بعناد على الخلط بينهما.

"هل الإسلام السياسي في مصلحة الولايات المتحدة؟"

سأل ماتيس في نفس الخطاب في مؤسسة التراث. وقال إن هذا هو "السؤال الأساسي". "إذا لم نطرح السؤال، فكيف نصل إلى درجة التعرف على من هو جانبنا في المعركة؟"

لقد رأى أن الحرب ضد الإسلام السياسي –بكل أشكاله –هي الديناميكية المركزية للشرق الأوسط، واتفق معه كثيرون آخرون في واشنطن، بما في ذلك البنتاغون، والبيت الأبيض، والكونغرس. وكتب دينيس روس، مستشار الرئيس، في وقت لاحق في مقال افتتاحي بصحيفة نيويورك تايمز، موضحاً نفس الحجة: "الإسلاميون ليسوا أصدقاءنا". "عقيدتهم لا تتوافق مع التعددية أو الديمقراطية".

وكان جون كيري، رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ آنذاك ووزير الخارجية فيما بعد، عدوًا لدودًا للإخوان المسلمين.
في جلسة تأكيد عام 2008 لإرسال

سفيرة الولايات المتحدة مارجريت سكوبي في مصر، سأل كيري فقط عن "حالة التهديد الحالية" التي يشكلها الإخوان.

وقال كيري واصفاً ذلك: "لقد سمعت هذا من الرئيس مبارك".
النظرية القائلة بأن الانتخابات الديمقراطية في مصر من شأنها أن تعجل من سيطرة جماعة الإخوان المسلمين على نموذج حماس المتشدد في غزة. "إذا فتحت الأمر نوعًا ما وكانت جماعة الإخوان المسلمين شرعية، فستكون لديك في الواقع نتيجة أكثر تطرفًا والمزيد من عدم الاستقرار في مصر".

ثم كانت هناك مسألة الرأي العام. حتى تلك الموجودة في
الإدارة التي فهمت الفرق بين الإخوان والقاعدة عرفت أن هذا التمييز استعصى على معظم المشرعين والناخبين. ولم يرغب أي سياسي أمريكي في دعم جماعة الإخوان المسلمين علناً. فقد ظهر نائب مصري من جماعة الإخوان المسلمين في حفل استقبال في منزل السفير الأمريكي بالقاهرة عام 2007، وتحول الأمر إلى فضيحة في واشنطن. خلال الانتفاضة التي استمرت ثمانية عشر يومًا ضد مبارك، تجنبت هيلاري كلينتون ومسؤولو البيت الأبيض أي ذكر لكلمة "الإسلاميين" أو "الإخوان المسلمين" عندما التقوا بخبراء مراكز الأبحاث. وتمسك البيت الأبيض بالعبارة الملطفة "الجهات الفاعلة غير العلمانية". وفي وقت لاحق من ذلك الربيع، أزال أوباما شخصياً عبارة "الإخوان المسلمين" من مسودة خطاب حول الانتفاضة.

عندما دعا الدبلوماسيون الأوروبيون نظراءهم الأميركيين للقاء الإسلاميين العرب، تخيل ستيفن سايمون، من مجلس الأمن القومي، العنوان الرئيسي: الولايات المتحدة تنضم إلى الاتحاد الأوروبي للقاء الإرهابيين. لقد تخطيها الأمريكيون.

والآن تستطيع مصر (وتونس) أن تقدم الإجابات الواقعية على هذا السؤال
عقود من الافتراضات حول ما يمكن أن يحدث إذا فاز الإسلاميون على غرار الإخوان المسلمين في انتخابات حرة. لقد كانوا على وشك ممارسة السلطة، وأدرك البعض في الإدارة أن الاعتقال قد منع واشنطن من الحصول على معلومات مباشرة عن الإخوان المسلمين أو ديناميكياتهم الداخلية.

وكانت السفارة الأميركية في القاهرة، استجابة لوعد رايس الذي مضى عليه ست سنوات، قد تجنبت أي اتصال باستثناء الاجتماعات النادرة مع المشرعين الذين تصادف أنهم من الإخوان المسلمين. وفي ربيع عام 2011، لم تكن وزارة الخارجية تعرف أحداً فيما كان على وشك أن يصبح الكتلة السياسية الأكثر نفوذاً في مصر. لماذا لم نكن كذلك؟

التحدث مع هؤلاء الناس؟" أخبرني أحد أعضاء فريق الأمن القومي بالبيت الأبيض لاحقًا، وهو يتذكر حالة السخط. "لم نكن نعرف أي شيء!"

وقام مستشارو كلينتون في وزارة الخارجية والموظفين في مكتب مصر في مجلس الأمن القومي بصياغة برقية تأمر رسميا السفارة في القاهرة بالتواصل مع الإخوان المسلمين. لكن دونيلون كان لا يزال متوتراً. وجلس عليه أكثر من شهر.

وأخيرا، حصل أحد مستشاري كلينتون على نسخة من برقية مرسلة بالفاكس تتضمن نفس التعليمات من رئيس الوزراء ديفيد كاميرون إلى السفارة البريطانية في القاهرة. الآن كانت واشنطن تتخلف عن لندن. وافق دونيلون على الفور على الكابل الأمريكي.

ثم قاومت السفارة. وكان دبلوماسيوها قلقين للغاية بشأن رؤيتهم مع الإخوان، ولم يكونوا متأكدين من أي منهم يجب عليهم الاتصال به.
وبحلول الصيف، قرر كبير مستشاري كلينتون السياسيين، جيك سوليفان، إرسال خبير وزارة الخارجية لشؤون الإسلام السياسي، بيتر ماندافيل، لإجراء اتصالات. لكن السفيرة الأميركية المنتهية ولايتها، مارغريت سكوبي، مارست صلاحيات نادرا ما تستخدم لمنع الزيارة. لقد انضمت فقط بعد أن أكد لها كبار المسؤولين في وزارة الخارجية أن ماندافيل سيحضر دبلوماسيًا من السفارة إلى الاجتماع.

وأخيرا، في يوليو ،2011التقى ماندافيل ودبلوماسي السفارة
لتناول القهوة في فندق إنتركونتيننتال سميراميس في القاهرة مع محمد الشهاوي، وهو عضو في جماعة الإخوان المسلمين يبلغ من العمر أربعين عامًا وكان يعمل مديرًا تنفيذيًا إقليميًا لشركة ،3Mالشركة الأمريكية المتعددة الجنسيات.

وكان الدبلوماسيون والصحفيون والأكاديميون الغربيون يتدفقون على القاهرة يسألون عن الإخوان المسلمين في ذلك الوقت. وكانت تلك القهوة مجرد لقاء آخر للشهاوي. وحدث أنه كان في طريقه للخروج من الحركة. استقال بعد فترة وجيزة كجزء من انشقاق جماعي للمعتدلين.

لكن بالنسبة للأميركيين، فقد انهار السد. وبدأ الدبلوماسيون والسياسيون في شق طريقهم نحو حزب الحرية والعدالة الذي افتتحته جماعة الإخوان المسلمين حديثاً. ولم يتخلى جون كيري قط عن شكوكه تجاه الإخوان المسلمين، والتي أصبحت أكثر أهمية عندما كان وزيراً للخارجية. لكن في ديسمبر ،2011أصبح أول عضو في الكونجرس يزور مقرهم الجديد

مكتب القاهرة . (أخبرني الإخوان أنهم معجبون به بالفعل، لأنه كان أيضاً أول مشرع يزور غزة في عهد حماس). ويتعين على الولايات المتحدة أن تتعامل مع الواقع الجديد.

وأخبر كيري زميلي ستيفن لي مايرز في واشنطن بعد الرحلة.

لقد كان البرلمان الإسلامي مليئا بالصراعات منذ البداية.

في 23يناير ،2012اليوم الذي شاهدت فيه الإخوان في الخارج يحتفلون بانتصارهم ودفاعهم عن القاعة. زياد العليمي، المحامي الذي استضاف اجتماع التخطيط ليوم الشرطة، كان المنظم الوحيد لميدان التحرير الذي فاز بمقعد في البرلمان. وفي يوم الافتتاح حاول الضغط على "الثورة" في قسمه الرئاسي. لذا حاول المشرعون السلفيون أن يلتزموا بالشريعة. ثم قام أحد المنشقين عن جماعة الإخوان المسلمين بتنظيم تمرد.

كان المنشق عصام سلطان قد ترك جماعة الإخوان المسلمين قبل خمسة عشر عامًا ليؤسس حزبًا منشقًا معتدلًا، وهو حزب الوسط. ورداً على ذلك، ذهب زعماء الإخوان المسلمين إلى المحكمة إلى جانب محامي مبارك لمحاولة سحق الحزب المنشق. لكن الآن أعلن سلطان انتقامه مبتسما. لقد قام بتشكيل ائتلاف غريب من السلفيين والمعتدلين وغير الإسلاميين لمحاولة حرمان الإخوان من فرصة اختيار رئيس البرلمان. صرخ الإسلاميون ضد الإسلاميين، واستغرق الأمر حتى حلول الليل حتى يتمكن الإخوان من حشد ما يكفي من الأصوات للتغلب على سلطان.

"هذه هي الديمقراطية"، هكذا قال رئيس البرلمان المنتخب حديثا سعد الكتاتني

من جماعة الإخوان المسلمين، رددها بضجر. «لقد أدركه الناس».

ومع ذلك، حتى بعد كل هذه الصراخات، لم ينتزع البرلمان الذي يقوده الإخوان الكثير من السلطة من الجنرالات. واشتكى البعض من أن الإخوان لم يبذلوا جهدا كافيا، خوفا من مواجهة المجلس العسكري. ورأى آخرون أن أي مواجهة حينها لا يمكن أن تنتهي إلا بالسماح للجيش بتشديد قبضته. لكن على أية حال، وبدون دستور جديد أو رئيس جديد، وضع الجنرالات القواعد. ولا يزال وزير الدفاع طنطاوي يشغل منصب رئيس الدولة. ولا يزال مجلسه يعين رئيس الوزراء ومجلس الوزراء ويصدر القوانين. كان برلمان اللحى صاخباً لكنه عاجز. وسوف تنتظر المرحلة الانتقالية حتى انتخاب

رئيس جديد. ولكن في بعض النواحي، كان الشجار بين الإسلاميين والإسلاميين في يوم الافتتاح بمثابة بداية مناسبة للسباق الرئاسي، وفي هذا الصدد، كان بمثابة عينة عادلة من تاريخ الإخوان المسلمين.

...

يا في مساء يوم من عام 1974، تسلل طالب طب طويل القامة ونحيل إلى محل أحذية مزدحم في شارع قصر العيني، على مسافة ليست بعيدة عن المستشفى الذي كان يعمل فيه كطبيب مقيم. لم يكن بحاجة إلى حذاء. وقد طُلب منه مقابلة أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين الذي أُطلق سراحه في ذلك العام بعد أن قضى عشرين عامًا في السجن في قنا، على بعد ست ساعات بالسيارة جنوب القاهرة.

وكان صاحب المتجر أخًا مسلمًا آخر. وكان شراء الأحذية بمثابة ذريعة للسماح لهم بالتحدث خارج نطاق سمع الشرطة السرية.

وكان حينها طالب الطب عبد المنعم أبو الفتوح
زعيم حركة طلابية إسلامية جديدة ومستقلة كانت تجتاح الجامعات. لقد كان سياسيًا بالفطرة، وسيمًا وفصيحًا، ذو وجه مستدير وابتسامة جاهزة. لقد نشأ في أسرة من الطبقة المتوسطة غير السياسية في القاهرة، وعندما كان مراهقًا كان مفتونًا بعبد الناصر مثل بقية جيله.

ثم تحطمت وعود عبد الناصر بالعظمة الوطنية بسبب إذلاله في حرب الأيام الستة مع إسرائيل عام 1967.

وعندما أصبح عمق هزيمته واضحا، دعا حليفه، الملك حسين، عاهل الأردن، إلى وضع استراتيجية بشأن اختلاق الأعذار. "هل نقول إن الولايات المتحدة تقاتل إلى جانب إسرائيل؟" سأل عبد الناصر عبر خط هاتف غير آمن. "هل نقول الولايات المتحدة وإنجلترا، أم الولايات المتحدة فقط؟"

ووافق الملك على الأمرين، كما علم العالم بعد ذلك بوقت قصير. وسجلت إسرائيل مخطط الزعيمين للكذب، وقامت بتشغيل الشريط عبر الراديو في مصر.

استغلال خيبة الأمل مع عبد الناصر في السنوات
بعد عام 1967، نجح أبو الفتوح وشبابه الإسلاميين في إخراج الناصريين (والشيوعيين) من الحكومة الطلابية لأول مرة منذ عام 1952. وأصبح رئيسًا لاتحاد الطلاب في جامعته وقام ببناء منظمة وطنية للطلاب الإسلاميين.

في الجامعات في جميع أنحاء مصر. وبحلول ذلك الوقت، كانت حملات القمع المتعاقبة قد قضت على جماعة الإخوان المسلمين؛ لقد توقف تقريبا عن الوجود خارج السجون. في لحظة اللقاء في محل الأحذية، ربما كان أبو الفتوح هو الإسلامي الأكثر تأثيرا في مصر، أو ربما في المنطقة.

السادات، الذي تولى السلطة بعد وفاة عبد الناصر في خريف عام 1970،

وقد بدأت مؤخراً في السماح للإسلاميين بالخروج من السجون كقوة موازنة لليسار. وكان الإخوان المسلمون المسنون الخارجون من السجون ينظرون بحسد إلى الشباب والطاقة والأعداد في حركة أبو الفتوح الطلابية، وكانوا متشوقين لمقابلته.

متأثراً بإصرار المسلم المفرج عنه حديثاً

لاستئناف مسيرته الخطيرة، قاد أبو الفتوح في النهاية القادة الطلابيين من حوله إلى جماعة الإخوان المحتضرة. لقد أعادوا تنشيطه، تمامًا كما كان يأمل الكبار، وبدأ اجتماع متجر الأحذية في ولادة جديدة. وأشار العديد من الإخوان المسلمين من جيله إلى أبو الفتوح باعتباره "المؤسس الثاني" لحركتهم، وتغيرت حياته أيضاً. وكتب بعد عقود: "عندما أتذكر ذلك اللقاء، لا أستطيع التوقف عن البكاء".

وبعد ثلاث سنوات من اللقاء، في عام 1977، حضر أبو الفتوح أ

منتدى متلفز في جامعة القاهرة مع الرئيس أنور السادات، الذي كان لا يزال عاليا بعد "انتصار" مصر على إسرائيل في حرب يوم الغفران عام 1973. وصفق الجمهور بإخلاص، حتى رفع أبو الفتوح يده.

أراد أن يعرف لماذا منعت أجهزة أمن السادات شيخًا يتمتع بشعبية كبيرة من التحدث علنًا. هل لأنه انتقد الحكومة؟ السيد الرئيس أبو الفتوح قال للسادات أنتم محاطون بـ"المتملقين" و"المنافقين".

"قف هناك، توقف!" صرخ السادات. "أنا رئيس

العائلة رئيس البلاد!

فرد أبو الفتوح بالتساوي: «أنا واقف يا سيدي».

وقد ذهب الكثير منهم إلى السجن مقابل أقل من ذلك. وأصبح أبو الفتوح أيقونة إسلامية. وكانت لقطات الفيديو الخاصة باللقاء لا تزال متداولة عندما وصلت إلى مصر.

عندما التقيته في مارس ،2012كان أبو الفتوح في التاسعة والخمسين من عمره. وكان قد أمضى سبع سنوات في السجن بتهمة التنظيم ضد مبارك. كان يجلس خلف مكتب المعلم في المكتب الصغير الذي كان يستخدمه كرئيس لمجموعة جامعة لنقابات الأطباء في المنطقة العربية، وكان قد قدم للتو أوراقه للترشح لمنصب رئيس مصر، في ما وعد بأن يكون أول رئيس حر وديمقراطي. انتخابات رئاسية نزيهة في أي دولة عربية. لكنه لم يترشح كممثل لجماعة الإخوان المسلمين. وكان أبو الفتوح ينافسها.

وقال: "يمكنك القول إنني إسلامي ليبرالي". "مقارنة مع الإخوان المسلمون، أنا أكثر ليبرالية".

كان يتمتع بالمظهر الكلاسيكي للأخ المسلم، وله لحية بيضاء مشذبة حتى مسافة نصف بوصة من جلده. لكن سلوكه كان غير رسمي بشكل مدهش بالنسبة لزعيم جماعة الإخوان المسلمين أو أي سياسي مصري. كانت سترته معلقة على ظهر كرسيه، وانحنى إلى الأمام على مرفقيه ليشير بيديه. لقد شعرت عدة مرات أنه كان يضحك على أسئلتي.

وكانت جماعة الإخوان المسلمين قد قالت خلال الانتفاضة إنها لن تسعى للحصول على أكثر من ثلث أعضاء البرلمان. ثم تنافس على جميع المقاعد تقريبًا وفاز بما يقرب من نصفها. والآن تعهدت المجموعة بعدم تقديم مرشح للرئاسة. كان أصدقائي المصريين الناطقين باللغة الإنجليزية على يقين من أن أبو الفتوح كان بمثابة حصان مطارد للإخوان، حيث تظاهر بالانفصال عنهم ليترشح كمرشحهم الخفي على الرغم من تعهدهم. حاولت مراراً وتكراراً الإمساك به. لكن كل ما قاله لم يبق من الإخوة فقط. لقد بقي من التيار المصري السائد.

أراد الفصل الصارم بين الدين والحكومة. "متى

وقال: "نحن نخلط الدين بالسياسة، وكلاهما يفسدان". كان سيحمي حرية التعبير وحتى التجديف؛ فقد زار ذات مرة الأديب الحائز على جائزة نوبل نجيب محفوظ في المستشفى لإظهار التضامن معه بعد أن طعنه إسلامي متشدد في رقبته بسبب كتابته رواية تدنيسية (كان أبو الفتوح لا يزال يحمل القلم الذي أعطاه إياه المؤلف). أراد أبو الفتوح المساواة الكاملة بين النساء وغير المسلمين. وأعرب عن تطلعه إلى التصويت لامرأة أو مسيحي رئيساً لمصر. وانتقد جماعة الإخوان المسلمين بسبب مجلس إدارتها المكون من الرجال فقط، والمعروف باسم مجلس الإرشاد. زوجته

عملت كطبيبة توليد ودعمت أسرتها. مارست ابنتهما الطب في كاليفورنيا. "أنا قريب جدًا من القيم الغربية."

لكن أبو الفتوح لم يكن ليبراليا فحسب . ودعم مواقفه بآيات من القرآن أو الحديث. وقال أبو الفتوح: "قال الله لنبينا: "إنك لا تستطيع التحكم في الناس، كل ما يمكنك فعله هو نصحهم". ""إذا ألزمتك على تبني بعض الدين -لتبني بعض السلوك -سأتهمك بالنفاق.' يجب أن يكون لدى الناس إرادة حرة".

حسنًا، ماذا عن زواج المثليين؟
الآن كان لي. "أنا أترشح لرئاسة مصرا!" قال غاضبا في النهاية. "هذا سؤال بالنسبة للولايات المتحدة، لكنه غير وارد في مصر!"

كان أبو الفتوح يفرض النقاش حول القضايا التي حيرتني منذ أن سمعت الإخوان المسلمين للمرة الأولى يرددون شعارهم المستمر منذ عقود: "الإسلام هو الحل". الحل لماذا؟ وكيف سيبدو ذلك؟ ولم تسمح أي حكومة عربية قط بمناقشة مفتوحة حول كيفية تطبيق تعاليم الإسلام في الحياة العامة والسياسية. ولم تكن أي انتخابات حرة قد اختبرت هذه القضية على الإطلاق.

قضيت سبع سنوات في دراسة المناقشات حول الطبيعة الحقيقية للإخوان المسلمين. وما هي الأجندة الحقيقية التي كانت تخفيها وراء شعاراتها؟ تعلمت أن هذا السؤال كان خاطئًا تمامًا. لم يكن هناك قط شخصية أساسية واحدة للإخوان المسلمين، لأن الإخوان أنفسهم لم يتفقوا بشكل كامل مع بعضهم البعض حول أي من هذه القضايا. لم تكن أيديولوجيتهم غامضة بالنسبة للجمهور فحسب؛ لقد كان الأمر غامضًا حتى بالنسبة لهم. في الواقع، كان الغموض والتدفق هما المفتاحان لاستمرارية حركتهما.

كان حسن البنا، الذي ولد عام 1906 وأسس جماعة الإخوان المسلمين وهو في الثانية والعشرين من عمره، يتمتع بموهبة المفارقة. لقد كان ابنًا لإمام ريفي كان يمتلك أحد متاجر الفونوغراف الأولى في مصر، وكان لكل من الأب والابن اهتمام كبير بالتصوف -على الرغم من أن الصوفية والموسيقى اعتبرتا هرطقة من قبل المسلمين السنة الأكثر تشددًا. تدرب الابن كمدرس للغة العربية وعمل في المدارس الحكومية. لكنه تولى أيضاً لفترة وجيزة نشر المجلة الرائدة لحركة عبده الإسلامية الحداثية –المنار . اكثر من اي شيء اخر،

وكرس الإخوان لفكرة عبده القائلة بأن العودة إلى جذور الإسلام هي الطريقة الوحيدة للحاق بالغرب في العقلانية والتقدم.

في هذا المفهوم الأساسي، مزج البنا بين موضوعات التقليدية الإسلامية والقومية المناهضة للغرب المستعارة من بعض خلفاء عبده الفكريين. ثم سخر البنا أفكارهم المجردة لحماسه الخاص في التنظيم.

"إذا كانت الثورة الفرنسية قد قررت حقوق الإنسان وأعلنتها
كتب البنا ذات مرة: «من أجل الحرية والمساواة والأخوة، وإذا كانت الثورة الروسية قد قربت الطبقات والعدالة الاجتماعية بين الناس، فإن الثورة الإسلامية العظيمة قررت كل ذلك قبل ألف وثلاثمائة عام».

هل ستكون حركة للتجديد الروحي أم للسلطة السياسية؟
متشددة أم سلمية؟ قومية مصرية أم قومية إسلامية؟
ديمقراطية أم استبدادية؟ لقد اتخذ البنا كلا الجانبين في كل جدال، وترك لأتباعه عقودًا من الجدل الداخلي حول أهدافهم.

لقد انجذب إلى السياسة، لكنه أصر على أن جماعة الإخوان المسلمين كانت أكثر من مجرد حزب -"مجموعة رياضية، واتحاد ثقافي وتعليمي، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية"، من بين أمور أخرى. لقد عقد صفقات مع الملك المدعوم من بريطانيا لتقييد الدعارة ومبيعات الكحول. لكن البنا أكد أن التغيير الحقيقي لا يمكن أن يأتي إلا من الأسفل، من مؤمن واحد في كل مرة. وكثيراً ما وعد البنا قائلاً: "اطردوا الإمبريالية من أرواحكم، وسوف تغادر أرضكم".

وتعهد بالعمل من أجل إقامة خلافة جديدة، وأعلن أن "القرآن هو دستورنا". ولكنه أوضح أنه يعتبر الخلافة مجرد جنة غامضة لنهاية التاريخ. وندد بالحكم الثيوقراطي و"الاستبداد الكنسي". وقال في بعض الأحيان إن أفضل نموذج للحكومة الإسلامية هو الديمقراطية ذات الدستور المكتوب الموجود في الغرب.

كيف يمكن أن تبدو الدولة أو المجتمع الإسلامي عمليا؟
تجنب البنا السؤال في الغالب، أو أصر على أن الإجابة ستختلف باختلاف الزمان والمكان والإجماع العام. (وهذا جزء من السبب الذي يجعل الجماعات التي تستلهم جماعة الإخوان تختلف من دولة إلى أخرى). وتتطلب لوائحه الداخلية الطاعة المطلقة، ولكن الأول

اندلعت التمردات الداخلية والانقسامات والانشقاقات في غضون أربع سنوات من التأسيس. وكانوا لا يزالون يهتفون عندما كنت أعيش في القاهرة.

من المؤكد أن جماعة الإخوان المسلمين كانت مرتبطة برؤية وتاريخ أساسيين. لكنها كانت تتغير دائمًا ولم تكن متجانسة أبدًا.

هل يجب أن أخاف من الإخوان المسلمين؟ وكانت سمعتهم المتعلقة بالعنف منتشرة في الغرب إلى الحد الذي جعلني أهتم بشكل خاص بفهم هذا الإرث. وكان البنا قد تحدث بشغف عن الجهاد والاستشهاد و"فن الموت" دفاعاً عن الإسلام. لبضع سنوات في الأربعينيات ذهب إلى حد إنشاء جناح شبه عسكري سري -ما يسمى بـ "الجهاز الخاص". لكن القاهرة في الأربعينيات كانت رديئة فيما يتعلق بالجماعات شبه العسكرية. كان لكل فصيل واحد –القوميون، والملكيون، وما إلى ذلك. وبهذا المعنى كان البنا يواكب عصره. وتعاون الجهاز الخاص للإخوان مع الضباط الأحرار التابعين لعبد الناصر للقتال ضد دولة إسرائيل الوليدة والتآمر ضد الاحتلال البريطاني. كان أنور السادات هو همس الضباط الأحرار لتدريب وتجهيز الإخوان.

ثم بدا أن الجهاز الخاص أصبح مارقًا. وفي 15 نوفمبر 1948، اعتقلت حكومة الملك فاروق جميع قيادات جماعة الإخوان المسلمين، وقطعت التسلسل القيادي للجماعة. لكن جنود الجهاز السري ظلوا طلقاء. في 28 ديسمبر/كانون الأول، ارتدى طالب بيطري يبلغ من العمر 23 عاماً وينتمي إلى القوات شبه العسكرية التابعة لجماعة الإخوان المسلمين زي شرطي وتسلل إلى داخل وزارة الداخلية أثناء زيارة رئيس الوزراء محمود النقراشي. وأدى المحتال التحية وأطلق النار على رئيس الوزراء في ظهره ثم قضى عليه برصاصة في صدره عندما التفت النقراشي ليرى ما أصابه. وتم القبض على أحد كبار السن في الجهاز السري بعد أسبوعين لمحاولته تفجير محكمة تحتوي على سجلات قضية ضد الإخوان.

واستنكر البنا الجناة وأفعالهم. "هم أعلن في رسالة مفتوحة: "لا إخوان ولا هم مسلمون". وفي رسالة ثانية، ناشد "الشباب" الضالين الآخرين تجنب التهديدات أو الأسلحة. ومع ذلك فإن حكام مصر المتعاقبين لعقود من الزمن اعتبروا اغتيال النقراشي دليلاً على شخصية الإخوان الحقيقية. وبعد انتفاضة 2011، استمر الاستشهاد بالصحفيين والمثقفين المصريين المعارضين لجماعة الإخوان المسلمين

مقتل رئيس الوزراء عام 1948 لتفسير خوفهم من الحركة.

البنا نفسه اغتيل على يد عميل للملك بالكاد

وبعد ثمانية أسابيع، في 12 فبراير 1949، عندما استقل سيارة أجرة قبالة ميدان رمسيس في وسط مدينة القاهرة. وخلفه كمرشد عام للإخوان القاضي السابق حسن الهضيبي. لقد جعل من أولوياته القصوى تطهير المنظمة من العنف والقضاء على أجهزتها السرية. ولكن بعد عقد من الزمن، في أوائل الستينيات، حاولت دائرة صغيرة من الإخوان المسلمين مرة أخرى إعادة إنشاء وحدة شبه عسكرية سرية أخرى، في تحدٍ للهضيبي.

وقد استلهم وقيادة المفكر الإسلامي سيد قطب هذا الجديد

تآمرت الدائرة لتهريب أسلحة من السودان وتحدثت عن استخدامها في اغتيالات انتقامية (مبررة بالدفاع عن النفس) إذا تحرك عبد الناصر ضدهم مرة أخرى. لكنهم كانوا بطيئين للغاية.

وعلم عبد الناصر بالمخطط، ففض المؤامرة، وفي عام 1966، أعدم قطب.

مؤيدو الأنظمة التي حكمت العالم العربي خلال الفترة القادمة

وظل نصف قرن يتذكر البنا وقطب باعتبارهما إرهابيين قُتلا بسبب خيانتهما. بالنسبة للإسلاميين، كانوا شهداء. وكان البنا يحذرهم دائمًا من أنهم سيواجهون الاضطهاد.

أصبحت بعض أفكار قطب -خاصة حول ردة الديكتاتوريات مثل ديكتاتوريات مبارك- نقطة انطلاق لتفكير الجهاديين السلفيين مثل أيمن الظواهري من تنظيم القاعدة.

(بعد سجنه لبعض الوقت مع الظواهري، شاهده أبو الفتوح ذات مرة وهو يخوض معركة لا طائل من ورائها مع أحد الحراس فقط من أجل الصراع وإراقة الدماء). لكن قيادة الإخوان ضاعفت التزامها باللاعنف، وقننت موقفها في منشور من خلال مرشدهم العام المسجون الهضيبي. أصبحت منشورات "دعاة، لا قضاة"، أحد ركائز جماعة الإخوان المسلمين.

وقد نفذت حركة حماس، وهي المنظمة الفلسطينية الرئيسية التي تستلهم جماعة الإخوان المسلمين، أعمال عنف ضد إسرائيل، بما في ذلك الهجمات التي أدت إلى مقتل مدنيين إسرائيليين. وصنفت الولايات المتحدة حماس منظمة إرهابية. وقد صفق زعماء جماعة الإخوان المسلمين المصرية لحماس. لكنهم يعتبرونها حالة خاصة. ويعتبرون مقاومة حماس غير شرعية

الاحتلال، وبالتالي فإن استخدام العنف مبرر بموجب القانون الدولي للدفاع عن الاستقلال الفلسطيني.

لكن منذ قطب وحتى عام ،2011لم يجد المؤرخون أي دليل على أن قيادة الإخوان المسلمين خططت مرة أخرى للعنف في مصر. وبدلاً من ذلك، ترك أولئك الذين يميلون نحو الجهاد المسلح، مثل أيمن الظواهري، الإخوان في حالة من الإحباط. كان "الحصاد المر" هو عنوان كتابه الطويل "الجريمياد" ضد اللاعنف في الحركة.

بدأ أبو الفتوح نشاطه في السبعينيات من القرن الماضي باعتباره ناقدًا مثل السلفي. كان أحد إنجازاته التي يفتخر بها كزعيم طلابي إسلامي هو الفصل بين الرجال والنساء في قاعات المحاضرات. وقام طلابه الإسلاميون ببيع أغطية الرأس الرخيصة لتشجيع النساء على تغطية أجسادهن. لقد استاءوا من الموسيقى والدراما والأفلام وأي وسيلة ترفيه أخرى تقريبًا. وكتب لاحقاً: "لم تكن لدينا أي رؤية للفن إلا أنه كان محرماً".

لكن الإخوان المسلمين خففوا عنه. وصدم المرشد العام الثالث لجماعة الإخوان المسلمين، عمر التلمساني، الذي أُطلق سراحه أيضًا من السجن في أوائل السبعينيات، أبو الفتوح بإعلانه أنه يستمع إلى أم كلثوم بل ويعزف الموسيقى. وقال التلمساني إن الجيل المؤسس للإخوان المسلمين قام بتنظيم فرق فنية وسينمائية ومسرحية لرفع مستوى الثقافة. وكانت زوجته ترتدي شعرها بدون حجاب. والأهم من ذلك هو أن التلمساني أقنع أبو الفتوح وغيره من الطلاب بنبذ العنف في وقت كان فيه آخرون من جيلهم ينضمون إلى التمرد الجهادي السلفي المتمركز في جنوب مصر.

قال لي أبو الفتوح: "قال لي بعض الناس: لقد ارتكبت خطأً فادحاً يا أبو الفتوح، لأنك جعلت هؤلاء الإخوان المسلمين قادة لنا، وما زالوا يقولون ذلك". "لكنني قلت لهم إذا انفصلنا عن الإخوان فربما اتخذتم خيار العنف".

بدأ أبو الفتوح والطلاب الإسلاميين الذين أحضرهم معه في دفع الإخوان للتنافس في انتخابات النقابات المهنية التي ترعاها الدولة، مثل نقابة الأطباء.

وعلى الرغم من أن مبارك كان لا يزال يحظر جماعة الإخوان المسلمين، إلا أن أعضائها بدأوا في نهاية المطاف في الترشح للبرلمان أيضًا، في البداية تحت رايات الأحزاب القائمة ثم كمستقلين. بحلول عام ،1987

وكان مرشحو الإخوان يوزعون كتيبات تتخلى عن أي فرض للشريعة الإسلامية، وتؤكد على المواطنة المتساوية للمسيحيين الأقباط. وفي عام 2000، قدم الإخوان مرشحات برلمانيات، وأعادوا تفسير الآيات القرآنية حول ولاية الرجل لتشير إلى الأسرة فقط. حتى أن بعض الزعماء قالوا إن غطاء الرأس ليس التزامًا دينيًا، بل "مجرد مسألة هوية وانتماء، تمامًا مثل الساري بالنسبة للهنود".

كان أبو الفتوح أبرز مناصري الاعتدال في جماعة الإخوان المسلمين ومتحدثًا بارزًا بشكل متزايد. كان ينتمي إلى حركة أوسع من الإسلاميين ذوي التفكير المماثل في جميع أنحاء المنطقة الذين دافعوا عن القيم الدينية ولكن الحكومات العلمانية -وعلى الأخص بما في ذلك صديق أبو الفتوح المقرب رشيد الغنوشي من تونس. وكان عصام سلطان، الذي قلب يوم افتتاح البرلمان، جزءاً من الاتجاه نفسه. وبحلول عام 2005 تقريبًا، كانت هذه الحركات واضحة بدرجة كافية لدرجة أن الصحفيين والباحثين كانوا بحاجة إلى مصطلح لوصفهم: "ما بعد الإسلاميين".

وبعد ذلك، ولصدمة معظم أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، صوت مجلس إدارتهم في عام 2009 على طرد أبو الفتوح من مقعده.

لقد انشق عن منصة الحزب النموذجية التي تراجعت كثيرًا عما كان يدافع عنه. وأعلن أن رئيس مصر هو رجل مسلم فقط، وأن البرلمان يجب أن يأخذ مشورة مجلس علماء المسلمين. وعلى الرغم من التحول الخارجي لجماعة الإخوان المسلمين، إلا أن الفصيل المحافظ كان له اليد العليا على كل حال. وقال لي أبو الفتوح في وقت لاحق: "لقد سيطروا على جماعة الإخوان المسلمين بالكامل". "لم يكن هناك أمل بالنسبة لي."

في يونيو/حزيران 2011، كان يجلس في طائرة تستقل سيارة أجرة في مطار القاهرة الدولي، بعد عودته للتو من زيارة إلى لندن، عندما اتصل به المستشار الإعلامي لحملته الرئاسية ليخبره بأخبار من جماعة الإخوان المسلمين. نفس القادة الذين عزلوا أبو الفتوح من مجلس إدارتها، صوتوا لصالح طرده من عضوية جماعة الإخوان المسلمين. وقالت الهيئة إنه تحدى أوامرها بالترشح للرئاسة بعد أن تعهدت جماعة الإخوان المسلمين بعدم تقديم مرشح. بكى في مقعده.

• • •

لقد أثارت ثورات الربيع العربي مناقشات كانت صامتة ذات يوم حول أهداف الإسلام السياسي إلى العلن. لقد سمعنا نسخًا منه تنتشر في كل مكان، بدءًا من مقاهي الشوارع ذات الكراسي القابلة للطي التي تبيع القهوة التركية في وسط المدينة، وحتى نشاز البرامج الحوارية الليلية.

وقام أبو الفتوح، الذي لم يهاب معارضة الإخوان المسلمين، بتنظيم حملة رئاسية تستهدف جوهر القضية. وانشق العشرات أو المئات من شباب الإخوان المسلمين للانضمام إليه (بما في ذلك الشهاوي، المدير التنفيذي لشركة 3M الذي التقى بالأمريكيين). كان المستشار الإعلامي لحملته شابًا ليبراليًا وكان مؤهله الأساسي هو الخبرة في حملة مايكل بلومبرج لرئاسة بلدية نيويورك. وكانت المستشارة السياسية للحملة هي الناشطة النسوية والاشتراكية الصريحة، رباب المهدي، التي قامت بتدريس العلوم السياسية في جامعة ييل قبل عودتها إلى وطنها للانضمام إلى الجامعة الأمريكية في القاهرة.

لقد تعقبتها في نهاية مظاهرة أخرى في ميدان التحرير ضد الحكم العسكري، وسمحت لي بمتابعتها إلى سيارتها إذا تمكنت من اللحاق بها. كان لديها شعر مموج يصل إلى كتفيها، وترتدي نظارات ملونة، وكانت تتقاذف كلمات مثل "الخطاب" و"الهيمنة".

وقالت: "مصر بحاجة إلى سماع الأفكار الأساسية لليسار، ولكن من خلال صوت إسلامي حتى لا يبدو الأمر غريباً". لقد هدفت حملة أبو الفتوح إلى "إنشاء يسار يضم الإسلاميين وغير الإسلاميين، حتى نتمكن من الحديث عن السياسة ونتوقف عن الحديث عن الدين".

لم تخف سعادتها بإلحاق الألم بالإخوان. «أبو الفتوح خطير جدًا عليهم، إنها مسألة حياة أو موت. إذا نجح، فهذا يعني أن الإخوان يفقدون احتكارهم للإسلام المعتدل.

لقد تطورت آراء أبو الفتوح، كما قالت لي بعد سنوات. "في البداية كان يقول: لماذا أحتاج إلى سياسة خاصة للأقباط؟ لماذا يختلف الأقباط عن الإخوان المسلمين؟ ألا يتم التمييز ضد الإخوان المسلمين أيضًا؟'' في اليوم التالي لمذبحة المسيحيين خارج مبنى ماسبيرو في أكتوبر 2011، تعاطف بعض الإسلاميين السابقين في فريق حملة أبو الفتوح مع الجنود، مشيرين إلى أنهم اضطروا إلى ذلك. الدفاع ضد أ

هجوم مسيحي. فغضب المهدي وخرج من مكتب الحملة.

لكن بعد رحيلها، أصدر أبو الفتوح إدانة أقوى من أي حزب آخر تقريبًا، أقوى حتى من الكنيسة القبطية نفسها. وأضاف: "من سقط من قتلى وجرحى مصريون، وعلينا نحن المصريين أن نتحد لوقف هذا التهديد لأمننا القومي".

أصبحت أعتبر مهدي صديقًا، وكانت لا ترحم تجاه أي تلميح للتمييز الجنسي. لكنها انتقدت أيضًا زميلاتها النسويات اللاتي تصرفن وكأن الإسلام السياسي هو التهديد الوحيد لحقوق المرأة العربية. لقد عرفت من تجربتها أن القوميين والليبراليين واليساريين المصريين كانوا جميعًا متحيزين جنسيًا أيضًا.

عندما أسمع النساء المصريات يقولون: الإخوان المسلمون

"سوف يحبطونا"، أقول لهم: "يا شباب، لقد تم إحباطنا بالفعل!". "فيما يتعلق بالتمييز الجنسي والسلطة الأبوية، فإن الإخوان المسلمين ينتمون إلى التيار السائد في مصر".

ومثل معظم السياسيين المصريين، بدأ أبو الفتوح يشير إلى النساء على أنهن "بنات"، ويتحدث عن "الزوجات والأمهات والأخوات"، أو يشيد بأهمية المرأة "لتربية الأطفال والبيوت".

قال لي مهدي: "قلت: تخلص من هذا القرف". وسرعان ما كان أبو الفتوح
يتحدث عن «الحد الأدنى للدخل» بدلاً من الحد الأدنى للأجور، مؤكداً على قيمة العمل داخل المنازل، ومصححاً لمن سألوه عن «الفقر».
كان سيقول لهم إن ذلك قد يطلق عليه اسم «الإفقار»، لأنه نتاج نظام اقتصادي وليس شرطًا ثابتًا.

قال المهدي: "لقد بعناه على كل شيء".
تابعت أبو الفتوح في مسيرات في القاهرة ودلتا النيل.

وكلما سُئل عن القضايا الدينية، أجاب بأن المصريين متدينون بالفعل بما فيه الكفاية. "إن مصر تفتخر بهويتها الإسلامية والعربية منذ خمسة عشر قرناً. هل ننتظر أن يحولنا البرلمان؟ فيقول: أو: مصر لديها ما يكفي من المساجد. ما تحتاجه مصر هو المصانع".

وقام بعض من أنصاره الأصغر سنا بتسجيل أغنية في الهيب هوب.

موسيقى الشوارع المولدة بالكمبيوتر على طراز الهيب والتي انطلقت من مكبرات صوت التوك توك.
"إنه ليس أمريكيًا، وليس بريطانيًا، وليس كذلك

إيراني. . . . ولم يسرق الأرض. . . . إنه رجل نظيف. . . . ابو الفتوح! أبو الفتوح! قيل لي أنه يكره ذلك. لم أستطع إخراجها من رأسي.

...

ك

حيرت الشاطر كان رجل أعمال ونائبًا للجنرال
مرشد الإخوان المسلمين. لقد كان كبير استراتيجييها، وكبير مموليها، وصديقًا قديمًا لأبو الفتوح. أي حتى عام ،2009عندما برز الشاطر باعتباره القوة الدافعة وراء طرد أبو الفتوح من مجلس الإدارة ومن ثم الحركة.

كان الشاطر يبلغ من العمر اثنين وستين عامًا في عام ،2012وهو أطول مصري على الإطلاق
التقيت من أي وقت مضى. كان يقف أكثر من ستة أقدام، وكان سميكًا في المنتصف. كانت هناك خطوط رمادية تتخلل لحيته الكاملة، وعيناه مثبتتان بعمق أسفل جبهته العالية. لقد جمع ثروة شخصية من الاستثمار في الأثاث وتصنيع الحافلات والمنسوجات والبرمجيات وغيرها من الصناعات. التقينا في المقر الرئيسي لشركته القابضة في أحد الأبراج الشاهقة بمدينة نصر. قدم لنا النوادل أكوابًا باردة من عصير المانجو الطازج.

وكان الشاطر قد أمضى اثنتي عشرة سنة خلف القضبان بتهم مسيسة مختلفة في عهد مبارك، وهي فترة أطول من أي زعيم آخر لجماعة الإخوان.
كان يدير إمبراطوريته التجارية، جماعة الإخوان المسلمين، وأسرة مكونة من عشرة أطفال من داخل زنزانة السجن. وكان قد زوّج بناته الثماني جميعاً لشباب من الإخوان المسلمين، وكان بعضهم من زملائه في السجن. زاره العرسان الثمانية في السجن ليطلبوا موافقته. خمسة قالوا عهودهم خلف القضبان. لقد كانت جماعة الإخوان المسلمين عالماً منعزلاً.

وإذا كان أبو الفتوح هو الذي أعاد تنشيط جماعة الإخوان، فإن الشاطر أعاد تنظيمها. لقد خطط وموّل استراتيجيتها السياسية، وتوسعها على الإنترنت، وتواصلها مع الغرب. لقد تحدث بكفاءة الوقت هو المال. يبدو أن كل كلمة تخرج من فمه منظمة بالفعل في أرقام رومانية وأحرف كبيرة. لست متأكدا من أنه ضحك من أي وقت مضى.

أخبرني أنه انجذب إلى جماعة الإخوان المسلمين لأنها تجيب على كل سؤال. وقال: «إنها تتحدث عن بناء الفرد، وبناء الأسرة، وبناء المجتمع، وبناء الدولة».

"إنه يتحدث عن الاقتصاد. يتحدث عن علم الاجتماع. إنه يتحدث عن الثقافة."

وكان الشاطر صريحا مثل أي شخص آخر فيما يتعلق باحتضان الإخوان للديمقراطية واحترام الغرب. "لا داعي للخوف منا" كان العنوان الرئيسي لعمود رأي كان قد ساهم به في صحيفة الغارديان عام .2005والآن، قاد الشاطر جماعة الإخوان المسلمين إلى التخلي عن مواقفهم في البرنامج النموذجي القديم -وهو نفس الموقف الذي دفعت الجماعة أبو الفتوح إليه. خارج مجلس الإدارة قبل ثلاث سنوات فقط. ولم يعد المجلس يعلم أن رجلاً مسلماً فقط هو الذي يمكن أن يتولى منصب الرئيس وأن العلماء المسلمين يجب أن يوجهوا البرلمان.

ولكن الآن بعد أن رحل مبارك، أصبح العديد من الإخوان المسلمين الأصغر سنا
واشتكى من أنه، على النقيض من دعواته لتشكيل حكومة ديمقراطية، كان الشاطر يقمع النقاش الداخلي والمعارضة داخل جماعة الإخوان المسلمين، ويدير الجماعة كرجل قوي. قال لي محمد الجبة، البالغ من العمر 27 عاماً، وهو يغادر المجموعة: "لقد خدعنا".

كنت أواجه انشقاقًا عن الإخوان المسلمين يمينًا ويسارًا.
كان من المستحيل قياس الأعداد، ولكن كان من الواضح أنه كان هناك نزوح جماعي للإخوان المسلمين للتعبير عن آرائهم الخاصة.
(تم طرد إسلام لطفي، الذي ساعد في تنظيم احتجاجات عيد الشرطة، أيضًا لأنه أنشأ حزبًا جديدًا ما بعد الإسلاموي).

"لقد شددوا الخناق على أي شخص لديه أفكار مختلفة"، أ
اشتكى لي نائب المرشد العام السابق محمد حبيب.
"يجب أن تكون جماعة للمسلمين، وليست جماعة للمسلمين".
لماذا طرد الناس من حركة دينية على حساب السياسية
الخلافات؟ سألت الشاطر. فهل كان ذلك ديمقراطيا؟
بدا الشاطر، لأول مرة في حديثنا، ساخنا.
وقال: "إن جماعة الإخوان المسلمين هي منظمة قائمة على القيم، وتعبر عن نفسها باستخدام وسائل مختلفة – سياسية واقتصادية ورياضية وصحية واجتماعية". "لا يمكنك أن تأخذ جزءًا من مكان وجزءًا آخر من مكان آخر، فهذه ليست الطريقة التي يتم بها الأمر."

الإسلام "ينظم الحياة برمتها –سياسياً واقتصادياً واجتماعياً؛ ليس لدينا هذا الفصل"، في إشارة إلى الخط الفاصل بين الدين والحكومة.

وتابع: "لا يمكن تبني رؤية مختلفة عن الحزب الذي يمثلنا، الطرف الذي يمثل رؤية الجماعة".

ولذلك قال للمنشقين: "إما أن تبقوا في جماعة الإخوان المسلمين وحزب الإخوان المسلمين، أو إذا أصرتم على حزب آخر، فسوف تغادروننا!"

لقد بدأت أتساءل عن التزامه المعلن بالديمقراطية، والذي من الواضح أنه لم يمتد إلى السماح بنقاش حقيقي داخل جماعة الإخوان المسلمين. فأين كان الإسلام في رؤية الإخوان إذن، إذا كانت جميع الأديان متساوية أمام القانون، وإذا لم يكن لعلماء المسلمين أي دور على الإطلاق؟

وشدد الشاطر على أن الإسلام يجب أن يشكل كل شيء. في عالم مثالي، وزير المالية يعرف الاقتصاد وأيضا الإسلام. ينبغي لوزير الصحة أن يتقن الطب والإسلام. على وزير النقل أن يفهم المرور والإسلام. وما إلى ذلك وهلم جرا. وقال: "من الأفضل، مع مرور الوقت، أن يكون لديك شخص يعرف الموضوعين". بالنسبة للشاطر، أدركت أن المسلمين كانوا أكثر مساواة. لقد دعم الانتخابات. لكنه رأى أن المسلمين يجب أن ينتصروا. لا يمكن لأي مسيحي أن يكون مؤهلاً إلى هذا الحد.

وكان أبو الفتوح، الإسلامي الليبرالي، قد خاض الحرب ضد رؤية الإخوان المسلمين التي تقول "كل شيء أو لا شيء". وخلال حملته الانتخابية، تعهد الآن بإجبار جماعة الإخوان المسلمين على اتباع نفس القوانين التي تتبعها أي منظمة غير ربحية، بما في ذلك الكشف عن مواردها المالية وقطع ذراعها السياسية. سينهي جماعة الإخوان المسلمين كما عرفتها مصر، ومعها سلطة الشاطر.

وتحول السباق الرئاسي إلى سباق إسلامي مفتوح للجميع. فقد قفز محامٍ إسلامي معتدل إلى الأمام من جهة، وكان واعظ تلفزيوني سلفي يتمتع بشخصية كاريزمية يتقدم مسرعاً إلى الأمام من جهة أخرى. ووعد السلفي حازم صلاح أبو إسماعيل بكل أنواع المشاكل: فقد تعهد بتقليص التجارة الدولية، واعتقال النساء لارتدائهن البيكيني، وإلغاء السلام مع إسرائيل. لقد خاطرت جماعة الإخوان المسلمين بخسارة مكانتها كمعيار للإسلام السياسي.

والأكثر من ذلك، هو التأجيل المتكرر من قبل الجيش لتسليم السلطة
وكانت السلطة تعني أن من يفوز بالرئاسة يمكن أن يكون له الصوت الحاسم في تشكيل (أو التراجع) عن عملية الانتقال السياسي.
وسيظل البرلمان عاجزا حتى تتم صياغة الدستور، ويتمكن الرئيس من وضع بصمته عليه.

وبعد أن طرد أبو الفتوح لمخالفته تعهد الإخوان بعدم الترشح للرئاسة، نكث الشاطر نفسه بالتعهد نفسه. وفي تصويت متقارب في مجلسها الداخلي، في مارس/آذار ،2012 صوتت جماعة الإخوان المسلمين لصالح تقديم مرشح بعد كل شيء. ورشحت الشاطر لخوض الانتخابات أمام أبو الفتوح. لقد أصبح الصراع حول مستقبل الإخوان المسلمين في العلن الآن.

إن التعرض لأشعة الشمس يعد بتغيير الإسلام السياسي، إذا سمح لهذا النقاش المفتوح بالاستمرار. من المؤكد أن هذا كان تطورًا سيرحب به الليبراليون، أو هكذا افترضت.

10

سفاح مقابل سفاح

23مايو 2012-17يونيو 2012

ت لقد وعدت الانتخابات الرئاسية بقطيعة حاسمة مع عهد مبارك. لكن الحياة اليومية في ربيع 2012 ذكّرتني بخطاب مبارك قبل الأخير، الذي حذّر فيه من الخط الرفيع الذي يفصل بين الحرية والفوضى.

في أحد أيام الربيع، اصطحبت لورا أبناءنا وعائلة أخرى في زيارة إلى حي القاهرة المعروف بمدينة القمامة، والذي يقع في أعالي المنحدرات المطلة على القاهرة. تمت إزالة نفايات القاهرة من قبل جامعي القمامة –الزبالين –الذين نقلوها بالدراجات والعربات التي تجرها الحمير إلى مدينة القمامة. هناك، تقوم عائلات بأكملها، بما في ذلك الأطفال، بغربلتها إلى أكوام شاهقة من الزجاج والورق والكرتون وأنواع المعادن وأنواع البلاستيك وما إلى ذلك، لإعادة بيعها وإعادة تدويرها. كان الزبالون مسيحيين أقباط عاشوا هناك لعقود من الزمن، وفي عام 1976، قاموا بتفجير وحفر كاتدرائية كهفية ضخمة ومهيبة في المنحدرات. ويعرف بدير القديس سمعان، ويتسع لعشرين ألف مصلٍ. كانت كنيسة كهف مدينة القمامة واحدة من أكبر دور العبادة المسيحية في الشرق الأوسط.

كانت لورا وأصدقاؤنا قد اتفقوا مسبقًا مع اثنين من سائقي سيارات الأجرة على سعر ثابت، حوالي ثمانية عشر دولارًا للرحلتين ذهابًا وإيابًا. لكن عند عودتهما طالب السائقان بالمضاعفة.

لم يعد لدى لورا المزيد من النقود، ورفض السائقان المغادرة. بدأوا بطرق بواباتنا المعدنية وإخافة الأطفال. عندما هددت لورا باستدعاء الشرطة، ضحك السائقون في وجهها.

اي شرطة؟ كانت الشرطة غائبة عن الخدمة لأكثر من عام، منذ يوم الغضب.

كان هناك دائمًا فظ مبتهج من حراس الشرطة متمركز في زاويتنا، خارج سفارة كوريا الجنوبية القريبة، وكان يتجه نحو سائقي سيارات الأجرة ويده على سلاحه الجانبي.

ادفع، قال للورا.
اتصلت بي في حالة من الذعر. لقد كنت على بعد أكثر من ساعة، لذلك أ
في النهاية سعل صديق الحي بما يكفي لإقناع السائقين بالمغادرة (لقد دفعنا له المبلغ). لقد تم تحذيرنا.

في عهد مبارك، كان معظم المصريين يعتقدون أن الشرطة مسيئة،
فاسدة، ومخيفة. لكنهم كانوا في كل مكان. وحتى لو كانت هذه العقوبات تعسفية، فقد ردعت الجرائم الصارخة. وبطبيعة الحال، بالنسبة للأغنياء أو الغربيين، كانت القصة دائما مختلفة. لقد اهتمت الشرطة بنا بشكل أفضل بكثير من اهتمامها بالمصريين العاديين. شعرت المعادي في عهد مبارك بالأمان مثل بيثيسدا.

أثناء تناول الغداء في مطعم إيطالي في حينا بعد وقت قصير من حادث سيارة الأجرة، شاهدت لورا ستة رجال يهربون من محل مجوهرات وهم يحملون بنادق طويلة وأكياسًا من المسروقات. سمعنا أن لصوصًا على دراجات نارية كانوا يسرقون حقائب اليد خارج المدارس الدولية المحلية، ثم حاول أحدهم الاستيلاء على حقيبة لورا. وقام فريق أمني خاص تابع لشركة النفط الأمريكية أباتشي بإلقاء القبض على أحد الجناة. لكن الشرطة لم تفعل شيئا.

كانت رينا أفندي، وهي مصورة صحفية من أذربيجان تبلغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا، عائدة إلى منزلها في المعادي في سيارة أجرة مرخصة ذات ليلة عندما أوقف السائق السيارة وأغلق الأبواب وأخرج سكينًا. حاول اغتصابها، لكنها قاومت. قاد سيارته بعيدًا بحقيبة يدها وتركها في الظلام على جانب الطريق.

وبعد بضعة أيام، أظهرت لها الشرطة صورة لرجل
تم القبض عليها باستخدام هاتفها الخلوي المسروق. لكنهم لم يبذلوا أي جهد لتتبع سلسلة الحضانة وصولاً إلى المعتدي عليها. قالت لي: "إذا أرادوا العثور عليه، يمكنهم ذلك". "لا أعرف إذا كانوا يبحثون بشدة."

وكان سائقو سيارات الأجرة الآخرون ضحايا. وقال سيد فتحي محمد، البالغ من العمر 32عاماً، إن راكبين قاما بسحب السكاكين عليه في وضح النهار بينما كان اثنان آخران من شركائه على دراجة نارية -أحدهما يحمل سلاحاً نارياً.

البندقية -توقفت بجوار سيارة الأجرة الخاصة به. ولطخ الأربعة وجهه بالدماء، وتركوه في أحد الحقول، وهربوا بسيارته وهاتفه الخلوي ومحفظته.

وبدت الشرطة خائفة ورفضت زيارة مسرح الجريمة. لذلك اتصل بهاتفه الخلوي ووصل إلى مهاجميه. اقترض أموالاً من الجيران ليدفع للصوص فدية تعادل ألفي دولار مقابل إعادة سيارة الأجرة التي كان يستقلها. وقال: "لقد دفعت المال وأخذت السيارة على الفور".

أصبحت سرقة السيارات أمرًا روتينيًا بدرجة كافية بحيث أصبح اللصوص صريحين

وأمر الضحايا بالاتصال بهواتفهم الخاصة لإعادة شراء سياراتهم. كانت أجزاء من الطريق السريع المحيط بالقاهرة خارجة عن القانون لدرجة أن سائقنا رفض زيارتها حتى في النهار. كانت أماني الشرقاوي، معلمة اللغة الإنجليزية البالغة من العمر 25عاماً، تستقل سيارة أجرة عندما رأت رجالاً مقيدين بالسلاسل والأسلحة يوقفون السيارات في قطعة مهجورة من الطريق أمامهم. ألقى سائقها السيارة إلى الخلف وتراجع على الطريق السريع. "هل يمكنك تخيل ذلك؟" تعجبت.

وكان من المحتم أن يتحمل الفقراء وطأة الجريمة، وفي الأحياء والبلدات التي تعاني من ضغوط شديدة، أخذ البعض زمام الأمور بأيديهم. وفي قرية صغيرة في محافظة الشرقية بدلتا النيل، نشر السكان مقطع فيديو على الإنترنت يظهر جثتين عاريتين معلقتين على أحد مصابيح الشارع. خرجت أنا ومي الشيخ للتحقيق.

وقد خرج من المنزل شاب يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عامًا يُدعى حازم فراج

متجر مستلزمات السيارات الخاص بعائلته للدفاع عن سائق التوك توك ضد أحد الركاب المهددين، وأثارت شفاعته سلسلة من عمليات القتل. أطلق الراكب النار على فراج وقتله. قام أصدقاء فراج بتعليق القاتل. وعندما حضر أحد أقارب القاتل أثناء عملية الشنق، قام أصدقاء فراج بوضع حبل المشنقة عليه أيضًا. ولم يتمكن أحد في المدينة من إخبارنا بأسمائهم.

قال محمود الهيراوي، مدرس اللغة العربية البالغ من العمر 51عاماً، والذي عثر على الجثث في صباح اليوم التالي: "إنه أمر مشين". "هذه ليست الطريقة لتطبيق القانون"

في قرية عزبة التمانين المجاورة، التقينا بمزارع يبلغ من العمر ثلاثة وستين عامًا، ودعانا للجلوس معه على الأرضية المغطاة بالسجاد في سقيفة كانت أسرته الممتدة تستخدمها كغرفة معيشة مشتركة (لم يكن لدى أي من الأسر حمام خاص). مكان الجلوس). وقال المزارع محمد إبراهيم يوسف، إن ابن عمه قُتل خلال إحدى المعارك

سرقة السيارات في فبراير وفي الجنازة، هاجم لصوص مسلحون سيارة ابن عم آخر. وعندما حاول ابنا مضيفنا التدخل، قتل اللصوص أحدهما، وهو محمود، البالغ من العمر تسعة وعشرين عامًا، وأصابوا الآخر بالشلل، وهو عبد الله، البالغ من العمر أربعة وعشرين عامًا. ثم قام حشد من القرويين بقتل وحرق أحد خاطفي السيارات.

قال لنا يوسف بحزن: "لقد أصبحت ثقافة الريف المصري أن نواجه البلطجة بالبلطجة، وأن نأخذ الأمور بأيدينا". ولكن ما هي البدائل؟ "هل يجب أن نسلمهم للشرطة حتى يطلقوا سراحهم خلال ساعتين؟" (لم يواجه أي من الحراس أي تهم على الإطلاق).

أخبرنا مزارع آخر يعيش بالقرب من هناك أن اثنين من أبنائه، عمرهما سبعة وعشرة أعوام، قد تم اختطافهما مؤخرًا. لذلك، قام المزارع حسين أبو خيشة، بتجنيد جيرانه لإغلاق الطريق السريع، وهو أسلوب ضغط لإجبار الجيش والشرطة على استعادة ولديه. وقد نجح الأمر: فقد أنقذ الجيش ولديه وأعاد الجيران فتح الطريق. لقد أصبح مثل هذا الحصار مشهدا مألوفا، والآن فهمت السبب.

وتعرفت لاحقًا على العميد المتقاعد في وزارة الداخلية، خالد أمين، الذي رأى أن علي أن أتعاطف مع الشرطة. لقد شعروا "بالقمع"، كما قال ذات ليلة أثناء احتساء الشاي في مقهى النرجيلة في حي مصر الجديدة الراقي، بالقرب من القصر الرئاسي.

"لقد تم إلقاء اللوم علينا على الثورة، وتم إلقاء اللوم علينا على

قال: الفساد في الثمانين سنة الماضية. "شعرت الشرطة بأنها مهجورة وأن الضباط النظاميين لم يستمعوا إلى قادتهم. لذلك أمضينا أكثر من عام بعد الثورة ولم نفعل شيئًا. نحن فقط لم نتعامل مع الناس. عادت الشرطة إلى منازلها، وحتى أولئك الذين حضروا لم يفعلوا شيئًا. ولم ينظر ضباط المرور حتى إلى السيارات".

أُمر الضباط المشرفون مثله بالتسامح مع الإهمال. قال: «فتحملنا ذلك من أجل وحدة الوزارة». انظر كيف تفتقدنا! يبدو أن الشرطة تقول.

لقد اعتدت أنا ولورا على قفل أبواب سيارتنا من الداخل حتى لا يتمكن اللصوص من الدخول عند التقاطع. توقفت لورا عن ركوب سيارات الأجرة. ثم توقفت عن القيادة بمفردها على الإطلاق، باستثناء

بالقرب من منزلنا. رفعنا سياجنا وحصننا بابنا. بدأت أدفع أموال الحماية كل شهر لحراس الشرطة خارج سفارة كوريا الجنوبية. وكان الأصدقاء المصريون قد ابتهجوا بأن عصر الرشوة قد انتهى. لقد بدأت للتو.

كان ثلاثة من مساعدي مبارك السابقين يترشحون للرئاسة، وأخبرني المزارع الذي أغلق الطريق أنه سيصوت لأحدهم على أي من الإسلاميين. "عندما تمرض هكذا تذهب إلى طبيب متخصص، لا تذهب إلى مبتدئ"

وقال حسين أبو خيشة. الإسلاميون "يهينون الشرطة".

...

في بدأ التصويت في الانتخابات الرئاسية في 23مايو/أيار .2012المزيد
وكان أكثر من عشرة مرشحين قد تأهلوا للحصول على مكان في الاقتراع، ومن المتوقع أن يواجه المرشحان الحاصلان على أعلى الأصوات بعضهما البعض في جولة الإعادة في يونيو. كان اليوم الأول من التصويت شديد الحرارة، لكن بدا المصريون سعداء بالوقوف في الطابور، لعدة ساعات في كثير من الأحيان.

ورفع البعض قصاصات من الورق المقوى لمحاولة حجب أشعة الشمس.
كان أي شخص يزيد عمره عن ثمانية عشر عامًا مؤهلاً للتصويت، أكثر من خمسين مليون مصري، وكان هناك الكثير من التصويت منذ مبارك: في استفتاء، في جولتين للمجلس الرئيسي للبرلمان، وفي جولتين لمجلس الشورى الذي لا حول له ولا قوة تقريبًا. وعندما قمت بجولات على مراكز الاقتراع لإجراء عمليات التصويت الأولى، قال الكثيرون إنهم يشكون في أن العملية ستكون أكثر عدلاً مما كانت عليه في عهد مبارك.

ولكن بعد العديد من عمليات الاقتراع ذات النتائج المثيرة للترقب، أصبح المصريون واثقين من قوتهم. كان أحد إنجازات البرلمان القليلة هو تحديث إجراءات التصويت. وتم وضع بطاقات الاقتراع في صناديق بلاستيكية شفافة ومغلقة. وتم إحصاء محتوياتها أمام الجمهور، في نفس الغرفة، بمجرد إغلاق صناديق الاقتراع. ولم تكن هناك طريقة لحشو بطاقات الاقتراع.

"يكفي أن الرئيس الجديد سيعرف أنه قد يذهب إلى السجن
قال محمد ماهر، البالغ من العمر ثمانية وعشرين عامًا، بثقة، وهو ينتظر الإدلاء بصوته في أحد أحياء إمبابة الفقيرة: "إذا فعل شيئًا خاطئًا".
وتفاخر الجنرالات بالتزامهم بالديمقراطية. "لو
وقال اللواء المسؤول عن الشؤون القانونية: "أردنا ارتكاب عمليات تزوير، كنا سنفعل ذلك في الانتخابات البرلمانية".

خلال مؤتمر صحفي متلفز، وهو يحدق بنظارة القراءة الخاصة به. "انقلاب عسكري، هل هذه خطتنا؟ بعد كل هذا؟"
وكان لدى صحفي في وسائل الإعلام الحكومية سؤال له. فكيف يمكن للمجلس العسكري أن يثق في رئيس جديد يختاره الناخبون فقط ولا يعرفه أحد مسبقاً؟

أجاب الجنرال: "لا داعي للقلق". وقال إن كل الدستور المصري منذ عام 1923 سمح للجيش بالاستيلاء على السلطة في حالة وقوع "كارثة".

لقد لفتت نظري إلى ميل المصريين إلى نظريات المؤامرة، لكن السباق الرئاسي اتخذ العديد من المنعطفات الغريبة التي جعلتني أتساءل. كانت اللجنة المشرفة على الانتخابات تتألف من قضاة من عهد مبارك تم تعيينهم تحت قيادة الجنرالات، وفي الأسابيع الأخيرة التي سبقت التصويت، قام القضاة بشكل غير متوقع باستبعاد ثلاثة من أقوى المرشحين وأكثرهم شعبية لأسباب فنية. لقد تم إقصاء السلفي المتشدد لأن والدته أصبحت مواطنة أمريكية؛ لقد تم تسجيلها للتصويت في سانتا مونيكا، كاليفورنيا، من بين جميع الأماكن. فقد تم إقصاء الشاطر، مرشح الإخوان، على أساس إدانة جنائية مسيسة في عهد مبارك. وحل مكانه بديل غير معروف، وهو محمد مرسي.

وكان الأمر الأكثر إثارة للاهتمام بالنسبة لي هو قضية عمر سليمان، رئيس المخابرات السابق لمبارك والذي كان في وقت ما المفضل لدى الولايات المتحدة. وكان قد أطلق حملة رئاسية من داخل جهاز المخابرات الذي يديره رئيس أركانه. لقد استغرقت الحملات الأخرى أشهرًا لجمع الثلاثين ألف توقيع من جميع أنحاء البلاد المطلوبة للحصول على مكان في بطاقة الاقتراع؛ نجحت حملة سليمان في ثمانية وأربعين ساعة.

وقال سليمان لصحيفة قريبة من ذلك: «تيسير إلهي».
أجهزة الاستخبارات. (لم أر أي علامة تشير إلى أن أي شخص في حكومة الولايات المتحدة لا يزال يأمل في فوزه، على الرغم من أنني متأكد من أن البعض كان ليتنهد بارتياح).

ثم شككت اللجنة في عدد قليل من تلك التوقيعات و
تم استبعاده أيضًا. هل قامت اللجنة بإقصاء جميع المتنافسين الذين رأت أنهم الأقوى؟

وكان هناك المزيد من الغرابة. وقد أيد برهامي والأحزاب السلفية أبو الفتوح، وهو ما يعادل المعمداني الجنوبي

اتفاقية تدعم بيرني ساندرز. أخبرني زعماء السلفية أن أبو الفتوح لديه أفضل فرصة للتغلب على الإخوان المسلمين. لكنه أخبرني لاحقاً أن شيخاً سلفياً واحداً فقط قام بحملة لصالحه، وهو صديق قديم من أيام دراسته ويعيش الآن في محافظة مرسى مطروح بالصحراء الغربية. وخلص أبو الفتوح إلى أن المخابرات نظمت تأييد السلفيين لتخريب حملته من خلال إبعاد الناخبين غير الإسلاميين. من يعرف؟ لكن النتيجة كانت واضحة. لقد بدأ في بناء حركة تتجاوز الانقسامات القديمة، والآن أشاهد الناخبين غير الإسلاميين وهم يتخلون عنه بأعداد كبيرة.

"إنه يستخدم لغة مزدوجة"، هذا ما أعلنه المرشح المنافس، الدبلوماسي السابق عمرو موسى، في المناظرة التلفزيونية الوحيدة. "إنه سلفي مع السلفيين، وهو وسطي مع الوسطيين، وهو ليبرالي مع الليبراليين".

لقد فاجأتني الكنيسة القبطية أيضًا. قام الأساقفة بتشكيل لجنة من الأشخاص العاديين لاختيار مرشح، وحتى الأسابيع الأخيرة كانت كل المؤشرات تشير إلى أن الأقباط كانوا يتجمعون خلف عمرو موسى، وهو مدني يتمتع بشعبية كبيرة ووزير خارجية سابق ولم يكن إسلامياً. لم تمر سوى سبعة أشهر على مذبحة ماسبيرو والتستر العسكري عليها. اعتقدت بالتأكيد أن الكنيسة لا تستطيع دعم مرشح عسكري.

ولكن لمفاجأة موسى، سحبت اللجنة العلمانية دعم الكنيسة في الأيام الأخيرة التي سبقت التصويت. قال لي موسى لاحقاً: "كانت هناك قوى تحركت في اللحظة الأخيرة، لا أعرف لماذا، لكنها كانت خطة". وبدلاً من ذلك، دعمت لجنة الكنيسة قائداً سابقاً للقوات الجوية ورئيس وزراء مبارك، أحمد شفيق البالغ من العمر سبعين عاماً، والذي كان يقوم بحملته الانتخابية كرجل قوي على طريقة مبارك. وكان قد أخبر جمهوراً من رجال الأعمال أنه فخور بوصف مبارك بأنه "نموذج يحتذى به". كان هذا هو نوع القائد الذي يحتاجه المصريون. وقال وسط تصفيق حاد: "الشعب المصري مطيع، خلافا للاتهامات".

ولدهشتي، تأرجح دعم الأقباط في جميع أنحاء مصر بقوة خلفه. كيف ألقت الكنيسة بثقلها خلف شفيق بعد فترة وجيزة من مذبحة ماسبيرو؟ «بسبب خلفيته العسكرية» يوسف سيدهم رئيس تحرير المجلة القبطية شبه الرسمية

أخبرتني الصحيفة وعضو اللجنة العلمانية في ذلك الوقت.
"الأقباط واثقون من أنه سيكون قويا بما يكفي لاستعادة الأمن وفرض سيادة القانون".

أما بالنسبة لمذبحة ماسبيرو، فقال سيدهم إنه لا يرى أي "مؤامرة". "كان هناك نوع من الفوضى والذعر بين العدد الصغير من القوات المتمركزة هناك." بالنسبة للجيش، كانت الكنيسة متسامحة.

ومن بين الناخبين الذين أدلوا بأصواتهم لصالح إسلامي، تفوق مرسي، بدعم من آلة الإخوان المسلمين، على أبو الفتوح بفارق أربعة إلى ثلاثة. وشكل أبو الفتوح حزبا جديدا وبدأ الاستعداد للانتخابات المقبلة.

وقد أدلى أغلبية الناخبين المصريين بأصواتهم لصالح الليبرالية أو الاعتدال. اختارت أغلبية ضئيلة من الناخبين في الجولة الأولى واحدا من المرشحين العديدين في الوسط الليبرالي إلى حد ما، ولكن هؤلاء الناخبين المعتدلين انقسموا بين عشرة مرشحين مختلفين.

وكان المرشحان اللذان حصلا على أعلى الأصوات على النقيض من ذلك: اثنان من المحافظين، أحدهما متدين والآخر عسكري. وكانت جولة الإعادة هي مرسي، الإخوان المسلمين، مقابل شفيق، قائد القوات الجوية في عهد مبارك. كانت تلك المسابقة قصة أكثر غموضا.

11

نادي القضاة

17يونيو 30 – 2012يونيو 2012

ت

كان تصميم روب غولدبرغ للانتقال في مصر –انتخاب برلمان عاجز يعقبه منافسة رئاسية مشوهة، كل ذلك تحت الحكم العسكري وبدون إحراز تقدم نحو دستور جديد –قد أثبت أهميته. ولكن بينما كان يتم تجميع كل هذا معًا، كان البيت الأبيض يركز على قضايا مصرية مختلفة تمامًا. وبدلاً من هندسة العملية الانتقالية، كانت إدارة أوباما مشغولة بالجدل مع الجنرالات حول المساعدات الأميركية لتعزيز الديمقراطية، وخاصة فيما يتعلق بقضية سام لحود.

كان لحود في السادسة والثلاثين من عمره، نحيلاً، صبياني المنظر، رأسه كثيف وشعره داكن قصير، وله ضحكة بسيطة. كان جده قد هاجر من لبنان إلى إلينوي، وكان والده عضو الكونغرس الجمهوري السابق راي لحود، وزير النقل. كنت أعرف سام عندما كنت مديرًا للمعهد الجمهوري الدولي في مصر، وهو أحد المجموعتين اللتين أنشأهما ومولهما الكونجرس الأمريكي لتعزيز الديمقراطية في الخارج. والآخر هو المعهد الديمقراطي الوطني. وكلاهما، إذا كنا صريحين، كانا يدوران جزئياً حول الاستغناء عن وظائف المحسوبية لمكافأة عملاء الحزب. استأجرت المجموعات موظفين سابقين في الكونغرس والحملة وأرسلتهم إلى أماكن مثيرة للاهتمام في جميع أنحاء العالم. كانت بعض تلك الأماكن أقل أمانًا من الإقامة في واشنطن، لكن العمل في NDIو IRIكان في الغالب وسيلة ممتعة لكسب العيش. في مصر، استخدم المعهد الجمهوري الدولي والمعهد الديمقراطي الوطني تمويل الكونجرس لعقد ورش عمل لمدة يوم أو يومين لتعليم المصريين حول أساسيات الحملات السياسية -كيفية تنظيم الحملات السياسية.

تعرف على ناخبيك، وكيفية عرض مواقفك، وما إلى ذلك. اعتقدت بسذاجة أن المصريين قد يقدرون هذه اللفتة. لكن ذلك لن يحدث فرقًا كبيرًا أبدًا. كيف يمكن لعدد قليل من ورش العمل التغلب على الشبكات والجمعيات التي تراكمت على مدى عقود؟

كان المعهد الجمهوري الدولي والمعهد الديمقراطي الوطني يعملان على نطاق ضيق داخل مصر في عهد مبارك. لم يتلقوا أبدًا أي رد على طلباتهم للحصول على ترخيص رسمي كمنظمات غير ربحية، لذلك كانوا غير قانونيين من الناحية الفنية، لكن لم يتم طردهم أو محاكمتهم أيضًا. والآن حصلوا على 40مليون دولار من أصل 65مليون دولار خصصتها وزارة الخارجية لتعزيز الديمقراطية المصرية. وكان هذا بالضبط هو نوع التمويل المباشر للنشاط الشعبي خارج القنوات الحكومية المصرية، والذي حظرته قوانين عهد مبارك صراحة. وكانت وسائل الإعلام القومية المصرية تهاجم مثل هذا التخريب الأجنبي منذ صيف عام 2011، وكان الجنرالات المصريون يشكون منه في واشنطن. وقد حاول عدد قليل من موظفي مجلس الأمن القومي العاملين في ملف مصر تهدئة الجنرالات من خلال اقتراح أن التمويل المستقبلي، بعد المبلغ الأولي البالغ 65مليون دولار، يمكن أن يمر عبر القنوات الرسمية في القاهرة. وقد أقنع الموظفون خلسة وزير الدفاع بانيتا باقتراح التسوية في اجتماع أسبوعي مع وزيرة الخارجية كلينتون. لكن الانسحاب المقترح تسرب إلى الصحافة. وقد سحقها دينيس ماكدونو، نائب مستشار الأمن القومي.

بدت مخاطر تلك المناوشات صغيرة بالنسبة لي حتى ديسمبر

في 29تشرين الثاني (نوفمبر) 2011. في ذلك الصباح، اقتحم المئات من رجال شرطة مكافحة الشغب المدججين بالسلاح مداهمة مكاتب المعهد الجمهوري الدولي، والمعهد الديمقراطي الوطني، وثماني منظمات أخرى حصلت على أموال من الغرب. ومنعت النيابة سام لحود وستة آخرين من الموظفين الأميركيين العاملين في المجموعتين من مغادرة مصر. خوفًا من الاعتقال، سرعان ما انتقلوا إلى السفارة الأمريكية (كان الرجال ينامون في البداية في قاعة، والنساء في غرفة الضيوف في مقر إقامة السفير). وقد تُرك الموظفون المصريون في المجموعات في منازلهم بمفردهم.

أعلن المدعون المصريون أنهم أمروا بهذه المداهمات المفاجئة لأن وكالة المخابرات المركزية كانت تستخدم المعهد الديمقراطي الوطني والمعهد الجمهوري الدولي لإضعاف مصر لصالح إسرائيل. وادعى المسؤول الذي يقود القضية أن منظمة فريدوم هاوس، وهي مجموعة أخرى ممولة من الكونجرس تعرضت للغارات، "أسسها اللوبي اليهودي". و

وطرحت وسائل الإعلام الموالية للحكومة نظريات المؤامرة السخيفة.
كان لحود قد كلف بإجراء استطلاع لسؤال حول الدين. ووصفها المدعون بأنها مؤامرة لزرع الفتنة الطائفية.
واستشهدوا بخرائط الحائط التي وضعها المعهد الجمهوري الدولي لمناطق التصويت المصرية كدليل على خطة لتقسيم البلاد، مثل تقسيم بلاد الشام بعد الحرب العالمية الأولى. وقيل إن صور الشوارع تشكل تجسسًا على الجيش. أثبتت أكوام الدولارات أن هذه الجماعات دفعت للعمال الأميين للتظاهر ضد الحكم العسكري.

كان أي مواطنين محاصرين يمثل مشكلة للبيت الأبيض.
كان الأمريكيون العاملون في مجموعات قريبة من الكونجرس يمثلون قضية أكبر.
الابن الأسير لأحد أعضاء مجلس الوزراء جعل هذه الأزمة أزمة شاملة.
في يناير/كانون الثاني وفبراير/شباط ،2012بينما كان الجيش المصري يستعد للانتخابات الرئاسية، عقدت إدارة أوباما اجتماعات أسبوعية لمجموعة عمل مشتركة بين الوكالات تم تشكيلها للتعامل حصريًا مع أزمة التمويل في مصر. اضطر توم دونيلون إلى إلغاء رحلة مخططة إلى القاهرة. لقد خصص ليون بانيتا وهيلاري كلينتون كل مناقشاتهما مع نظرائهما المصريين تقريباً لإخراج لحود من السلطة. أرسل الرئيس أوباما نفسه ثلاث رسائل وأجرى مكالمتين هاتفيتين طويلتين للمشير طنطاوي (الذي لا يزال يشغل منصب رئيس الدولة في مصر) بشأن التمويل

قضية.

لقد ذهل بانيتا من الوقت الذي استهلك فيه. "أنت متورط
قال لي لاحقًا: "في هذه الأمور، ستجد نفسك تفتقد القضايا الأكبر".

لقد بذلت إدارة أوباما قصارى جهدها: فقد هددت بحجب المساعدات العسكرية السنوية البالغة 1.3مليار دولار. وألمحت إلى أنها قد تمنع حزمة مساعدات بمليارات الدولارات من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي. لقد تم وضع كافة الأسئلة السياسية الحاسمة المتعلقة ببنية المرحلة الانتقالية في مصر وجدولها الزمني ــوهي الأسئلة التي تهم النتيجة ــجانباً بشكل شبه كامل.

وبحلول أواخر فبراير/شباط، كان لحود والأميركيون الآخرون قد أنفقوا خمسة
أسابيع داخل السفارة، وكان البيت الأبيض يواجه الموعد النهائي الذي حدده الكونجرس في مارس لتجديد أو منع المساعدات العسكرية.
بدأت المحاكمة أخيرًا، ولم يحضر لحود والأميركيون الآخرون أبدًا -فقط العشرين مصريًا الذين عملوا في المعهد الجمهوري الدولي، والمعهد الديمقراطي الوطني، وغيرها من المنظمات الممولة من الولايات المتحدة أو أوروبا. هم

جلس خلال جلسة الاستماع داخل القفص المعدني المستخدم لاحتجاز المتهمين جنائيًا. الأولى، نانسي عقيل، مديرة منظمة فريدوم هاوس في مصر، قرأت كتاب جورج أورويل "تحية إلى كاتالونيا".

لقد أخبر الجنرالات الأميركيين منذ البداية أنهم لا يستطيعون التدخل في المداولات القضائية المقدسة.

الآن قاموا بمزيد من التفصيل. وأخبروا البيت الأبيض أن إخلاصهم للقانون لم يترك لهم سوى خيار واحد: أن يضعوا أنفسهم فوقه. وفي مقابل كفالة قدرها 4ملايين دولار، سيقوم الجنرالات بتهريب الأمريكيين الستة إلى خارج البلاد.

شعر بعض المسؤولين الأمريكيين أنهم وقعوا في فخ، وانجذبوا إلى معركة لا طائل من ورائها على الأرض المفضلة للبيروقراطية المصرية، وهي المصارعة من أجل السيطرة على أموال المساعدات. قال لي بن رودس لاحقاً بأسى: "لقد عانقنا المجلس العسكري وتركناه يقود سياستنا، وخضنا المعركة من أجل الديمقراطية حول التمويل". "بدلاً من الجدال حول الأشياء المهمة حقًا، مثل تسلسل الانتخابات، كنا نتجادل حول سام لحود".

في الأول من مارس/آذار، طائرة مروحية قديمة تابعة لوزارة الخارجية
كانت قد استأجرت لنقل دبلوماسيين إلى ليبيا أقلعت من مطار القاهرة مع لحود والأميركيين الآخرين. وقارنه أحد الدبلوماسيين على متن السفينة بالمشهد الأخير في الدار البيضاء. لعبت مكبرات الصوت بالداخل موضوع فيلم Raiders of the Lost Ark.

استمرت المساعدات العسكرية لمصر في التدفق. وقامت الولايات المتحدة فيما بعد بخصم أموال الكفالة من المساعدات غير العسكرية الأخرى المقدمة لمصر، واشتكى المتحدث باسم وزارة الخارجية من ذلك بغضب، كما لو أن واشنطن تحرم مصر من البقشيش الشرعي.

ولم يكن المجلس العسكري هو الحليف الذي يتمتع به البعض في البيت الأبيض
لقد توقع البيت؛ اعتقد الكثيرون في الإدارة أن الجنرالات بداوا مهرجين. ولكن حتى بعد وقوع ابن أحد وزراء مجلس الوزراء في فخ (ناهيك عن سيل الانتقادات اللاذعة المناهضة لأميركا في وسائل الإعلام الإخبارية الموالية للجيش)، لم يتعرض الجنرالات لأي عواقب.

إذا كان الجنرالات قد خلصوا إلى أن التهديدات الأميركية بقطع المساعدات العسكرية كانت مجرد خدعة، فإنهم كانوا على حق، كما قال لي بانيتا في وقت لاحق. وأضاف: "لقد عرف الكونجرس أنه في جزء من العالم حيث لا يوجد لإسرائيل الكثير من الأصدقاء، ليس من المنطقي أن نركل مصر في مؤخرتها، لأنها واحدة من القلائل".

لاعبين في تلك المنطقة هم أصدقاء لإسرائيل". لقد كان الجنرالات "يعلمون أنه عندما يحين وقت الشدة، فلن يحدث الكثير".
وقال لي أنور السادات، ابن شقيق الرئيس الأسبق، إن العلاقة الأمريكية ذكّرته بمثل مصري قديم: «أتوسل إليك بالصدقة، ولكنني سيدك».

...

ت كانت قضية لحود أول لقاء لي مع طريقة عمل المحكمة
القضاء المصري، الذي لعب دوراً محورياً في جولة الإعادة الرئاسية وكل ما تلاها.

كنت أجتاز المحكمة الدستورية العليا كل يوم في طريقي إلى المكتب. تم وضعه في كتلة مقعرة من الزجاج العاكس والخرسانة البيج تواجه نهر النيل عند الطرف الشمالي للمعادي. ربما تم استعارة أعمدتها وطواطمها الفرعونية الزائفة من فيلم ديزني عن مصر القديمة. لكن القضاة اعتبروا أنفسهم رؤساء كهنة من تقليد مقدس.

وكان سلفهم، الفقيه المصري الكبير عبد الرزاق السنهوري، قد وضع أسس الأنظمة القانونية في جميع أنحاء العالم العربي في النصف الأول من القرن العشرين. لقد أسس الهياكل الغربية ليس فقط على القانون الطبيعي ولكن أيضًا على التقاليد الإسلامية. لقد كان يطمح إلى إنشاء نظام قانوني عربي مميز من شأنه أن يقيد الأقوياء والمتواضعين على حد سواء -كما يجب أن يفعل أي قانون، وكما يعتقد المسلمون أن الشريعة الإسلامية فعلت ذلك في تاريخها المبكر.

وقام كل من العراق وسوريا وليبيا والأردن والكويت ودول عربية أخرى بتجنيد السنهوري للمساعدة في إنشاء أنظمة المحاكم على النموذج المصري. ولا يزال المحامون في جميع أنحاء المنطقة يقدسونه.

ولم يتضمن نظام سنهوري، على النمط النابليوني، أي شيء اسمه المحكمة الدستورية العليا. ولكن عندما كان السنهوري وغيره من الفقهاء الليبراليين يسعون إلى تقييد سلطات الرئيس، لجأ عبد الناصر إلى اللجم. لقد تحايل على هؤلاء الفقهاء من خلال تطعيم محاكم جديدة، وفي عام 1969، محكمة "عليا"، على السلطة القضائية الموجودة مسبقًا. وحذا السادات ومبارك حذوه، فأضفا محاكم خاصة ومحاكم طوارئ للالتفاف على القضاة غير المتعاونين.

وأصبح مبارك على وجه الخصوص خبيراً في تعبئة البلاط، خاصة في الفترة التي سبقت حملته المتوقعة لإعادة انتخابه في عام 2011.

في عام 2003، عين مبارك في المحكمة الدستورية العليا أول امرأة في مصر تعمل على أي مستوى كقاضية أو مدعي عام: القاضية تهاني الجبالي. لقد كانت ناشطة نسوية صريحة على غرار سوزان مبارك ومعجبة متحمسة بجمال عبد الناصر. ما لا يقل عن ست صور فوتوغرافية له تزين غرفتها، مثل صور نجم الروك في غرفة نوم أحد الأصدقاء.

وقال الجبالي: "الجيش في مصر يختلف عن الدول الأخرى".
في مقابلتنا الأولى في يوليو/تموز 2011. قالت إنه بسبب الدور الذي لعبه عبد الناصر والضباط الأحرار في التاريخ المصري، "فمن الطبيعي أن يتقاسم الجيش بعض المسؤولية" عن الحكم. وقد قالت في بعض الأحيان إنه ينبغي حرمان غير المتعلمين أو الأميين من حق التصويت تماما. وكانت تكره الإسلاميين.

وبعد الإطاحة بمبارك، قام الجبالي بحملة علنية لتأجيل أي انتخابات لأن الإسلاميين قد يفوزون بها. لقد أعلنت في خطاباتها ومقابلاتها أن وجود برلمان إسلامي سيكون أمراً "كارثياً"، لذا يتعين على الجنرالات أن يحتفظوا ببعض سيطرتهم على السلطة إلى الأبد.

قال لي الجبالي في مقابلة أخرى: "كنت أعلم أن الانتخابات ستأتي بأغلبية من حركات الإسلام السياسي".

وقالت إنها بدأت تقديم المشورة للجنرالات منذ شهر مايو/أيار الماضي
في عام 2011، وبحلول يوليو/تموز، قاموا بتجنيدها للمساعدة في إعداد مبادئهم الدستورية المجهضة. لكن خطتهم الرامية إلى نقش قوتهم في الميثاق الجديد «كانت تُحبَط في كل مرة بسبب كل الضجيج، والتعبئة الشعبية، و'المسيرات المليونية''.

الجبالي وقضاة مصر لم يروا أنفسهم مجرد
مهنة ولكن كطبقة. قمت ذات مرة بزيارة المقر الرئيسي للجمعية المهنية للقضاة بوسط القاهرة، والمعروفة باسم نادي القضاة. كان الرجال يدخنون السيجار ويقرأون الصحف على الكراسي الجلدية المتهالكة، أو يتناولون وجبات الغداء في فناء يطل على حديقة مُعتنى بها جيدًا. تقرأ النعيات المعلقة على لوحة الإعلانات في القاعة الأمامية شيئًا من هذا القبيل: ننعى وفاة القاضي فلان، الذي كان والد القاضي فلان، وشقيق القاضي فلان، وابن عمه للقاضي فلان. وكان القضاء عشيرة واحدة كبيرة. وكان الجلوس على مقاعد البدلاء حقا مكتسبا.

ودافع القضاة عن محاباتهم باعتبارها فضيلة. حاول مبارك، في عام 2007، وضع حد أدنى من نتائج كلية الحقوق للمدعين العامين والقضاة الجدد. ثار نادي القضاة وهدد بمنعها في المحكمة. وقال أحمد الزند، رئيس النادي، إن النشأة "في بيئة قضائية"، باعتباره ابن قاض، أهم من نتائج الامتحانات. وتعهد بأنه لن يتمكن أي "كارهين حاقدين" من إيقاف "المسيرة المقدسة" للأبناء وأبناء الإخوة إلى مقاعد البدلاء، ودعا القضاة "خلفاء الله".

(كان ثلاثة من أبنائه مدعين عامين أو قضاة). وفاز الزند، وتراجع مبارك. لا أستطيع إلا أن أتخيل كيف أخافت انتفاضة 2011 الزند والجبالي وبقية القضاة.

وتحسباً للانتخابات الرئاسية عام 2011، عيّن مبارك رئيساً للمحكمة الدستورية العليا دون أي خبرة تقريباً كقاض أو، في هذا الصدد، كمحام مدني. وكان رئيس القضاة الجديد، فاروق سلطان، قد أمضى حياته المهنية بأكملها في محاكمة الإسلاميين في محاكم عسكرية أو أمنية خاصة.

الآن، في عام 2012، كان سلطان في الخامسة والستين من عمره، التقاعد الإلزامي عمر. لكن الجنرالات جعلوه رغم ذلك رئيساً للجنة الانتخابات الرئاسية، وهي اللجنة التي أسقطت العديد من المرشحين.

وفي يونيو/حزيران، قبل أسبوع من جولة الإعادة الرئاسية، انخرط زند والقضاة الآخرون في الحملة الانتخابية. وقال في خطاب متلفز: «لن نترك الأمور لمن لا يستطيع إدارتها، بحجة أننا لسنا أهل سياسة». وادعى أن جماعة الإخوان المسلمين لديها "خطة منهجية مصممة بدقة لتدمير هذا البلد: إما نحن أو لا مصر".

ورأت السفيرة آن باترسون أن الطعن القضائي في انتخاب البرلمان كان أمام المحكمة الدستورية العليا، وأعربت عن خشيتها مما قد يفعله القضاة. كانت امرأة قصيرة القامة ذات شعر أشقر وشعر أركنساس بطيء، لكنها جلبت معها سمعة الصلابة من مهمتها السابقة كسفيرة لدى باكستان. لقد كانت منخرطة بشكل كبير في حملة الطائرات الأمريكية بدون طيار ضد المتشددين الإسلاميين، ولاحظت أن الآخرين في فوجي بوتوم عاملوها باحترام يصل إلى حد الذعر.

وناشد باترسون الجنرالات عدم التصرف ضد البرلمان

في نفس اللحظة كانوا على وشك الوفاء بوعدهم بتسليم السلطة. كانت تعلم أنهم يمليون قواعد الفترة الانتقالية، لذلك كانوا يتحكمون في تنفيذ أي حكم قضائي، إن لم يكن في جوهره. وذكّرتهم بمدى استمتاعهم بالثناء الدولي الذي تلقوه لإجراء انتخابات نزيهة، ومدى تقديرهم لوجود هيئة تشريعية منتخبة للغطاء السياسي.

وقبل يومين من جولة الإعادة، تحرك الجنرالات على أي حال. وكانت المحكمة الدستورية العليا قد قامت قبل ذلك بحل برلماني مبارك مرتين بشأن الجوانب الفنية لقانون الانتخابات، لكن في كل حالة لم يتم ذلك إلا بعد سنوات من المداولات. والآن أعلنت المحكمة، بعد بضعة أسابيع فقط، إلغاء أول هيئة تشريعية منتخبة بحرية في مصر. أخبرني الجبالي في وقت لاحق أن المخطط الانتخابي كان يحتوي دائمًا على "سم قاتل"، مما يعني أنه في ظل سوابق عهد مبارك كان من الممكن أن يحدث ذلك في أي وقت.

هرعت إلى البرلمان عندما أُعلن القرار، وكانت قوات الشرطة العسكرية بملابس مكافحة الشغب تحرس خارج البرلمان. وقام الجنود بإغلاق المشرعين وأحاطوا المبنى بالأسلاك الشائكة.

وفي غضون أربع وعشرين ساعة، استولى الجنرالات لأنفسهم تقريبًا على كل السلطات التي كان من المتوقع أن تذهب إلى أي شخص يُنتخب رئيسًا. ومن الواضح أن المجلس العسكري، بقيادة وزير دفاع مبارك، طنطاوي، كان لا يزال خائفاً من تسليم السلطة، بغض النظر عن مدى لطف الفترة الانتقالية التي وعد بها شفيق أو مرسي.

• • •

أنا أعتقد أن المصريين قد يعترضون على التراجع عن أول انتخابات ديمقراطية لهم. في الواقع، الجانب غير الإسلامي من الجانب السياسي
وقد رحبت به الطبقة الحاكمة، حتى أولئك الذين فقدوا مقاعدهم في البرلمان المنحل الآن.

"بالتأكيد إنه أمر جيد"، أحد زعماء الحزب الاشتراكي الديمقراطي،
قال لي عماد جاد. وقال إن الإسلاميين يتمتعون بشعبية كبيرة.
يمكن لليبراليين أن يتظاهروا ضد رجل عسكري قوي؛ لا يمكننا التظاهر ضد الإسلاميين”.

لقد بذلت جهدًا كبيرًا لفهم كيف فهم المصريون الآخرون الأمر.
لقد رفضوا قرارات أو قضاة محددين باعتبارها مزورة أو فاسدة، ولكن من الناحية النظرية كان لديهم احترام غير عادي للقضاء.

لقد كانوا يقدسون فكرة محاكمهم، التي كانت تحمل الوعد التاريخي بالإنصاف والعدالة. وبما أن المحاكم قامت بحل البرلمانات من قبل في عهد مبارك، فإن إبطال برلمان آخر بدا قانونياً بما فيه الكفاية. على أية حال، غطت وسائل الإعلام القرار وكأن الجنرالات لم يكن لديهم خيار آخر. كان هذا هو القانون. هز الجمهور كتفيه.

بالنسبة للإخوان المسلمين، أصبحت جولة الإعادة الرئاسية مسألة حياة أو موت. وكان مقر حملة الإخوان يقع على الجانب الآخر من الشارع من وزارة الداخلية. وقال الموظفون مازحين إنه إذا فاز المشير الجوي السابق شفيق فسوف يسيرون عبر الشارع لتسليم أنفسهم.

وتوجه الناخبون إلى صناديق الاقتراع يومي 16 و71 يونيو/حزيران، وتم فرز الأصوات علناً داخل مركز الاقتراع نفسه فور انتهاء التصويت: 52 في المائة لمرسي و84 في المائة لشفيق. وكان الفارق أكثر من ثمانمائة ألف صوت متوزعة في أنحاء مصر. كان من المستحيل التزييف.

شخص قوي لديه أفكار أخرى. ورفض سلطان ولجنة الانتخابات التصديق على النتائج وإعلان فوز مرسي. وقالوا إنهم أجلوا الإعلان عن أي فائز، بينما نظروا في طعون غير محددة.

...

ت

كان مجلس الأمن القومي بالبيت الأبيض منعقدًا
اجتماعات محمومة على مدار الساعة في غرفة العمليات، تشعر بالقلق
أن مصر قد تنفجر مرة أخرى. وكانت وكالات المخابرات الأمريكية أفادت بأن فاروق سلطان وآخرين في اللجنة الانتخابية أرادوا إبطال النتائج وإعلان فوز شفيق. وكان الجنرالات داعمين. وكانت المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، اللتان كانتا تخشان الإسلاميين والانتخابات الحرة، تضغطان من أجل ذلك.

قال رودس لاحقًا: "لقد شعرت وكأن الأيام الثمانية عشر قد عادت من جديد".
في إشارة إلى الاحتجاجات التي استمرت ثمانية عشر يومًا والتي أطاحت بمبارك.

ويشعر الكثيرون في الجيش الأمريكي ووكالات الاستخبارات بالخوف
واحتمال وجود رئيس إسلامي لمصر أيضاً. ولكن نظراً لأداء الجنرالات حتى الآن، فقد بدا أن انتصار شفيق المزيف لن يؤدي إلا إلى استمرار الفوضى.

"يمكنك أن تقول أن الكثير من الأشخاص في الغرفة كانوا متعاطفين
يتذكر رودس: "إلى مسرحية شفيق". "لكن حتى هؤلاء الأشخاص لم يتمكنوا من الاستمرار في معرفة أن الرجل الآخر فاز في انتخابات حرة وكنا نتصرف ضد ذلك".

ألقى البيت الأبيض بثقله وراء الاعتراف بانتصار مرسي. ووصفت كلينتون أنه "من الضروري" أن يقوم الجنرالات "بتسليم السلطة إلى الفائز الشرعي". وهددت الإدارة مرة أخرى بإلغاء المساعدات العسكرية السنوية البالغة 1.3مليار دولار.

وطلب الدبلوماسيون من الإماراتيين والسعوديين التراجع أيضًا.
أخبرني رودس أن "الخليجيين لم يقدروا ذلك، لكنني أعتقد أنه خفف من قسوتهم".

وفي القاهرة، قام ائتلاف من السياسيين غير الإسلاميين (ومعظمهم أنا
(كان من قبل ليبراليًا) عقد مؤتمرًا صحفيًا متلفزًا لحث اللجنة على إعلان شفيق رئيسًا. وقال أحدهم، أسامة الغزالي حرب: "لقد رأينا الولايات المتحدة تجبر الجيش على تسليم السلطة إلى جماعة الإخوان المسلمين".

وقال للإسلاميين دون سخرية: «الديمقراطية الحقيقية تعني
الشجاعة لقبول الهزيمة."
خيرت الشاطر أبرز صناع القرار في جماعة الإخوان
وحذر المجلس العسكري من أنه إذا دعا إلى انتخاب شفيق فإن جماعة الإخوان المسلمين سوف تسيطر على كل ساحة عامة في مصر.
"كانت الرسالة، إذا سرقت هذا، فسنكون في الشارع بالكامل
القوة"، أخبرني إسلامي مطلع على المحادثات في وقت لاحق.
“سوف نتوقف عن صد القوات المناهضة للجيش. أنت وحدك، وسوف تخسر. لقد تغيرت الأمور."

وبعد أسبوع كامل من التأخير، حددت اللجنة الانتخابية أخيراً موعداً لعقد مؤتمر صحفي يوم الأحد 24يونيو/حزيران لإعلان الفائز. لقد تحولت الإثارة إلى قلق. وكانت محكمة أخرى قد قضت للتو ببراءة كبار قادة الأجهزة الأمنية في عهد مبارك من قتل المتظاهرين، مما أدى إلى تبرئة مبارك على الأرجح عند الاستئناف. الآن يمكن لأي شخص أن يخمن أن اللجنة كانت تبحث عن ذريعة لعدم تسميتها لمرسي.

وكانت القاهرة شبه مشلولة. وأغلقت البنوك والمدارس والشركات. وكانت الشوارع مهجورة. ونشر الجيش دبابات ومدرعات على المباني الحيوية والتقاطعات الرئيسية والمطار. وحاصر جنود مكافحة الشغب الساحة، وحلقت المروحيات العسكرية على ارتفاع منخفض مرة أخرى. وقامت وزارة الصحة بتجهيز ألف وثمانمائة سيارة إسعاف.

بحلول الظهر وصلت درجة الحرارة في ميدان التحرير إلى حوالي 90درجة. كان هذا المكان هو المكان الوحيد الذي يخرج فيه الناس في وسط المدينة، وقد تضخم حشد من أنصار مرسي المنتظرين هناك إلى عشرات الآلاف. أخيرًا، متأخرًا خمسة وأربعين دقيقة، ساد صمت، وصدر صوت سلطان الهادر من مكبرات الصوت.

لقد توترت لسماع. لقد تحدث بصوت عالٍ عن العمل الشاق الذي قامت به اللجنة، ونبل هدفها، والافتراء الموجه ضدها. وتوالت طعون المرشحين الواحدة تلو الأخرى، حتى أصبح مجموع الطعون 456طعوناً. . ."

داخل السفارة الأمريكية، كانت السفيرة باترسون تجري مكالمة فيديو مع دينيس ماكدونو في البيت الأبيض، وكانت تخبره أن الأمر قد انتهى. لقد فشل الضغط الأمريكي. كان الجنرالات قد رجحوا نتيجة الانتخابات، وكان سلطان يدعوها لشفيق.

لقد حان الوقت للتخطيط للعنف المحتمل.
قاطع أحد المساعدين مكالمتهم. كان سلطان قد مضى على خطابه خمسة وأربعين دقيقة وكان قد سعل للتو الاسم الكامل للفائز:
"د. محمد محمد مرسي."

أخبرني المسؤولون الأمريكيون المطلعون على التقارير الاستخبارية في وقت لاحق أن العامل الحاسم لم يكن تهديدات الإخوان المسلمين أو تملق البيت الأبيض، على الرغم من أن كل منهما أزال إحساسًا متضخمًا بنفوذه الخاص. وكان اثنان من الأعضاء الشرفاء في اللجنة المكونة من خمسة رجال قد رفضا هذا الإصلاح ببساطة. كان أحدهم هو نفس ابن الجنرال الذي ساعد في صياغة الميثاق الانتقالي الأول في عام ،2011وهو الذي توجه بجدية إلى موقع جامعة برينستون للمساعدة: حاتم باجاتو. (لم يكن باجاتو إسلاميًا، ومع ذلك فقد دافع علنًا عن الدليل الذي لا يقبل الجدل على فوز مرسي بعد إعلانه على حساب تحمل حملة من الافتراءات ونظريات المؤامرة من المصريين الذين أرادوا فوزًا مرسيًا).

نتيجة مختلفة. ولكن عندما انقلبت الرياح السياسية في وقت لاحق، نفى باجاتو عرقلة الإصلاح).

تحول الرصيف من حولي في ميدان التحرير إلى ترامبولين عملاق. قفز عشرات الآلاف من الناس صعودا وهبوطا في ابتهاج. أطلقت السيارات أبواقها وأوقف الناس حركة المرور. وهتفوا "حرية، حرية"، وصفقوا بأيديهم لإضفاء الإيقاع على الأغنية.

وهتف المحتفلون "مرسي مرسي" و"الله أكبر" في نوع من التنغيم. بكى الرجال البالغون فرحًا وارتياحًا. وألقوا أسلحتهم، واحتضن الجنود الإسلاميين.

ووصف بعض المصريين مخططات الجنرالات لصياغة الدستور بأنها انقلاب عسكري فاشل. ووصف آخرون حل البرلمان بأنه "انقلاب قضائي". وبدا في ذلك اليوم وكأن مصر قد تمكنت من صد انقلابها الثالث منذ الإطاحة بمبارك.

12
ليلة القوة

30يونيو 2012 – 19نوفمبر 2012

في أقل من شهرين، خرج محمد مرسي من الغموض ليفوز بأول انتخابات رئاسية نزيهة منذ آلاف السنين في التاريخ العربي. وكان انتصاره أعظم إنجاز في تاريخ الإسلام السياسي الممتد لخمسة وثمانين أنا عاماً في العالم الإسلامي السني. وهو الآن يرأس أكثر من خمسة وثمانين مليون مواطن، في أمة ذات أهمية فريدة. فهل يقوده نحو التسامح والديمقراطية أم إلى الاستبداد والتطرف؟ ربما لا يمكن لأحد أن يكون مستعدًا لوظيفته الجديدة. ومن المؤكد أن مرسي لم يكن كذلك.

لقد كان شخصياً غير مؤثر. وكان قصير القامة وممتلئ الجسم. كان يرتدي نظارة مربعة ذات إطار سلكي انزلقت بشكل منحرف على أنفه. لقد نشأ في مزرعة صغيرة في دلتا النيل، وخطب عام 1978وهو في السادسة والعشرين من عمره لابنة عم تبلغ من العمر ستة عشر عامًا، وهو ترتيب شائع في الأسر الريفية. انتقل إلى الولايات المتحدة في نفس العام للحصول على برنامج الدكتوراه في الهندسة في جامعة جنوب كاليفورنيا. انضمت إليه زوجته بعد ذلك بعامين. لقد أقاموا منزلهم الأول في جنوب وسط لوس أنجلوس، وأمضوا سبع سنوات في كاليفورنيا، وأنجبوا ولدًا هناك. وفي المجتمع الإسلامي في لوس أنجلوس قرر الزوجان الانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين. وبصرف النظر عن الفترة التي قضاها في التدريس في ليبيا الغنية بالنفط لدعم أسرته، فقد أمضى بقية حياته المهنية في الجامعة في الزقازيق، ليست بعيدة عن مسقط رأسه.

التقيت بمرسي لأول مرة في مكتبه الرئاسي. لقد تراجع في
كرسي مكتب لويس الرابع عشر، وحاولت تدفئته بأسئلة ودية مثل ما رأيه في إقامته في كاليفورنيا؟

وبدا مرسي قلقا. وأضاف: "الرئيس ليس متأكداً تماماً مما إذا كان الأمر كذلك
ذات صلة بالمقابلة، أم أن هذا التواصل الاجتماعي أو شيء من هذا القبيل؟ وقال مترجمه الرسمي، الذي بقي في عهد مبارك.

وكان الرئيس الجديد غريبا على مثل هذه الطقوس. كما حاول بانيتا، وهو عضو سابق في الكونجرس عن ولاية كاليفورنيا، كسر الجمود من خلال إثارة تاريخ مرسي في الولاية. نظر مرسي إليه بصراحة. وفي وقت لاحق أعلن فجأة أن ابنه الأكبر قد ولد هناك. "يمكن أن يصبح رئيسًا للولايات المتحدة!" ضحك مرسي. لقد غير بانيتا الموضوع.

وبعد أن طمأنه أحد المستشارين بشأن حديثي القصير، انفجر مرسي
الحماس حول مستشار أطروحة جامعة جنوب كاليفورنيا. "فرديناند أ.
كروجر -يكتبها بـ ،uأو بنقطتين فوق .oلقد كتب كتابًا كبيرًا جدًا بعنوان "كيمياء البلورات غير الكاملة".

ضحك مرسي حول ثقافة الحرم الجامعي لجامعة جنوب كاليفورنيا –"اذهبوا يا أحصنة طروادة!" –و
كان يتذكر باربرا والترز في الصباح ووالتر كرونكايت في الليل. "وهذا هو الحال!" قال في تقليد لائق.

هل كان هناك أي شيء أعجب به في الثقافة الأمريكية؟ أنا
وتوقعت منه أن يختار إجابة تملق الأميركيين وكانت مفقودة من قبل في مصر، مثل حرية الضمير، أو الحماية المتساوية بموجب القانون، أو التداول السلمي للسلطة. لا.

كان مرسي معجباً بعادات العمل الأميركية وإدارة الوقت. وقال مرسي: "الناس يتبعون نصيحة أبراهام لنكولن: ينامون مبكرا ويستيقظون مبكرا". (كان يفكر في بنجامين فرانكلين). "وهذا لأن المجتمع لديه نظام حازم وجدي."

كان يعتقد أن الرئيس يجب أن يتحدث لغته الوطنية، العربية، ولكن عندما يشعر بقوة تجاه شيء ما، فإنه يتحول إلى اللغة الإنجليزية الواضحة. وعندما قالت المترجمة إن مرسي "تعلم الكثير" في الولايات المتحدة، سارع مرسي إلى تصحيح كلامها. "علميا!"

وتدخل مرسي قائلا: ما تعلمه هو العلم، العلم فقط. "لقد عشت في أمريكا ولكني لم أتغير كثيرًا. أنا مصري من لحم ودم!

هل كان هناك أي شيء لم يعجبه في الحياة في الولايات المتحدة؟
نعم، عصابات الشوارع والعنف في جنوب وسط لوس أنجلوس.
المعاشرة خارج إطار الزواج. الأعراف الجنسية الأكثر مرونة. "لقد رأيت

قال: "مطعم عراة". وأوضح أحد المستشارين أنه كان يقصد الأبواق.

وكان سيد قطب، المفكر الإسلامي المتطرف، قد كتب عن اشمئزازه من المادية والفجور الذي رآه عندما كان طالبا في واشنطن العاصمة، وغريلي في كولورادو، في منتصف القرن العشرين. رأى قطب صراع الحضارات. وكان مرسي أكثر تساهلاً.

"إنهم يعيشون بطريقتهم. أنا لا أعترض." هز كتفيه.
"هذه هي الثقافة."

وبحلول ذلك الوقت كنت أكافح من أجل إعادة حديثنا إلى مصر.
وفي فترة ولايته الوحيدة في البرلمان في عهد مبارك، كان مرسي قد خدم كسوط ومنفذ لكتلة الإخوان. وبخ الإخوان الشباب الذين أرادوا طرح الأسئلة أو المناقشات المفتوحة. فهو كان يفتقر إلى الكاريزما التي يتمتع بها وسيط السلطة الشاطر أو الليبرالي أبو الفتوح. ولم يتحمل مرسي السنوات الطويلة في السجن التي جعلت منه بطلاً في الحركة السرية. كان قد قضى سبعة أشهر في عام 2006، بسبب تظاهره لدعم استقلال القضاء، وبضع ليالٍ في عام 2011، في بداية الانتفاضة.

كان مرسي قد بلغ الستين بعد بضعة أشهر. وكان على استعداد للتقاعد.
وعندما أراد مجلس إدارة جماعة الإخوان المسلمين تعيينه بديلاً للشاطر في السباق الرئاسي، كان مرسي معارضاً بشدة لذلك. لماذا لا تطلق النار علي أولا؟ سأل. فكيف يمكن أن يترشح للرئاسة إذا كان حزبه قد اعتبره خياره الثاني؟ كان يعتقد أن مجلس الإدارة كان بائسا في السياسة. لكن مرسي كان مطيعاً. لقب "الإطار الاحتياطي" طارده طوال فترة رئاسته.

وأظهرت استطلاعات داخلية لجماعة الإخوان أن 3% فقط من الناخبين كانوا يعرفون من هو مرسي عندما دخل السباق في 20 أبريل/نيسان، قبل شهر من الجولة الأولى من التصويت. ولم يوافق عليه سوى ثلثيهم. وقد أدى استبعاد الشاطر إلى إضعاف معنويات العاملين في حملته الانتخابية إلى درجة أن العديد منهم رفضوا العمل لصالح مرسي. كان يعاني من نقص في عدد الموظفين، وهكذا التقى بوائل هدارة، وهو طبيب مصري كندي.

تصادف أن هدارة، البالغ من العمر اثنين وأربعين عامًا، عاد إلى مصر منذ ذلك الحين
جنازة والدته. وكان ثنائي اللغة (يتحدث العربية والإنجليزية، مع بعض الفرنسية والألمانية). لقد نما

تجول في المنطقة العربية والتحق بإحدى الجامعات الكندية في سن الرابعة عشرة. لقد ساعد في الحصول على براءة اختراع لشكل جديد من العلاج الجيني قبل أن يبلغ الحادية والعشرين من عمره، وحصل في النهاية على درجات علمية في الصيدلة والطب والتعليم. كان يدير الآن وحدة كبيرة للعناية المركزة في مستشفى تعليمي في لندن، أونتاريو، وعلى الجانب كتب مقالات علمية تطبق أفكار ميشيل فوكو على علم أصول التدريس الطبي.

كان هدارة أيضًا عضوًا في مجلس إدارة الرابطة الإسلامية الكندية في السنوات التي تلت 11سبتمبر ،2001ورئيسًا لها في عام 2011.ولم يكن عضوًا في جماعة الإخوان المسلمين ولكن كان لديه أصدقاء من المؤيدين، وفي ديسمبر 2011طُلب منه أن يجتمع مع أحد كبار قادة الإخوان المسلمين الذين سيلعبون دورًا بارزًا في حملة مرسي وإدارته. ومع توقعه مغادرة القاهرة قريباً، لم ير ما يخسره. وقد أفرغ هدارة من تقييمه الصريح للإخوان المصريين.

"أنت أبوي، أبوي، معاد للسامية، مليء بالغموض،
وقال له هدارة: "واللعب بالهوية". كيف تكون مصر دولة إسلامية تتمتع بمواطنة متساوية لغير المسلمين؟

"إذا كنت تريد حقا أن تحكم، فهذه هي القضايا التي عليك مواجهتها."

"هذا عظيم!" وقال القيادي الإخواني عصام الحداد لهدارة. "هل يمكنك كتابة كل هذا بالنسبة لي؟"

وقد أعجب هدارة. وعندما تم ترشيح مرسي في وقت لاحق من ذلك الربيع، أقنعت نصيحة هدارة الصريحة وخبرته مع وسائل الإعلام الحملة بمحاولة تجنيده. وتساءل هدارة عن سبب رغبة المرشح لمنصب رئيس مصر في الحصول على مساهمته.

وقال حضارة: «لم أعش في مصر منذ ثلاثين عامًا».
صديق مصري كندي عمل في الحملة.
"لا يوجد أحد آخر يريد العمل معه"، صديقه
أجاب. "لذا فإن أي شيء يمكنك تقديمه سيكون مفيدًا."
"امسك أنفك وابتلع الدواء" كان هذا هو موقف الإخوان تجاه مرسي، حسبما أخبرني هدارة لاحقًا. "شعرت بالأسف عليه."

كمرشح، كان مرسي طويلا وغير ملهم. لقد كان غير قادر على الالتزام بالنص المُعد دون تعرجات

إلى انحرافات دائرية. وفي حفل خطوبة لابنة أحد الأصدقاء في أوائل عام 2012، أهان العريس غير الإسلامي من خلال تحويل النخب إلى خطبة سياسية.

لقد قال كل السياسيين المصريين تقريباً – الإسلاميين أو اليساريين أو الحزب الحاكم – أشياء للجمهور المحلي من شأنها أن تروع الغربيين، ولم يكن مرسي استثناءً. وفي خطاب ألقاه عن الفلسطينيين، وصف الإسرائيليين ذات مرة بأنهم "قتلة ومصاصي دماء". وفي مقابلة عام 2005 مع شبكة سي إن إن، شكك في دور تنظيم القاعدة في هجوم 11 سبتمبر على مركز التجارة العالمي.

"طائرة أو مركبة تمر عبرها مثل سكين في الزبدة؟" هو قال. "إجراء محاكمة عادلة. لم يفعلوا ذلك. ماذا يحدث هنا؟ هناك شيء مريب."

كان هذا دكتور الهندسة في علم المواد يتحدث. لكن
ثم اندهشت من مدى انتشار مثل هذه النظريات في القاهرة، ربما لأن المصريين متشككون للغاية في القصص الرسمية لحكومتهم. وأصر مبارك أيضاً على أن تنظيم القاعدة لم ينفذ هجمات 11 سبتمبر، وفقاً لمذكرات وزير خارجيته الأخير. ولم يكن مبارك يعتقد أن تنظيم القاعدة يمكن أن يكون على هذا القدر من التطور.

داخل جماعة الإخوان، وقف مرسي إلى جانب الفصيل المحافظ ضد أبو الفتوح. أخبرني مرسي أن علماء الإسلام منقسمون حول مسألة ما إذا كان الرئيس يجب أن يكون رجلاً مسلماً. لكنه رسم تمييز المسجد والدولة. كانت الأهلية القانونية شيء، وآرائه الدينية الشخصية قد تكون شيء آخر.

وأضاف: "لن أمنع أي امرأة من الترشح". "هل سأصوت لها؟ وهذا شيء آخر تماما."

وللتحضير لجولة الإعادة، كان الإخوان المسلمون يحشدون جبهتهم المشتركة مع الليبراليين ضد النظام القديم. التقى مرسي بمجموعة من الليبراليين في فندق فيرمونت بالقاهرة وتعهد بإحضار فريق متنوع من المستشارين من أجل توحيد "الثوار". لكنه نادرا ما يستطيع مقاومة رمي اللحوم الحمراء على القاعدة الإسلامية. فقد قاد مقاطعة خدمة الهاتف المحمول المصرية لأن مؤسسها، رجل الأعمال القبطي المسيحي نجيب ساويرس، أعاد نشر صورة كاريكاتورية لميكي ماوس بلحية طويلة وميني ترتدي حجاباً يغطي كامل الوجه. وقال مرسي: "إهانة للإسلام".

ولكن من الناحية العملية، كان مرسي أكثر ليبرالية من العديد من قادة الإخوان المسلمين، وربما أكثر ليبرالية من معظم المصريين.

وقالت لي امرأة شابة عملت في حملته الانتخابية، سندس عاصم، إنها تحب مرسي جزئياً لأنه شجع والديها على السماح لها بالسفر إلى الخارج بمفردها -وهي خطوة متساهلة للغاية بالنسبة لمعظم المصريين، بغض النظر عن مدى علمانيتهم. لقد كان يتواصل اجتماعيًا في جامعة جنوب كاليفورنيا وسط حشود مختلطة، مع نساء مسلمات غير مكشوفات، وحيث يتم تقديم الكحول. وكانت زوجته الشابة تعمل خارج منزلهم هناك، وقد شجع الزوجان ابنتهما على الحصول على درجة البكالوريوس في العلوم على الأقل (تزوجت من ابن زعيم آخر لجماعة الإخوان).

التقى هدارة بمرسي بينما كان يخرج من شقته المكونة من غرفتي نوم، في إحدى الضواحي البعيدة المعروفة باسم التجمع الخامس، في طريقه إلى أول مقابلة تلفزيونية لحملته الانتخابية.

ماذا ستكون رسالة الحملة؟ -سأل هدارة. مرسي

وحدد خمس أولويات: الأمن الغذائي، وأمن الوقود، والسلامة العامة، وحركة المرور، وجمع القمامة؛ قضايا الخبز والزبدة لعامة المصريين. ولم تكن الحقوق والحريات موجودة في القائمة، ولا الإسلام ولا الأخلاق.

لكن أمام الكاميرا تراجع مرسي عن المواضيع القديمة.

وقال وهو ينفض الغبار عن الشعار المبجل والغامض: "هذا هو برنامج "الإسلام هو الحل" القديم". "لقد تم تطويرها وتبلورها لينعم الله بها على المجتمع".

كان التخفيف من شعارات مرسي بمثابة "معركة مستمرة بالنسبة لنا في فريق الحملة الانتخابية"، كما أخبرني هدارة في وقت لاحق. وكان مرسي يطلب دائمًا من مستشاريه طرح نقاط للحديث حول الاقتصاد والفساد والحرية. لكن خلال جولة الإعادة، انضمت الجماعات السلفية المتشددة إلى مرسي في الانتخابات. "كان يصعد على المنصة مع هؤلاء الناس وكان كله من نار وكبريت."

"القرآن دستورنا والشريعة دليلنا" وهتف مرسي مع الحشد في أول تجمع له في بلدة في دلتا النيل.

"البعض يريد إيقاف مسيرتنا نحو مستقبل إسلامي، حيث يتم تطبيق أحكام الله وتوفير حياة كريمة للجميع. . . . ويجب على الجبهة الإسلامية أن تتوحد حتى نتمكن من تحقيق هذه الرؤية!

ليلة انتخاب مرسي، اتصلت مي الشيخ بالرئيس مرسي
نائب المرشد العام الذي اختار مرسي لرئاسة الجماعة

الكتلة النيابية الإخوانية محمد حبيب. لقد ترك الجماعة ليبدأ حزبه السياسي الصغير، وسألته مي: هل يمتلك مرسي ما يلزم لقيادة مصر؟

قال حبيب بصراحة: «لا، لا يفعل ذلك».

تساءلت عما إذا كان الضعف جزءًا من السبب الذي دفع الجنرالات إلى ذلك

وسمح لمرسي بالفوز؛ لقد استبعدوا الكثير من المتنافسين الأقوياء. ومع ذلك فقد تحدى الصعاب لبعض الوقت.

...

لا أستطيع أن أتخيل حفل تنصيب أكثر إذلالاً من هذا. وكان مرسي قد تعهد ليلة الانتخابات بإعادة البرلمان المنحل وأدى اليمين أمامه. وأجبره المجلس العسكري على استعادة كل ذلك. وقد وعد جنرالان في مقابلة تلفزيونية مشتركة قبل التنصيب بأن المؤسسة العسكرية سوف تظل "وصياً جديراً بالثقة"، ويتمتع بسلطات واسعة على بقية الحكومة. أنا

أي نوع من "الوصي"؟

أجاب اللواء محمد العصار: "فسرها بالطريقة التي تريدها".

وبدلاً من إقامة احتفال عام، أرغم الجنرالات مرسي على أداء القسم في تمام الساعة الحادية عشرة من صباح يوم السبت 30يونيو/ حزيران 2012، داخل المحكمة الدستورية العليا. لقد أُجبر على تكريم نفس القضاة الذين حلوا البرلمان وتآمروا لسرقة انتخابه.

شاهدت على الشاشة الصغيرة في مكتبي رئيس القضاة فاروق

ألقى سلطان محاضرة على مرسي حول أهمية المحكمة الدستورية العليا وسيادة القانون. جلس مرسي على كرسي منتصب في فجوة منحنية أمام قاعة المحكمة الفارغة، وبدا وكأنه رهينة. كان يحدق ويحدق. تمتم ببضع كلمات مطيعة حول الفصل بين السلطات. شعرت بالحرج بالنسبة له.

ومع ذلك، يبدو أن زخارف الرئاسة تعمل على توسيع نطاقه. صعد إلى نفس سيارة الليموزين السوداء من نوع مرسيدس التي نقلت مبارك، وكان محاطًا بنفس الحاشية من الحراس الشخصيين الذين يرتدون سماعات الأذن والنظارات الشمسية والذين أحاطوا بمبارك. المشير أو المارشال

وكان طنطاوي لا يزال وزيرا للدفاع ولم يكن أحد يعتقد أن مرسي يستطيع عزله. ولكن حتى المشير حيا الرئيس الجديد.

اتضح أن مرسي كان لديه أفكاره الخاصة حول تنصيبه.
وخرج مسرعاً من المحكمة إلى قاعة المحاضرات بجامعة القاهرة، حيث أدى القسم بإحساس جديد أمام معظم أعضاء البرلمان المنحل والسفراء الدوليين لدى مصر. وكان قد أدى اليمين للمرة الثالثة، بشكل غير رسمي، في ميدان التحرير الليلة السابقة. لقد أقام الإخوان المسلمون منصة مرتفعة، وخرج عشرات الآلاف –بما في ذلك عدد غير قليل من غير الإسلاميين –للاستماع إليه.

قليل من المصريين رأوا رئيسًا بالجسد. مبارك، الذي كان خائفا من اغتيال سلفه ومحاولة اغتياله خلال زيارة إلى إثيوبيا عام 1995، ظهر بشكل شبه حصري على شاشة التلفزيون الحكومي -وكان دائما محاطا بتلك الستار السميك من الحراس الشخصيين.

الآن صعد رجل متقدم على المسرح. "الله أكبر" قال
صاح، وبدا للحظة وكأنه تجمع إسلامي نموذجي.
كان مرسي، الذي بدا غريبًا كالعادة، يمسك بالنص الذي أعده بنفس اليد التي يحمل فيها ميكروفونه. كان يسير على خشبة المسرح كما لو كان يلقي محاضرة عن التوصيل الحراري العالي في أكسيد الألومنيوم. لقد حيا نداء الأسماء في المقاطعات، والبيروقراطيات، والصناعات ــالعاملين في مجال الإعلام، والفنون، والسياحة، وما إلى ذلك ــوكأنه لا يريد استبعاد أي شخص.

"أيها العالم الحر أيها العرب، أيها الإخوة والأخوات، أيها الأبناء والبنات،

مسلمين ومسيحيين مصريين، جميع المواطنين أينما كنتم، داخل مصر وخارجها. نحن هنا اليوم لنقول للعالم أجمع: هؤلاء هم المصريون؛ هؤلاء هم الثوار الذين صنعوا هذه الملحمة، هذه الثورة. . . ."

اعتقدت أنني سمعت شيئا جديدا وجدية مختلفة في مرسي. وتجنب خطابه أي إشارة إلى الإسلام أو الشريعة الإسلامية. لقد أعاد صياغة ما قاله توماس جيفرسون عن الشهداء الذين "سقت دماءهم شجرة الحرية". ودعا المعارضين السياسيين، والمسيحيين والمصريين العلمانيين، واللجوء إلى العمال أو الفنانين الذين يخشون الوعظ الإسلامي. "أولئك الذين صوتوا لي وأولئك الذين لم يفعلوا ذلك، أنا معكم جميعًا، على نفس المسافة من الجميع."

قال مرة أخرى: "لقد أتيت إليكم كمصدر للشرعية".

مرة أخرى. "الجميع يسمعني، كل الشعب ومجلس الوزراء والحكومة والجيش والشرطة. ولا سلطة فوق هذه السلطة.

لديك القدرة! تمنح السلطة لمن تختار، وتسحب السلطة ممن تختار". وأصر على أنه لا يمكن لأي "كيان" أو "مؤسسة" -كل مستمع يعرف أنه يقصد الجيش -أن يخالف الإرادة الشعبية.

لقد مد يده مثل الظهير، ودفع اثنين من الحراس الشخصيين المذهولين بعيدًا عن الطريق حتى وقف في مقدمة المسرح. على بعد بضعة أقدام من الحشد، فتح معطفه الرياضي، ووضع ميكروفونه على طية صدر السترة، وكشف الجزء الأمامي من قميصه.

وقال: "ليس لدي ما يحميني من أي رصاص". على عكس

مبارك لم يكن يرتدي درعا واقيا. «إني أخاف الله عز وجل، ولا أخاف بعد ذلك إلا أنت».

فكرت بشكل غير متوقع في جمال عبد الناصر. كان يتحدث في ميدان المنشية بالإسكندرية عام 1954 عندما حطمت الرصاصات مصباحًا كهربائيًا فوق رأسه. طار الزجاج من حوله. وقال البعض فيما بعد إن بقعة داكنة ظهرت على صدره.

"دعوهم يقتلوا عبد الناصر. وما عبد الناصر إلا واحد من بين كثيرين؟ وتابع دون أي تذلل أو تردد.

"أيها الرجال، ابقوا حيث أنتم! أنا لست ميتا! انا حي! وحتى لو مت فكلكم جمال عبد الناصر".

وكانت أعظم حلقة في المسرح السياسي في مصر منذ عهد أنطونيوس وكليوباترا. ولم يصب عبد الناصر بأذى. تقول الأسطورة أن البقعة السوداء على صدره كانت حبرًا من قلم. هل كان مرسي يقصد استحضار عبد الناصر، عدو الإسلاميين في كل مكان؟

رد مرسي على الجنرالات بسبب تجريدهم من سلطته في منصبه. وقال: "ليس لدي الحق في التنازل عن صلاحياته ومهامه الرئاسية". "هذا عقد بيني وبينك.

وهذا هو مفهوم الدولة الحديثة. . . . هل أنت جاهز؟ هل ستقف بجانبي لاستعادة حقوقنا بالكامل؟"

ياسمين الرشيدي، كاتبة مصرية من عائلة نخبوية، أرخت تلك الفترة ببلاغة لمجلة نيويورك ريفيو أوف بوكس، وعادة ما كانت تصف الإخوان المسلمين بمزيج من الخوف والازدراء.

وكتب الرشيدي عن خطاب مرسي في الميدان: "لقد انتصر مرسي في ذلك اليوم". "لقد نجح في استمالة والدتي أيضاً، على الرغم من أنها كانت حذرة منذ فترة طويلة من الإسلاميين. لقد استحوذ على إعجاب الكثيرين الذين اعتقدوا في تلك اللحظات أنه يستحق فرصة".

قد يبدو الأمر كذلك بالنسبة لبعض أصدقائي المصريين الأكثر ليبرالية أو يسارية
عد إلى تلك الساعة في ميدان التحرير باعتبارها اللحظة التي بدا فيها مرسي، كما وعد، رئيسهم أيضًا.

...

في ورأت واشنطن صورة مختلفة. كما تعهد مرسي بالحرية
المدنيين المدانين في محاكمات عسكرية، لاحظ لافتات في الميدان تحث على إطلاق سراح عمر عبد الرحمن، الشيخ المصري الأعمى المسجون في الولايات المتحدة بتهمة التخطيط لتفجير مركز التجارة العالمي عام 1993.

وقال مرسي مرتجلا: "سأبذل قصارى جهدي لإطلاق سراحهم".
مرة أخرى «ومنهم عمر عبد الرحمن».
وكان عنوان صحيفة نيويورك تايمز في اليوم التالي هو "مصر الجديدة".
القائد يؤدي القسم، ويعد بالعمل من أجل إطلاق سراح الإرهابي المسجون. (لم أكتبها).

مستشارو مرسي انزعجوا وأوضحوا. لقد فهم أن الشيخ الأعمى كان مجرماً مداناً، وليس سجيناً سياسياً. ولم يتوقع أحد إطلاق سراحه الوشيك. لكن الأميركيين يتساءلون عما إذا كان مرسي هاوياً أم متطرفاً أم كليهما.

وكانت صحيفة الأهرام، الصحيفة الإعلامية الرسمية للدولة، معروفة بأنها الصحيفة المكتوبة لقارئ واحد فقط: الرئيس عبد الناصر، ثم السادات، ثم مبارك. والآن يبدو أن هذا القارئ هو وزير الدفاع طنطاوي، وليس مرسي. حاول مرسي إعادة البرلمان، وأثنى عنوان الصفحة الأولى لصحيفة الأهرام في ذلك اليوم على الجنرالات لإغلاقه: القوات المسلحة تابعة للسلطة.

الناس وسيبقون إلى جانب الدستور و
شرعية. وأظهرت صورة وزير الدفاع وهو شاهق فوق مرسي. وألقى الشريط الجانبي باللوم على مرسي في انهيار سوق الأسهم المصرية. وتجاهلت وسائل الإعلام الحكومية المشرعين الذين حاولوا العودة إلى مكاتبهم؛ أعادت شبكتها التلفزيونية بث تحية لبطولات

الشرطة السرية. وبغض النظر عن عملية صنع الخطابات، فمن كان المسؤول، لم يكن محمد مرسي. ولم أرى كيف يمكن أن يتغير ذلك.

...

F بعد خمسة أسابيع من التنصيب، في 5 أغسطس 2012، السادسة عشرة جنود مصريون عند نقطة تفتيش في صحراء شمال سيناء

اجتمعوا عند غروب الشمس في نزهة للإفطار في شهر رمضان. خرجت ثلاث سيارات لاند روفر مسرعةً من التلال. أطلق المسلحون الإسلاميون نيران بنادقهم الآلية من النوافذ، مما أسفر عن مقتل جميع الجنود الستة عشر. ولاذ المهاجمون بالفرار بشاحنة عسكرية وعربة مدرعة. كانوا ينتمون إلى جماعة سرية تطلق على نفسها اسم أنصار بيت المقدس –أنصار القدس– وتوجهوا بقوة نحو إسرائيل، هدفهم الحقيقي. وكانت هذه أول مرة أسمع فيها عن أنصار بيت المقدس، والتي أصبحت مهمة فيما بعد.

وأدت الغارات الجوية الإسرائيلية إلى تعطل المركبتين، لكن الجيش المصري تعرض للإهانة. لقد فشل جنودها في الدفاع حتى عن أنفسهم.

وصل الفريق أول عبد الفتاح السيسي إلى القصر الرئاسي بعد أسبوع، في 12 أغسطس/آب، لعقد اجتماع خاص مع مرسي. أخبرني بعض المقربين من مرسي لاحقًا أن السيسي فاز بثقة الرئيس عندما حذره من محاولة اغتيال كانت تنتظره في جنازة عسكرية لقتلى الهجوم. (تجاوزها مرسي). وقال حلفاء مرسي المقربون أيضًا إن السيسي أحضر أدلة على الفساد من الرجل الثاني في قيادة طنطاوي، الفريق سامي عنان.

ومهما ناقشا، استدعى مرسي طنطاوي وعنان إلى مكتبه بينما عاد السيسي إلى وزارة الدفاع. وسمع مساعدو مرسي في الممرات أصواتا غاضبة بالداخل. انفجر عنان.

وبحلول ذلك الوقت، كان السيسي، بعد عودته إلى وزارة الدفاع، قد انتهى من حجب الدعم عن المجلس العسكري. (كان من المؤكد أن اللواء محمود حجازي، الذي كان مرتبطًا بالسيسي من خلال زواج أبنائهما، ساعدهم). وظهر متحدث باسم مرسي قصير وممتلئ الجسم على شاشة التلفزيون الحكومي في الساعة 4:45 مساءً وقرأ إعلانًا قانونيًا مثل بعض المنادين في العصور الوسطى. كان محتواه مذهلاً: كان الجنرالات يتخلون عن سيطرتهم على السلطة التشريعية

السلطة وتسليمها لمرسي. كان طنطاوي في السادسة والسبعين من عمره وعنان في الرابعة والستين من عمره، وأعلن المتحدث الرسمي اعتزالهما على الفور. وقطعت الكاميرات لقطات لمرسي وهو يؤدي اليمين الدستورية لوزير الدفاع الجديد، السيسي، البالغ من العمر سبعة وخمسين عاما، في حفل متسرع في القصر الرئاسي.

لقد كانت أقدس ليلة في شهر رمضان، الليلة التي قيل أن رئيس الملائكة جبرائيل سلم فيها القرآن إلى النبي محمد. يحتفل بها المسلمون بليلة القدر –ليلة القدر. ألقى مرسي خطابا يشبه الخطبة في الأزهر واحتفل بانتصاره.

وقال: «إننا ننطلق إلى آفاق جديدة، بأجيال جديدة، بدماء جديدة انتظرناها طويلاً».

ولم يتوقع أحد في واشنطن حدوث ذلك، وموجة من القلق
اجتاحت البنتاغون. ويخشى البعض أن يكون السيسي إسلامياً مختبئاً.
وكتب ديريك شوليت، مساعد وزير الدفاع، في مذكراته: «كانت هناك مخاوف من أنه كان قريبًا جدًا من مرسي».

قال لي شوليت: "كان الجميع متشككين فيه للغاية". ولا يزال البنتاغون، على الأقل، يأمل أن يقوم وزير الدفاع المصري بفحص رئيسه بدلاً من تقديم تقارير إليه.

رنّت إسرائيل والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة أكثر
إنذار. "لم يجمع مرسي قط بين الخليج والإسرائيليين"، كما قال شوليت، بعبارات ملطفة.

لكن السفيرة باترسون كانت تعرف السيسي، وأرسلت لواشنطن تحذيرًا مختلفًا. وكتبت أنه كان طموحًا وحسابيًا ولا يرحم. ربما يكون مرسي قد قضم أكثر مما يستطيع مضغه».

...

أ وبعد بضعة أيام، تلقيت مكالمة هاتفية من نفس النحيف
البيروقراطي الذي رحب بي في القاهرة. كان لا يزال في وظيفته، وكان يتصل –كما كان دائمًا –بالنيابة عن الرئيس مرسي.

ومن المقرر أن يسافر الرئيس إلى نيويورك لحضور اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة. هل ترغب صحيفة نيويورك تايمز في إجراء مقابلة قبل الرحلة؟ وقد طار ستيفن إيرلانجر، أحد مراسلي الصحيفة الأكثر خبرة، للانضمام إلي.

التقينا في قصر الاتحادية، قصر الوحدة. تم بناؤه قبل الحرب العالمية الأولى كفندق فخم، صممه مهندس معماري بلجيكي بمزيج من الطراز الإسلامي الجديد وديكور لويس الرابع عشر. لقد استولى عليها عبد الناصر، واحتفظ بها مبارك. والآن، استقبلنا مرسي، الذي يرتدي بذلة داكنة وربطة عنق، في مكتب مبارك القديم. ولم يغير الرئيس الجديد شيئا تقريبا. ولا تزال اللوحات الزيتية للمراكب الشراعية تزين الجدران. كان التغيير الوحيد هو إضافة لوحة صغيرة على مكتب الكتابة المذهّب. وكان النقش آية من القرآن: "واتقوا يوما ترجعون فيه إلى اللّٰه".

جرت محادثتنا بعد أيام قليلة من أحداث 11سبتمبر 2012.
كان المخربون قد رفعوا علمًا جهاديًا أسود فوق السفارة الأمريكية في القاهرة خلال مظاهرة ضد فيلم أمريكي الصنع يسخر من النبي محمد، وقد أدى استغلالهم في القاهرة إلى هجوم مميت في نفس الليلة على البعثة الأمريكية في بنغازي بليبيا.

وكان مرسي قد سافر جوا إلى بروكسل في تلك الليلة لعقد اجتماع مع الاتحاد الأوروبي. وعلمت لاحقًا أنه قام بتصوير بيان حول الهجوم بالفيديو من على درجات طائرته في مطار القاهرة. وأدان الهجوم وتعهد بتأمين جميع السفارات الأجنبية، ثم توجه إلى أوروبا متوقعا بث الرسالة على التلفزيون الرسمي.

لقد أخطأ طاقم التصوير الرئاسي –من بقايا مبارك –بشكل فاشل
التصوير وفشل في تسجيل أقواله. ولم يعرف مرسي الأمر حتى هبط في صباح اليوم التالي. ربما كان ذلك بسبب عدم الكفاءة أو التخريب من جانب طاقم الكاميرا؛ لقد طرح هذا السؤال كثيرًا في إدارة مرسي. وفي كلتا الحالتين، كانت النتيجة أن مرسي ظل صامتا بشكل غريب ليلة الهجوم. لقد كان مصمماً على إخفاء الخطأ.

بعد الحديث القصير عن جامعة جنوب كاليفورنيا، سألت عن تلك الليلة: لماذا لم يقل شيئًا؟ وقال مرسي: “كان علينا احتواء الموقف والتعامل معه بحكمة”. ولم يتعرض أي شخص في السفارة في أي وقت لأي تهديد”.

سُئل أوباما مؤخرًا في مقابلة عما إذا كان يعتبر مصر في عهد مرسي حليفًا للولايات المتحدة. لا أعتقد أننا سنعتبرهم حلفاء، لكننا لا نعتبرهم حلفاء

قال أوباما وهو يتهرب من السؤال: "العدو". "حكومة جديدة تحاول إيجاد طريقها".

فسألنا مرسي: هل يعتبر الولايات المتحدة حليفاً؟
وقال وهو يضحك: "هذا يعتمد على تعريف "الحليف"." "أحاول الآن، بجدية، أن أنظر إلى المستقبل وأرى أننا أصدقاء حقيقيون".

ونشرت صحيفة نيويورك تايمز تسجيلاً صوتياً للمقابلة على الإنترنت، وأعاد الكاتب الساخر باسم يوسف -الذي يصف نفسه بجون ستيوارت المصري -تلك الإجابة على شاشة التلفزيون على شكل جملة لكمة. وكان الرئيس الإسلامي "صديقا حقيقيا" لواشنطن.

كنت أرغب بشدة في معرفة كيف تمكن مرسي من إقناع الجنرالات بالسماح له بتولي السلطة الحقيقية. كيف أطاح بالمشير طنطاوي؟
وكان وائل هدارة قد حل محل المترجم الرسمي غير الكفء، فترجم الجواب: "دور القوات المسلحة ليس دوراً سياسياً. دورهم هو حماية الحدود ومؤسسة الدولة، وهذا بالضبط ما قرروا القيام به".

وصحح مرسي بالإنجليزية: «لا، ليس هذا ما قرروا فعله».

حاول هدارة مرة أخرى. وهذا ما حدث في 12أغسطس، حيث تولت القوات المسلحة دورها. . ."

"لا"، قاطعه مرسي مرة أخرى. لم يتخلوا عن السلطة فحسب؛ أصر على أنه أخذها. وأضاف: «هذه إرادة المصريين من خلال رئيسهم المنتخب، أليس كذلك؟

وتابع: "والقوات المسلحة في حالة جيدة للغاية". "ال
القوات المسلحة ككل تعيش في سلام مع نفسها. رئيس جمهورية مصر العربية هو قائد القوات المسلحة. خلاص. هذا كل شيء.

مصر الآن دولة مدنية حقيقية. إنها ليست ثيوقراطية. انها ليست عسكرية. إنها دولة مدنية، ديمقراطية، حرة، دستورية، قانونية، حديثة". وأضاف: «نحن نتصرف وفق اختيارات الشعب وإرادته. هل هذا واضح؟

لقد كنت مذهولا. كنت أعرف قواعد اللعبة التي يلعبها السياسي: أشكر المسؤول المغادر (طنطاوي) على خدمته، وأومئ برغبته في قضاء وقت مع العائلة، وربما أسمي تقاعده قراراً متبادلاً في المنطقة.

أهتمام عام. هل كان مرسي واثقاً من قدرته على إلغاء السيناريو؟ أم أنه غير آمن لدرجة أنه يحتاج إلى التباهي؟

وقفنا للذهاب. كان مرسي متبخترًا تقريبًا الآن. "نحن نتحدث الآن عن شعبية سبعين بالمائة. وهذا ما يحدث! هذا ما يقولونه لي!" رأيت مساعديه الصحافيين يجفلون ويحاولون عزله. خطأان مبتدئان: الاعتراف بأنه اهتم باستطلاعاته الداخلية، ثم التفاخر بها.

وصافح إرلانجر ليقول وداعا، ولمس بلطف مرسي
كتف، صحفي في التاسعة والخمسين من عمره إلى رئيس في الحادية والستين من عمره. قال: "لديك وظيفة مرهقة". "اعتني بصحتك."

وعلمت لاحقًا أن هذا التصريح أثار ضجة في الدائرة الداخلية لمرسي. هل علم هؤلاء الصحفيون الأمريكيون بوجود خطر على حياة الرئيس؟ هل كانوا يعملون مع المخابرات الأمريكية؟

هل يمكن أن يكون هذا تهديدًا؟

13

يوم في المحكمة

4يوليو 11 – 2012سبتمبر 2012

9

وحتى في ظل ازدحام شارع رمسيس في وسط القاهرة، من المستحيل أن تفوت الأعمدة الإيطالية الشاهقة للمحكمة العليا في مصر. لقد تم بناء الأبواب المزدوجة المرتفعة بشكل يثير الرهبة، وشعرت بذلك. ولكن في الداخل كان هناك هرج ومرج.

كان الناس يتحلقون مثل الرمال في عاصفة رياح عبر الردهة الكهفية ذات الإضاءة الخافتة. داس رجال يرتدون أثواب المحامين والقضاة السوداء الطويلة بخفة فوق العائلات التي كانت تجلس القرفصاء على الأرضية الحجرية محاطة بأوعية بلاستيكية تحتوي على الكشري ونفايات متنوعة من الملاعق البلاستيكية والأكواب الورقية والسجائر المحترقة. بدا بعض الناس وكأنهم خيموا هناك لعدة أيام.

كان رجال صغار يرتدون ملابس متسخة يتدافعون نحوي ويبيعون الشاي المحلى بالسكر أو القهوة التركية في صواني معدنية منبعجة. كان الهواء يفوح منه رائحة دخان كثيفة، ورائحة بول طفيفة، على ما أعتقد. ارتعدت عندما فكرت كيف سيكون شكل الحمام، وهو سؤال أصبح أكثر إلحاحًا بالنسبة لي طوال ذلك اليوم.

كانت رحلتي إلى متاهة نظام المحاكم المصري
بدأت بمقالة صحفية نشرت قبل شهر ونصف، في 4يوليو/تموز .2012كنت قد نقلت عن القاضية تهاني الجبالي من المحكمة الدستورية العليا. وكانت قد وصفت نصيحتها للجنرالات حول خطورة فوز الإسلاميين في صناديق الاقتراع، وبالتالي حول الحكمة من حل البرلمان.

ربما كان الجبالي قد فكر فيما بعد في أن يتفاخر القاضي الجالس بشكل أفضل
لصحفي حول الأهداف السياسية وراء قرار المحكمة.
وربما اعترضت على تصويري للمجلس العسكري

إغلاق البرلمان بمثابة استيلاء على السلطة. في صباح يوم نشر المقال، اتصلت على الفور بمي الشيخ للمطالبة بالتسجيل الصوتي لمقابلتنا في المحكمة.

قالت مي إنه لم يكن لدينا سوى مجموعتين من الملاحظات المكتوبة، وكان الاتصال التالي لجبالي هو برنامج حواري تلفزيوني. أنكرت علنًا أنها تحدثت إلينا على الإطلاق. ووصفت صحيفة نيويورك تايمز بأنها صحيفة معادية ومهينة "تحت سيطرة اللوبي الصهيوني".

ولم تزعم أنها أخطأت في الاقتباس. وأصرت على أن لدينا
لم يتحدث قط. لم تكن هناك مقابلة على الإطلاق ولم تكن هناك أي تصريحات.
هذه التصريحات كلها مختلقة. وقالت في مقابلة هاتفية بُثت في البرنامج الحواري: "كل هذا أكاذيب وغير صحيحة، وسيدفعون ثمنا باهظا.

"أنا مستهدف. أنا لست معتادا على التعرض للابتزاز
من قبل أي شخص. وتابع الجبالي: "سأقاضي صحيفة نيويورك تايمز وأطالب بالتعويض، وسيكون التعويض كبيرًا". وأعلنت أنها ستجمع 10ملايين دولار من التايمز وتعطيها لـ"شهداء هذه الثورة العظيمة".

ولماذا تستهدفها التايمز ؟ وقالت إن وكالة المخابرات المركزية كانت تعاقبها لأنها كشفت عن دعم هيلاري كلينتون لمرسي.

وصلت شكوى الجبالي إلى مكتبي في اليوم التالي، وقد لاحظت ذلك
الوضع الخاص للمدعية "سعادة القاضية تهاني الجبالي أول قاضية مصرية" وقاضية بالمحكمة الدستورية العليا. وجاء في الشكوى أن مقالنا كان "من عمل خيال الكاتب، دون مراعاة للدقة المهنية أو الأخلاق الصحفية"، مطالبين "بأقسى عقوبة ممكنة على كل من يتجرأ على اختلاق مثل هذه الأشياء". وفي مصر، كان ذلك يعني سنوات من السجن.

لم يكن لدى سوى عدد قليل من المحامين في القاهرة الشجاعة الكافية لمواجهة القاضي في المحكمة الدستورية العليا. لقد نُصحت بالعثور على محامٍ يتمتع بعلاقات، لكن كان من الصعب معرفة من يهمه الأمر أكثر: الإخوان المسلمون أم المجلس العسكري؟

وفي يوليو/تموز 2012، كانت للمحكمة والجنرالات اليد العليا على مرسي. ولم يعرف أحد حتى الآن من سيخرج على القمة.
محامي الجبالي، خالد أبو بكر، معروف بقضايا حقوق الإنسان، وقد اتصل بي هاتفيا مباشرة. قال: "حقاً، أنا أؤيدك".

في البداية، واعتقدت أنه كان يحاول الإيقاع بي. وتابع باللغة الإنجليزية: "أنا حقًا أحب عملك". "لا أريد أن أقاضيك.

قلت لتهاني الجبالي لماذا قلت هذه الأشياء؟ وأنكرت كل شيء. ثم تحدثت إلى مساعدتك –مي الشيخ –وأقسمت أن القاضي الجبالي قال تلك الأشياء. لذلك لا أعرف ماذا أفكر."

هل كان مهتماً برأي وسائل الإعلام أكثر من اهتمامه بالجبالي؟ لم تكن خدعة. وبعد أيام، أسقطها كعميل.

استعانت صحيفة نيويورك تايمز بالمحامي المعتمد للأخبار المصرية
المنظمات في قضايا التشهير –نجاد البرعي. وكان يتعامل مع قضايا حقوق الإنسان أيضاً، وقد ترددت شائعات عن قيامه بإقامة اتصالات في أجهزة المخابرات. (كانت تلك الاتصالات الأكثر قيمة، إذا لم يكن يتداول المعلومات).

قال لي عندما التقيته في مكتبه: "لا تقلق". "هذه قضية سياسية. الأمر لا يتعلق بالقانون."

كان الإسلاميون يستخدمون مقالتنا بكل سرور لتصوير الجبالي على أنه

وجه المؤامرة عليهم. لكنها أعربت في كثير من الأحيان عن مشاعر مماثلة في وسائل الإعلام المصرية. ولحسن الحظ، فقد أحضرنا المصور توماس مونيتا إلى المقابلة في غرفتها. وبناءً على نصيحة البرعي، أرسلنا لجبالي صورة رقمية مختومة بالتاريخ كدليل على المقابلة.

لقد أسقطت جميع ادعاءاتها. تنهدت أنا ومي بارتياح. ثم رفع أحد المشرعين الإسلاميين من البرلمان المنحل دعوى قضائية ضد الجبالي.

وقال الإسلامي محمد العمدة إن مقالتنا أثبتت أن القضاة تآمروا مع الجنرالات ضد الديمقراطية. لذا، ردًا على ذلك، رفع الجبالي دعوى جديدة ضدي وضد مي. هذه المرة لم يعد الجبالي يعترض على أي شيء كتبناه. طلبت من النيابة سجننا بتهمة إهانة القاضي.

أكدت لي مي عبر البريد الإلكتروني: "لا تقلق". "يبدو أن هذا جزء من العمل."

استدعتني النيابة ومي للاستجواب في 11سبتمبر/أيلول ،2012وهو يوم طويل. لقد تراجع الجنرالات، وحل السيسي محل طنطاوي، وصعد مرسي. وقد تقدم المزيد من الإسلاميين بشكاوى قانونية على أساس مقالتنا. لكن محامينا

حذرنا من أن النيابة العامة ما زالت موالية للجبالي. توقع منهم أن يحاولوا تشويه سمعتنا للدفاع عنها.

وكانت المحكمة نفسها تنظر في معظم التهم الجنائية أو النزاعات القانونية في القاهرة. وتضم المقبرة الواسعة للمبنى أعلى محكمة استئناف في مصر، ومكتب رئيس النيابة العامة، ونقابة المحامين. لقد استمرت الخلافات هنا لعقود من الزمن.

وبالطبع فإن أسوأ ما قد يصيبني هو الطرد من مصر. وقد اتصل المستشار العام لصحيفة نيويورك تايمز بوزارة الخارجية نيابة عني. وأرسلت القنصلية الأمريكية مراقبا. لكن مي الشيخ، المصرية، لم تذهب إلى أي مكان.

اعتقد محامينا أن النيابة العامة قد تلومها، وتلقي باللوم عليها في بعض الترجمة الخاطئة لكتاب جبالي. وكانت حماية مي هي اهتمامنا الخاص.

قادنا محامينا عبر متاهة من الممرات إلى الممر الضيق
مكتب بلا نوافذ للمدعي العام المخصص لقضيتنا. كان هناك رجلان بدينان ينتظران عند طرفي الغرفة. أحدهما كان المدعي العام، والآخر هو المشرع الإسلامي الذي استدعانا إلى هنا. ابتسم لي، وربت على ظهري، ودعاني بالبطل. لقد شعرت بالخوف. رأيت المدعي العام عابسًا.

لقد أرعبني النظام الداخلي. ولم تستخدم المحاكم المصرية آلات التسجيل الإلكترونية أو حتى الآلات الكاتبة. جلس شاب نحيف على مكتب صغير بجوار المدعي العام السمين، وكان يكتب بسرعة في دفتر أبيض ضخم يبلغ طوله ثماني عشرة بوصة.

استجوبني المدعي العام باللغة العربية. ولكن عندما مترجم
عندما نقلت إجابتي، لخص المدعي العام بإيجاز شديد كل ما قلته في عدد قليل من كلماته، باللغة العربية، وهذه الكلمات القليلة -تلخيص المدعي العام القصير لشهادتي -كانت هي كل ما كتبه الكاتب في المحضر. لا يهم ما قلته بالفعل.

كان لدي الكثير لأقوله. ما الذي كان يشتكي منه القاضي جبالي بالضبط؟ ولم تذكر أبدًا أي أخطاء في المقالة. وما هي الجريمة التي يعتقد الإسلاميون أنها ارتكبتها؟ عندما أظهرت انفعالي، هددني المدعي العام بتوجيه تهمة الازدراء -وهي جريمة أخرى تستحق السجن -لعدم احترامه. في كل مرة كنت أعقد فيها ساقي، كان وكيل النيابة يوقف الإجراءات ليطلب مني فك ساقي. همست لي مي أن البعض في

العالم العربي يعتبر عبور الساق إهانة. كان اليوم يطول. كنت في حاجة ماسة إلى الحمام، وكنت أخشى أن أعذر نفسي.

كان المدعي العام، الذي لم يكن يتحدث الإنجليزية، يتصفح مقالتنا المؤلفة من 1450 كلمة جملة جملة، وبعد كل مقالة كان يسألني إذا كان القاضي جبالي قد قال ذلك. حاولت أن أشرح أن الكلمات الموجودة بين علامتي الاقتباس هي فقط تصريحاتها الحرفية. لقد كان مقالا صحفيا، وليس خطابا أو نصا.

هل أعترف أنها لم تقل تلك الأشياء؟ ال
أراد المدعي العام أن يعرف.
ظل يخرج من الغرفة لفترات طويلة. اعتقد محامينا أنه ربما يستشير رؤسائه. لقد كان عالقاً بين الرئيس الجديد والمحكمة الدستورية العليا والسفارة الأميركية ووسائل الإعلام الدولية. شككت في أن السؤال الحقيقي كان حول من كان في السلطة؛ أما الحقائق المتعلقة بالذنب أو البراءة ـسواء كانت حقائقي أو حقائق القاضي جبالي ـفقد كانت أقل أهمية بكثير.

جاءت الساعة الخامسة وذهبت. أخيراً قال نجاد البرعي: «يا صاحب السعادة، ربما يمكننا النظر في طبيعة هذا المقال؟

وأشار البرعي إلى أن الصحف المصرية فضلت إجراء المقابلات على شكل أسئلة وأجوبة، لكن الصحف الغربية مثل صحيفة نيويورك تايمز نشرت ما أسماه "التحليل"، حيث خلطت بين الاقتباسات الحرفية وكلمات أحد الصحفيين.

وكانت جميع الصحف المصرية قد نشرت مقالنا باللغة العربية، و
وكانت ترجماتهم في أحسن الأحوال غير دقيقة، خاصة فيما يتعلق بعلامات الاقتباس. ربما كان القاضي الجبالي والمدعون الإسلاميون قد قرأوا بعضًا من تلك الترجمات؟ لا أحد منهم يقرأ اللغة الإنجليزية. ربما كان هذا كله سوء فهم، أو خطأ الترجمات السيئة للصحف المصرية.

قفز المدعي العام عليه. وافق على تشكيل لجنة من الخبراء الأكاديميين في مجال الصحافة، وبعد بضعة أسابيع تم رفض قضيتنا.
نجاد البرعي وجد المدعي خلوة بشرف.

14

الرئيس والسيدة مرسي

19نوفمبر 22-2012نوفمبر 2012

ن

من المؤكد أن عجلاء علي محمود فوجئت مثل أي شخص آخر عندما وجدت نفسها، في الخمسين من عمرها، سيدة مصر الأولى. نشأت في أسرة فقيرة في حي عين شمس بالقاهرة

تزوجت في سن السادسة عشرة من ابن عمها الذي يكبرها بعشر سنوات. تبعت زوجها الجديد إلى لوس أنجلوس. تطوعت في بيت الطلاب المسلمين في جامعة جنوب كاليفورنيا، حيث قامت بترجمة خطب للنساء الراغبات في اعتناق الإسلام.

وقالت لصحيفة التنظيم إنها كانت تعرف ماذا كانت تفعل عندما انضمت إلى جماعة الإخوان المسلمين هناك مع زوجها.

وقالت: "الإخوان لا يعصبون أعين أحد". "لقد قالوا لنا
وأن الطريق طويل ومليء بالمخاطر."
كاليفورنيا تناسبها؛ لم تكن تريد العودة إلى مصر.
لكنها أنجبت ولدًا وبنتًا، وهما أول طفلين من بين خمسة أطفال، وأراد زوجها أن ينشأوا مصريين.

كانت نجلاء مستقلة: فقد أدارت شؤون الأسرة بمفردها لمدة أربع سنوات بينما كان زوجها يدرس في ليبيا لكسب المزيد من المال. (مثل هذه الهجرات المؤقتة إلى الدول المجاورة الغنية بالنفط أمر شائع بالنسبة للمصريين). ومكنت مكاسبه الزوجين من شراء شقة متواضعة وسيارة ميتسوبيشي لانسر.

حصلت ابنتهما شيماء مرسي على التعليم الذي تلقته والدتها
مٌفتَقد. بعد حصولها على درجة البكالوريوس من جامعة بنها، التحقت ببرنامج الدكتوراه في علم النبات بجامعة الزقازيق.
كانت الأم وابنتها ترتديان الخمار

-شكل محافظ من وشاح الرأس يترك الوجه مكشوفًا ولكنه ينسدل على الكتفين وصولاً إلى الخصر. احتفظت المرأتان بأسمائهما قبل الزواج

بعد الزواج. إن أخذ اسم عائلة الزوج، كما فعلت سوزان مبارك وجيهان السادات، هو عرف غربي غير معتاد في مصر. على أية حال، فضلت نجلاء علي محمود اللقب المعتاد لربة منزل مصرية، أم أحمد، والدة أحمد، على اسم ابنها الأول. وأصرت على أن يبقى الرئيس مرسي في الشقة التي تقاسمها الزوجان مع ابنهما الأصغر عبد الله، وأن يتوجه إلى القصر الرئاسي.

وأضافت: "مكان مثل القصر الرئاسي يعزلك تماماً".

قال ذلك في مقابلة نادرة مع مجلة مصرية. وأخبرت مصور المجلة أنه يمكنه التقاط صورة لها، "فقط إذا كانت صورك تجعلني أبدو أصغر سناً وأنحف قليلاً".

رأى البعض أن أم أحمد امرأة مصرية عادية، محافظة اجتماعيًا، تغار على خصوصيتها، لا تخجل، وتعتمد على نفسها.

كان من الممكن أن تكون أمًا للعديد من الشابات المحترفات في مصر. لكن بالنسبة للنخبة التي عشت بينهم، كانت هي كل ما يكرهونه في الرئيس مرسي. كانت جيهان السادات وسوزان مبارك من عارضات الأزياء نصف البريطانيين، بشعر مصفف جيدًا ودرجات علمية متقدمة. كيف يمكن لأم أحمد أن ترتدي الكعب العالي؟

خرجت أنا ومي الشيخ لتناول مشروب اللاتيه بالقرب من مكتبنا
الزمالك لعينة الغضب. "إذا سافرت إلى نيويورك أو إلى أي مكان آخر، فإن الناس سوف يسخرون منك ويقولون: "سيدتك الأولى ترتدي العباءة، ها ها ها"، هكذا قالت طالبة هندسة تبلغ من العمر 21عاماً متحسرة ومذعورة. "كانت السيدات الأوائل السابقات أنيقات."

"لا أستطيع أن أسميها السيدة الأولى تحت أي ظرف من الظروف"، وافق مصرفي يبلغ من العمر تسعة وعشرين عامًا على ذلك.
"لا يمكنها أن تكون صورة لسيدات مصر". وأتساءل ما رأي المصريين في الزمالك في مي، في حجابها وحذاء التنس.

وكان المصريون يمزحون بشأن اتصال أم أحمد بأم جمال –والدة جمال مبارك –للحديث عن خدمة تنظيف المنزل. اشتكت إحدى الصحف المناهضة للإسلاميين من أن تواضعها الإسلامي من شأنه أن يسيء إلى الأجانب

القادة. "لا تنظر إليها. "لا تصافحها"، تخيلت افتتاحية. ""سيناريو كوميدي""

لقد كانت رمزية أم أحمد –فكرة الرئيس محمد مرسي، وما يمكن أن يفعله بدلاً من أي شيء فعله –هي التي أثارت قلق منتقديه. كان أسلوبه مختلفًا جدًا. ومثل غيره من المثقفين الجادين بشأن الإسلام، كان مرسي يتحدث اللغة العربية الفصحى التي يتحدث بها عالم دين. المصريون الذين اعتادوا على لغة الشارع العربية (أو، في النخبة، على اللغة الإنجليزية) واجهوا صعوبة في فهمه. بدت خطاباته السياسية في بعض الأحيان وكأنه يلقي خطبة الجمعة في أحد المساجد (كان لديه خبرة أكبر في ذلك). وحتى عندما حاول إنشاء منتدى لتظلمات المواطنين، فقد استخدم لغة من التاريخ المبكر للإسلام -ديوان المطالب.

وبعد ثلاثين عاماً من حكم مبارك، شعر البعض وكأن رجلاً تقياً قد استولى على القصر.

ماذا فعل مرسي في منصبه؟ لقد كان قد قام بحملة واعدة بذلك

وسوف تتدخل حكومة ظل من خبراء الإخوان المسلمين لإعادة تشكيل البيروقراطية، مثل مستشاري ماكينزي الذين يحملون المصاحف.

وكان خيرت الشاطر قد عمل لعدة أشهر على الخطة، التي أطلق عليها الإخوان اسم مشروع النهضة. ومن المتوقع أن يكون لأعضاء الفريق مكتب في القصر الرئاسي. التقيت باثنين من الخبراء الذين يعملون حصريًا في مصايد الأسماك.

لقد دفع مرسي كل ذلك جانباً. وأخبرني مستشاروه أنه ينتظر تشكيل برلمان جديد. ربما كان أيضًا يشك في أنه تناول العصير.

لقد أصدر قانوناً واحداً فقط خلال الأشهر الخمسة الأولى من رئاسته: منع الحبس الاحتياطي للصحفيين بسبب جرائم تتعلق بعملهم.

ولا يزال القانون الذي يعود إلى عهد مبارك يجرم إهانة الرئيس. رفع فريق من المحامين العاملين لصالح مرسي دعاوى قضائية ضد مجموعة من الصحفيين أو مقدمي البرامج الحوارية. لكن مرسي قال إن الدعاوى رفعت دون علمه وسحبها. ولم تتم معاقبة أحد. يمكن لأي شخص أن يقول أنه لم تكن هناك رقابة في عهد مرسي. لقد غمرت انتقادات الرئيس أكشاك بيع الصحف وموجات الأثير. وامتلأت الصحف بالتقارير الفاضحة التي تقول إن مرسي باع الأهرامات الكبرى أو قناة السويس لقطر، أو أنه أعطى سيناء لحماس كمكافأة.

لصالح إسرائيل، أو أن أحد أفراد عائلة مرسي تمتع بإجازة فاخرة. لقد طاردنا كل الشائعات. لقد كانوا جميعا مخطئين.

ورغم أن المجلس العسكري بقيادة وزير الدفاع السيسي سمح الآن لمرسي بإدارة الحكومة وإصدار قوانين جديدة، إلا أنه لم يفعل الكثير لتغيير مصر. وفي كانون الأول/ديسمبر 2012، أعلنت حكومته عن حزمة من الزيادات الضريبية -بما في ذلك الضرائب المفروضة على السجائر والبيرة- لكن مرسي سحبها في غضون ساعات. وقام بتعيين الإخوان المسلمين في أقل من ثلث حكومته (أحد عشر منصبًا من أصل خمسة وثلاثين). لقد أبقى المحاربين القدامى في عهد مبارك مسؤولين عن الحقائب الوزارية الكبرى، مثل الدفاع والداخلية والشؤون الخارجية والمالية. وأصبح وزير الري السابق رئيسا لوزراء مرسي. وقام بتعيين الإخوان المسلمين كمحافظين لأقلية فقط من المحافظات (عشرة من أصل سبعة وعشرين). واستولى الجنرالات السابقون على معظم السبعة عشر الآخرين، تماما كما حدث في عهد مبارك.

ومقارنة بالتغيرات التي طرأت على الإدارات بعد الانتخابات الأمريكية، كان مرسي يسير على رؤوس أصابعه بحركة بطيئة.

وقال أنصاره إن مرسي أوفى برسالة حملته

وعود بتشكيل حكومة شاملة. وقام بتعيين رئيس للوزراء من خارج جماعة الإخوان المسلمين بالإضافة إلى امرأة ومسيحي نواب. وقال منتقدوه إنه فشل في احترام روح تعهداته. ربما كانت السمة الأبرز في رئاسته هي تصميمه على التقرب من الجيش والشرطة. وعندما قدمت لجنة مستقلة تقريراً عن مقتل متظاهرين مدنيين في ظل الحكم العسكري، قام مرسي بدفنه.

وقال مستشاروه إن مزاعمها لم يتم إثباتها بعد، وإنها تضمنت شائعات تحريضية حول السفارة الأمريكية. لكن يبدو أنه كان يحمي الجنرالات. لقد شكر وأطرى مراراً وتكراراً الشرطة (التي اعتقلته مرتين قبل توليه منصبه). حتى أنه أشاد بالشرطة في ذكرى انتفاضة 2011 ضدهم.

وقد قيّم كاتب عمود في صحيفة "المصري اليوم" المستقلة قائلاً: "على مدى ثمانين عاماً، نُشرت مئات الآلاف من الكتب والمقالات حول ما يمكن أن يحدث إذا وصل رئيس من الإخوان إلى السلطة في مصر. وقيل أنه سيكون مطلوبا الحجاب، وسيتم إغلاق البنوك، وسيتم إعلان الحرب، وملابس السباحة

سيتم حظره. اكتشفنا اليوم ما يحدث عندما يتولى رئيس إخواني السلطة. ببساطة لا شيء."

...

ص

كان أوباما المقيم يقيم في الجناح الملكي بفندق رافلز
فندق في بنوم بنه، كمبوديا، في طريقه إلى القمة الآسيوية. كان ذلك يوم 19 تشرين الثاني (نوفمبر) 2012، وكانت الحرب بين إسرائيل وحماس لمدة خمسة أيام. وقتلت صواريخ حماس ثلاثة إسرائيليين. وأدت الغارات الجوية الإسرائيلية إلى مقتل 150 فلسطينيا وتدمير مدن غزة. وكانت إسرائيل تستدعي عشرات الآلاف من قوات الاحتياط لهجوم بري محتمل. وتوقعت تكرار حرب غزة السابقة في عام 2009، والتي استمرت ثلاثة أسابيع وأسفرت عن مقتل 1400 فلسطيني.

ولكن الآن أصبح أحد الإخوان المسلمين هو رئيس مصر. مرسي
وكثيراً ما تعهد بالتزامه باتفاقيات كامب ديفيد للسلام. ولكن في المقابلة التي أجريناها معه قال لي أيضاً أن إسرائيل والولايات المتحدة قد فشلا في الارتقاء إلى مستوى جانبهما. لقد تصورت كامب ديفيد قيام دولة فلسطينية.

ومع تعرض غزة للغارات الجوية الإسرائيلية، قصف مرسي الطاولة
حماس والفلسطينيين. وقال بصوت عالٍ في مؤتمر صحفي: "إذا حدث غزو بري - كما قال الإسرائيليون أنه سيحدث - فإن هذا سيعني عواقب وخيمة في المنطقة، ولا يمكننا أن نقبل ذلك أبدًا". "لا يمكن للعالم الحر أن يقبل ذلك أبدا." وتساءل الكثيرون في واشنطن عما إذا كان مرسي سيشجع حماس أو يساعدها أو حتى يسلحها.

الآن، بعد أيام، في 19 نوفمبر/تشرين الثاني، تخطى أوباما تناول الحلوى في بنوم بنه لإجراء مكالمة هاتفية مع مرسي في الساعة 11:30 مساءً ؛ وخرج مرسي من الجنازة لتتلقى شقيقته اتصالا من أوباما.

وقبل مرسي، كان مبارك أيضًا يتبجح ضد إسرائيل
عام. لكنه أبقى على خط مفتوح مع نظرائه الإسرائيليين. وبما أن الولايات المتحدة صنفت حماس جماعة إرهابية، فإن الطريقة الوحيدة التي تمكنت واشنطن من التفاوض معها كانت من خلال مبارك، الذي فوض التواصل حصرياً مع جواسيسه.

وأدرك أوباما أن مرسي غيَّر الديناميكية. وكان جنرالات مصر ودبلوماسيوها لا يزالون يتحدثون مع إسرائيل. ولكن حماس كانت الفرع الفلسطيني لجماعة الإخوان المسلمين المصرية،

مستوحاة من أفكار مؤسسها. وكان مرسي نفسه مرتبطا بحماس.

"لقد وضع مرسي رجال حماس على الخط الآخر. كنا نتحدث مع أشخاص كانوا على بعد درجة واحدة من حماس".

أخبرني بن رودس، الذي كان يسافر مع أوباما، فيما بعد. "كان هذا عالمًا جديدًا تمامًا."

وفي مكالمته مع أوباما في تلك الليلة، لم يهاجم مرسي إسرائيل ولم يدافع عن حماس. لقد فهم المنظور الإسرائيلي.

لقد أراد فقط إنهاء القتال. ووعد أوباما بإرسال كلينتون إلى تل أبيب وإحضار إسرائيل إلى طاولة المفاوضات. وتعهد مرسي بجلب حماس. نام أوباما في السرير ذي الأربعة أعمدة في الجناح الملكي وطلب من رودس إيقاظه في أي ساعة إذا اتصل مرسي.

وفي الساعة الثالثة صباحًا في كمبوديا، اتصل مرسي ليقول إن حماس موجودة

سبورة. وتحدث الرئيسان مرة أخرى في وقت لاحق من نفس اليوم، 20نوفمبر/تشرين الثاني، لملء التفاصيل –مكالمتهما الثالثة خلال أربع وعشرين ساعة ومكالمتهما السادسة في ذلك الأسبوع.

وقال رودس: "لم تصل محادثات وقف إطلاق النار إلى أي مكان قبل أن يتولى مرسي السلطة". "وسلم. لقد احتفظ بجانبه من الصفقة ."

لقد فاجأ حتى المتشككين. لقد كان بمثابة اختبار حقيقي لمرسي.
وقال لي ستيفن سايمون من مجلس الأمن القومي: «لقد نجح في النجاح بنجاح». "لقد كان لا غنى عنه."

وصلت كلينتون إلى القاهرة في 21تشرين الثاني/نوفمبر. وأعلنت هي ووزير الخارجية المصري وقف إطلاق النار بعد ساعات قليلة، في الساعة السابعة مساء، وشكرت مرسي "لتوليه القيادة التي جعلت هذا البلد منذ فترة طويلة حجر الزاوية في الاستقرار الإقليمي". و السلام." عادت إلى المنزل في اليوم التالي لتناول عشاء عيد الشكر.

كنت أتوقع ضعفاً من مرسي فيما يتعلق بمسألة بالغة الأهمية تتعلق بإسرائيل والفلسطينيين: الأنفاق المستخدمة لتهريب البضائع والأسلحة إلى غزة تحت الحدود من شمال سيناء، بعد الحظر الإسرائيلي. واعتمدت حماس وسكان غزة على التهريب، وزادت حركة المرور في الأنفاق مع انسحاب الشرطة بعد مبارك. وكانت الأسلحة من ترسانات القذافي المنهوبة تسير على نفس الطريق.

لكن عندما التقيت به، كان مرسي قد طرح الأنفاق قبلي
يمكن أن تسأل. وقال لي بصرامة: "هناك عناصر متطرفة وإجرامية، وهم يستخدمون هذه الأنفاق أحياناً". "نحن ندمر هذه الأنفاق هذه الأيام بقدر ما نستطيع."

وحاول مرسي نشر الجيش لسحق المسلحين في شمال سيناء. ورفض السيسي ذلك، كما أخبر ضباط آخرين في وقت لاحق. وقال لهم السيسي: "مهمتي ليست مكافحة الإرهاب"، وستكون هناك "مخاطر جسيمة للغاية" لسقوط ضحايا من المدنيين نتيجة لعملية في سيناء.

"سوف تخلق عدوًا ضدك وضد بلدك، لأنه سيكون بينك وبينه دماء سيئة". (تم تسريب تسجيل لتصريحاته الخاصة للعامة لاحقًا).

كان زميلي بيتر بيكر مسافراً مع أوباما أثناء محادثات حماس، وكتبنا معاً مقالاً عن الصداقة الناشئة بين الرئيسين. ونقلنا عن رودس، دون ذكر اسمه، قوله إن أوباما أعجب ببراغماتية مرسي ودقته. "كان هذا شخصًا يركز على حل المشكلات."

وكان مرسي أيضاً حريصاً على أوباما. "لقد شعرنا أن هناك مستوى عال
وقال لي عصام الحداد، مستشار مرسي للسياسة الخارجية: "الصدق في محاولة إيجاد حل".

نشرت صحيفة نيويورك تايمز مقالتنا على الصفحة الأولى
وفي اليوم التالي، عيد الشكر 2012. كثف مستشارو الأمن القومي لأوباما خططهم لزيارة مرسي للبيت الأبيض.
وقال دبلوماسي أمريكي كبير في القاهرة للصحفيين في مؤتمر صحفي: "لقد قللنا حقًا من شأن مرسي".

تصورت مرسي وهو ينظر إلى المرآة في قصر الاتحادية.
وها هو أستاذ الهندسة المتواضع يعتقد أنه أصبح بالفعل الرئيس الحقيقي لمصر.

15
تحت العباءة

22نوفمبر 3 – 2012ديسمبر 2012

ت وبعد أشهر طويلة من بدء الانتفاضة، بدا أن الهدوء في القاهرة يهدئ المنطقة. الهدنة بين إسرائيل وحماس عقدت في غزة. وفي تونس، كانت جمعية يقودها حزبها الإسلامي تقوم بصياغة دستور جديد دون الإشارة إلى الشريعة. إن ضمانات الميثاق لحقوق المرأة واليهود والأقليات الأخرى جعلتها أكثر ليبرالية من أي دولة عربية، إسلامية أو علمانية.

وكانت ليبيا، التي كانت بالكاد دولة فاعلة خلال حكم القذافي الغريب الذي دام أربعين عاماً، قد عقدت انتخابات برلمانية حرة في يوليو/تموز. كنت في بنغازي، وفي الليلة التي سبقت التصويت، قامت ميليشيا محلية تطالب بالمزيد من السلطة للمنطقة الشرقية -أطلقوا على أنفسهم اسم الفيدراليين- بإسقاط طائرة هليكوبتر كانت تقوم بتسليم بطاقات الاقتراع. عندما فتحت صناديق الاقتراع، شاهدت الفيدراليين يطلقون النار على أحد مراكز الاقتراع ويتخلصون من صندوق الاقتراع. ثم صعد المقاتلون مرة أخرى إلى شاحناتهم الصغيرة المثبتة على المدفعية لاحتلال موقع التصويت الثاني. لكن المدنيين العزل أغلقوا الطريق.

دخلت امرأة تبلغ من العمر خمسة وخمسين عامًا ترتدي حجابًا مصممًا إلى مركز اقتراع مليء بثقوب الرصاص. وقالت لي: "سنصوت لصالح الوطن سواء حدث إطلاق نار أم لا".

"من يموت من أجل وطنه فهو شهيد، وحتى لو حصلت انفجارات فسنصوت". وبدأ المقاتلون الإسلاميون ذوو اللحى الطويلة والملابس العسكرية غير المتطابقة في حماية مراكز الاقتراع. واستمرت بقية عمليات التصويت دون أي مضايقات.

قُتل السفير كريستوفر ستيفنز وثلاثة أمريكيين آخرين في بنغازي بعد شهرين، في 11سبتمبر 2012.

عندما أحرق متشددون إسلاميون البعثة الدبلوماسية الأمريكية.
لكن في يوم الجمعة الذي أعقب الهجوم، ملأ عشرات الآلاف من الليبيين الشوارع تكريما للسفير. متى حدث ذلك في العالم العربي لمبعوث غربي؟

وبحلول تشرين الثاني/نوفمبر 2012، كان الجيش السوري الحر الصديق للغرب قد حرر مساحة واسعة ومكتظة بالسكان في شمال سوريا. ولم يكن تنظيم القاعدة قد بدأ بعد التنافس بشكل علني على المقاتلين السوريين؛ وكانت لا تزال تعمل تحت أسماء أخرى لاختراق الانتفاضة. ولم يتوقع أحد ظهور فرعها الشرير، تنظيم الدولة الإسلامية، أو داعش. وبعد بضعة أشهر، في فبراير/شباط، عبرت الحدود التركية إلى قرية سورية محررة في محافظة حلب؛ قام خمسة من خريجي الجامعات الشباب المثقفين بتشكيل حكومة محلية وأعادوا فتح المخبز. الخبز جعلهم أبطال المدينة.

قال الصحفيون الغربيون مازحين إننا سندخل قريبًا إلى دمشق على متن دبابات الجيش السوري الحر.

وفي القاهرة، بدأت أول مظاهرة صغيرة ضد مرسي في وقت مبكر من 24 أغسطس/آب - بعد اثني عشر يومًا فقط من توليه السلطة من الجنرالات. قام أحد المشرعين الصريحين المناهضين للإسلاميين بجمع بضع مئات من الأشخاص خارج القصر للمطالبة بـ "ثورة ثانية" من شأنها تسليم السلطة إلى فاروق سلطان، وتهاني الجبالي، وبقية أعضاء المحكمة الدستورية العليا. لقد تم طرح فكرة "الثورة الثانية" المناهضة للإسلاميين حتى في ذلك الوقت، ولم يكن سراً أن المحكمة كانت ضد مرسي.

ولكن بحلول نوفمبر/تشرين الثاني، تضاءلت تلك المظاهرات أيضًا.
وبدا مرسي على حق فيما يتعلق بشعبيته. وبدت الاحتجاجات القليلة التي جرت في الشوارع وكأنها أصداء. في 20 نوفمبر/تشرين الثاني، نظم النشطاء مظاهرة لإحياء ذكرى مظاهرة سابقة. وما زالت الشرطة تقتل مدنياً آخر. لكن الصراع هدأ إلى حد كبير.

لذا، احتفلنا أنا ولورا بعيد الشكر، في 22 نوفمبر/تشرين الثاني، من خلال دعوة مجموعة من الأصدقاء البريطانيين والعرب لتناول عشاء على الطريقة الأمريكية: ديك رومي مصري - ديك رومي - مع الحشو وصلصة التوت البري (المستورد من قبل متجر بقالة راقي، جورميه إيجيبت).

وضعنا طاولة على الشرفة الأمامية للأطفال. لقد فتحت بعض النبيذ المستورد. ومع تباطؤ وتيرة الأخبار، وعدت لورا بأنني سأقضي المزيد من الوقت مع أبنائنا.

اتصلت مي الشيخ عندما وصل ضيوفنا. كان المئات من الإخوان المسلمين يتظاهرون خارج المحكمة الدستورية العليا، على ما يبدو للضغط على القضاة بشأن شيء ما. أخبرتها أنها مجرد مظاهرة أخرى.

وبينما كنت أتناول وجبة ثانية من الديك الرومي، لاحظت وجود صحفيين آخرين على الطاولة وهم ينظرون إلى الأجهزة المحمولة المهتزة.
وقد بذل مدير مكتب إحدى وكالات الأنباء الغربية في القاهرة قصارى جهده حتى لا يقاطع الوجبة. وقال: "أنا متأكد من أنه لا شيء". لكن كلانا دفع كؤوس النبيذ بعيدًا.

عندما تم تقديم الحلوى، فتحت جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بي ورأيت المتحدث باسم مرسي على شاشة التلفزيون الرسمي وهو يلقي إعلانًا آخر -وهو الأكثر روعةً. وبلغة صريحة، ومن دون أي خطاب أو تفسير، أصدر مرسي مرسوما يقضي بأن جميع قراراته هي خارج أي مراجعة قضائية حتى التصديق على الدستور الجديد.

"الرئيس مخول باتخاذ أي إجراءات يراها مناسبة
من أجل مواجهة أي تهديدات قد تتعرض لها ثورة يناير". "قراراته غير قابلة للاستئناف أو الإلغاء.

وجميع الدعاوى القضائية المرفوعة ضدهم باطلة".
وأدرج الكثير من الأحكام الأخرى –محاكمة جديدة لمبارك، جديدة
رئيس النيابة، المزيد من المزايا لأسر "الشهداء".
ولكن تلك كانت الديكور. وبعد أربعة أشهر فقط من تحرير نفسه من قبضة الجنرالات، بدا أن مرسي قد نصّب نفسه فرعوناً.

حتى قيادات الإخوان تفاجأت. وقال الشاطر، كبير الاستراتيجيين في الحركة، لمساعديه وهم يشاهدون الإعلان على شاشة التلفزيون: "لو لم أكن في مكاني، لأعتقدت أنه يريد أن يصبح ديكتاتوراً". لكن بالنسبة لمرسي ومستشاريه، كان جوهر المرسوم هو بند واحد: "لا يحق لأي سلطة قضائية حل الجمعية التأسيسية".

لقد تعلمت الخلفية الدرامية في وقت لاحق. وكان فريق مرسي قد تلقى تقارير في ذلك اليوم تفيد بأن المحكمة الدستورية العليا تستعد خلال أيام لحل لجنة صياغة الدستور الجديد. كانت خطة المجلس العسكري للمرحلة الانتقالية معقدة ومتغيرة باستمرار، وكانت المحاكم تتراجع عن كل خطوة معذبة. وفي إبريل/نيسان، ألغت محكمة عليا أخرى أول تشكيل للجنة لصياغة دستور جديد

الجوانب الفنية، مما اضطر إلى إعادة تشغيل العملية. وفي يونيو/حزيران، قامت المحكمة الدستورية العليا بحل أول برلمان منتخب بحرية في مصر. الآن، في نوفمبر/تشرين الثاني، كانت لجنة الصياغة الثانية قد انتهت تقريبًا من إعداد ميثاق جديد، وكانت المحكمة على وشك محوه.

وكنت قد سمعت شائعات (وكذلك مرسي) بأن المحكمة كانت تستعد لإلغاء انتخابه رئيساً أيضاً. وسيعود الجنرالات إلى السلطة؛ ولن يتم ترك أي مسؤولين منتخبين واقفين. وبعد ما يقرب من عامين، لن تكون مصر أقرب إلى تشكيل حكومة جديدة مما كانت عليه عندما استقال مبارك.

قضى مرسي ومساعدوه ساعات في ذلك اليوم في نقاش محموم.
هل ينبغي عليه أن يحاول خفض سن التقاعد الإلزامي للقضاة من السبعين إلى الستين، الأمر الذي من شأنه أن يجبر أشد المناهضين للإسلاميين (مثل تهاني الجبالي) على الاستقالة؟ فهل يعلن حالة الطوارئ الوطنية مع تعليق كافة القوانين؟ وفي كلتا الحالتين، قد تحاول المحكمة نقض حكمه.

وقال لي مستشاره وائل هدارة في وقت لاحق: "كان القرار هو أنه يتعين علينا أن نفعل شيئاً للخروج من هذه الدوامة".

وفي وقت لاحق، سأل الصحفي الكندي باتريك جراهام مرسي عما إذا كان يشعر بالحماية بفضل الامتنان الذي تلقاه من هيلاري كلينتون على الصفقة في غزة.

"او كلا كلا. أنا لا أفعل هذا. ابدا. كلا اذا. ليس الآن. ليس في
المستقبل. لم تتم مناقشة أي شيء من هذا القبيل على الإطلاق".
وقال إنه لم تكن هناك مقايضة.
لكن لا بد أن مرسي كان يشعر بالقلق. وعاد إلى الموضوع بعد لحظات ليسأل كلينتون: «لم تقل ذلك، أليس كذلك؟».
في اليوم التالي لعيد الشكر، انفجرت مدن مصر.

وتوجه الآلاف إلى ميدان التحرير. وملأت الحجارة والغاز المسيل للدموع الأجواء حول وزارة الداخلية. وبحلول وقت متأخر من بعد الظهر، كان المخربون قد هاجموا أو أحرقوا مكاتب الإخوان المسلمين في مدن في جميع أنحاء مصر، بما في ذلك الإسكندرية والسويس والإسماعيلية وبورسعيد.

وكان من الممكن أن يقدم سياسي أكثر ذكاءً قضيته مباشرة إليه
النقاد: كانت صلاحياته الموسعة تهدف إلى حماية الفترة الانتقالية من المحو الوشيك. سوف تستمر بضعة أسابيع فقط. وبدلاً من ذلك، ظهر مرسي بعد ظهر ذلك اليوم خارج القصر، حيث تحدث في تجمع متلفز ضم أنصاره الإسلاميين الأساسيين داعياً إلى تطبيق قانون الله.

"نحن نضحي بأرواحنا ودمائنا من أجل حمايتك يا الإسلام!" هتفت.

تحدث مرسي كثيرًا عن الانتفاضة السورية، واحتلال غزة، ومعاشات الشهداء، وحادث القطار الأخير، ونظريات المؤامرة الغامضة - كل شيء ما عدا مرسومه. وقال: "يتم استخدام الأموال غير المشروعة التي يتم الحصول عليها في ظل نظام إجرامي لتوظيف البلطجية لمهاجمة المؤسسات". واختبأ المتآمرون تحت «العباءة المحترمة» للقضاء المصري. "أنا أنتظرهم ولن أتركهم أبداً."

وقال: «احذروا، لا تتصوروا أني لا أراكم»، وكأنه يخاطب المتآمرين. "علمت هذا الصباح أن هناك اثنين أو ثلاثة أو أربعة يجلسون في مكان ما ويعتقدون أنه قد يخفيهم. . . في زقاق ضيق."

ودخل "زقاقه الضيق" إلى لغة الفكاهة المصرية المحملة بالتلميحات الجنسية. لكن التحية القصيرة التي ألقاها لـ "شعبي وقبيلتي" أصبحت أكثر كلماته شهرة. وقال أنصاره إنه يقصد كل المصريين. وكررت وسائل الإعلام المصرية هذه العبارة كاعتراف بأنه لا يهتم إلا بالإسلاميين.

قام منسقو الأغاني المصريون بأخذ عينات من كلماته إلى ريمكسات. خطاب مرسي "شعبي وقبيلتي" كلنا نسميه.

وشجعت وسائل الإعلام الحكومية الرسمية الاحتجاجات ضد
رئيس. ولم تكن لدي أي فكرة عمن يسيطر عليها الآن، أو إذا كان المحررون المتبقين فيها يكرهون مرسي فحسب. وعلى الصفحة الأولى من صحيفة الأهرام، حث أحد المحللين السياسيين الموقرين في عهد السادات ومبارك القراء قائلاً: "انزلوا إلى الشوارع وماتوا، لأن مصر ضاعت. . . . وتحصين قرارات الرئيس بإعلان دستوري هو تزوير واحتيال".

تراجع مرسي إلى الوراء بشراسة. زار مجلس القضاة للتوصل إلى حل وسط. وقرأ المتحدث باسمه "تفسيرا" بدا وكأنه تراجع. وحدد نطاق القرارات التي قال إنه لا يمكن للمحاكم نقضها. واستشهد مساعدوه بسوابق حدثت في عهد مبارك كانت تبرر حصانته دون مرسومه. ودعا إلى استكمال الدستور خلال أسبوع أو أسبوعين فقط بدلا من شهرين. وقال المتحدث باسمه إن فترة وجوده فوق المحاكم ستكون قصيرة لأن مرسومه ينص على استعادة المحاكم لسلطتها الكاملة

مع إقرار الميثاق الجديد. ثم أرجأت المحكمة إلى أجل غير مسمى حكمها الذي كان من الممكن أن يؤدي إلى إسقاط اللجنة الدستورية. وعلى الفور ألغى مرسي الجزء الخاص بالمراجعة القضائية من مرسومه. واستمرت فترة وجوده كفرعون أقل من شهر.

تم إصدار مشروع الدستور الذي كان يناضل من أجله

ديسمبر. وفي عمل انتقامي، قلصت المحكمة الدستورية العليا بما يكفي لإقالة القاضي الجبالي. لقد كان الأمر متسرعًا وقذرًا، وهي فرصة ضائعة. لكنه ظل أقل استبدادية وأكثر ليبرالية من دستور عهد مبارك. ومع ذلك، فإن أحد البنود مهدت الطريق لمجازفة مثيرة قام بها ياسر برهامي، الزعيم السلفي المصاب بكدمة الصلاة العملاقة، وتتطلب مجازفته بعض الشرح.

لم يكن للدساتير العربية لعقود من الزمن سوى نتائج قليلة على الحكم الفعلي. وأصبحت النصوص ابتهالات طنانة عن الناس، وقيمهم، وإسلامهم، وما إلى ذلك. وكانت الاستفتاءات التي وافقت عليها بمثابة قسم الولاء الجماعي، على حد تعبير أحد الباحثين الأميركيين.

وكانت المادة الثانية من دستور عهد مبارك قد نصت لمدة ثلاثين عاماً على أن أساسها هو "مبادئ الشريعة". وقد تأكدت المحاكم من أن اللغة لا معنى لها. والآن لم يجد الإخوان المسلمون حاجة لتغييره. أدرك الليبراليون والمسيحيون أنه ليس لديهم فرصة لإلغاء هذا البند، فقد كان هذا البند شائعًا للغاية. لكن السلفيين وعدوا بالشريعة الحقيقية، مهما كان معنى ذلك. لقد قاموا بتشويش العملية للمطالبة بشيء أكثر.

ولحل المأزق، قام الإخوان المسلمون الذين يقودون لجنة صياغة الدستور بتشكيل مجموعة تفاوضية مكونة من حوالي ثلاثين شخصًا -بما في ذلك السلفيين والمثقفين الليبراليين بالإضافة إلى ممثلين عن الكنيسة القبطية والأزهر والأحزاب العلمانية. واتفق الجميع أخيرا على حل وسط. تمت إضافة مادة (219)توضح مبادئ الشريعة بطريقة معيارية لدى المسلمين السنة. وقد حددت التسوية مبادئ الشريعة لتشمل المذاهب الأربعة الرئيسية للفكر الإسلامي السني، مما يترك المجال لمجموعة واسعة من التفسيرات المتناقضة في بعض الأحيان. كان لدى المسلمين الشيعة –الذين لم يكن هناك سوى عدد قليل منهم في مصر –ما يشكون منه. وكذلك فعل أي الليبراليين

أو المسيحيين الذين كانوا يأملون أن يحذفوا من النص كل إشارة إلى الإسلام. لكن الليبراليين والمسيحيين في اللجنة اعتقدوا أنهم حققوا النصر. كان هذا تقريبًا هو التعريف الأكثر فضفاضة للشريعة، وقد أعطى الليبراليين والقانونيين مجالًا للمناورة. (بتت المحكمة الدستورية العليا في قضية واحدة فقط ذات صلة أثناء سريان هذا البند، ولم تغير شيئا).

ومع ذلك، صور القادة السلفيون التسوية على أنها نصر سري. وتفاخر الشيخ برهامي في خطاب ألقاه أمام جمهور سلفي تم تسجيله بالفيديو ونشره على الإنترنت، بأن "العلمانيين لم يفهموا هذه النقطة، كما لم يفهمها المسيحيون أيضاً".

وادعى أن البند الجديد سوف يفرض سراً تطبيق شريعة صارمة وحرفية تعود إلى القرن السابع: رجم الزناة، وبتر أطراف اللصوص، وحزمة القرون الوسطى بأكملها. "لقد كتبه وأقره ستة وثلاثون شخصًا من المسيحيين والليبراليين والأزهريين! . . . ويفرض هذا الدستور قيودًا لم يفرضها أي دستور مصري من قبل. . . . فهو يقيد حرية الفكر. فهو يقيد حرية الدين. إنه يقيد حرية التعبير والإبداع وهذا النوع من الأشياء".

وقال في الفيديو: لا تخبروا وسائل الإعلام. "لماذا؟ لأن
بالتأكيد لم يكونوا على علم بهذه النقطة! ولم يلاحظوا ذلك!
لقد انتشر الفيديو بالطبع، وانتشرت وسائل الإعلام.
ووصفت كل شبكة وصحيفة غير إسلامية خطاب برهامي بأنه دليل على مؤامرة الإخوان والسلفيين لإعادة مصر إلى العصور الوسطى.
ولخص خالد داود، الصحفي الليبرالي والمتحدث باسم حزب المعارضة، رد الفعل. "مهلا، مهلا، مهلا، يا رفاق، نحن نعرف بعضنا البعض!" هو قال. "هذا هو المكان الذي تبدأ فيه بناء نظام ثيوقراطي على الطراز الإيراني!"

لقد بذل برهامي أكثر من أي ليبرالي أو قومي لتنشيط المعركة ضد الإخوان المسلمين. ومن المؤكد أن السعوديين والمخابرات كانوا سعداء بذلك.

...

يا

ليلة عيد الشكر في البيت الأبيض، بريم كومار،
مصر مدير مجلس الأمن القومي ، صياغة صارمة

إدانة قرار مرسي. لكن الأصوات التي كانت تريد البقاء مع مبارك من أجل الاستقرار، أصبحت الآن تريد الوقوف إلى جانب مرسي. لقد نجح في تأمين الهدنة في غزة. طلب توم دونيلون من كومار ألا يقطع مرسي من ركبتيه.

انتهى البيان الأخير إلى لغز من الإطناب. "لا يمكن حل الفراغ الدستوري الحالي في مصر إلا من خلال اعتماد دستور يتضمن الضوابط والتوازنات. . . ."

لكن حتى تلك اللغة الصامتة أثارت غضب دونيلون. وأمر بإجراء بحث لمعرفة من قام بمراجعة النص وطالب بمعرفة كيفية تمريره دون موافقته.

لا شك أن مرسوم مرسي كان أسوأ لحظة في فترة رئاسته، وأدى إلى أدنى مستويات مصداقيته كزعيم ديمقراطي. بالنسبة لمصر، كانت تلك نقطة تحول. لكن في واشنطن لم يتغير شيء تقريبا. ووصل مستشار مرسي للسياسة الخارجية، عصام الحداد، بعد بضعة أيام لعقد اجتماعات في وزارة الخارجية والبنتاغون والبيت الأبيض. وكان من المقرر أن يلتقي حداد بنظيره الأميركي دونيلون في 3 كانون الأول/ديسمبر. ولكن بعد تناول الغداء في قاعة البيت الأبيض، تفاجأ حداد عندما وجد نفسه مرافقاً على طول الطريق إلى المكتب البيضاوي.

وكان السفير المصري قد رافق حداد إلى البيت الأبيض. والآن طلب مساعدو أوباما من السفير أن ينتظر خارج المكتب البيضاوي، وبينما كان يجلس هناك، استشاط غضبًا لأنه لم يتلق أي رئيس مصري منذ السادات مثل هذا الترحيب. وفي الداخل، كان أوباما دافئاً وجماعياً. ولم يبذل أي جهد لإدانة مرسوم عيد الشكر الذي أصدره مرسي. كان يتحدث من سياسي إلى سياسي. ولاحظ أنه فاز للتو بإعادة انتخابه بنفس الهامش الذي فاز به مرسي في الربيع –حوالي 52 في المائة من الأصوات. وقال أوباما إن خصومه قد يكونون محبطين أيضا. لكنه قال للحداد إن التفاوض مع الجمهوريين في الكونجرس يوفر غطاء سياسيا.

وقال لي رودس مستشار أوباما في وقت لاحق: "كانت رسالتنا هي أنه يتعين عليكم أن تعانقوا المعارضة لتمنحوا أنفسكم بعض المساحة".

تحدث أوباما وحداد لمدة أربعين دقيقة: تخصيص وقت غير عادي لزائر لم يكن رئيس دولة ولا حتى وزير خارجية.

ومع ذلك، لا يزال حداد ومرسي يعتقدان أن أوباما لم يفهم الديناميكيات على الأرض. وكان التحدي الذي يواجههم

أمنية وليست سياسية. وكانت موجة من العنف تتصاعد ضدهم.
كان المخربون يحرقون مكاتب الإخوان، وكان المتظاهرون يهددون القصر الرئاسي، وكانت الشرطة تسمح بحدوث ذلك. ولا يبدو أن أيًا من ذلك كان تحت سيطرة خصومهم الليبراليين، وإذا كان الأمر كذلك، فهل كانوا سياسيين أم مبتزين؟

لكن الاجتماع نفسه أرسل رسالة أخرى: أربعون دقيقة مع
الرئيس. اعتقد فريق مرسي أن أوباما كان يساندهم.

16

قعقعة في القصر

3ديسمبر 7 – 2012ديسمبر 2012

أثار مرسوم عيد الشكر الذي أصدره أورسي تحالفًا جديدًا ضده. اجتمعت مجموعة متنوعة من السياسيين ورجال الأعمال من عهد مبارك خلف محمد البرادعي

أيقونة الليبرالية. وانضم إليهم واحد أو اثنان من الوافدين السياسيين الجدد، وطالبوا مرسي بإلغاء خطط إجراء استفتاء في 15كانون الأول (ديسمبر) للموافقة على مسودة الدستور (كان الهدف من المرسوم الذي أصدره مرسي هو حمايته). وكانوا ينظمون مظاهرات مرتين في الأسبوع في ميدان التحرير وخارج القصر. وأعلن نادي القضاة، الذي يخوض حرباً مع مرسي منذ الحملة الرئاسية، أن أعضائه سيرفضون الإشراف على التصويت، وهو مطلب قانوني. وقارن أحد القضاة، الذي كان يتحدث في الميدان، مرسي بكاليجولا وهتلر.

وكان التحالف الجديد خلف البرادعي، الذي يطلق على نفسه اسم جبهة الإنقاذ الوطني، يعلم أن مرسي ليس محمياً. ومع اندلاع المظاهرات في التحرير وميادين المدن الأخرى يوم الجمعة بعد مرسوم عيد الشكر، قاد أحمد سعيد، قطب الاتصالات وزعيم الحزب المناهض للإسلاميين، مسيرة احتجاجية إلى القصر الرئاسي. ولم تفعل الشرطة والحراس شيئا لمنعه.

تسلق رجاله جدران القصر ثم تجولوا في الأرض. ولم يرفع أحد إصبعه.

قال لي سعيد لاحقاً: "الجيش لم يكن جاهزاً بعد". لكن الشرطة كانت إلى جانبنا. وكان واضحا أن الشرطة والجيش والقضاء وكل المؤسسات لم تكن مع مرسي. لم يكن لديه السيطرة. لقد كانت سيطرته خيالية."

كنت أطلب إجراء مقابلات في وزارة الداخلية لشخصين
سنين. لقد تم رفضي دائمًا. لكن عندما اتصلت بعد بدء الاحتجاجات ضد مرسي، دعاني نائب وزير الداخلية إلى مكتبه.

كانت غرفة طويلة وضيقة غارقة في الظلال. الستائر المغلقة
غطت صفًا من نوافذ الصور. وكانت سحب من دخان السجائر تحوم في الهواء. كنت أنتظر في صمت خلال فترات توقف
طويلة في كل مرة يسحب فيها نائب الوزير أحمد حلمي.

لقد طلبت عقد اجتماع لمناقشة الوفاة المشبوهة لـ
متظاهر مناهض للإسلاميين. هل كان لدى حلمي رد على اتهامات الشرطة بقتله؟ وبدا حلمي يشعر بالملل من هذه القضية.

وقبل أن يناقش الأمر، أراد توضيح "دروس الثورة"، كما تراها من خلال عيون الشرطة المصرية.

واعترف رسمياً بأن قوى الأمن الداخلي قامت بذلك ذات مرة
وحمى مبارك وعاقب معارضيه. لكن تلك الأيام انتهت. وأصبحت الشرطة الآن "بعيدة عن السياسة"، و"مستقلة"، وتعمل فقط من أجل "الشعب". وقال إن الأهم من ذلك كله أنهم لم يعملوا لصالح مرسي.

هل حصلت على ذلك؟ وقال مرة أخرى إن الشرطة لم تعمل لصالح مرسي،
وكرر ذلك بعدة طرق.
لقد غيرت الموضوع. ما هي أفكار الوزارة حول إصلاح الشرطة؟ كان هذا هو الهدف الرئيسي لاحتجاجات ميدان التحرير، وكان ذلك وعدًا متكررًا من مرسي.

توقف حلمي مرة أخرى للزفير. هل أقصد إعادة الانتشار الجغرافي؟

لا، قلت بلطف. كنت أفكر في حقوق الإنسان.
المزيد من الدخان. "قبل أن أتحدث عن حقوق الإنسان، لا بد لي من تعريف،
من هو هذا الإنسان؟ قال لي. «هل من المعقول أن يطلب مني أن أراعي مواطناً لديه زجاجات مولوتوف أو بندقية؟

وعندما أنتهك حقوقه، هل من المعقول أن يتهموني بانتهاك حقوق الإنسان؟

أرى، قلت له. ومن وجهة نظره، لم تكن الشرطة هي التي تحتاج إلى الإصلاح. وكان المواطنون. والبعض لا يستحق جميع حقوق الإنسان.

وأخبرني خالد أمين، عميد الشرطة، فيما بعد أن
وشعر الضباط الأصغر سنا "بالكثير من الغضب" تجاه مرسي. "المسلم

لقد تم حبس الإخوة من قبل. لقد شعر الضباط أنهم لا ينبغي أن يكونوا في السلطة".

كان أمين متمركزًا في الحي القريب من القصر في شهر نوفمبر من ذلك العام. وقال إنه بحلول أوائل ذلك الشهر، بدأ يتقبل فكرة أن مرسي هو الرئيس. قال أمين: "اعتقدت أنه سيبقى". بدأ في القيام بعمله. لكن مرسوم عيد الشكر غيّر ذلك. لقد أصدر الكثير من القرارات ثم تراجع عنها. إذا كان حقا يتخذ هذه القرارات، فلن يتراجع عنها بهذه السرعة". "وعندها قررت أن مرسي ليس مسؤولاً". لقد افترض أن مجلس إدارة جماعة الإخوان المسلمين هو الذي يتخذ القرار.

وداخل القصر، حثه بعض مستشاري مرسي على ذلك
أشهر للتحرك بسرعة ضد المؤسسات المعادية للنظام القديم مثل وزارة الداخلية أو المحكمة الدستورية العليا. لكن آخرين أعربوا عن قلقهم من أنه لا يزال لا يتمتع بالنفوذ. بدأ المتظاهرون المناهضون للإسلاميين في "الثورة الثانية" الأولى بإغلاق الطرق خارج القصر في وقت مبكر من 24أغسطس/آب، ورفضت الشرطة مراراً وتكراراً تفريقهم. (قال متحدث عسكري لاحقًا لزملائي مي الشيخ وكريم فهيم إن السيسي، بصفته وزيرًا للدفاع، رفض أيضًا طلبات مرسي بحماية القصر).

وقال مرسي لمستشاريه إن الجيش والشرطة سيتعلمان بالتأكيد قبول "مصر الجديدة". لكنه يمكن أن يكون قدريًا بشكل غامض. "لا تقلق! هل تعتقد أن هذه هي الذروة؟ لا!" قال مرسي لمستشاريه القلقين في ديسمبر/كانون الأول الماضي، وهو يبتسم. "هذه ليست الذروة. ستكون الذروة عندما ترى دمي يتدفق على الأرض ."

واجتمع وائل هدارة ومستشارون آخرون لمرسي مع طاقم الشاطر في ديسمبر/كانون الأول للتنسيق مع الإخوان. لكن الاجتماع تحول إلى مباراة صراخ. قال لي هدارة لاحقاً: "تحول الأمر إلى جلسة تنفيس طويلة من قبل أهل الشاطر الذين اشتكوا من أنهم ظلوا في الظلام".

وأخبرني مساعدو الشاطر أنه أصبح يشعر بالإحباط على نحو متزايد إزاء "عناد" مرسي. واضطرت جماعة الإخوان المسلمين إلى الدفاع عن قرارات مرسي التي لا تحظى بشعبية بأموالها وقوتها البشرية. وكان يصرف الشيكات على الحساب البنكي للإخوان.

زعمت الأصوات في جميع أنحاء وسائل الإعلام أن مرسي كان دمية في يد الشاطر، لكن التوترات بينهما كانت سرًا مكشوفًا في النخبة السياسية. «سمعت أن الشاطر نفد صبره مع مرسي. أعتقد أن الجميع سمعوا ذلك»، قال لي سعيد، زعيم حزب المعارضة، في وقت لاحق. وكان مرسي معزولاً حتى داخل جماعة الإخوان المسلمين. لكن الإخوان كانوا أيضًا معقل الدعم الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه. وقال هدارة في ذلك الوقت: "هذا هو الشخص الذي يمكنه الاعتماد عليه".

عاد عصام الحداد من واشنطن في الخامس من ديسمبر/كانون الأول، وشعرت أن أراضي القصر الرئاسي تحت الحصار. أصدرت لجنة الصياغة الميثاق الجديد في 30نوفمبر/تشرين الثاني، وفي 4ديسمبر/كانون الأول، توقفت كل الصحف الخاصة في مصر تقريباً 11 –صحيفة في المجمل –عن الصدور ليوم واحد احتجاجاً على الحماية التي يسهل اختراقها لحرية التعبير. وحتى صحيفة الأهرام ذكرت أن ستين من صحفييها انضموا إلى الاحتجاجات (مثل الصحفيين المصريين الآخرين، اكتشف موظفو الأهرام شغفًا جديدًا وقصير الأمد لحرية الصحافة). واستمر العنف ضد الإخوان المسلمين أيضًا. وتعرض أكثر من عشرين مكتبًا للإخوان للهجوم أو الإحراق.

وكان المتظاهرون حول القصر مختلفين عن مزيج المتظاهرين في ميدان التحرير. وكان هؤلاء يشبهون سكان المدن الأثرياء، وموظفي الخدمة المدنية من ذوي الياقات البيضاء، وعددًا كبيرًا من المسيحيين الأقباط. قال لي فريد بشاي، وهو قبطي يبلغ من العمر تسعة وعشرين عاماً: "هذه ليست ثورة الفقراء". "هؤلاء الناس يأتون للمطالبة بحقوقهم."

"احلق لحيتك وأظهر عارك تجد أن لك وجه مبارك!" هتفت.

وفي إحدى الليالي، اقتحموا غرفة حراسة، ونهبوا محتوياتها، ورشوا جدران القصر بشعارات مناهضة لمرسي. وكانت الإهانة المفضلة هي وصف الإخوان المسلمين بـ "الخراف"، الذين تعرضوا لغسيل دماغ على يد قادتهم. في بعض الليالي، كانت زجاجة مولوتوف تتطاير فوق جدران القصر، فيقوم الحراس في الداخل بإطفاء النار والسماح بمواصلة الاحتجاج. وقام حزب ناصري بتوفير الخيام والطعام للاعتصام، وقضى بعض المتظاهرين الليالي هناك.

وفي الخامس من كانون الأول (ديسمبر)، دعا التحالف حول البرادعي إلى تشكيل آخر

وسار "الإنذار الأخير" إلى القصر، وتحول فريق مرسي في يأس إلى الإخوان المسلمين. وحشدت وسائل إعلام الإخوان المسلمين في كل مكان للدفاع عن القصر. "إذا كانت الدولة

وحث أحد قادة الإخوان المسلمين على أن "الأجهزة ضعيفة ولا تزال متضررة من جراح الماضي، ويمكن للناس أن يفرضوا إرادتهم".

"حاصر هؤلاء البلطجية! هذه هي الفرصة لاعتقالهم، والكشف عن الطرف الثالث الذي يقف وراء إطلاق الرصاص الحي وقتل المتظاهرين".

ووصفها السلفيون المتشددون بأنها حرب مقدسة. وقد هدد أحد شيوخ التلفزيون، صفوت حجازي، صراحة المسيحيين الذين احتجوا ضد مرسي. وقال: "أنتم أبناء الوطن وشركاء في الوطن، ولكننا لن نترك الأمر أبداً أن 60% من الواقفين في قصر الاتحادية هم نصارى" -نصارى، وهو مصطلح مهين للمسيحيين.

"الله يهينهم ويعجل هلاكهم"، دعا شيخ آخر على قناة تلفزيونية سلفية، وادعى أن المتظاهرين المناهضين لمرسي كانوا يشربون ويزنون في الخيام خارج القصر. "انصر ديننا وانصر رئيسنا".

وأعلن ثالث: "القاعدة معروفة". "إن موتاهم موجودون
إن النار وأمواتنا في الجنة».

وفي حوالي الساعة الرابعة عصرًا، خرج مئات الشباب الإسلاميين من مسجد قريب وتجمعوا في مكان الاعتصام. "القوة والإرادة والإيمان، رجال مرسي في كل مكان!" كانوا يهتفون (القوافي باللغة العربية)، وينزعون الخيام ويطردون بضع عشرات من المتظاهرين.

وكان محمد إسماعيل، وهو كاتب مقهى يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً، يتسكع حول الخيام. قال لي عندما وصلت بعد لحظات: "لقد جاؤوا من كل جانب وعاقبونا". "لقد صفعتني على وجهي ومؤخرة رأسي". (وأظهر لي آخرون لقطات فيديو للمناوشات).

وكان خالد أمين، قائد الشرطة، يتمركز في مكان قريب. وقال لي لاحقاً إن الإسلاميين "بدوا مبتهجين، ومرتفعين بقوتهم، وكأنهم لا يقهرون".

لقد تسللت إلى المنزل لتناول العشاء، معتقدًا أن الشجار قد انتهى. لكن معارضي مرسي كانوا يحشدون قواتهم. وعقد البرادعي مؤتمرا صحفيا للتهديد بالإضراب العام. "لن ننهي هذه المعركة من أجل حريتنا وكرامتنا حتى ننتصر".

كنت أعمل مع مترجم جديد متعدد الاستخدامات، وسأسميه إبراهيم هنا. وكان مسيحياً قبطياً وله لحية طويلة. اعتبره الإسلاميون واحدًا منهم؛ وكذلك فعل مناهضو الإسلام عندما رأوا وشم الصليب على معصمه.

وبعد حلول الظلام، اتصل إبراهيم ليخبرني أن الآلاف من معارضي مرسي بدأوا يعودون. اتفقنا على الاجتماع في سينما روكسي، وهي معلم محلي، لكن القتال في الشوارع أدى إلى إغلاق الطرق. نزلت من سيارة أجرة على بعد عدة بنايات وحاولت أن أشق طريقي بين مجموعات من الشباب الذين كانوا يتبادلون الحجارة. سقطت قنبلة غاز مسيل للدموع عند قدمي. انضممت إلى التدافع، وعندما تحررت من الغاز، جلست مع الغرباء بجوار السياج المحيط بنادي هليوبوليس الرياضي.

رجل سمين يشبه الصبي مع مخل يجلس بجانبه
وقال لي إنه كان من حزب الدستور الذي يتزعمه البرادعي. هز كتفيه في القتال. "بعد فترة من الوقت، يمكنك الاستمتاع بها نوعًا ما."

عندما التقينا أنا وإبراهيم ببعضنا البعض، مكننا وشمه المسيحي ولحيته الإسلامية من التحدث عبر خطوط المعركة المتغيرة.
واستخدم الجانبان السكاكين والهراوات والسلاسل والحجارة وقنابل المولوتوف. لأول مرة في مصر، سمعت إطلاق نار من صفوف المدنيين.

وقال جهاد الحداد، مساعد الشاطر، في وقت لاحق إن صديقاً كان يقف بجانبه أصيب برصاصة في رقبته. لقد نزف بسرعة كبيرة لدرجة أن جهاد وغيره من الإخوان المسلمين أدوا صلواته الأخيرة عليه.

انغمس الصحافي الحسيني أبو ضيف، البالغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاماً، في المعركة ضد الإسلاميين. وكتب في تلك الليلة على تويتر: "إلى كل ثائر حقيقي، إذا وجدت نفسك أمام أحد الإخوان المسلمين يطلق عليك الرصاص، أو يحمل سكينًا ويقول لك أنك ملحد، قل له الله أكبر والثورة أكبر من عصابتك". . "إذا مت هناك، فأنا أطلب منك فقط مواصلة الثورة!"

تم إطلاق النار عليه وقتل هناك.

خلف الخطوط الإسلامية، كانت سيارة لادا تشبه الصندوق تتجول في دوائر مع
مكبر الصوت مشدود إلى سقفه. وردد صوت جامد: "هذه ليست معركة من أجل الرئيس مرسي". "نحن نقاتل من أجل شريعة الله، ضد العلمانيين والليبراليين".

وأطلقت أسراب من شرطة مكافحة الشغب الغاز المسيل للدموع في كل الاتجاهات، لكنها لم تطلق إطلاقا
تمسكوا بأرضهم. وبعد حوالي الساعة 9:30مساءً، وصلت الشرطة الوحيدة التي رأيتها

ويبدو أن القوات كانت تحاول الفصل بين المقاتلين على طول الشريان التجاري الرئيسي للحي، وهو شارع الخليفة المأمون. ولم تكن قوات الأمن تدافع عن القصر ولا تفرق الإسلاميين: بل زادت من الفوضى.

قال لي أمين لاحقاً: "كان العنف لا يصدق". "لقد أُمرنا بعدم إطلاق النار. كنا نقيم حواجز، فيركض المتظاهرون ويتجمعون خلف سيارات الشرطة، أو نقيم حواجز أمامهم. لكن الإخوان المسلمين ظنوا أننا نقف إلى جانبهم وأننا نحمي مرسي. لم يرغبوا في مهاجمتنا».

وكان ابنه البالغ من العمر 23عاماً من بين المتظاهرين الذين يقاتلون ضد مرسي، وأصيب بجرح عميق في رأسه.

لقد رأيت الكثير من الاشتباكات بين المتظاهرين والشرطة أو
بلطجية مأجورين، وعلمت بالمشاجرات بين المسلمين والمسيحيين؛ وكانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها هذا العدد من المصريين العاديين يتقاتلون فيما بينهم حول السياسة. وقد أصيب داود، المتحدث باسم البرادعي، بالرعب. "الإخوان المسلمون بملابس مدنية يقاتلوننا بملابس مدنية، والأمن المركزي –الناس الذين كانوا يضربونني طوال الوقت –كانوا واقفين دون عمل أي شيء! لأول مرة في حياتي رأيت بذور الحرب الأهلية".

وبحلول الفجر، كان الإسلاميون قد أسروا واحتجزوا وضربوا العشرات من معارضيهم، واحتجزوهم في غرفة حراسة صغيرة تركتها الشرطة. وكان يحيى نجم، وهو دبلوماسي سابق يبلغ من العمر 42عاماً، أحد السجناء. وعندما التقيت به بعد أيام، كانت الكدمات تجعل عينيه داكنتين وكان لديه جرح دموي على جسر أنفه. قام بسحب كم ليظهر لي علامات الحبل الأحمر.

قال لي: "لقد اتهموني بالخيانة، أو بالتآمر على البلاد، وبأنني أتقاضى أموالاً مقابل حمل السلاح وإشعال الحرائق". "اعتقدت أنني سأموت."

وكانت علا شهبا، وهي عضوة في الحزب الاشتراكي، ترتدي غطاء رأس وخوذة أثناء القتال لإخفاء جنسها. وقالت إن آسريها الإسلاميين تحسسوها عندما نزعوا غطاء رأسها ورأوا أنها امرأة. "ما هي السفارة التي تلتقي بها وتتلقى الأموال منها؟" طالب مهاجموها.

وحاول أحد مسؤولي الإخوان إقناع الإسلاميين بإطلاق سراحها، لكن بعضهم كانوا متشددين من خارج الجماعة. وقال المسؤول أحمد سبيع في وقت لاحق: "لو كانوا مجرد إخوان مسلمين، لأخرجناها منذ اللحظة الأولى".

"هل ضربوا الناس؟ نعم لقد فعلوا ذلك". "لقد تسلل البلطجية إلى الجانبين. وكان من المستحيل معرفة من يقف على أي جانب".

وفي صباح اليوم التالي، قام الإسلاميون بتسليم ما يقرب من 130 أسيرًا إلى المدعي العام، الذي أطلق سراحهم على الفور بالطبع.

وأصيب المئات في القتال. ولقي ما لا يقل عن 11 شخصاً حتفهم، معظمهم بسبب طلقات نارية. باستثناء الصحفي، كان جميع القتلى أو معظمهم تقريبًا من الإسلاميين، على حد علمي. وأصرت جماعة الإخوان المسلمين على أن جميع القتلى كانوا من أنصار مرسي، وبعد جهد كبير لم أتمكن من تأكيد أي حالة وفاة غير إسلامية إلى جانب الصحفي. وكان معارضو مرسي أفضل تسليحا. لكن لم يكن أحد بريئا.

من الصعب المبالغة في تقدير صدمة تلك الليلة. ربما يتوقع الغربيون الفوضى في الشرق الأوسط. لكن المصريين يعتبرون أنفسهم مواطنين لأقدم أمة في العالم، مهد الحضارة.

لقد لطخت جيوش الهواة المتوحشة الشوارع بدماء مواطنيها، في أعمال عنف تذكرنا بالأيام الأخيرة للنظام الملكي. بدا الأمر وكأنني في سوريا أو ليبيا أو العراق، دولة فاشلة، وليس مصر.

وبعد أن ابتعدت عن القتال، التقيت بصديق مصري –أحمد، وهو خريج جامعي حديث يحمل شهادة في الهندسة ولديه طموحات في مجال الطاقة الشمسية. قال إنه يذكره بفيلم أمريكي عن الأحياء الفقيرة في مانهاتن في القرن التاسع عشر بعنوان «عصابات نيويورك».

ألقى مرسي خطابًا متلفزًا في الليلة التالية ودعا جميع الفصائل غير الإسلامية إلى القصر يوم السبت للتفاوض على حل وسط. لكنه ادعى أيضًا أن المعتقلين الذين اعتقلهم الإسلاميون كانوا في الواقع بلطجية يدفع لهم "الطابور الخامس" من المنتفعين في عهد مبارك. لقد كانوا يوزعون "الأموال السوداء"، ويتآمرون مع المصالح الأجنبية، و"يوزعون الأسلحة النارية". وبدا أكثر من أي وقت مضى وكأنه مبارك الملتحي.

ورد البرادعي على تويتر قائلا إن مرسي "أغلق الباب أمام أي حوار". وكثيراً ما اشتكى الدبلوماسيون الغربيون خلال الأشهر التالية من رفض مرسي تقديم تنازلات كبيرة طوعاً. لكنه وجه دعوات كثيرة للمفاوضات والحوار. وكانت المعارضة ترفضهم دائما.

...

إلتقينا أنا وإبراهيم مرة أخرى في اليوم التالي، الجمعة 7ديسمبر/كانون الأول، بالقرب من الأزهر للمشاركة
أنا
في مسيرة تشييع الإسلاميين الذين قتلوا في القتال. أ
تجول موكب الآلاف في أنحاء مدينة القرون الوسطى وهم ينتحبون ويهتفون ويغليون. لحية إبراهيم تناسبني تمامًا. شعرت بأمان أكبر بوجوده معي.

ثم أشار أحد جيرانه الإسلاميين إلى صديق له. لحظات
وفي وقت لاحق، خرج من العدم رجل طويل القامة أكبر منا بكثير، وأمسك بذراع إبراهيم، ورفع معصمه.
ال
الوشم المتقاطع.

وتشكل حشد صغير من حولنا. كانوا على يقين من أن إبراهيم كان متسللاً، جاسوساً مسيحياً. وإلا فلماذا يتنكر بلحية سلفية؟ وكانت الأيدي في جميع أنحاء له. صفعه رجل بقوة على أذنه. انحنى إبراهيم متألمًا. أمسكت به ورفعت بطاقتي الصحفية.

صحفي، صحفي، صحفي، قلت. لقد حاول الإسلاميون
لإبعادي. قال لي أحدهم إنهم لم يقصدوا إيذائي. لقد كنت ضيفا في بلادهم. وكان إبراهيم قبطيًا مصريًا. وكانت تلك قصة مختلفة.

اندفع شخص ما خلفي نحو إبراهيم، واندفع نحوي، وأسقط نظارتي عن وجهي. لقد اختفوا تحت حشد المتظاهرين. حدقت في عيني وتمسكت بإبراهيم.

انفصل الغوغاء عن رجل كبير السن ذو لحية رمادية ومؤخرة
وجه. اعتقدت المزيد من المتاعب. أمسك المسؤول الجديد إبراهيم من ذراعه وسحبه وسط الحشد. تمسكت بذراعه الأخرى وقفزت خلفه كما لو كنا نلعب لعبة Crack the Whip.

خلفنا آسرنا بوقفة احترام، وجرنا عبر سلسلة-
ربط السياج بما بدا أنه ساحة مدرسة. الاسلاميين

سحبنا كرسيين وجلسنا للاستجواب. كنا صحفيين لصحيفة نيويورك تايمز، وظللت أكرر ذلك باللغتين الإنجليزية والعربية. كان إبراهيم يتمتم بالعربية بسرعة وبهدوء شديد لدرجة أنني لم أتمكن من متابعتها، وكان شاب يستخدم كاميرا هاتف محمول لتصوير استجوابنا. هل كان يأمل في تسجيل اعتراف؟ ظهر مقطع الفيديو الخاص به والذي يظهر ثرثرتي باللغة العربية المكسورة على الموقع الإلكتروني لصحيفة "اليوم السابع 7 -أيام" المناهضة للإسلاميين. كان المصور هو الجاسوس الحقيقي.

أمسكني الرجل الكبير المسؤول بإبراهيم وأنا من مرفقينا وكنا نتحرك مرة أخرى. هذه المرة وجد ضابط شرطة مصريًا وسلمنا كلينا. وبعد لحظات، صعدنا نحن الثلاثة جميعًا –إبراهيم، آسرنا الإسلامي، وأنا –عدة مجموعات من السلالم في مكتب رئيس قسم الشرطة المحلية.

لم يكن لديه أي اهتمام بإبراهيم، لكن هل كنت جاسوساً؟ حدق الرئيس باهتمام في بطاقتي الصحفية المصرية.

تنفست الصعداء. لقد حدث هذا طوال الوقت. آخر

أخذ شرطي جهاز iPhoneالخاص بي في طريقي إلى الداخل، وباحترافية نموذجية، سألني إذا كان بإمكانه ممارسة الألعاب عليه. لذلك استعرت هاتفي واتصلت بمدير الإعلام الخارجي للحكومة المصرية. كنت أعلم أنه سيشهد لي. لقد راسلت زملائي عبر البريد الإلكتروني، وأبلغوا السفارة الأمريكية. في هذه الأثناء، كان قائد الشرطة، على الطريقة المصرية الكلاسيكية، يقدم الشاي ويلقي أحاديث قصيرة. تقاسمنا أنا والإسلامي إبراهيم الأريكة، ونجلس جنبًا إلى جنب.

أردت التأكد من أن مظلة صحيفة نيويورك تايمز

سوف يأوي إبراهيم أيضاً. لقد تحدثت كثيرًا عن كيفية عمله معنا، وكم كان مترجمًا فوريًا ممتازًا، وكم كان جزءًا مهمًا من فريقنا. لقد كررت عبارة "نيويورك تايمز" بقدر ما أستطيع. بالكاد كنت أعرف إبراهيم، لكنني حاولت من خلال لهجتي الدافئة أن أشير إلى أنه عمل معنا لسنوات.

وهنا همس إبراهيم في أذني. "أنقذ نفسك و

اخرج،" قال لي بشكل خفي. "لدي مسدس في جيبي."

ربما قام بتعبئتها بعد إراقة الدماء في الليلة السابقة.

ربما كان لديه ذلك في ذلك الوقت أيضًا. وفي كلتا الحالتين، إذا عثرت الشرطة على المسدس غير القانوني وغير المسجل في جيب سترته، فكلانا سنذهب إلى السجن.

ابتسمت. لقد شربت الشاي. لقد تحدثت عن الطقس. تظاهرت بأنه لا يوجد مكان في العالم أفضل أن أكون فيه في ذلك الوقت من مكتب رئيس الشرطة هذا. لقد تفوه بالهراء المعتاد حول التسامح التعددي في "مصر الحقيقية"، حيث يعيش المسلمون والمسيحيون دائمًا في وئام ولم يشعروا أبدًا بالصراع. وبعد بضع ساعات، تصافحنا جميعًا كأصدقاء. الحمد لله أن الإسلاميين لم يفتشونا قط. ولم تفتشنا الشرطة أيضًا، بمهنيتها المعتادة، مرة أخرى.

وفي طريقنا إلى أسفل الدرج، كان آسرنا الإسلامي يشعر بروح "مصر الحقيقية" المتسامحة أيضاً. وتوقف ليخبرنا أن المبنى الذي يضم قسم الشرطة كان تابعا لجماعة الإخوان المسلمين أيام مؤسسها حسن البنا. وتبادل إبراهيم والإسلامي أرقام الهواتف ووعدا بالبقاء على اتصال. لقد ألقيت نظرة سريعة على المنزل بدون نظارتي.

تعرضت لهجوم من قبل حشد من الإسلاميين: هذا ما أقلق والدتي عندما انتقلت إلى القاهرة. لكن جنون العظمة الذي يشعر به الإسلاميون لم يعد يبدو غير عقلاني. وكان إبراهيم هو الذي كان يحمل مسدسًا.

أستطيع أن أفهم لماذا قد يرغب قبطي مصري في تسليح نفسه. لكن
وتبين أن الإسلاميين كانوا على حق في الاشتباه في مسيحي ملتح.
وبدون حماية القانون يلجأ كل واحد منا إلى حماية قبيلته.

17

القتل والاغتصاب والمسيحيين والجواسيس

8ديسمبر 2012-9مارس 2013

يا

في 26يناير/كانون الثاني ،2013بعد عامين ويوم واحد من بدء الانتفاضة، تجمع مئات الرجال والنساء والأطفال حول أجهزة ستريو السيارات وأجهزة الراديو الترانزستور خارج السجن الرئيسي في مدينة بورسعيد، على البحر الأبيض المتوسط. قناة السويس. ووجهت اتهامات بالقتل إلى 21مشجعًا محليًا لكرة القدم، بعضهم داخل السجن، في مقتل 74شخصًا في أعمال شغب في الملعب قبل عام، في 1فبراير/شباط ،2012تحت حكم الجنرالات. وكان أهالي المتهمين قد تجمعوا لسماع الحكم من أحد القضاة في القاهرة.

وكانت أعمال الشغب من بين أكثر أعمال الشغب دموية في تاريخ كرة القدم.

وقام الألتراس الداعمون للفرق المتنافسة من بورسعيد والقاهرة بتهريب السكاكين والهراوات والألعاب النارية إلى الملعب. وتعرض بعض الضحايا للطعن حتى الموت. وسقط آخرون من الشرفات. وسحق المزيد في التدافع للخروج. وإجمالا، أصيب ما لا يقل عن خمسمائة.

وخارج السجن، خيّم الصمت على الحشد. ثم انتقل الهمس من خلال ذلك. "تنفيذ." وكان القاضي، دون تفسير، قد أدان جميع الرجال الواحد والعشرين وحكم عليهم بالإعدام.

تُظهر مقاطع الفيديو الملتقطة بالهواتف المحمولة في اللحظة التالية دويًا من الرصاص. أطلق أحد أفراد الحشد النار على حارس خارج السجن، وفتحت الشرطة النار. وفي غضون ساعات قليلة، قتلت الشرطة ما لا يقل عن واحد وعشرين مدنياً. أطلق أحدهم النار على نائب شرطي آخر.

اجتاح العنف المدينة. وأصيب مئات آخرون. وكانت المستشفيات مكتظة. كان الأطباء يتصلون بمحطات التلفزيون والإذاعة لطلب المساعدة من أي شخص لديه تدريب طبي.

وبدأ مثيرو الشغب بمهاجمة كاميرات التلفزيون، وانتهى البث المباشر.

نشأت مي الشيخ في مدينة بورسعيد. وقالت عائلتها هناك
وفرت الشرطة من الشوارع وسقطت عائدة إلى المخافر والسجون المحاصرة. وكانت ثكنة للشرطة تحترق.

بحلول الساعة الثامنة مساءً، أعلنت وزارة الداخلية، على نحو غير معهود، أنه هذه المرة لن يكون هناك "حل أمني" لفوضى بورسعيد. ونشر الجيش قوات لتأمين القناة والميناء البحري. وكانت ثالث أكبر مدينة في مصر، ويبلغ عدد سكانها حوالي سبعمائة ألف، قد خرجت عن سيطرة الحكومة.

عندما وصلت أنا ومي في صباح اليوم التالي، كان هناك عشرات الآلاف
كانوا يهتفون لانفصال بورسعيد عن مصر. وحمل موكب لا نهاية له من المشيعين فوق رؤوسهم ما يقرب من عشرين نعشًا -جثث القتلى على يد الشرطة. وسار المتظاهرون وهم يهتفون ونحيب على طول البحر الأبيض المتوسط باتجاه المقبرة الرئيسية بالمدينة، حتى اجتاز العرض أسوار منتجع جراند سكاي، وهو نادٍ على شاطئ البحر مخصص حصريًا لضباط الشرطة.

ربما تم إلقاء حجر، وربما تم الصراخ بتهكم. لكن
بدأت الشرطة في أبراج الحراسة بإطلاق الغاز المسيل للدموع في كل مكان. سقطت التوابيت على الأرض. وتناثرت جثث "الشهداء" على الرصيف. رأيت مشيعا غاضبا يسحب مسدسا، وسمعنا صوت إطلاق نار من أسلحة آلية. وكان مسلحو الشرطة يجلسون القرفصاء ويركضون على طول سطح المنتجع. وتصاعد الدخان من الداخل.

انسحبنا نحو الأمان النسبي للمقبرة الساحلية، والتقطنا أنفاسنا، ثم تسللنا عائدين لمحاولة تقييم الأضرار. وفي حوالي الساعة 4:00 مساءً، رأينا صفًا من رجال الشرطة يقفون جنبًا إلى جنب على الرصيف، ويطلقون النار أمامهم مباشرة. كان ذلك كافيا. لقد هربنا من أجل حياتنا.

عندما وصلنا إلى الفندق، كان المتحدث باسم وزارة الداخلية على شاشة التلفزيون يعلن أنه لم يكن هناك شرطي واحد في المدينة يحمل سلاحاً محشواً. وكان "المخربون المتسللون" هم الوحيدون الذين أطلقوا النار. وفي صفوف الشرطة، «لا يوجد سوى مجموعة صغيرة تقاوم إطلاق النار المكثف». وأصر على أن حتى الغاز المسيل للدموع جاء من المدنيين.

وأعلن مرسي حالة الطوارئ وحظر التجول في بورسعيد ومدن القناة المجاورة. وقال إن أعمال الشغب كانت "الوجه القبيح للثورة المضادة"، وبعد ذلك، ولدهشتي، شكر الشرطة "على الجهود الكبيرة التي بذلوها".

وقال: "أرسلت أوامري إلى رجال وزارة الداخلية بكل وضوح". لم أتمكن من معرفة ما إذا كان يحاول استمالتهم، أو إذا كان خائفًا من الاعتراف بافتقاره إلى السيطرة.

وحذر الجنرال السيسي في اليوم التالي لأول مرة من ماذا
ووصف احتمال "انهيار الدولة". لكنه وعد بأن الجيش "سيظل الكتلة الصلبة والصلبة والعمود الفقري" تحت تلك الدولة.

عندما غادرنا في اليوم التالي، كانت بعض المتاجر تفتح أبوابها بعناية، لكن لم يجرؤ أي ممثل للحكومة المركزية على إظهار وجهه في المدينة. وكانت الدولة قد انسحبت من بورسعيد.

...

كما شعر إيرو أيضًا بالخروج عن القانون بشكل متزايد. في كانون الثاني (يناير) من ذلك العام، استعانت صحيفة التايمز بقائد كوماندوز سابق يتمتع بخبرة المسعفين للتدريب
العديد منا في الإسعافات الأولية لمناطق القتال. لقد ذهب في نزهة مسائية على ضفاف نهر النيل بالقرب من مكتبنا، وحاول اثنان من اللصوص سيئي الحظ سرقته.

"أمسك بي أحدهما وطعنني الآخر بكل ما يستطيع فقط
كتب لي المدرب في رسالة بالبريد الإلكتروني في اليوم التالي: "يمكن وصفه بأنه فولاذ حاد". "لقد نزعت سلاحه بعد تعرضه للطعن وأعدت له سلاحه (مباشرة في أعلى الكتف). والآخر كنت لا أزال متمسكًا به، مما أدى إلى خلع ذراعه اليسرى. ليس هناك الكثير لنقوله حقًا. . . . أوه، بالمناسبة، قالت الشرطة "إنهم سوف ينظرون في الأمر". مضحك جداً."

في 25كانون الثاني (يناير) ،2013انضمت هانيا مهيب، الصحافية المصرية البالغة من العمر 42عاماً، إلى عشرات الآلاف من المحتفلين المحتشدين في ميدان التحرير للاحتفال بالذكرى الثانية للانتفاضة. ولم يكن هناك شرطي في الأفق بالطبع، ورأى البعض في الحشد فرصة مفترسة. حاصرت عصابة من الرجال مهيب وجردتها من ملابسها واغتصبتها لمدة ثلاثة أرباع الساعة. بعض

صرخوا قائلين إنهم قادمون لإنقاذها بينما هاجموها -"سوف أساعدك!" سوف اساعدك!"

قالت لاحقًا: "لم تكن يداي كافيتين لمحاربتهم جميعًا".

وتعرض ما لا يقل عن ثمانية عشر امرأة للاعتداء الجنسي في الميدان
في ذلك اليوم، وفقًا للإحصاء الأكثر تحفظًا الذي تم التحقق منه من قبل جماعات حقوق الإنسان المستقلة. وقدر المجلس القومي للمرأة التابع للحكومة، والذي لا تزال ترأسه ميرفت التلاوي، صديقة سوزان مبارك، الرقم أعلى من ذلك بكثير. تم نقل ست نساء إلى المستشفى. وطعن أحدهم في أعضائه التناسلية. وخضعت أخرى لعملية استئصال الرحم كجزء من علاجها (لا أستطيع الحكم على الضرورة الطبية).

ولم تكن الشرطة، في عهد مبارك، تسمح مطلقًا بوجود حشد من الناس
تجمعوا في الأماكن العامة (باستثناء دور العبادة أو ملاعب كرة القدم)، وتسبب مزيج من العار والرقابة في إبقاء تقارير الاغتصاب بعيدة عن الأخبار. والآن أصبحت المظاهرات في الشوارع عنصرًا أساسيًا في الحياة العامة.

واختلط الرجال والنساء في حشود ضيقة، وكان غياب الشرطة سبباً في العدوان. لكن ذلك لم يكن كل ما تغير. لقد كسر عصر الصمت. لقد منح انهيار السلطات القديمة نساء مثل هانيا مهيب الشجاعة والقدرة على التحدث علناً، مع إمكانية الوصول إلى وسائل الإعلام الإخبارية التي أصبحت حرة مؤخراً. ولفتت رواياتهم انتباه العالم إلى حجم الأزمة.

وبعد أن تحدث مهيب، تقدمت ياسمين البرماوي لتصف اغتصابها بالقرب من ميدان التحرير في نوفمبر/تشرين الثاني الماضي. قامت عصابة من الرجال بفصلها عن صديق لها، واستخدموا السكاكين لتقطيع معظم ملابسها، ثم ثبتوها نصف عارية على غطاء سيارة مثل الكأس، في رحلة بطيئة مدتها ساعة إلى حي آخر.

الآن، بعد ثلاثة أشهر، كلما رأت الزاوية التي تعرضت فيها للهجوم، قالت في مقابلة تلفزيونية: "يدي تمسك بنطالي تلقائيًا". توقفت صحيفة نيويورك تايمز عن إرسال الصحفيات إلى مظاهرات التحرير، حتى برفقة زملائهن الذكور.

وأدان مرسي الهجمات ودافع عن حقوق المرأة
للانضمام إلى المناسبات العامة. وقالت باكينام الشرقاوي، كبيرة مستشاري مرسي السياسيين وأرفع امرأة في إدارته، إن التشهير بالنساء بأي شكل من الأشكال أمر "غير مقبول على الإطلاق".

لكن خصومه حاولوا إلقاء اللوم على الإسلاميين في أعمال العنف، وألقى إسلاميون بارزون اللوم على الضحايا من النساء. وقال عادل عبد المقصود عفيفي، النائب السلفي في مجلس الشورى الذي لا حول له ولا قوة (كان لواء شرطة في عهد مبارك قبل توليه منصبه): «في بعض الأحيان، تساهم الفتاة بنسبة مائة بالمائة في اغتصابها عندما تضع نفسها في هذه الظروف». خرج على أنه سلفي).

"كيف يطلبون من وزارة الداخلية حماية المرأة وهي تقف بين الرجال؟" تساءل رضا صالح الحفناوي، النائب الإخواني.

وقال الشيخ أحمد عبد الله، وهو داعية تلفزيوني سلفي يعرف أيضا باسم الشيخ أبو إسلام، إن الضحايا هم الوحوش.

وقال: "ترى هؤلاء النساء يتحدثن مثل الغيلان، دون خجل أو أدب أو خوف أو حتى أنوثة". وقال إن مثل هذه المرأة كانت "مثل الشيطان"، إذ ذهبت إلى الساحة "عارية" عمداً "لتتعرض للاغتصاب".

لقد بدأت أشك في أن وكالات الاستخبارات كانت تستفيد من ذلك
على الفوضى للتحرك ضد الإخوان المسلمين. في أحد الأيام، كانت مسيرة من المتظاهرين ضد مرسي تتسلل إلى مواجهة الباعة المتجولين غير المرخصين على طول شارع طلعت حرب -وبدون الشرطة، أدى انتشار الباعة المتجولين إلى اختناق حركة المرور تقريبًا - عندما تلقيت رسالة عن هجوم على مكتب مجاور لجماعة الإخوان المسلمين. موقع إخوان أون لاين.

أخبرني البواب وأحد المارة أن مجموعة من الرجال يرتدون أقنعة الوجه قد اندفعوا عبر الباب الأمامي، وصعدوا عدة مجموعات من السلالم، ومباشرة إلى المكتب الفارغ. حاول شخص ما اقتحام المنزل قبل بضعة أيام بقنبلة حارقة. لقد فشلت في كسر بوابة باب معدنية ولكنها تركت علامات لهب داكنة على القضبان. هذه المرة عاد المهاجمون ومعهم قنينة من الحمض ليصبوها في القفل. هذا أحرقه مفتوحا.

قال رجب عبد الحميد، وهو عامل طباعة يبلغ من العمر ستة وثلاثين عاماً ويعمل لدى منظمة ليبرالية غير ربحية في نفس المبنى: "قالوا: نحن هنا لتدمير هذا المكان". لقد شاهد الهجوم. "لقد كان مخططا."

كانت المكاتب والكراسي مقلوبة. وكانت الأرضية مليئة بالزجاج المكسور وشاشات الكمبيوتر المحطمة. وكانت أجهزة التلفزيون والأشياء الثمينة الأخرى لا تزال موجودة، لكن المهاجمين تمكنوا من جمعها

حتى كافة محركات الأقراص الصلبة للكمبيوتر. لم أتمكن من إثبات أنهم مخابرات، لكنهم كانوا لصوصًا غير عاديين.

ولم يتم الكشف عن أدلة أخرى حول دور وكالات الاستخبارات إلا في وقت لاحق. كان السيد البدوي أحد أقطاب صناعة الأدوية وله شبكة تلفزيونية فضائية خاصة، وكان يدير أكبر أحزاب المعارضة الزائفة في برلمان مبارك. تم تسجيل مكالمة هاتفية له في أوائل عام 2012مع شخص بدا وكأنه مسؤول كبير في المخابرات (بناء على لهجته ومعرفته واحترام بدوي). وأوضح بدوي أنه يأمل في الحصول على دعم الإخوان المسلمين لخوض الانتخابات الرئاسية.

قال الصوت الأجش لضابط المخابرات: «أوه يا سيد».

وقال: "الفترة المقبلة ستكون مظلمة بالنسبة للإخوان. . . . وستذبحهم الميليشيات المسلحة في منازلهم. وستكون مصر مليئة بـ "الإرهاب" المنظم للانتقام من الإخوان المسلمين والانتقام من الثورة التي أسقطت الأجهزة الأمنية. لقد تسرب التسجيل بعد فوات الأوان بحيث لا يمكن أن يحدث أي تغيير إلا في التاريخ، لكنه كان يعد بحملة من العنف تنظمها أجهزة المخابرات ضد الإخوان المسلمين.

وكانت جبهة الإنقاذ الوطني، التحالف المناهض للإسلاميين الذي يقف وراء البرادعي، تجتمع في كثير من الأحيان في مقر حزب بدوي السياسي، وأخبرني أعضاء التحالف في وقت لاحق أنهم عرفوا بحلول أوائل عام 2013أن أجهزة المخابرات كانت تعمل سرا لإسقاط مرسي.

"نحن لسنا وحدنا"، هذا ما كان يقوله رجال الأعمال وقادة الأحزاب مثل بدوي في الاجتماعات، مستخدمين عبارات مصرية ملطفة مألوفة للمخابرات . "مؤسسات الدولة معنا"

"ستجد أشخاصًا في الاجتماعات يعرفون ما تريده الأجهزة الأمنية، وما الذي كانت تضغط عليه الأجهزة الأمنية".

وقال خالد داود، الصحفي المتحدث باسم الجماعة، في وقت لاحق. "لقد كنا وجوهًا مدنية لطيفة"، لكن وكالات التجسس كانت "تقوم بأشياء لوضع الأساس".

ورفض مسؤولو الشرطة توفير حماية خاصة لمكاتب الإخوان، موضحين أنهم لا يستطيعون حماية جميع الأحزاب السياسية -على الرغم من أن جماعة الإخوان المسلمين كانت بالطبع الجهة الوحيدة.

فصيل تحت الهجوم. وقد استمرت موجة الهجمات على مكاتبها في جميع أنحاء البلاد بلا هوادة منذ نوفمبر/ تشرين الثاني. ووقعت عملية السطو على مكتب الموقع في القاهرة في الذكرى الثانية للانتفاضة، 25يناير ،2013 وهو نفس اليوم الذي قام فيه مهاجمون آخرون بإحراق أو نهب مكاتب الإخوان في السويس والإسماعيلية. وفي السويس، أضرم متظاهرون مناهضون لمرسي النار في المقر الحكومي بالمحافظة. وقتل سبعة مدنيين ورجلي شرطة في قتال خارج المبنى.

وبدا قادة الإخوان مثيرين للشفقة. ليلة واحدة رعاع من

اقتحم المتظاهرون المناهضون للإسلاميين المقر الرئيسي لجماعة الإخوان المسلمين، وعندما وصلت إلى هناك، كانت نيران صغيرة مصنوعة من كتب وأوراق كبار قادة الإخوان مشتعلة في الشوارع.

وقال المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين، محمد بديع، في مؤتمر صحفي في اليوم التالي: "اغضبوا منا كما شئتم، واكرهونا كما شئتم، ولكننا نقول لكم كونوا عقلانيين".

"احمي مصر. وحدة مصر لا يمكنها أن تصمد أمام ما يحدث الآن".

لقد دمّر المتسللون حتى نباتاته المنزلية. "ماذا فعلت النباتات حتى تمزق وتقطع؟" سأل. وهز رأسه موافقا على نظريات المؤامرة حول سلطته على القصر الرئاسي. "هل هذا هو الرجل الذي يحكم مصر، الرجل الذي لا يستطيع حماية مكتبه؟"

...

ت

كما اندلعت التوترات بين المسلمين والمسيحيين. شخص ما في

وقامت مدينة الخصوص، شمال القاهرة، برسم صليب معقوف باللون الأحمر

على جدار المعهد الإسلامي. أو ربما تشاجرت عائلات مسلمة ومسيحية في مباراة كرة قدم للأطفال. وتنوعت التفسيرات. ولكن بعد ظهر يوم الجمعة 5أبريل، اندلعت أعمال عنف في المدينة. وصلت الشرطة متأخرة أكثر من ساعتين ولم تفعل الكثير لوقف ذلك. وقتل في القتال أربعة مسيحيين ومسلم.

لقد أصر مبارك دائما على أن العداء الطائفي كان غريبا على مصر، وألقى باللوم على أطراف ثالثة غامضة في أي صراع من هذا القبيل. مرسي في

الأقل الاعتراف بالمشكلة. في صيف عام 2012، اندلعت اشتباكات في دهشور، على بعد حوالي 25 ميلاً جنوب القاهرة، بسبب حرق قميص مسلم في مغسلة يملكها مسيحي.

قام حشد من المسلمين بطرد العائلات المسيحية من المدينة.

أرسل مرسي مستشاره القانوني للقاء العائلات المسيحية، وأمر النائب العام بالتحقيق دون تحيز، وأمر بتعويض نقدي للعائلات المسيحية المتضررة.

عاد الجميع تقريبًا إلى منازلهم.

ومع ذلك، أصبح المناخ أكثر عدائية تجاه المسيحيين منذ الإطاحة بمبارك. وغني عن القول أن الحزب السياسي المهيمن، الذي يرعاه الإخوان، يضم مسيحيين رمزيين فقط. أطلقت الشبكات الفضائية السلفية المتشددة العنان لسيل من الخطابات المناهضة للمسيحية. وفي أعقاب مرسوم عيد الشكر الذي أصدره مرسي، والذي شهد حالة من الاستقطاب، وصم الإسلاميون خصومهم السياسيين بأنهم "صليبيون" مسيحيون. ارتفع عدد الدعاوى القضائية التي تتهم المسيحيين بإهانة الإسلام -وهي جريمة منذ ما قبل مبارك- من ثلاث في عام 2011 إلى اثنتي عشرة في عام 2012 وثلاثة عشر في عام 2013. وكانت هذه الدعاوى القضائية في أغلب الأحيان تقريباً بسبب شكاوى من أفراد ربما لم يجرؤوا على لفت الانتباه في عهد مبارك؛ وعادة ما تنتهي مطالباتهم بالرفض، ولكن فقط بعد المحن القانونية للمتهمين.

لكن بعض الأنماط كانت غير بديهية. لقد انخفض معدل العنف ضد المسيحيين –الهجمات الطائفية على المسيحيين أو الكنائس أو الممتلكات المملوكة للمسيحيين، سواء من قبل المدنيين أو قوات الأمن– في عهد مرسي مقارنة بالأشهر الثمانية عشر السابقة تحت الحكم العسكري. قال لي إسحاق إبراهيم، الباحث في المبادرة المصرية للحقوق الشخصية الذي تابع الأحداث: "إذا قارنت عدد الهجمات وحجمها، فمن المؤكد أنها كانت أسوأ في ظل المجلس العسكري مما كانت عليه في عهد مرسي".

وكان الفارق لصالح مرسي بشكل أكثر وضوحا إذا كانت الحصيلة تشمل المذبحة التي راح ضحيتها أكثر من عشرين مسيحيا على يد جنود خارج مبنى ماسبيرو -وهي أعنف حادثة إراقة دماء طائفية يمكن لأي شخص أن يتذكرها. لكن رمزية أعمال العنف التي أعقبت مقتل المسيحيين الأربعة في الخصوص، في 5 أبريل/نيسان، طغت على ماسبيرو.

وأقيمت الجنازة بعد يومين، بعد ظهر الأحد، بالكاتدرائية المرقسية بالعباسية –النظير القبطي للبازيليكا.

القديس بطرس في روما. وخرج المشيعون من القداس وهم يهتفون: "بالدم وأرواحنا نفدي من أجل الصليب".

نصبت عصابة من الرجال –من الحي على ما يبدو –كمينًا
وقام الموكب برشق المسيحيين بالحجارة والعصي. وكان زميلي كريم فهيم قد حضر الجنازة واتصل بي من الحرم.
وانسحب المشيعون إلى الداخل. كانت الكاتدرائية تحت الحصار.

عندما وصلت، وجدت عناصر من شرطة مكافحة الشغب، يرتدون دروعًا سوداء، يقفون جنبًا إلى جنب مع المهاجمين المدنيين. وكان الضباط يطلقون الغاز المسيل للدموع وطلقات الخرطوش باتجاه الكاتدرائية بينما قام المدنيون الواقفون معهم بإلقاء الحجارة وزجاجات المولوتوف في نفس الاتجاه. وقام البعض بحركات يد بذيئة تتضمن إشارة الصليب.

وتدفق العشرات من المسيحيين للدفاع عن الكاتدرائية،
يرفعون أكمامهم عند المدخل ليظهروا وشمًا متقاطعًا على معصميهم. وسقطت قنابل الغاز المسيل للدموع على المقاعد. غطت الأبخرة الضارة الزجاج الملون.

ورد الشباب على أسطح المنازل بإطلاق النار بشظايا الطوب أو
قنابل الغاز. ورأى كريم اثنين على الأقل من المسيحيين يطلقون النار من مسدسات محلية الصنع. وقتل مسيحيان آخران على الأقل في القتال.

ومع ذلك، ألقت وزارة الداخلية اللوم على المسيحيين في كل ذلك.
وقالت الوزارة في بيان صدر خلال الاشتباكات، إن "بعض المشيعين قاموا بتخريب عدد من السيارات، ما أدى إلى وقوع اشتباكات واشتباكات مع أهالي المنطقة". وكانت الشرطة "تفصل بين الأطراف المتصارعة".

وبعد سنوات، سألت منظمًا مسيحيًا كان يعمل في ذلك الوقت مع جبهة الإنقاذ الوطني المناهضة لمرسي،
إذا كانت وزارة الداخلية قد ساعدت قضيتهم على الإطلاق.

"كان الهجوم على الكاتدرائية القبطية مفيدًا للغاية!" منظم
قال. ولم يكن الأمر أن أي شخص في الوزارة هو من قام بتدبير الهجوم الأولي أو أمر الشرطة بالانضمام إليه؛ وكان السكان المحليون وشرطة مكافحة الشغب قادرين على القيام بذلك بمفردهم. وأوضح المنظم أن المسيحيين رأوا تحذيرا واضحا. «انظر ماذا سيحدث إذا كان وزير الداخلية متحالفًا مع الإخوان المسلمين؟»

وكان الظلام قد حل عندما تحدث مرسي. "أنا أعتبر أي

وقال: "العدوان على الكاتدرائية عدوان علي شخصياً". واتصل بالبابا تواضروس الثاني وأمر بإجراء تحقيق.

وألقى البابا باللوم على مرسي. وقال البابا في مقابلة تلفزيونية بعد يومين إن "مشاعر" الرئيس "ليست كافية على الإطلاق". وأضاف: "هذا التقاعس مهين لمصر ولصورة الدولة".

...

ت

كانت الأشهر الدافئة في القاهرة قد بدأت للتو. ذروة الهواء الصيفي-

أدى موسم التكييف إلى انقطاع التيار الكهربائي من حين لآخر

كل عام منذ وصولي. كانت الأضواء تعود عادة خلال أقل من ساعة، على الأقل في الحي الغني الذي نعيش فيه. لكن في أبريل 2013، كانت حالات انقطاع التيار الكهربائي تزداد سوءًا أسبوعًا تلو الآخر. انقطعت الكهرباء عدة مرات في اليوم، وفي نهاية المطاف لساعات طويلة، حتى في المعادي. قام أبناؤنا بواجباتهم المدرسية باستخدام مصباح يدوي. استخدمنا أجهزة iPhone لتشغيل الكتب الصوتية للأولاد في الظلام كقصص ما قبل النوم.

لقد أوقفت السيارة عن العمل، وقمت بتوصيل جهاز كمبيوتر محمول بولاعة السجائر، وقمت بتسجيل المقالات من مقعد الراكب في وقت متأخر من الليل. لقد قمنا أخيرًا بتركيب بطارية صناعية لإبقاء بعض الأضواء مضاءة.

لكن الوقود أصبح يمثل مشكلة أكبر. امتدت خطوط الغاز لأميال وساحات المدينة المسدودة. (يمتلك الجيش محطات وقود تجارية خاصة به، والتي كانت دائمًا آخر من ينفد). وقد سمحت لنا صحيفة نيويورك تايمز بشراء مولد كهربائي خاص بنا، مثل المكاتب في بغداد ومناطق الحرب الأخرى. لكنني تساءلت كيف سنحصل على الوقود لتشغيله. وبطبيعة الحال، كان الوضع أسوأ بكثير في الأحياء الفقيرة.

وانهارت السياحة، وهي مصدر مهم للعملة الصعبة، مع الإطاحة بمبارك. وانخفضت احتياطيات البنك المركزي بمقدار النصف منذ عام 2010. وانخفض الجنيه المصري إلى ما يقرب من سبعة جنيهات مقابل الدولار في ذلك الربيع، منخفضًا من حوالي خمسة جنيهات في عام 2010. وكان التضخم والبطالة يرتفعان بسرعة. وكان الدبلوماسيون الغربيون يشعرون بالقلق سراً بشأن واردات القمح اللازمة لتوفير الخبز المدعوم الذي يعيل ما لا يقل عن ستة عشر مليون أسرة.

وذكرت الصحف (بشكل غير دقيق) أن مرسي يعتزم تقنين الحصص
الخبز. وتظاهر العشرات من الخبازين وسط المدينة وأوقفوا حركة المرور. وكانت المرة الأخيرة التي خفضت فيها مصر دعم الخبز في
عام ،1977في عهد السادات. وأدت أعمال الشغب إلى ركوع حكومته.

عندما اتصلت، دعاني متحدث جديد باسم وزارة التموين –وهو من جماعة الإخوان المسلمين يدعى ناصر الفراش –إلى مكتبه
الواقع في كومة خرسانية ذات مظهر سوفياتي ليست بعيدة عن البرلمان. وقال إن الحكومة تطرح نظام "البطاقات الذكية" المحوسبة
لتتبع توزيع الوقود والدقيق من أجل خفض مبيعات السوق السوداء. وكان الخبازون يحتجون لأنهم اعتادوا على إعادة بيع الدقيق المدعوم
بسعر أعلى. وأضاف: "الخبازون يريدون الاستمرار بالنظام القديم لأنه أفضل لهم، لكنه غير قانوني".

لكن نقص الوقود كان بمثابة مأزق. وكانت مصر تستورد
بنفس القدر من الوقود الذي كان عليه في عام 2010ولم ينمو الاقتصاد إلا بصعوبة. فلماذا هذا النقص؟ وزعم فراش أن المزارعين
الخائفين كانوا يملؤون حظائرهم بالوقود المكتنز. "هل سمعت عن الحمار الذي شرب المازوت ومات؟" وأصر على أن أولئك الذين
يقولون إن مصر لا تستطيع توفير ما يكفي من الوقود "يحاولون إثارة المشاكل للدكتور مرسي". "إنهم ضد الثورة"

لقد رأيت شاحنات الصهاريج تنطلق على الطريق السريع وتبيعها
الديزل قبل أن يصل إلى محطة الوقود. لكنني شككت في أن التربح وجنون العظمة يمكن أن يفسرا الأزمة. اعتقدت في ذلك الوقت أن
المسؤولية توقفت عند مرسي.

واستمرت المظاهرات ضده طوال فصل الربيع. وكان المتظاهرون والشرطة ما زالوا يمزقون شوارع المدينة من أجل رمي الطوب
على بعضهم البعض. واشتكى المدافعون عن حقوق الإنسان من استئناف التقارير عن انتهاكات الشرطة ووفاة السجناء في الحجز.
أخبرني العديد من المتظاهرين في الشوارع أن السلوك السيئ للشرطة كان السبب الرئيسي لمشكلتهم مع مرسي. لماذا لا تزال الشرطة
تهاجم المظاهرات؟ لماذا فشلوا في حماية النساء أو المسيحيين، أو في القيام بشيء حيال الفساد المزعوم الذي يستنزف إمدادات
الوقود والطحين؟ ولماذا احتضن مرسي الشرطة علناً إلى هذا الحد ما لم يكن متحالفاً معهم؟

«إنهم يحاولون بناء نظام جديد مثل النظام القديم تماماً، بكل عيوبه» محمد مقبل، فنان ثلاثيني

أخبرني طالب ومحتج مخضرم في ذلك الربيع، وهو يحتسي القهوة التركية في مقهى متطفل على الفن تحت مظلة في زقاق بوسط المدينة.

وقال: "مهاجمة الشرطة للمحتجين هو ما يسبب الفوضى"، مذكّراً بأن شرطة مكافحة الشغب كانت تتمتع بميزة الدروع والخوذات والدروع. "حتى بسبب زجاجات المولوتوف، لم يمت ضابط شرطة واحد. لا نريد أن نحرق مكانا سينتهي بنا الأمر بدفع أموال لإعادة بنائه".

رن هاتفه المحمول. وأفاد موقع تويتر بوقوع اشتباك آخر مع الشرطة بالقرب من القصر الرئاسي. عندما خرجنا من سيارة أجرة هناك معًا، أخرج من حقيبة ظهره زوجًا من القفازات المتفحمة المقاومة للحريق، وقناعًا للغاز، وسترة سميكة بغطاء رأس.

كان مئات المتظاهرين يفرون باتجاهنا أمام زوج من مركبات الشرطة المدرعة. ركض مقبل ضد الحشود الهاربة ومباشرة نحو ناقلات الجنود المدرعة القادمة. وأمسك بقنابل الغاز المسيل للدموع المدخنة وأعادها إلى صفوف الشرطة. لقد أصبح إلقاء الغاز المسيل للدموع هو مهنته الآن، وقد استمر في ذلك لساعات. ومهما كانت نوايا الشرطة، فإن تكتيكاتها البلطجية وغير الفعالة أبقت الاحتجاجات على نار هادئة.

تم تحديد حكم قضائي آخر في قضية أعمال الشغب في مباراة كرة القدم في بورسعيد في 9مارس/آذار، وهذه المرة، وصل جنرال بالجيش قبل يوم واحد من صدور الحكم. وحث حشد مبتهج الجنرال على تولي المسؤولية.

"ماذا تنتظر يا سيدي؟" صاح العديد.

ورحبت اللافتات المصنوعة يدويا بالجيش، وعلق الجنود لافتات خاصة بهم، ونأوا بأنفسهم عن الشرطة. القوات المسلحة تشارك الأهالي حزنهم على شهداء بورسعيد .

وبدا أن جنرالات المجلس العسكري يقفون أكثر من مرسي من الشرطة.

وقام اللواء أحمد وصفي في بورسعيد بتعيين متطوعين مدنيين للعمل على عملية التنظيف. وقال وسط التصفيق: "أريد أن تبدو بورسعيد جميلة مثل العروس الليلة". "يجب ألا تغلق المتاجر. يجب أن يعود الناس والأعراس. يجب أن يعود العمل الطبيعي. يجب أن يرى الناس ما هي بورسعيد".

عدنا أنا ومي إلى بورسعيد في الوقت المناسب لصدور حكم 9مارس/آذار
في قضية الشغب، وأيدت محكمة القاهرة نفسها أحكام الإعدام الأصلية، وحكمت على عشرين آخرين بالسجن. لكن هذه المرة كان رجال الشرطة قد فروا مقدمًا، وخلعوا زيهم الرسمي

ترك محطاتهم ولم نجد سوى شرطي واحد، هو الملازم محمد جمال، مختبئًا بملابس مدنية داخل مركزه الفارغ.

وقال لنا: "لقد سئمنا مواجهة الناس".
وشاهد الجنود بشكل سلبي مثيري الشغب وهم يحرقون الإطارات بالقرب من المكان الفارغ
الميناء، ولدهشتي، ربط المدنيون أيديهم لحماية الجنود من المواطنين الغاضبين. وهتفوا "الجيش والشعب يد واحدة".

"نحن نطالب بالانقلاب!" سيدة واحدة هي فاطمة النبوي.
أخبرتنا ربة منزل تبلغ من العمر أربعين عامًا. أومأ آخرون من حولها.
"الحكم العسكري كان سيئاً، لكنه سيكون أفضل"، رجل في الخمسين من عمره
وافق أحمد عبد الفتاح. "أين الدولة؟ أين وزارة الداخلية يا الحكومة؟ وأضاف: "يجب أن يتولى الجيش المسؤولية حتى تصبح الشرطة جاهزة".

وفي بورسعيد، حدث بالفعل انقلاب عسكري.

18
المنظر من الغرب

12مارس 24 – 2013أبريل 2013



وبعد فترة طويلة من تنصيب مرسي، في صيف عام 2012، التقى سفير الإمارات العربية المتحدة يوسف العتيبة مع بن رودس على الغداء في مطعم Founding Farmers، وهو مطعم عصري ليس بعيدًا عن وزارة الخارجية.

كان العتيبة نجل رجل أعمال ثري وذو علاقات جيدة، وكان أول وزير للنفط في دولة الإمارات العربية المتحدة. كان لوالده أربع زوجات وله العديد من الأطفال، وكانت والدة يوسف مصرية قامت بتربيته في القاهرة. ولد في مصر.

تزوج من مصرية. وكان يقول في كثير من الأحيان إنه يفهم المصريين بطريقة لم يتمكن الأمريكيون أو الأوروبيون من فهمها.

بدا العتيبة وكأنه أمريكي. وكان قد حضر

المدرسة الثانوية الأمريكية في مصر بالمعادي، وأثناء وجوده هناك حصل على إرشاد سفير الولايات المتحدة في مصر آنذاك، فرانك ويزنر. شجع ويزنر العتيبة على الذهاب إلى جورج تاون. وأعادته الإمارات فيما بعد إلى جامعة الدفاع الوطني. ثم تلقى المزيد من الدروس الخصوصية في أساليب التعامل مع واشنطن على يد ستيفن سايمون من موظفي مجلس الأمن القومي التابع لأوباما. كان سايمون يعمل في شركة استشارية لتدريب المسؤولين الإماراتيين خلال فترة راحة في خدمته الحكومية.

وفي الثامنة والثلاثين، حلق العتيبة لحيته ورأسه، وتمرن

كل يوم في صالة الألعاب الرياضية، ويفضل البدلات الخالية من العيوب (على الرغم من أنه كان يرتدي أحيانًا ثوبًا أبيض ليبدو إماراتيًا). عاش في قصر على ضفاف نهر بوتوماك في فرجينيا، واستأجر وولفغانغ باك لطهي الطعام لحفلات العشاء الخاصة به، وحافظ على عائلة أسطورية.

جمع النبيذ. أطلق عليه الكثيرون في واشنطن لقب "أخي طيبة" بسبب أسلوبه الفريد من نوعه.

ومن بين السفراء الأجانب في واشنطن، كانت علاقاته لا مثيل لها تقريبًا. وقد وصف الجنرال ماتيس فيما بعد العتيبة بأنه "صديق وحليف هائل خلال بعض الأوقات الصعبة للغاية".

كان مايكل موريل، القائم بأعمال مدير وكالة المخابرات المركزية، قريبًا بدرجة كافية من العتيبة لدرجة أنه كان يمر بقصره عرضيًا لتناول كأس من النبيذ من وقت لآخر. قال ريتشارد بور، الرئيس الجمهوري للجنة الاستخبارات بمجلس الشيوخ، لصحيفة هافينغتون بوست ذات مرة: "ربما قضيت وقتًا أطول مع يوسف مما أمضيته مع أي شخص آخر".

ورفع العتيبة إنفاق الإمارات على جماعات الضغط في واشنطن أعلى من إنفاق أي دولة أخرى، ليصل إلى 14مليون دولار سنوياً.

وتبرع لمراكز بحثية مثل مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ومعهد الشرق الأوسط. لقد أعلن بكثافة في أماكن مؤثرة مثل مجلة فورين بوليسي أو نشرات بوليتيكو الإخبارية. وقام بضخ الأموال في جمعيات خيرية رفيعة المستوى، بما في ذلك التبرع بمبلغ 150مليون دولار لجناح جراحة الأطفال في المركز الطبي الوطني للأطفال في واشنطن و3 ملايين دولار لمؤسسة كلينتون. حفل استضافه لمعهد السرطان في نيويورك تميز بعروض بيونسيه وأليسيا كيز ولوداكريس.

ولم يكن سراً في واشنطن أن "مصدراً عربياً" أو "دبلوماسياً عربياً" مجهولاً في إحدى الصحف أو المجلات كان دائماً تقريباً العتيبة (على الرغم من أنه لم يوافق أبداً على التحدث معي). وكان هو ونظيره السعودي السفير عادل الجبير -وهو رجل آخر لطيف وكريم -من الشخصيات الثابتة الفريدة في واشنطن، حيث تجاوزا أدوار مجرد مبعوثين. قال الجنرال ماتيس ذات مرة: "كان عادل دائمًا أحد أفضل مستشاري". وكان العتيبة، على وجه الخصوص، أحد السفراء الأجانب القلائل الذين تمت دعوتهم لحضور اجتماعات سرية داخل البنتاغون لمناقشة الإستراتيجية في المنطقة.

تعجب بن رودس من فعاليتها. "يوسف وعادل

لقد اكتسبوا هذه المكانة في واشنطن حيث لا يُنظر إليهم على أنهم ممثلون لحكومات أجنبية؛ وقال لي لاحقاً: "يُنظر إليهم على أنهم مستشارون في قضايا الشرق الأوسط". "لديهم أسلوب مميز للغاية

نزع السلاح، وكأنهم يخبرونك بشيء تحتاج حقًا إلى معرفته، لمصلحتك الخاصة.

وربما كان العتيبة الخصم الأكثر نشاطا في واشنطن لمرسي وجماعة الإخوان المسلمين. وكانت الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية قد عارضتا بشدة انتفاضات الربيع العربي وجماعة الإخوان المسلمين. وكان للحركة أتباع في كلا البلدين، وكانت فكرتها القائلة بأن الإسلام قد يتطلب إجراء انتخابات بمثابة تهديد فريد لممالك الخليج الفارسي. وبمساعدة الجبير، كان العتيبة يروج للخط القائل بأن الولايات المتحدة قد خانت حلفائها بإطاحة مبارك.

وقال العتيبة لرودس إن جماعة الإخوان المسلمين بطبيعتها معادية للديمقراطية، بغض النظر عما يقوله قادتها وبغض النظر عن عدد الانتخابات التي فازوا بها. ولم تترك أيديولوجيتها الإسلامية أي مجال للدول القومية أو الحدود. لقد شكلت تهديدًا وجوديًا لدولة الإمارات العربية المتحدة وكل حليف أمريكي آخر في المنطقة. ويجب أن يكون رفضها حجر الأساس لسياسة واشنطن تجاه مصر. وأصر على أنك لا تعرف هؤلاء الناس.

ربما، أخبره رودس. لكن الناخبين المصريين يمكنهم انتخاب رئيس جديد
البرلمان ويطرد مرسي والإخوان المسلمين في نهاية فترة ولايته.

وتوقع العتيبة: "لا أعتقد أنها ستصمد كل هذه المدة".
وبحلول أبريل/نيسان ،2013كانت شبكة "سكاي نيوز عربية" الفضائية ومقرها الإمارات، وقناة "العربية" السعودية، ووسائل إعلام مصرية أخرى مرتبطة بالإمارات، تهاجم مؤامرة أمريكية مفترضة لجلب الإخوان إلى السلطة، بقيادة السفير باترسون.

وامتلأت الشبكات الفضائية الخليجية باتهامات بأنها "خادمة" للإخوان أو "عجوز شمطاء" أو "غولة". وزعموا أنها ضغطت على الحكومة المصرية لتزوير الانتخابات لصالح مرسي، ثم دفعت مؤسساتها إلى الخضوع له، وكل ذلك في خدمة المؤامرة الأمريكية الأكبر لإضعاف مصر. لقد كانت مؤامرة لصالح إسرائيل بالطبع.

قال لي رودس في وقت لاحق: "لقد أداروا في الأساس خطة لتشويه سمعة أي حكومة مصرية غير عسكرية، وتشويه سمعة سفيرنا، وتشويه سمعة سياستنا". "قام حلفاء الولايات المتحدة بتمويل حملة تشويه ضد سفير الولايات المتحدة في بلد يعد أحد أكبر المستفيدين من المساعدات الأمريكية، من أجل

إسقاط الحكومة المنتخبة ديمقراطيا في ذلك البلد. لقد كان أمراً استثنائياً، حقاً. . . . مستمر ومتواصل وفعال."

عرف باترسون أن مرسي كان غير كفؤ سياسيا، ومربكا في الاجتماعات، ويائسا كخطيب، وغير مجهز للسلطة. ولكنها، مثل أوباما، رأت في رئيس منتخب (مرسي) أفضل فرصة لتحقيق الاستقرار على المدى الطويل: حكومة أكثر استجابة تعتمد على التداول السلمي للسلطة. وفي اجتماع في القصر الرئاسي في مارس/آذار، حذرت باترسون اثنين من مستشاري مرسي للسياسة الخارجية من أن محمد بن زايد، أمير الإمارات، يقود حملة للضغط من أجل انقلاب عسكري لإطاحة مرسي. قالت لهم: "لكن هذا عصر قد ولى". وقال دبلوماسيون أميركيون كبار في القاهرة للصحفيين الغربيين في مؤتمر صحفي في الشهر نفسه، مارس/آذار، إن التدخل العسكري "غير محتمل على الإطلاق".

المحادثات المستمرة بين المصريين والأمريكيين

ومع ذلك، تحول ضباط الجيش سريعًا إلى "جلسات عاهرة" متبادلة حول حكومة مرسي، كما أخبرني العديد من الأمريكيين المشاركين لاحقًا.

وكان الجنرال ماتيس من القيادة المركزية -الذي كان لا يزال يعتقد أن جماعة الإخوان المسلمين وتنظيم القاعدة "يسبحان في نفس البحر" -قد سافر جواً إلى القاهرة في فبراير/شباط للقاء السيسي والتأكيد على التزام واشنطن بالتحالف العسكري المصري.

وشرح ماتيس لاحقا وجهة نظره بشأن الأزمة في مصر في الربيع

عام 2013لجمهور من الصحفيين والمثقفين وصانعي السياسات في أسبن بولاية كولورادو: "ما حدث هو مرسي".

وقال ماتيس إن مرسي أثار "الانقسام"، وادعى، بشكل غير صحيح، أن دستور 2012الذي دعمه مرسي "تم رفضه على الفور من قبل أكثر من ستين بالمائة من الشعب". (في الواقع، وافق عليه حوالي ثلثي الناخبين). لدينا أناس هناك لا يتحلون بالصبر مع القيادة المستبدة. . . . لقد صنع الإخوان المسلمون مشاكلهم بأنفسهم".

كان الجنرال مايكل فلين مديرا لوكالة استخبارات الدفاع الأميركية في ذلك الربيع، وكان صريحا مثل ماتيس بشأن اقتناعه بأن جماعة الإخوان المسلمين هي في الواقع تنظيم القاعدة.

(في وقت لاحق، قام أوباما بطرد فلين بسبب إدارته للوكالة، واكتسب سمعة سيئة خلال فترة قصيرة كمستشار للأمن القومي للولايات المتحدة).

الرئيس دونالد جيه ترامب، إلى جانب ماتيس كوزير للدفاع.) قال لي فلين عندما التقيته في عام 2016: "إنها الأيديولوجية نفسها".

وكان فلين قد وصف الإسلام علناً بأنه "سرطان" و"أيديولوجية سياسية" وليس ديناً. كانت الزينة الوحيدة في مكتبه في أرلينغتون بولاية فيرجينيا في منتصف عام 2016 عبارة عن صليب خشبي بارتفاع قدم على مكتبه بدا مفيدًا لمحاربة مصاصي الدماء، وحذرني بشدة من أن الإخوان المسلمين قد تسللوا إلى واشنطن. واقترح علي أن كلاً من الرئيس أوباما والسفير باترسون قريبان بشكل خطير من الإسلاميين.

"أود أن أسأل زعيم جماعة الإخوان المسلمين اليوم –أياً كان ذلك الشخص وأينما كان ذلك الشخص– لماذا لا تتنصل من تنظيم الدولة الإسلامية ومن هذه الهجمات؟ وإذا كانوا يتنصلون من هذه الأفكار المتطرفة، فأين هم ولماذا لا يقولون ذلك؟

لقد صدمت من معلوماته الخاطئة. على الرغم من كل أخطائها، كانت جماعة الإخوان المسلمين تدين باستمرار وبصوت عال العنف الإرهابي لعقود من الزمن؛ ولم يتعب تنظيم القاعدة والدولة الإسلامية قط من انتقاد جماعة الإخوان المسلمين بسبب سذاجة إيمانها بالانتخابات.

كان فلين ضابط مخابرات في القيادة المركزية وعمل بشكل وثيق مع الجنرال السيسي. قال فلين: "كانت لدي علاقة ممتازة مع السيسي". "لقد وجدت أن السيسي رجل جيد جدًا؛ اثنان، قائد قوي؛ والثالث، علماني جدًا، إذا صح التعبير.»

وبحلول عام 2013، كان فلين أيضًا على علاقة بخليفة السيسي كرئيس للمخابرات العسكرية، اللواء محمود حجازي (الذي كان مرتبطًا بالسيسي من خلال زواج أبنائهما). وقال فلين إن حجازي "كان رجلاً قوياً، ومسلماً علمانياً آخر، وفعالاً للغاية". كان يتحدث مرة واحدة على الأقل في الأسبوع مع الملحق العسكري المصري في واشنطن، اللواء محمد الكشكي، الذي كان مقربًا من كل من السيسي وحجازي (عرفت كشكي لاحقًا عندما كنت مساعدًا لوزير الدفاع في القاهرة، حيث هدد ذات مرة مازحًا بإيقافه). تم اعتقالي أنا ومي بسبب تقاريرنا).

وعندما عاد فلين إلى القاهرة في ربيع ذلك العام، رحب به الجنرالات المصريون باعتباره صديقًا قديمًا، ونظموا له «يومًا ثقافيًا» لزيارة الأهرامات. وأثناء الغداء، رسم فلين ونظيره المصري خريطة للتهديدات الإسلامية التي رأوها في جميع أنحاء مصر.

أخبرني فلين أنه لم يتوقع سوى المتاعب من مرسي. "أنا
اعتقدت أن ما سنراه هو استيلاء الإخوان المسلمين على البلاد، وإنشاء دولة إسلامية متطرفة في مصر.
وقال إنه ترك اجتماعه مع الجنرالات المصريين مقتنعا بأن جماعة الإخوان المسلمين ستتولى وزارة
الداخلية. وبعد ذلك، "في بلد مثل مصر، من الصعب جدًا إخراجهم، لأنهم بعد ذلك يصبحون أيديهم في
كل جزء من الحكومة".

كل هذا كان خيالاً بالطبع. لكن بماذا نصح فلين
ماذا يفعل الجنرالات المصريون تجاه مشكلة محمد مرسي؟
وتجاوز فلين قائلا فقط إنه يسعى للحصول على معلومات.
هل كان الإخوان المسلمون سيستمرون؟ هل تم توحيدهم؟ ما الأشياء الأخرى التي كانوا يفعلونها في
الجوانب الأخرى لحكومتهم؟ ماذا كان يفعل الجيش؟ كيف كان رد الجيش؟"

سألت مرة أخرى ما نصحهم. "يجب أن أكون حذراً هنا"
قال فلين ببطء أكثر. "سأقول فقط أن التوترات كانت موجودة."
أصبحت الانقسامات داخل الحكومة الأمريكية واضحة للدبلوماسيين والجنود في جميع أنحاء المنطقة.
وكان أوباما وجزء من البيت الأبيض يأملون في نجاح مرسي. واتفق كثيرون في البنتاغون، مثل ماتيس
وفلين، مع نظرائهم المصريين والإماراتيين على أن مرسي يشكل خطرا. لقد كان الفصام الأمريكي واضحا إلى
درجة أن الجنرالات المصريين اشتكوا منه أمام معارفهم في البنتاغون.

"كان من الواضح جدًا للمصريين أن لدينا سياسة منقسمة
وقال لي مات سبنس، نائب مساعد وزير الدفاع لسياسة الشرق الأوسط آنذاك، في وقت لاحق: "سنسمع
ذلك منهم".
"كنا نسمع من محاورينا المصريين أنهم يشعرون بالإحباط من البيت الأبيض ووزارة الخارجية، وكان
المصريون ينادونهم بالاسم".

لكنه أصيب بالذهول عندما أخبرته أن فلين كان يزور القاهرة أيضًا ويجتمع مع الجنرالات. وقال سبنس
وهو يهز رأسه: "كان هناك الكثير من الممثلين والوكالات في الحكومة الأمريكية يتحدثون مع المصريين
بطرق لم نكن على علم بها".

...

وصل جون كيري إلى القاهرة في أول زيارة له كوزير للخارجية

في الثاني من مارس/آذار، فيما بدا أنه كان نقطة تحول.

كان كيري يفتخر بصداقاته في جميع أنحاء الشرق الأوسط

لقد تراكم خلال السنوات التي قضاها في مجلس الشيوخ. وفي مصر، كان مقرباً بشكل خاص من البرادعي، وكثيراً ما كان يزور منزله في الجيزة، ومن عمرو موسى، وزير الخارجية السابق والمرشح الرئاسي الذي أصبح أيضاً زعيماً للتحالف ضد مرسي. وقد أقام وزير الخارجية الجديد علاقات اجتماعية لسنوات مع الدبلوماسيين وأمراء دول الخليج الفارسي، بما في ذلك السفير العتيبة وولي العهد محمد بن زايد. قال لي كيري لاحقاً في محادثة أجريت معه في قصره في بيكون هيل في بوسطن: «أنا صديق للعصابة بأكملها». "أنا أحب علاقتي معهم وأعتقد أنهم أذكياء للغاية."

وجاء كيري إلى القاهرة لدفع مرسي نحو الإصلاحات الاقتصادية

مثل خفض دعم الغذاء والوقود وتقليص الرواتب العامة المتضخمة. (أحد أسباب النقص والاكتناز والسوق السوداء للوقود هو أن الحكومة دعمت السعر الرسمي بشكل كبير لدرجة أنني أستطيع ملء سيارتي ذات الدفع الرباعي بأقل من اثني عشر دولارًا، في حين أن تسعة من كل عشرة مصريين لا يستطيعون شراء سيارة). كانت التخفيضات كلها جزءًا من صفقة مقترحة للحصول على قرض بقيمة 4.8مليار دولار مطلوب بشدة من صندوق النقد الدولي.

بدا خفض الوظائف والدعم في نظر مرسي وكأنه انتحار سياسي.

مع الكثير من الاضطرابات في الشوارع وعدم وجود برلمان لتقاسم المسؤولية. وبعد الإطاحة بمبارك، قامت جماعة الإخوان المسلمين بتعيين خبير الاقتصاد البيروفي الحائز على جوائز هيرناندو دي سوتو كمستشار، وقد أخبر الإخوان أن مصر قادرة على تحقيق النمو من خلال تنظيم المزيد من اقتصادها غير الرسمي الضخم غير الرسمي. لكن كيري لم يفهم السبب وراء استمرار مرسي في الحديث عن "اقتصاد مصر" وكأنه لا يدرك خطورة المشاكل.

وقال كيري لرئيس مكتبه لدى مغادرتهم مكتب مرسي: "إنه أغبى قرقر قابلته في حياتي". "هذا لن ينجح. هؤلاء الرجال حمقى."

لقد بدأ مرسي والإخوان "بإزالة القشرة

"الديمقراطية"، قال لي كيري في وقت لاحق، في إشارة إلى مرسوم عيد الشكر الذي أصدره مرسي. "هذا هو المكان الذي قلنا فيه للتو: "هذه الرائحة الكريهة، هذه".

الرجال لا يفعلون أي شيء بناء، وفي النهاية سيكونون مناهضين للديمقراطية».

ومن جانبه، أعرب مرسي عن استيائه من رغبة كيري في أن يلتقي بصديقه تيم كولينز، الملياردير الذي كان يدير شركة الأسهم الخاصة "ريبلوود هولدينجز" وقام بأعمال تجارية واسعة النطاق مع الإماراتيين. واقترح كيري أن يقدم كولينز المشورة الاقتصادية ويجلب الاستثمارات. اعتقد مرسي أن ذلك يبدو وكأنه رأسمالية المحسوبية على طراز مبارك. كان لديه مستشار للسياسة الخارجية يتولى الاجتماع.

ثم التقى كيري بشكل منفصل مع الفريق السيسي. لقد بدا قلقا للغاية.

وقال السيسي لكيري: "لن أترك بلدي يغرق في البالوعة".
"ماذا تقصد؟" سأل كيري.
ورد السيسي: "فقط خذ كلامي".
وقال كيري للسيسي دون أن يضغط أكثر: "هذا وقت خطير".

كان يعلم حينها أن «مرسي تم طهيه»، كما أخبرني كيري لاحقاً:
وكان السيسي على استعداد للتدخل. وشعر كيري بالارتياح جزئيا.
وقال: "كان من المطمئن أن مصر لن تسقط في حرب أهلية أو مذبحة كاملة للشعب أو انفجار داخلي".
"لكن الأمر كان مقلقاً فيما يتعلق بكيفية تطور الأمور. ولم أجلس وأفكر: عظيم، مشاكلنا سيتم حلها».

وروى السيسي لاحقًا ذلك في خطاب عام كان قد التقى به في مارس/آذار
مع مسؤول أميركي رفيع المستوى يزور القاهرة، ومن المفترض أن يكون كيري.
يتذكر السيسي قائلاً: "قال لي: من فضلك، يقولون إنك تعرف الواقع هنا، فماذا تنصح؟".

وقال السيسي: "لقد انتهى الوقت" بالنسبة لمرسي. "ليس لدي
المزيد من النصائح لك."
عندما عاد كيري إلى واشنطن، أدلى بشهادته في الكابيتول هيل
وكان تشخيصه قاتما. وقال كيري إن مرسي كان يميل بعيداً عن "الشمول" ويسعى بدلاً من ذلك إلى "توحيد وإقصاء الناس". "إنها علامة استفهام حول ما إذا كانوا سيتخذون الخيارات الصحيحة، ولا يمكنني تأطير الأمر بأي طريقة أخرى." لكنه وصف ما يقرب من 80مليار دولار من المساعدات الأمريكية للجيش المصري على مدى العقود الماضية بأنها "أفضل استثمار قامت به أمريكا منذ سنوات في تلك المنطقة".

كان السفير البريطاني جيمس وات متفائلاً في وقت مبكر بشأن مرسي، وقد أعجب بكفاءة حكومته. لكن وات كان قريبا من الكثيرين في النخبة المصرية المعادية لمرسي، بما في ذلك الزعيمان السياسيان المناهضان للإسلاميين أحمد سعيد وعمرو موسى. بحلول ربيع عام 2013، غيّر أصدقاء وات المصريون وموظفوه رأيه. وبدأ يصف الإخوان المسلمين بأنهم فاسدون وخطرون، بل ومختلون. قال لصديق: "لقد كانوا في أرض الخيال". التقى وات بمستشاري مرسي للمرة الأخيرة في شهر إبريل من ذلك العام.

وتحولت المحادثة إلى مشادة كلامية بشأن مليارات الدولارات التي تدين بها مصر لشركات النفط والغاز البريطانية، وهي قضية طويلة الأمد وتفاقمت بشكل مطرد منذ عام 2011.

كانت آراء وات الجديدة تتعارض مع آراء حكومته. حاول في
عبثًا إقناع رئيس الوزراء ديفيد كاميرون بإلغاء دعوة لمرسي للقيام بزيارة دولة إلى لندن كان من المقرر إجراؤها في ذلك الصيف، وتحدث وات إلى كثيرين في جميع أنحاء القاهرة حول خلافه مع كاميرون. وقال وات لجهات الاتصال في الجيش المصري والمعارضة: "إنني أشعر بقلق بالغ إزاء سوء الإدارة" في عهد مرسي، وأعرب عن قلقه بصوت عالٍ من أن مرسي قد يكون "خارج نطاق الإنقاذ".

قال وات لأحد الجنرالات في ذلك الربيع: "إذا تحركت، فحاول ألا تكون عنيفًا".

وصل وزير الدفاع تشاك هاجل إلى القاهرة في 24 إبريل/نيسان.
وشكل تقييمًا مختلفًا تمامًا لمرسي. لقد تم أمركته. قال هاجل: "لقد قام بالتدريس في كاليفورنيا". "لقد كان على علم جيد."

وعلى عكس كيري، أحضر هاغل السفير باترسون ليجلس فيه
اجتماعه مع السيسي، ولاحظت تغيرا في لهجته: أشار السيسي لأول مرة في جلسة الاستماع إلى أن الجيش يفكر في التدخل للإطاحة بمرسي. كما بدأ جنرال آخر، وهو العصار، يلمح إلى أنه إذا لم يتمكن الأميركيون من السيطرة على مرسي، فقد يضطر الجيش إلى التدخل. والآن، في رسالة بريد إلكتروني مشفرة إلى مجموعة مختارة من القراء، حذر باترسون البيت الأبيض بعبارات واضحة.

قال لي أحد مسؤولي البيت الأبيض، الذي قرأ بريدها الإلكتروني في وقت لاحق: "لقد كانت حاسمة للغاية". وقالت إن الانقلاب، إن لم يكن وشيكاً، سيكون احتمالاً كبيراً في غضون بضعة أشهر. كانت تعرف نغماته وله

ولغة الجسد، ويمكنها أن تعرف من ردوده أن الانقلاب من المرجح أن يحدث.

وحذر باترسون من أن أي تدخل عسكري لن يكون إلا وحشيا.

19

جبهة جديدة

24أبريل 1 – 2013مايو 2013

م

وكان محمد البرادعي قد أصر لحلفائه الجدد في المعارضة المناهضة لمرسي لعدة أشهر على أن الانقلاب العسكري على السلطة أمر غير وارد، وأن الغرب لن يقبل ذلك أبداً. كانت سمعته الليبرالية حاسمة لمصداقية جبهة الإنقاذ الوطني. وكان لجميع الأعضاء الآخرين تقريبًا علاقات مساومة مع أجهزة المخابرات أو حكومة مبارك. ولم يكن لأي شخص آخر اتصالات رفيعة المستوى في كل عاصمة غربية. وكان همزة الوصل بين الجبهة وواشنطن وأوروبا. وكان قد التقى في منزله مع قادة حزب الإخوان المسلمين في أواخر فبراير للتفاوض بشأن خطط لإجراء انتخابات برلمانية جديدة، وعندما اشتكى حلفاؤه في الجبهة، أوضح لهم البرادعي أنه كان عليه أن يعقد الاجتماع من أجل الرأي الغربي. فالظهور كعرقلة للديمقراطية من شأنه أن ينفر الغرب.

ولكن بحلول شهر أبريل/نيسان، كان البرادعي والجبهة قد التزما بمقاطعة الانتخابات. وقد رفضت المحاكم مراراً وتكراراً الخطط الانتخابية لحكومة مرسي، مستشهدة دائماً بالعيوب الفنية، وأصبح من المستحيل انتخاب برلمان جديد قبل شهر رمضان في ذلك الصيف على أي حال. ولسبب ما، يبدو أن مخاوف البرادعي بشأن الاعتراضات الغربية على الانقلاب العسكري قد تلاشت في أبريل/نيسان، كما أخبرني آخرون في جبهة الإنقاذ الوطني في وقت لاحق.

وقال عمرو حمزاوي، عالم السياسة الليبرالي والبرلماني السابق الذي كان أحد القلائل في المجموعة الذين دخلوا السياسة منذ عام 2011، إن التغيير كان "ملحوظًا".

توقف البرادعي عن القلق بشأن الغرب، وقال لي حمزاوي: "أعتقد أنها كانت إشارة".

وبعد نيسان/أبريل، «تم توضيح الخطة بشكل واضح تمامًا: التعبئة الشعبية، تليها الدبابات، تليها انتخابات رئاسية مبكرة. لقد شعرت أن جبهة الإنقاذ الوطني كانت ميتة في قرارها بدعوة الجيش للتدخل".

وكان حمزاوي الصوت المعارض الوحيد. وقال في سلسلة من الأعمدة الصحفية إن التدخل العسكري من شأنه أن يعيد مصر إلى الدكتاتورية، وقد لقي حتفه بسبب ذلك من الآخرين في جبهة الإنقاذ الوطني.

"سيقولون: لماذا تقول للناس أن يخافوا من دعوة الجيش للتدخل في حالة التعبئة الشعبية أو فشل الدولة؟" وكان هذا حجة في الاجتماع! قال الحمزاوي.

وبحلول شهر مايو/أيار، طلب البرادعي نفسه أخيرًا من حمزاوي الخروج من المكان

طريق. "بدون الجيش، ليس لدينا أي فرصة!" وقال البرادعي للجماعة.

لكن السيسي كان يحمل المفتاح. ولم يكن أحد يتخيل أي إزاحة لمرسي دون موافقة وزير الدفاع، وحتى مايو/أيار لم يكن قادة جبهة الإنقاذ الوطني يعرفون ما إذا كان السيسي معهم أم ضدهم. وكان اثنان آخران من كبار الجنرالات في المجلس الأعلى للقوات المسلحة على اتصال بالجبهة منذ ديسمبر/كانون الأول. ولكن بعد العرض الفاشل في ذلك الشهر لمحاولة التوسط في المفاوضات بين مرسي ومعارضيه، بدا أن السيسي قد استسلم لمرسي أو حتى وقف إلى جانبه. وحث السيسي الناخبين على التصديق على الدستور الذي تدعمه جماعة الإخوان المسلمين. وحتى في نهاية أبريل/نيسان، كان ولاءه لغزا.

كان ذلك عندما ظهر فجأة ثلاثة صحفيين في العشرينيات من العمر لاقتراح خطة جديدة للحركة المناهضة لمرسي.

كان الثلاثة جميعهم يعملون لحسابهم الخاص، وقد تولوا مهام تبلغ قيمتها خمسة عشر دولارًا من الصحف الشعبية الناصرية أو القومية، ولم يكن لدى أي منهم خبرة في التنظيم السياسي. لكنهم كانوا يعرفون المتحدث باسم الجبهة، داود، وأخبروه وهم يتناولون القهوة في مقهى بالقرب من مبنى الإعلام الحكومي أنهم يعتزمون جمع خمسة عشر مليون توقيع يطالبون بتنحي مرسي في فترة حكم مدتها عام واحد.

الذكرى السنوية لتنصيبه، 30يونيو/حزيران. أطلق الوافدون الثلاثة الجدد على أنفسهم اسم "التمرد".

وقال داود للآخرين في الجبهة: "نحن في حالة من الركود". "علينا تحريك المياه."

والتقط البرادعي صورة تذكارية معهم في حديقة الفيلا الخاصة به.
قامت الأحزاب السياسية المناهضة للإسلاميين بطباعة نماذج العريضة وقامت مكاتبها بالعمل على جمع التوقيعات في جميع أنحاء البلاد. دفع الملياردير قطب الاتصالات وزعيم الحزب نجيب ساويرس سراً أموالاً مقابل إنتاج فيديو موسيقي رائج يروج لعريضة تمرد. وكانت شبكة الأقمار الصناعية الشهيرة التي يملكها تبث الفيديو باستمرار. (قال لي لاحقاً: ""تمرد لم أكن أعرف حتى أنه أنا! أنا لا أخجل من ذلك").

واحتشدت وسائل الإعلام وأحزاب المعارضة حول الثلاثة
الشباب قبل أن ينتجوا توقيعا واحدا. وسرعان ما تلقى أنصار تمرد دعوات للظهور كضيوف في البرامج الحوارية عبر الشبكات الخاصة. وقدمت تهاني الجبالي المشورة القانونية والاستراتيجية: فقد أخبرت المنظمين أن "التقليد الدستوري" غير المكتوب من شأنه أن يسمح لوزير الدفاع باستبدال الرئيس المنتخب برئيس المحكمة الدستورية العليا (صديق شخصي لها).

محمد حسنين هيكل، الكاتب الشبح الذي نصح عبد الناصر في الفترة التي سبقت انقلابه عام ،1952قام بتدريب تمرد أيضًا.

قال لي حسن شاهين، أحد الصحفيين الثلاثة الذين أسسوا تمرد، في وقت لاحق: "هيكل عبقري". "أخبرنا أننا في 30يونيو/حزيران سنصنع "تاريخًا جديدًا" للأجيال القادمة."

كان هيكل همزة الوصل. وزار البرادعي المكتب المليء بالكتب في شقة هيكل المطلة على النيل للتنفيس عن نفاد صبره من عدم ثقة السيسي بشأن التدخل. "أين السيسي؟ ما هو تنتظر؟" تساءل البرادعي.

كان هيكل والسيسي قريبين جدًا من بعضهما البعض، لدرجة أن وزير الدفاع قام لاحقًا بتسليم هيكل شخصيًا كعكة بمناسبة عيد ميلاده عندما بلغ التسعين، في سبتمبر .2013وقدم هيكل المشورة للسيسي حول موضوعات خطاباته وحتى الشعارات السياسية. السيسي والبرادعي وتمرد –كل طرف كان يعلم أن المحادثات مع هيكل تصل إلى الآخرين.

وأخبرني متطوعون وآخرون في الجبهة فيما بعد أنهم رأوا ذلك
رجال كبار مشبوهين يبدو أنهم من المخابرات يتسكعون حول مكاتب تمرد. قال لي حمزاوي: "لقد سمعنا أسماء من حول الحملة كانوا مرتبطين بالمخابرات العامة، أشخاص معروفين بالمحاورين أو رجال الأعمال المقربين من أجهزة المخابرات".

وقال آخرون إن أكوامًا من الأموال ظهرت حول مقر تمرد بعد عودة شخص ما من رحلة إلى دبي. رفضت مثل هذا الحديث واعتبرته نظرية مؤامرة حتى سمعت لاحقًا تسجيلًا مسربًا لمكالمة هاتفية في وقت ما من ذلك الربيع من مكتب الجنرال السيسي.

"سيدي، سنحتاج غداً إلى مائتي دولار من حساب تمرد، كما تعلم، الجزء من الإمارات العربية المتحدة الذي حولوه".

وقال مدير مكتب السيسي لرئيس أركان الجيش.
"ماذا تقصد بالمخابرات يا سيدي؟ رجال المخابرات ؟" سأل مدير المكتب بعد لحظة. «هل تتذكر الرواية التي جاءت بشأن تمرد؟ . . . "نحتاج منه فقط إلى مائتي ألف، نعم، مائتي ألف."

كنا ندخل وقتاً من المعارك الغامضة بين الخصوم غير المرئيين عندما أصبحت التسجيلات الصوتية المسربة بشكل غامض مصدراً لا غنى عنه للمعلومات حول الأحداث التي تجري خلف الكواليس. وفي حالة التسريب حول تمرد، أخبرني دبلوماسيون أمريكيون مطلعون على تقارير استخباراتية في وقت لاحق أنهم أكدوا أيضًا بعد حقيقة أن دولة الإمارات العربية المتحدة قدمت ملايين الدولارات من خلال وزارة الدفاع المصرية. في ربيع عام 2013، اعتقدت أن تمرد كانت حملة لدفع السيسي إلى التحرك. وفي الواقع، كان السيسي وراء ذلك.

20

ابن مطيع

1مايو 23 – 2013يونيو 2013

ز

نشأ الجنرال عبد الفتاح السيسي في منطقة القرون الوسطى المعروفة بالقاهرة الإسلامية. كانت شقة عائلته على مسافة خمس عشرة دقيقة سيرًا على الأقدام من أقرب طريق يتسع لسيارة، عبر متاهة من المباني الحجرية المنخفضة المأخوذة مباشرة من روايات نجيب محفوظ. كان التجار والتجار من الطبقة المتوسطة يسكنون المنطقة خلال طفولة السيسي، وكان والده من أغنى الأثرياء. كانت العائلة تمتلك متجرًا لبيع أعمال الأرابيسك الخشبية وغيرها من المصنوعات اليدوية في سوق خان الخليلي الشهير، وهو المحطة الثانية بعد الأهرامات للعديد من السياح الغربيين. وظفت عائلة السيسي العديد من جيرانها.

Hussein Abdel Naby was a boyhood friend of Abdel Fattah el-Sisi
ويعيش في غرفة مستأجرة في الطابق السفلي من نفس المبنى الذي كان يملكه والد السيسي. قال عبد النبي، وهو محامٍ الآن: "كان يرتدي دائمًا بدلة وربطة عنق، وكان الآخرون جميعًا يرتدون الجلباب". "لقد كان الوحيد الذي قاد سيارة مرسيدس."

وكانت عائلة السيسي متدينة ومحافظة، وكان والد السيسي متعدد الزوجات. وكان قد تزوج زوجة ثانية وكان له عائلة ثانية. وكان طموحا أيضا. لقد قام ذات مرة بحملة فاشلة للحصول على مقعد في البرلمان في عهد السادات، وهو منصب يتعلق بالهيبة والمحسوبية أكثر من السياسة. وأصبح ابن آخر، أحمد، أحد كبار القضاة.

وكان الجيران ينظرون إلى والد السيسي على أنه صارم ومخيف. كان عبد الفتاح يائساً لإرضاء والده العجوز، وذلك جزئياً من خلال تكريس نفسه لممارسة الرياضة البدنية. بينما كان الأولاد الآخرون يلعبون في الشارع،

كان السيسي الصغير يقفز صعودا وهبوطا على الدرج لتطوير ساقيه، أو كان يقطع واجباته المدرسية للقيام بمجموعات من تمارين الضغط.

يتذكر عبد النبي قائلاً: "كان يعاقب نفسه".

نظر والد السيسي ذات مرة بارتياب إلى ابنه المراهق بسبب غروره

من قلادة وقميص مفتوح الياقة، فحلق السيسي الشاب رأسه كفارة. قال لأصدقائه: "لأنني أعلم أنني فعلت شيئًا خاطئًا".

إذا شعر بأي دافع للتمرد، كان يخفيه جيدًا. لكن كانت لديه أحلام كبيرة، كما أسر لاحقا في محادثات خاصة مع صحافي مصري موثوق به (تسريبت تسجيلات صوتية للعامة). حلم السيسي "أنني أحمل سيفاً مكتوباً عليه باللون الأحمر عبارة "لا إله إلا الله"" -وهي صرخة النبي محمد والعقيدة الأساسية للإسلام. فقال له صوت في حلم آخر: سنعطيك ما لم نعطي أحدا.

وفي جلسة ثالثة، جلس السيسي مع الرئيس السابق أنور السادات لمناقشة هواجسهم المشتركة.

«قلت له: وأعلم أنني سأكون رئيساً للجمهورية».

روى السيسي في وقت لاحق.

لم ير القتال قط. وتخصص بدلاً من ذلك في الدبلوماسية والاستخبارات. شغل منصب ملحق عسكري في الرياض، وتدرب في كلية قيادة الخدمات والأركان المشتركة في بريطانيا، ودرس في الكلية الحربية للجيش الأمريكي في كارلايل، بنسلفانيا.

وصل السيسي إلى الكلية الحربية عام .2005ولم يكن هناك مسجد محلي

إمام متفرغ، وكان السيسي يؤم أحيانًا صلاة الجمعة.

(وكذلك فعل أحد أبنائه، الذي التحق بكلية ديكنسون). وانضم السيسي إلى مناقشات الحرم الجامعي حول الاحتلال الذي قادته الولايات المتحدة للعراق، ورفض الحجج القائلة بأن الإسلام السياسي لا يتوافق مع الديمقراطية. وقال السيسي في ورقته الأخيرة إن أي ديمقراطية عربية يجب أن تضم الإسلاميين، "بما في ذلك المتطرفين".

وكان السيسي «حريصًا على أن يكون الإخوان المسلمون، الخيار الإسلامي،

"أعطني فرصة" في مصر، كما أخبرني محمد حسنين هيكل.

وأخبر السيسي أصدقاء آخرين ودبلوماسيين أمريكيين أنه سيكون سعيدًا بخدمة رئيس منتخب تصادف أنه ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين.

وبدأ هو ومرسي العمل معًا بمجرد رحيل مبارك تقريبًا. السيسي كرئيس للمخابرات الحربية

اتصال الجيش بالإخوان. وكان مرسي، باعتباره رئيس الذراع السياسية لجماعة الإخوان المسلمين، نقطة الاتصال مع الجنرالات. وكانت التقوى بينهم مشتركة. كان السيسي وغيره من الجنرالات يحضرون الاجتماعات مع الإخوان المسلمين بأكمام مشمرة وأيدي مبللة، كما لو كانوا يتوضؤون قبل الصلاة، كما أخبرني قادة الإخوان.

"لا أستطيع أن أصدق أنهم وقعوا في هذا الفخ،" كان شاباً من جماعة الإخوان المسلمين
قال ابن أحد القادة. "هذا بالضبط ما كنت سأفعله عندما كنت أكبر إذا أردت أن يعتقد والدي أنني كنت أصلي."

كما بذل السيسي قصارى جهده لتنمية السفير باترسون، أ
علامة طموحه. وبالإضافة إلى التعبير عن ارتياحه لوجود رئيس منتخب من جماعة الإخوان المسلمين، أكد لها السيسي أنه يقدر علاقاته الوثيقة مع الإسرائيليين. كما ألمح أيضاً إلى وجود منافسات مع جنرالات آخرين، وخاصة الجنرال سامي عنان، المرشح المفضل لدى الولايات المتحدة، واللواء الجوي السابق أحمد شفيق، الذي خسر الانتخابات أمام مرسي. (أخبر السيسي باترسون أن الضباط الآخرين يعتبرون كلاهما فاسدين، على الرغم من أن الأميركيين كانوا يعرفون أن الإثراء الذاتي بين الجنرالات كان منتشرا).

إذا نظرنا إلى الوراء، ربما لاحظنا وجود نمط في تقدم السيسي. لقد امتدح مبارك وكأنه أب، لكنه طلب من المجلس العسكري أن يزيحه جانباً. وكان السيسي هو التلميذ المفضل للمشير طنطاوي. لكن السيسي فاجأ طنطاوي أيضا وحل محله (في حين قضى على منافسه عنان).

وبدأ العديد من مستشاري مرسي الإسلاميين يشتبهون في فبراير/شباط في أن ضباط الجيش كانوا يتآمرون ضدهم. أبلغهم مسؤول جمركي صديق في مطار القاهرة أن طائرة في طريقها من الإمارات العربية المتحدة إلى مالطا توقفت للتزود بالوقود وبدأت في تفريغ صناديق من الأموال والمخدرات (ترامادول، مادة أفيونية تباع في السوق السوداء، بتسهيلات مفترضة من داخل الشرطة). لكن أحد ضباط الجيش طلب من شرطة الجمارك تجاهل كل شيء. اختفى كل شيء.

بدأ نحو ستة من مستشاري مرسي الاجتماع في غرف عشوائية وغير متوقعة في القصر لتجنب المراقبة. لقد تركوا هواتفهم المحمولة في الخارج، وفي بعض الأحيان أرسلوا رسائل مكتوبة وقاموا بإتلافها على الفور. لقد درسوا انطلاق

صور للرئيس وهو يجتمع مع الجنرالات للحصول على تلميحات عن نواياهم. وطالبوا مرسي بإدراج أحدهم خلال اجتماعاته مع السيسي.

فرفضهم الرئيس. فقال لهم إن السيسي يفضل ذلك
اجتمعوا وجهًا لوجه، دون هؤلاء الشباب، كما أطلق الجنرال على مستشاريه. وقال مرسي إنه سيتولى إدارة السيسي.
بدا السيسي، ظاهريًا، خاضعًا تقريبًا. وأظهرت الصور ومقاطع الفيديو الإخبارية دائمًا أنه يسير بضع خطوات خلف مرسي ورأسه منحنيًا، أو يجلس ويداه معًا بين فخذيه، ويبتسم للرئيس. ونقلت الصحف عن مسؤولين عسكريين مجهولين أنهم ينتقدون مرسي، لكن السيسي تجاهل هذه التقارير.

وكان السيسي يقول للرئيس: «الصحف ووسائل الإعلام تبالغ».
نعم، كانت هناك "توترات تجاه الرئيس داخل الجيش".
سيعترف السيسي. لكنه قدم نفسه على أنه الحليف الذي سيسيطر على السخط.

"لقد وثق به مرسي"، هكذا قال مراد علي، القيادي البارز في جماعة الإخوان
أخبرني المتحدث لاحقًا.
وحتى 24أبريل/نيسان على الأقل، كان السفير باترسون يسمع ويصدق نفس الأشياء من السيسي: أنه كان ينوي البقاء بعيدًا عن طريق مرسي. لقد اعتقد الكثيرون هذا الأمر، حتى الرئيس السابق مبارك، الذي كان محتجزاً آنذاك في مستشفى عسكري. وفي تسجيل صوتي تم تسجيله في عيادة طبيبه في ذلك الربيع، وتم تسريبه فيما بعد للعامة (كانت التسريبات في كل مكان في تلك الأيام)، أصر مبارك على أن المؤسسة العسكرية سوف تظل بعيدة عن السياسة. وكان السيسي مع الإسلاميين.

وقال مبارك: «أعتقد أن وزير الدفاع يحظى بإعجابهم.
الاستطلاع الأكثر موثوقية في ذلك الربيع، أجراه مركز بيو للأبحاث
وقدر المركز نسبة تأييد مرسي بـ 53في المائة والإخوان المسلمين بـ 63في المائة. وفضلت أغلبية كبيرة من المصريين الديمقراطية على الاستقرار. لذا، فحتى مستشارو مرسي الأكثر توتراً لم يتوقعوا حدوث انقلاب عسكري؛ فمن ناحية، سيؤدي ذلك حتماً إلى رد فعل عنيف وتراجع أي تقدم نحو إعادة تشغيل الاقتصاد المصري. "لم نعتقد أنهم كانوا بهذا الغباء"

Wael Haddara said.

قال السيسي في 11مايو/أيار أمام مجموعة مختارة من الصحفيين والمثقفين المصريين الذين زارهم: "لن يزيل أحد أحداً".

تمت دعوته إلى مناورة عسكرية في دهشور. التدخل العسكري "خطير للغاية. ويمكن أن يحول مصر إلى أفغانستان أو صومال أخرى. ومن شأنه أن يعيد مصر إلى الوراء "للثلاثين أو الأربعين سنة القادمة".

وفي جلسات خاصة، قدم السيسي لمرسي مذكرة مكتوبة تتضمن اقتراحات عامة حول كيفية تعزيز موقفه من خلال التواصل مع معارضيه. شعر مرسي بالاطمئنان؛ وكان السيسي لا يزال معه. واقترح لاحقاً، في مذكرة أخرى في يونيو/حزيران، تسع خطوات محددة، بما في ذلك آلية لتعديل الدستور، وإدماج المزيد من الشباب في الحكومة، وإما تعديل وزاري أو إجراء انتخابات رئاسية مبكرة.

ولكن بحلول أواخر شهر مايو/أيار، أخبر كبار ضباط الجيش المصري علناً
اللوبي الأمريكي الذي عمل معهم أنهم يدعمون مشروع تمرد ويأملون أن ينجح. قال لي أحد أعضاء جماعات الضغط في وقت لاحق: "إنهم لم يجعلوا الأمر سراً كبيراً".

الفريقان من المجلس الأعلى للقوات المسلحة
بدأ الاتصال بأعضاء جبهة الإنقاذ الوطني التي يتزعمها البرادعي في نفس الوقت تقريبًا برسالة جديدة. قالوا لا تخافوا.
وسوف يقوم الجيش "بحماية" مظاهراتهم للمطالبة باستقالة مرسي. وفي 30يونيو/حزيران، الذي يوافق الذكرى السنوية الأولى لتوليه منصبه، سيكون الجيش معهم.

وكان السيد البدوي، رجل الأعمال الذي تم تسجيله وهو يتحدث إلى المخابرات عن الإخوان المسلمين ومصيرهم، متحمساً للغاية لدرجة أنه استدعى أعضاء الجبهة لاجتماع طارئ في حديقة قصره في الضواحي.

وقال لهم بدوي بحماس إن الجيش أصبح الآن إلى جانبهم. "لقد تم فهم الأمر على أنه "نحن الآن على ما يرام""
قال لي حمزاوي فيما بعد.
بحلول الخامس من يونيو، كان قادة الجبهة واثقين بما يكفي لإخبار وزارة الخارجية عن خططهم. وقد سلم مبعوث واشنطن، رامي يعقوب، وهو مصري عمل سابقًا في الكابيتول هيل، مذكرة بعنوان غامض "العملية "6توضح الخطوات التي ستتبعها تمرد إذا لم يستقيل مرسي على الفور ردًا على احتجاجات 30 يونيو.

وحركة تمرد، التي تقود الشعب المصري نحو تحريره، ستصدر إعلاناً دستورياً يتضمن ما يلي: ـتنحي الرئيس المصري الحالي، وإنهاء سلطة الدستور الحالي. . . .

وسيستمر مجلس الدفاع الوطني في ممارسة صلاحياته. . .

وفي اجتماع صغير مع مصري آخر، سلم يعقوب المذكرة إلى توماس ميليا، الذي كان آنذاك نائب مساعد وزيرة الخارجية في مكتب الديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل.

كانت ميليا متشككة. "إذن، أنتم يا رفاق ستقومون بانقلاب صغير؟" سألت ميليا.

"السيد. قال له يعقوب: "ميليا، لا تقل يا رفاق".
ولكن مع عدم وجود سلطة واضحة وراءها، تم وضع المذكرة جانبا ونسيانها. أخبرني ميليا أنه لا يتذكر الاجتماع.

21

30يونيو

25مايو 2013 – 3يوليو 2013

وكان من المقرر أن يحضر كل من إيري ومرسي قمة الاتحاد الأفريقي في 25مايو 2013، في أديس أبابا، إثيوبيا.

لا أحد يريد أن يجتمع. وقال كيري: "إنه لن يستمع".

المساعدين الذين أطلعوه. "هذا الرجل ميؤوس منه تماما."

التقيا رغم ذلك. وحث كيري مرسي على تقديم تنازلات للبرادعي. وحذر كيري مرسي قائلاً: "سينتهي بك الأمر مثل مبارك". "سيعود الناس إلى الشوارع."

واعتقد مرسي أن كيري يستغل الأزمة الاقتصادية في مصر في المحاولة

للتنمر أو الإطاحة بالديمقراطية الجديدة. وقال مرسي لكيري بغضب: "لسنا بحاجة إليك لتخبرنا بما يجب أن نفعله". "نحن نرى ضغطك."

بعد ذلك، لجأ كيري بدلاً من ذلك إلى حكام قطر، الداعم المالي لمصر في عهد مرسي وحليف جماعة الإخوان المسلمين المصرية (تملقت شبكة الجزيرة القطرية مرسي بنفس القدر من الإصرار الذي أهانته قناة العربية السعودية أو قناة سكاي نيوز عربية الإماراتية).). وطلب كيري من الدبلوماسيين القطريين إقناع مرسي بالتخلي عن السلطة دون تعطيل الإطاحة القسرية.

"نوع من الإذعان لاحتياجات البلاد"، على حد تعبير كيري

وأوضح لي في وقت لاحق. لقد كانت محاولة لتجنب الانهيار، وليست محاولة لتجنب التغيير في الواقع، ولكنها محاولة لتعديل ما حدث بالفعل مع مرسي».

وكان أوباما قد ألقى خطابات مثيرة حول مصر وفرصتها لبناء ديمقراطية جديدة. وفي عام 2011، وصف مستشاروه نجاح المرحلة الانتقالية المصرية بأنها أولوية قصوى. لكن في عام 2013، انفصل عن السياسة اليومية. البيت الأبيض يثبط عزيمة الموظفين

من انتقاد أعضاء مجلس الوزراء كتابيًا لتجنب التسريبات، كما أن المساعدين ذوي الرتب الأدنى الذين لاحظوا التناقض في الرسائل واجهوا صعوبة في التواصل بشأن ذلك. ومن غير الواضح بالنسبة لي مدى معرفة أوباما. لكن بينما كان كيري يحاول إضفاء براعة على "الإذعان"،

كان أوباما وأقرب مستشاريه للأمن القومي يبذلون قصارى جهدهم لإبقاء مرسي –الرئيس المتلعثم ولكن المنتخب بشكل عادل –في منصبه.

أرسل مجلس الأمن القومي إلى تشاك هاجل نقاط حوار صعبة لتحذير السيسي من أن الولايات المتحدة ستعاقب الجيش المصري على الانقلاب العسكري. وقد فرض ما يسمى بقانون الانقلاب قطع المساعدات الأمريكية عن أي جيش يقوم بإطاحة حكومة منتخبة.

ومع ذلك، رأى هاغل أن أولويته هي الفوز على السيسي. "الحديث
قال لي أحد مستشاري هاجل في وقت لاحق: "إن النقاط التي تلقيها من البيت الأبيض ليست هي ما يمكن أن تقوله لشخص تربطك به علاقة مستمرة، لذا يتعين عليك تعديلها". وقال المستشار: «لكن مع هاغل، كان من الصعب حقاً إقناعه بإيصال الرسالة الصعبة».

وتلقى البيت الأبيض تقارير عن المكالمات واطلع على ذلك
لقد قام هاغل بالتدليل بدلاً من التوبيخ. قال لي مسؤول كبير في مجلس الأمن القومي: "لقد كان الأمر مختلفاً تماماً".
"أراد البيت الأبيض أن تكون الرسالة: "الديمقراطية مهمة"، وكان هيغل يريدها أن تكون: "نريد أن تكون لدينا علاقة جيدة". لم نتمكن أبدًا من حمله على تقديم نقاط حوار صارمة.

وفي إحدى المحادثات، وضع هاغل نقاط الحديث جانباً ليقول للسيسي بشكل قاطع: "لا تقم بالانقلاب".

لا تقلقوا، السيسي رد بهدوء. لن نفعل ذلك.
عظيم إذن، قال له هاجل، وكأن هذا قد حسم السؤال.
عندما التقيت به في أوائل عام 2016، ذكر هاجل أنه كان محاصرًا بالشكاوى بشأن مرسي من وزراء الدفاع في إسرائيل والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة -وخاصة من محمد بن زايد، ولي عهد أبو ظبي ورئيس الوزراء. الحاكم الفعلي والقائد العسكري لدولة الإمارات العربية المتحدة.

وقال هاغل: "كان محمد بن زايد وغيره من القادة في الشرق الأوسط يحذرونني حينها من أن جماعة الإخوان المسلمين هي العنصر الأكثر خطورة في الشرق الأوسط اليوم"، وكان دائماً على علم بذلك.

متفق. قلت: نعم، إنه أمر خطير. نحن ندرك ذلك. أنا لا أعترض على ذلك. أنت محق."

قلت نفس الكلام الذي قلته للسيسي. 'علينا أن نتعامل مع هذا
قال هاغل: "بطريقة ذكية، وبطريقة حكيمة". "لقد ركزت دول الخليج على "دعونا نضربهم ونطفئهم الآن". دعنا نتخلص منهم الآن، وإذا اعترض أي شخص طريقك، فأنت لا تفهم مدى قسوة هؤلاء الأشخاص. سوف يدمروننا. هذا ليس في مصلحتك. لماذا لا تستطيعون أنتم الأمريكان أن تفهموا ذلك؟ وسوف يعودون إلى لازمتهم القديمة: "لقد تركتم مبارك يسقط".

وأوضح الإسرائيليون أنهم يدعمون السيسي أيضًا. "السيسي و
الجنرالات لديهم علاقة وثيقة جدا مع الإسرائيليين. لقد أخبرنا الإسرائيليون بوضوح شديد أن السيسي هو الرجل الوحيد الذي يحمي كل شيء هنا، وكانوا قلقين".

واتفق هاجل معهم. وقال هاغل لإسرائيل: "لقد فهمنا ذلك".
وزير الدفاع موشيه "بوغي" يعالون ورئيس الوزراء بنيامين نتنياهو. "الترتيبات الأمنية في مصلحتنا أيضًا."

وقال هاغل إنه حذر السيسي بلطف قائلاً: "عليك أن تعطيه بعضاً
الوقت، لأنك لا تريد أن يقف العالم ضدك."
أجاب السيسي، بحسب هاغل، "نعم، لكنك تعلم أن هناك بعض القوى الشريرة والسيئة للغاية تسير على قدم وساق. لا يمكنك فهمها كما نفهمها هنا. هؤلاء ثوريون يريدون تغيير أسلوب حياتنا، ويريدون إعادة ممارسات عمرها قرون".

وقال هاغل معترفاً: "أنا لا أعيش في القاهرة، بل أنتم تعيشون فيها". "لذلك سأفعل
لا تخبرك أبدًا كيف تدير حكومتك أو تدير بلدك.
عليك أن تعرف ذلك. لن أضع نفسي في حذائك أبدًا. . . . عليك أن تحمي أمنك وتحمي بلدك".

وبعد المكالمات، أذهل هاجل مساعديه عندما قال لهم أن يتعلموا من مثاله: هل رأوا كيف كان يبني ثقة السيسي وثقته؟ وفي وقت لاحق فقط -بعد أن أصبح السؤال موضع نقاش -أبدى أوباما اهتمامًا أكبر وشعر بالغضب من الرسالة المشوهة.

وحثت السفيرة باترسون، على أرض الواقع في القاهرة، المصريين
والتمسك بالعملية الديمقراطية التي بدأوها. وقالت باترسون أمام حشد من المثقفين والناشطين غير الإسلاميين في 18يونيو/حزيران في خطاب ألقاه في مركز أبحاث بالقاهرة: "هذه هي الحكومة التي انتخبتها أنت ومواطنوك".

وحثت على ضرب الإخوان المسلمين في صناديق الاقتراع، وليس في الاحتجاجات في الشوارع. "المزيد من العنف في الشوارع لن يفعل سوى إضافة أسماء جديدة إلى قوائم الشهداء". لقد تنصلت صراحة من دعم مرسي. ونددت وسائل الإعلام المصرية والإماراتية والسعودية بخطابها ووصفته بأنه اعتراف بذلك.

والتقت خيرت الشاطر في مكتبه في اليوم التالي، 19يونيو/حزيران، على أمل أن يتمكن من إقناع مرسي بتقديم تنازلات من شأنها استرضاء معارضيه. وأخبرها الشاطر أنه أيضاً غاضب من مرسي. لكنه كان أكثر إحباطا من المؤامرات الإماراتية والسعودية لتقويضه.

كيف سيتعامل الإخوان مع احتجاجات 30يونيو؟
سأل باترسون. وأخبرها الشاطر أن نسبة المشاركة ستكون كبيرة، لكن مرسي يستطيع النجاة منها.

قالت له: "لدي شكوكي، لكن أتمنى أن تكون على حق".
وكان أوباما يحاول مساعدة مرسي. كان باترسون يحذر
الاخوة المسلمون. وكان كيري قد تخلى عن مرسي. وكان هاغل يطمئن السيسي.

...

يا

يوم الأحد 23يونيو/حزيران، ألقى السيسي محاضرة في إدارة الشؤون المعنوية العسكرية حول الاحتجاجات المتوقعة بعد سبعة أيام، وتم نقل كلماته عبر وسائل الإعلام الحكومية. وكان اتساع الانقسامات في المجتمع بمثابة "خطر على الدولة المصرية". وإذا لزم الأمر، كان من واجب الجيش "التدخل لمنع مصر من الانزلاق إلى نفق مظلم".

وأمهل الفصائل السياسية أسبوعاً واحداً -"يمكن خلاله تحقيق الكثير"- لإيجاد "صيغة تفاهم واتفاق ومصالحة حقيقية لحماية مصر وشعبها".

وسمع معارضو مرسي الوعد. ولو كانت احتجاجات 30يونيو/حزيران كبيرة بما فيه الكفاية، لكان السيسي قد عزل الرئيس. ولكن في زيارة

القصر بعد الخطاب كان السيسي مطمئنا. وأصر على أن تصريحاته كانت تهدف فقط إلى "إرضاء بعض رجاله"، وفقا لعدد من مستشاري مرسي. لقد كانت "محاولة لامتصاص غضبهم".

وقال متحدث عسكري للصحفيين إن نية السيسي كانت "داعمة" للعملية السياسية. وصدقه مرسي مرة أخرى.

وفي 26حزيران/يونيو، قام مستشارو مرسي بصياغة خطاب مدته أربعون دقيقة أعلنوا فيه عن العديد من التنازلات التي أوصى بها السيسي. ومن بين أمور أخرى، سيجلب مرسي المزيد من المعارضين السياسيين إلى مجلس الوزراء ويشكل لجنة جديدة لاقتراح التعديلات الدستورية.

لقد سلمها مرسي، لكنه استمر في الحديث. لقد تجول لمدة سنتين و أ
نصف ساعة. وهاجم مرة أخرى "أعداء الثورة" في الداخل والخارج. وألقى باللوم على معارضيه لرفضهم التفاوض. وادعى أن أقطاب الإعلام كانوا يحاولون إسقاطه لتفادي الضرائب المتأخرة. وهدد بالتحقيق مع منافسه السابق أحمد شفيق بتهم الفساد. واتهم القضاة بتزوير الانتخابات ضد الإخوان المسلمين قبل ثماني سنوات، في عام 2005، عندما خسر مرسي مقعده في البرلمان.

ووصف أحد كبار المستشارين الخطاب في وقت لاحق بأنه "كارثة".
ووعد مرسي باتخاذ إجراءات قانونية ضد أي شخص يدعي أنه يفتقر إلى الدعم الكامل من القوات المسلحة.
وتوجهت كاميرات التلفزيون نحو السيسي في الصف الأمامي، عابسًا ووجهه متحجر.

لقد أخطأ مرسي في أشياء كثيرة في شهر يونيو/حزيران من ذلك العام. ودعا عضوا في
حزب سياسي مرتبط بجماعة إسلامية متشددة سابقة شغلت منصب محافظ الأقصر، حيث قام فصيل من نفس المجموعة بقتل أكثر من ستين شخصًا في موقع سياحي في عام 1997. ومنعت الاحتجاجات المحافظ من الوصول إلى مكتبه، وسرعان ما استقال.

ثم حضر مرسي مؤتمرا مليئا برجال الدين السعوديين والسلفيين،
ووصف الانتفاضة السورية بأنها حرب مقدسة ضد إيران الشيعية. وعندما جاء دوره في الحديث، فاجأ مرسي مستشاريه بالتصريح بأن القاهرة ستقطع العلاقات الدبلوماسية مع دمشق. (بعد عشرة أيام، قتل حشد من الغوغاء في قرية قريبة من القاهرة أربعة من أفراد الأقلية الشيعية الصغيرة في مصر، بينما لم تفعل الشرطة شيئاً. وألقى الأعداء اللوم على مرسي بتهمة التغاضي عن الطائفية في المؤتمر).

ودعا مرسي ممثلي جميع الفصائل السياسية لمناقشة التهديد المتمثل في السد المقترح على نهر النيل في إثيوبيا. مرسي يحاضر

لفترة وجيزة عن الهندسة. وتحدث الحاضرون الآخرون بصوت عالٍ عن المؤامرات الإسرائيلية والأمريكية، أو تخريب البناء، أو إرسال جواسيس إلى إثيوبيا، أو التلاعب بسياساتها. ثم قام شخص ما بتسليم مذكرة يخبر فيها المشاركين أن نقاشهم تم بثه على الهواء مباشرة على شاشة التلفزيون الحكومي (وهو مطلب متكرر للمعارضة، ويستخدم كذريعة لرفض أي حوار). وبدا مرسي مصدومًا مثل أي شخص آخر. لكن أخطائه أضافت زخماً للحركة ضده.

وبحلول الأسبوع الأخير من شهر يونيو/حزيران، لم تعد وكالات الاستخبارات تخفي أهدافها. كان لدى مصر جاسوس واحد مشهور: الشخصية الصامتة القوية البنية التي وقفت خلف نائب الرئيس السابق عمر سليمان عندما أعلن استقالة مبارك. وكان المصريون قد أطلقوا على الشخصية المجهولة اسم "الرجل الذي يقف وراء عمر سليمان". وظهر وجهه في جميع أنحاء الإنترنت في خلفية الصور التاريخية مع عبد الناصر، والسادات، وصدام حسين، وأوباما، وكارتر، وهتلر، وأبو الهول، والفراعنة، ودارث فيدر. اسمه الحقيقي حسين كمال شريف، ضابط مخابرات ورئيس أركان سليمان في وكالة التجسس. وفي الفترة التي سبقت 30يونيو/حزيران، عقد مؤتمراً صحافياً متلفزاً مليئاً بادعاءات لا أساس لها عن مؤامرات إسلامية في عهد مرسي. ادعى كمال وجود معلومات استخباراتية سرية وحث المصريين على الخروج ضد الرئيس.

"سنعتبره استفتاءً" على "الفشل الذريع لقيادة جماعة الإخوان المسلمين".

وأصدرت جمعية الشرطة التي ترعاها الدولة مقطع فيديو لاجتماع داخلي تحدث فيه الضباط عن "خيانتهم" في عام 2011و"كارثة" إذلالهم منذ ذلك الحين.

واشتكى أحد الضباط قائلاً: "الأشخاص الذين كانوا في السجن أصبحوا الآن رؤساء"، وتوعد بقتل أي شرطي يحاول حماية مكتب الإخوان. "أقسم بالله العظيم أنه سيتم إطلاق النار عليه".

لم يحصل على حجة. وقد طمأن اللواء صلاح زيادة، أحد كبار المسؤولين في الوزارة، الضباط الصاخبين قائلاً: "نحن جميعاً متفقون أيها الإخوة، على أنه لن يكون هناك تأمين لمقرات جماعة الإخوان المسلمين".

وعلى مدى ثلاثة أيام، قتل مسلحون مجهولون في منطقة دلتا النيل ما لا يقل عن خمسة من أعضاء الإخوان المسلمين خلال هجمات على مكاتبهم المحلية. وقام الإخوان بتحصين مقرهم في

منحدرات المقطم المطلة على القاهرة، بها بوابات حديدية وأكياس رمل.
وحذر الإمام الأكبر للأزهر من "حرب أهلية" وشيكة.
لم يكن بوسعي أن أبقى ساكناً في ليلة التاسع والعشرين من يونيو/حزيران. ولم أكن أعتقد أن المصريين قد ينظمون مسيرة لإطاحة الرئيس الذي انتخبوه مؤخراً. في حيرة من أمري، اتصلت ببعض المنظمين الأصليين لاعتصام ميدان التحرير. ووصف إسلام لطفي، الذي طرد من جماعة الإخوان المسلمين لتأسيسه حزبا سياسيا مستقلا، قادته الإسلاميين السابقين بأنهم "مجموعة من الخاسرين". لكن الأشخاص الذين قادوا الاحتجاجات المناهضة لمرسي كانوا "الأشخاص الذين قتلوا أصدقائي وحاولوا قتلي" -أجهزة مبارك الأمنية، على حد قول لطفي. شعر برغبة في مغادرة مصر.

وكان بعض أصدقائه السابقين من ميدان التحرير يسيرون مرة أخرى، وقاموا هذه المرة بتسليح أنفسهم. قال لي شادي الغزالي حرب، الجراح الذي تلقى تدريبه في بريطانيا: "إن الإسلاميين، معظمهم إرهابيون في الأساس". "زجاجات المولوتوف أو أي شيء آخر، لكن يجب أن يكون لدى الناس طريقة لحماية أنفسهم".

وكانت السفيرة باترسون قد بعثت برسالة أخرى في وقت سابق من ذلك الأسبوع تحذر فيها من أنها بعد لقائها مع السيسي تعتقد أن الانقلاب وشيك. وفي ليلة 29يونيو/حزيران، أظهرت تقارير المخابرات الأمريكية تحرك قوات الجيش المصري إلى المواقع المحيطة بالقصر، ومبنى الإعلام الرسمي، ومواقع استراتيجية أخرى حول العاصمة. اعتقد البعض على الأقل من موظفي مجلس الأمن القومي في تلك الليلة أن الانقلاب كان على وشك التنفيذ. "لقد كان الانقلاب ،"101أخبرني أحد الموظفين المناوبين في ذلك الوقت لاحقًا.

لكن لا أحد في البنتاغون، أو وزارة الخارجية، أو البيت الأبيض
وطلب هاوس من السيسي التوقف عن التحرك. ولم يخبر أحد مرسي أن السيسي انقلب عليه، أو أن الانقلاب قد بدأ.

...

ت

وفي صباح اليوم التالي، يوم 30يونيو/حزيران، احتشد مئات الآلاف
عبر شوارع العاصمة. على الأقل مئات الآلاف
وخرج المزيد في المدن في جميع أنحاء البلاد. لقد تطلب الأمر الشجاعة للتظاهر ضد مبارك في عام 2011. ولكن الآن أصبح الجيش، والشرطة، ومعظم محطات التلفزيون، والعديد من أصحاب العمل الكبار، ونجوم السينما، ومعظمهم من الشباب.

وكان الليبراليون واليساريون البارزون يحثون المصريين على الانضمام إلى الاحتجاجات.

لقد سخر منهم أعداء الإخوان المسلمين لعدة أشهر ووصفوهم بـ "الخراف" بسبب تعهداتهم بالطاعة. والآن أخرج أحدهم خروفًا حقيقيًا، وكتب أسماء قيادات الإخوان باللون الأسود على صوفها، وذبحها خارج القصر.

صفق ضباط الشرطة الذين يرتدون الزي الرسمي وهتفوا وحثوا على ذلك
الحشود. وقام البعض بتوزيع زجاجات المياه، وقام أحدهم بتوزيع الورود. ومزق آخر زيه العسكري، بأسلوب كلارك كينت، ليكشف عن قميص تمرد. وحمله المتظاهرون على أكتافهم.

وملأت لقطات حركاته نشرات الأخبار. وأسقطت المروحيات العسكرية الأعلام المصرية ترفرف على الأرض، ورددت الحشود امتنانا.

«يلا يا سيسي اتخذ قرارًا!» هتفت.
النشطاء الليبراليون الذين تظاهروا ضد مبارك في يناير/كانون الثاني
في 25تشرين الأول (أكتوبر) 2011، أذهلهم احتضان أعدائهم القدامى. "في الخامس والعشرين من يناير/كانون الثاني، أطلقت الشرطة النار علينا؛ قال لي أحد هؤلاء الليبراليين، مصطفى النجار، وهو طبيب أسنان يبلغ من العمر 33عاماً: "كانوا يعطوننا الزهور في الثلاثين من يونيو/حزيران.

كان خالد يوسف هو المخرج الذي توج فيلمه "هذه فوضى" بالثورة ضد الشرطي المتنمر حاتم وكان بمثابة تصور مسبق للانتفاضة ضد مبارك. وكان يوسف، الناصري الذي كان يكره الإسلاميين، قد توقع في مقابلات تلفزيونية أن الجيش سيعزل مرسي قبل نهاية فترة ولايته الأولى.

بعد ظهر يوم 30يونيو/حزيران، اتصل يوسف بصديق يعمل في الذراع الدعائي للجيش، ونقله الجيش إلى مروحية حتى يتمكن من تصوير المظاهرات. وبعد ساعات قليلة، اتصل متحدث عسكري بمكتب صحيفة نيويورك تايمز مع اقتراح مماثل: هل أرغب في ركوب مروحية عسكرية لرؤية الحشود من الأعلى؟ وافقت، لكن المتحدث لم يتصل بي قط. لا بد أن لقطات يوسف كانت كافية.

وكانت جماعة الإخوان المسلمين قد نظمت مظاهراتها المضادة المتنافسة في ساحة عامة ليست بعيدة عن القصر الرئاسي.
وكان عشرات الآلاف على الأقل من أنصارها قد احتشدوا هناك يوم الجمعة السابق، وما زال بعضهم يتظاهر هناك الآن. لقد زرت ذلك الصباح. كتائب من الرجال في منتصف العمر في

وكان أصحاب قمصان البولو والياقات ذات الأزرار يسيرون ذهابًا وإيابًا في صفوف، ويركلون على ركبهم ويغنون الأناشيد الإسلامية. وحمل بعضهم عصيًا خشبية أو مضارب بيسبول كأسلحة، أو صنعوا دروعًا من أغطية صناديق القمامة ومقالي المطبخ.

وهتفوا "سنضحي بأرواحنا في سبيل ديننا".
"رجال مرسي في كل مكان." لقد بدوا وكأنهم فتيان الكشافة المتضخمون يلعبون كجنود. لم أستطع أن أقرر ما إذا كانوا مخيفين أم مثيرين للشفقة.

هل سيستجيب مرسي للحشود الحاشدة؟ سألت جهاد الحداد من جماعة الإخوان المسلمين عبر الهاتف. ولم يبذل أي جهد لإخفاء صدمته من حجم الاحتجاجات.

قال وهو يرتجف: "قد تظن أنه سيضطر إلى ذلك". "الرئيس عنيد."

وبحلول منتصف الليل، كنت خارج مقر جماعة الإخوان المسلمين. قبل ستة عقود من ذلك، في 27أكتوبر 1954، وهو اليوم الذي نجا فيه عبد الناصر من محاولة اغتيال في الإسكندرية، كان هجوم الغوغاء الذي نظمته الحكومة على مقر جماعة الإخوان المسلمين في القاهرة بمثابة بداية حملة القمع الأشد قسوة في تاريخ الحركة. والآن أحاطت حشود أقل عدداً ولكن أكثر منهجية بمكاتب الإخوان الجديدة اللامعة. وقام العشرات من الشبان بإلقاء الحجارة والزجاجات الحارقة. أطلق عدد قليل من بنادق الصيد المحملة بالخرطوش، وكان آخرون يوجهون مؤشرات ليزر خضراء نحو الطوابق العليا.

لماذا عرض الضوء؟ سألت بتكتم. وقال أحد المهاجمين إنهم كانوا يبحثون عن عدد قليل من الإخوان المسلمين المتبقين المختبئين بالداخل. "لقد تركهم رؤساؤهم مثل الغنم للذبح".

وشاهدت فيما بعد لقطات فيديو للإخوان المسلمين وهم يختبئون خلف أكياس الرمل داخل النوافذ ويطلقون النار على المهاجمين.

لكن بينما كنت هناك، كان الحشد في الخارج يلقون قنابل الغاز بكفاءة عالية. ولم تكن هناك هتافات أو هتافات، ولم تكن هناك مظاهرات في الشوارع. اجتاح حريق المدخل.

كان رجلان في منتصف العمر يراقبان الأمر من على كرسيين قابلين للطي على حافة أرض مفتوحة متاخمة للمقر، مثل مشجعي كرة القدم في حفلة على الباب الخلفي. هل كانوا متفرجين أم مشرفين؟ لقد اشتبهت في عملاء المخابرات.

كان اثنان من رجال الشرطة يرتدون الزي الرسمي يتحدثون عبر أجهزة الراديو المحمولة خارج سيارة الدورية على بعد بناية واحدة من النار، ولم يفعلوا شيئًا.

ثم توقفت مركبتان مدرعتان للشرطة. وسخر المهاجمون من رجال الشرطة لاعتقال من تبقى من الإخوان المسلمين بالداخل. لكن الشرطة ابتعدت وتركت الحرق متعمدا.

وبعد أن غادرت، حاول أحد الإخوان الهرب لكنه تعرض للضرب وسُحب على الأرض وتم تسليمه إلى الشرطة. وقد تم تسجيل ذلك أيضًا بالفيديو. وقتل ثمانية آخرون في مكان الحادث، بحسب وزارة الصحة، برصاص الإخوان المسلمين الذين كانوا يدافعون عن مقرهم. كان لا يزال مشتعلًا حتى صباح الأول من يوليو (تموز). كان اثنان من اللصوص ينفذون مرحاضًا من الخزف.

...

تساءلت كيف يجب أن تشعر وأنت الزعيم المنتخب لثمانين مليون شخص -أول زعيم منتخب ديمقراطيًا في تاريخ بلدك -متحصنًا أنا لخوض معركتك الأخيرة.

الحشود في الخارج تنتحب من أجل دمائك. لقد تحولت قوات الأمن الخاصة بك ضدك. أنت تعتقد أنك لا تدافع بأقل من فرصة بناء ديمقراطية جديدة بعد آلاف السنين من الاستبداد. لكن كل ما تخيلته كان خطأ. وما زال مرسي لا يرى ذلك.

قُتل خمسة عشر شخصًا في جميع أنحاء البلاد. وتم منع العديد من المحافظين الذين عينهم مرسي من دخول مكاتبهم، لكن المحافظين الذين جاءوا من الجيش أو الشرطة كانوا جميعاً يتمتعون بحماية جيدة. وقد استقال كل من لم يكن من جماعة الإخوان المسلمين تقريباً من إدارته، بما في ذلك السلفيون. الآن، في الأول من يوليو/تموز، كانت طائرات F-16 التابعة للقوات الجوية المصرية ذات الخطوط الملونة ترسم القلوب في السماء فوق ميدان التحرير. وحلقت خمس مروحيات عسكرية وسط المدينة وعلقت تحتها أعلام مصرية عملاقة.

وكانت وحدة الحرس الرئاسي التابعة للجيش قد نقلت مرسي إلى أ

مساحة عمل داخل المجمع الخاص به، ظاهريًا لحمايته أثناء الاحتجاجات. وقد انعزل هناك مع كبار مستشاريه الذين كانوا يتابعون التظاهرات عبر وسائل الإعلام وتقارير المخابرات ومحافظي المحافظات والمسلمين.

أخوة. رأوا الخروف المذبوح وسمعوا هتافات السيسي. لكن مرسي ظن أنه نجا.

وقدر عالم السياسة البريطاني الذي درس أحجام الحشود، نيل كيتشلي، في وقت لاحق "العتبة العليا المعقولة" للإقبال ضد مرسي في 30يونيو بحوالي مليون شخص في جميع أنحاء البلاد. ولكن في الأول من يوليو/تموز، قدمت جماعة الإخوان المسلمين، ووسائل الإعلام، والجيش، وأجهزة المخابرات، لمرسي تقديرات متباينة على نطاق واسع. وكان تقدير الجيش هو الأعلى ويقدر العدد بحوالي 650 ألفًا في القاهرة. قام مرسي ومساعدوه بجمع بيانات من شركات الهاتف المحمول حول عدد الهواتف الموجودة في ميدان التحرير وأماكن أخرى، ولجأ مستشاروه إلى برنامج Google Earth لمحاولة مقارنة الحشود. واستمرت المظاهرات المؤيدة لهم في القاهرة وأماكن أخرى، وخلصوا إلى أن الحشود المؤيدة لمرسي كانت كبيرة مثل تلك المناهضة لهم.

ولم لا؟ وعلى مدى عامين ونصف، كانت الحشود الإسلامية دائما أكبر.

والآن بعد أن أظهرت المعارضة قوتها الكاملة، أصبح مرسي على استعداد للتفاوض. وكان قد ناقش حزمة من التنازلات مع السيسي خلال الأسبوع الماضي، والآن يتوقع مرسي أن يتقاسم السيطرة على الحكومة من خلال العمل على تفاصيل رئيس وزراء جديد وحكومة جديدة.

وكان أوباما مسافرا في أفريقيا واتصل بمرسي من تنزانيا. وكانت هذه هي المحادثة الثانية بينهما خلال أسبوعين، وحذر أوباما للمرة الثانية من أن واشنطن لا تستطيع السيطرة على الجيش المصري.

وقال أوباما له، بحسب سجل المكالمة الذي أجراه موظفو البيت الأبيض: «لقد عبرنا عن اهتمامنا بتجنب التدخل العسكري في النظام السياسي». "الحقيقة هي أنه إذا كان الجيش المصري يعتقد أن استقرار البلاد في خطر، فسوف يتخذ قراره بنفسه. إنهم لا يتلقون توجيهات من الولايات المتحدة”.

ربما يتعين على الجيش أن يأخذ التوجيهات من مصر

أجاب مرسي: حكومة منتخبة ديمقراطيا.

عرف أوباما حينها أن الجيش ووكالات الاستخبارات

كانوا يحفزون الاحتجاجات. لكنه وبعض المستشارين ما زالوا يعتقدون أن مرسي قد ينقذ رئاسته ومعها

العملية السياسية. وحث أوباما مرسي مرة أخرى على السعي لتحقيق المصالحة كوسيلة للبقاء في منصبه.

وقال له مرسي: «لقد وجهت دعوات للحوار». "أحاول التواصل مع المسيحيين والشباب. . .
وسوف آخذ ما يقولونه على محمل الجد. . . .
لا أحب أن أرى بلدي منقسما. أنا مهتم بإجراء تغييرات على الحكومة. إذا انتهينا من
القانون وبدأنا انتخابات البرلمان. . ."

وكان مرسي لا يزال يتحدث عن المدى الطويل. "أنا أبذل قصارى جهدي ل
أكتب التاريخ لمصر جديدة ديمقراطية حقا، وما أريد أن أراه في حياتي هو أن السلطة تنتقل في
الانتخابات إلى مرشح آخر. سأكون سعيدًا جدًا إذا حدث ذلك".

وشدد أوباما على مدى إلحاح الأزمة. وقال له أوباما: "إذا تعاملت مع هذه المشكلة باعتبارها مشكلة روتينية أخرى، فأنا أخشى أنها لن تكون كافية لكسر الحمى". "لقد بدأت بنسبة واحد وخمسين بالمائة من الأصوات، وكان هناك الكثير من الأشخاص الذين لم يكونوا متأكدين من جماعة الإخوان المسلمين، لذا فأنت بحاجة إلى الهياكل التي ستجلبهم إليها، لذا فهي تقريبًا حكومة وحدة وطنية."

ثم وضع أوباما نقاط حديثه جانباً.
"لقد غادرت للتو جنوب أفريقيا، حيث يرقد نيلسون مانديلا في المستشفى وهو مريض للغاية. وعندما وصل إلى السلطة كان بإمكانه أن يذهب إلى الأقلية البيضاء ويقول: "نحن الأغلبية وسوف نفعل ما نريد". لكنه لم يفعل هذا. لقد بذل قصارى جهده للتواصل مع الأقلية. حتى أنه عين حارس سجنه السابق، وهو الرجل الذي كان حارسا للسجن الذي كان محتجزا فيه، وجعله مسؤولا عن الأجهزة الأمنية. وبسبب تلك اللفتات أظهر أنه يهدف إلى توحيد البلاد وإرسال رسالة مفادها أن الجميع جزء من هذا الشيء.

وبدا أن مرسي يفهم جدية أوباما. وقال: "أنا أتفق مع كل ما قلته". "أعتبر هذه النصيحة جيدة جدًا، من صديق مخلص لمصر ومني شخصيًا".

وتعهد مرسي بالاجتماع في اليوم التالي مع معارضيه للتباحث
إجراءات جذرية "حول بناء دولة مدنية ديمقراطية".
وقال له أوباما: "كن جريئاً". "التاريخ في انتظارك ولكن عليك مواجهته، ليس فقط بالقانونية، وليس فقط باتباع القواعد الموجودة على الصفحة، ولكن عليك القيام ببعض الإيماءات الجريئة."

ووصلت السفيرة باترسون إلى مجمع الحرس الرئاسي بعد اتصال أوباما. قالت لهم: "أنا أكره أن أقول ذلك، لكن الأمر سينتهي، عليكم أن تفعلوا شيئًا ما. سينتهي بك الأمر في السجن."

وتساءل حداد، مستشار الأمن القومي لمرسي، عما يعنيه الرئيس الأمريكي بـ"الإيماءات الجريئة". ورد باترسون بأن تغيير رئيس الوزراء ربما كان كافيا قبل بضعة أسابيع، لكنه الآن قد يتطلب استقالة مرسي. أرادت أن تتأكد من أن مرسي يعرف أن خصومه المدنيين ليسوا هم من يتخذون القرارات. "جمهورك هو السيسي".

وأخبرها حداد أن السيسي وافق قبل أيام على دعم تسويات مرسي، وبدت باترسون مذهولة. وكما وصفها أحد مستشاري مرسي في وقت لاحق، "لقد كان الأمر أقرب ما يكون إلى الدهشة التي يمكنك الحصول عليها من دبلوماسي". أظهر لها الفريق قائمة بالمرشحين الذين اقترح مرسي تسميتهم رئيسًا للوزراء، ربما يكون أحد محافظي البنك المركزي الحاليين أو السابقين الصديقين للغرب، أو ربما للمرة الثالثة لرئيس وزراء مسن خدم في البداية في عهد مبارك ثم في عهد مبارك. الجنرالات. وافق باترسون على أي منها إذا كان من شأنه حل المأزق.

"هل أنت متأكد من أنك آمن؟" سألت كما غادرت. قالت: "اعتني بنفسك".

اعتقد كل من حول مرسي أن واشنطن قادرة على السيطرة على البلاد
الجنرالات (على الرغم مما قاله أوباما). لقد أزعجوا حداد بشأن ما قاله له باترسون.

أجاب حداد: «قالت: انتبه». واعتمده مستشارو مرسي كلقب. أطلقوا عليها اسم "السفيرة، اعتني بنفسك".

ووصل السيسي بعد لحظات. وفي صورة نشرتها وسائل الإعلام، بدا الرجلان وكأنه لم يتغير شيء. اتكأ مرسي على كرسي مذهّب وابتسم بثقة. جلس السيسي على حافة الأريكة، منحنيًا قليلاً، ويداه مضممان بين ركبتيه وحقيبة بجانبه، وهو ينظر إلى مرسي.

لكن بينما كانوا يناقشون التغييرات الوزارية المحتملة، قاطعهم مدير مكتب مرسي لتسليم الرئيس رسالة. وبث التلفزيون الحكومي بيانا من المجلس الأعلى للقوات المسلحة.

"إذا لم تتم تلبية مطالب الشعب" خلال "الأربعين"
ثماني ساعات، فإن المجلس العسكري سوف "يطبق" خارطة الطريق الخاصة به، كما جاء في البيان. وأضاف أن «القوات المسلحة لن تكون طرفاً في دائرة السياسة أو الحكم»، لكن «إضاعة المزيد من الوقت لن تؤدي إلا إلى مزيد من الانقسام والصراع».

ماذا يعني هذا؟ وطالب مرسي.

وحاول السيسي مرة أخرى تفسير الأمر. وقال لمرسي إن القوات المسلحة تشجع جميع الأطراف على التوصل إلى تسوية، ولا تخطط لانقلاب. ووعد السيسي بإصدار بيان جديد يوضح نواياه.

لكن البيان الذي صدر بعد ساعات قليلة كان بمثابة لغز ذو معاني مزدوجة. وتعهد بأن القوات المسلحة المصرية لن تنفذ أبدا "انقلابا عسكريا"، لكنه عرّف "الانقلاب" بطريقة استبعدت الانقلابات العسكرية في عام 1952 (الإطاحة بالملك) أو في عام 2011 (الإطاحة بمبارك). ولم يخرج الجيش إلى الشوارع إلا "للوقوف إلى جانب إرادة الشعب المصري العظيم".

وكان مرسي آخر من أدرك في دائرته أن السيسي انقلب
له، ولكن الآن حتى مرسي رأى ذلك. قال لي وائل هدارة: "نحن نفهم ما حدث على أنه انقلاب عسكري". "ما هو الشكل الذي سيتخذه هذا الأمر يبقى أن نرى."

وكانت العاصمة والبلاد هادئة. ذهبت حشود 30 يونيو
المنزل في تلك الليلة وبقيت خارج الشوارع. ولم تكن هناك سوى مظاهرة صغيرة من القوميين المؤيدين للعسكرة وهم يلوحون بالأعلام المصرية في ميدان التحرير عندما زار السيسي مرسي في مجمع الحرس الجمهوري مرة أخرى يوم الثلاثاء 2 يوليو/تموز.

وكان لدى مرسي مناورة جديدة، "لفتة جريئة"، على حد تعبير أوباما: عرض مرسي على السيسي الدور الإضافي كرئيس للوزراء. ولا يمكن لأحد أن يشكك في سلطة أو استقلالية وزير الدفاع المصري.

ولا يمكن لأحد أن يقول إن مرسي كان يسيطر على السلطة.
وقدم السيسي نفسه على أنه مجرد وسيط. ووعد بنقل أفكار مرسي إلى المعارضة، وقال إنه سيقدم تقريرا في أقرب وقت ممكن. لكن لم يسمع منه أحد في المعارضة. ومن غير الواضح ما إذا كان قد استشار أي مدني. ولم يتحدث مرة أخرى مع مرسي.

وجاء الرد الساعة التاسعة مساءً بمكالمة من عضو آخر في المجلس العسكري، اللواء محمد العصار، أحد الاثنين اللذين

كان يتحدث مع مجموعة البرادعي طوال الوقت.

قال العصار لحداد: "الباشا يمشي" . يذهب الباشا.

وتوجه مرسي إلى الجمهور. المصريون المقتنعون لن يقفوا

من أجل الانقلاب العسكري بعد فترة وجيزة من الانتفاضة ضد مبارك، ألقى مرسي خطابه الأخير كرئيس من استوديو تلفزيوني صغير في مجمع الحراسة. وقال: "لقد مكنني الشعب، واختارني من خلال انتخابات حرة ونزيهة".

"الشرعية هي السبيل الوحيد لحماية بلادنا ومنع إراقة الدماء".

الكلمة العربية للشرعية، الشريعة، تأتي من نفس جذر الشريعة. كرر مرسي الشريعة أكثر من خمسين مرة في غضون دقائق معدودة. وقال: "إذا كان ثمن حماية الشرعية هو دمي، فأنا على استعداد لدفع الثمن".

تم طرح المسودة الأولى للتاريخ الرسمي من المطابع.

"الإقالة أو الاستقالة" كان العنوان الرئيسي على الصفحة الأولى لصحيفة الأهرام، حيث وصلت النسخ الأولى إلى أكشاك الصحف حوالي منتصف الليل.

وذكرت الصحيفة أن الجنرالات قاموا بالفعل باعتقال قيادات جماعة الإخوان المسلمين. وسيعتقل الجنود "كل من يقاوم هذه القرارات".

وعرضت شبكات التلفزيون "مؤقتات مرسي" التي تعد تنازليا للموعد النهائي الذي حدده السيسي بثمان وأربعين ساعة مثل دقائق حلول العام الجديد.

واتصل وزير الخارجية القطري خالد العطية بحداد حاملا معه اقتراحا نهائيا من كيري. ومن الممكن أن يظل مرسي رئيساً صورياً بينما يفوض كافة صلاحياته لرئيس وزراء جديد، ومن المفترض أن يكون البرادعي. قال لي أحد مستشاري مرسي في وقت لاحق: "إنها طريقة مهذبة للتنحي".

وكان المستشارون يعلمون أن مرسي لن يقبل أبداً. وكان كثيراً ما يشير إلى عنقه ويقول لهم: هذا قبل هذا. سأموت قبل أن أستسلم للاستيلاء العسكري.

لذلك اتصل حداد بباترسون ليبلغه بالعرض المضاد الذي قدمه مرسي. كان

على استعداد للتنحي بعد انتخاب برلمان جديد.

قال باترسون: لقد فات الأوان. وكان السيسي يضع اللمسات النهائية على خارطة الطريق

البرادعي وآخرون.

والآن كان حداد يفكر في التاريخ. وكتب على حاسوبه المحمول

تحذير للغرب باللغة الإنجليزية ونشره على الفيسبوك.

وأنا أكتب هذه السطور أدرك تمامًا أنها قد تكون آخر السطور التي يمكنني نشرها على هذه الصفحة. ومن أجل مصر ومن أجل الدقة التاريخية، دعونا نسمي ما يحدث باسمه الحقيقي: الانقلاب العسكري. . . .

في 25يناير [2011]وقفت في ميدان التحرير. أطفالي وقفوا احتجاجًا في القاهرة والإسكندرية. لقد وقفنا على أهبة الاستعداد للتضحية من أجل هذه الثورة. وعندما فعلنا ذلك، لم ندعم ثورة النخب. ولم ندعم الديمقراطية المشروطة. لقد وقفنا، وما زلنا نقف، من أجل فكرة بسيطة للغاية: إذا حصلنا على الحرية، يمكننا نحن المصريين بناء مؤسسات تسمح لنا بالترويج والاختيار من بين جميع الرؤى المختلفة للبلاد. وسرعان ما اكتشفنا أنه لم يكن أي من الممثلين الآخرين تقريبًا على استعداد لتوسيع هذه الفكرة لتشملنا.

لقد سمعتم كثيراً خلال الثلاثين شهراً الماضية عن إقصاء الإخوان عن غيرهم. ولن أحاول إقناعك بخلاف ذلك اليوم. وربما يأتي يوم يتمتع فيه الأكاديميون الشرفاء بالشجاعة الكافية لفحص السجل.

اليوم شيء واحد فقط يهم. في يومنا هذا وهذا العصر، لا يمكن لأي انقلاب عسكري أن ينجح في مواجهة قوة شعبية كبيرة دون إراقة قدر كبير من الدماء. ومن منكم مستعد لتحمل هذا اللوم؟

إنني على دراية كاملة بوسائل الإعلام المصرية التي حاولت بالفعل إلقاء اللوم على الإخوان المسلمين في كل أعمال العنف التي وقعت في مصر منذ يناير/كانون الثاني .2011وأنا متأكد من أنكم تميلون إلى تصديق ذلك. ولكن ذلك لن يكون سهلا.

ولا يزال هناك ناس في مصر يؤمنون بحقهم
لاتخاذ خيار ديمقراطي. وتجمع مئات الآلاف منهم لدعم الديمقراطية والرئاسة. ولن يرحلوا في مواجهة هذا الهجوم.

لتحريكهم، يجب أن يكون هناك عنف. سيأتي إما من الجيش أو الشرطة أو المرتزقة المستأجرين.

وفي كلتا الحالتين سيكون هناك قدر كبير من سفك الدماء. وسوف يتردد صدى الرسالة في جميع أنحاء العالم الإسلامي بصوت عال وواضح: الديمقراطية ليست للمسلمين.

ولست بحاجة إلى أن أشرح بالتفصيل في جميع أنحاء العالم

العواقب الكارثية لهذه الرسالة. . . .

في العام الماضي، تعرضنا لانتقادات لاذعة من قبل الحكومات الأجنبية ووسائل الإعلام الأجنبية وجماعات حقوق الإنسان كلما كانت إصلاحاتنا في مجالات الحقوق والحريات لا تواكب طموحات البعض أو تلتزم تمامًا بالأشكال المستخدمة في الثقافات الأخرى. إن صمت كل تلك الأصوات بشأن الانقلاب العسكري الوشيك هو نفاق، ولن يغيب هذا النفاق عن قطاع كبير من المصريين والعرب والمسلمين.

لقد رأى الكثيرون أنه من المناسب في هذه الأشهر الأخيرة أن يحاضرونا حول كيف أن الديمقراطية ليست مجرد صندوق اقتراع. قد يكون هذا صحيحا بالفعل. ولكن الصحيح بالتأكيد هو أنه لا ديمقراطية بدون صناديق الاقتراع.

وألقى حداد نسخة من نفس التحذير في مكالمة هاتفية أخيرة مع البيت الأبيض. وتحدث مع سوزان رايس، مستشارة أوباما الجديدة للأمن القومي، والتي تولت منصبها في الأول من يوليو/تموز. وكانت رايس سفيرة لدى الأمم المتحدة في عام 2011، وكانت من بين أوائل المدافعين عن الانفصال عن مبارك والوقوف إلى جانب المتواجدين في ميدان التحرير. لكن الاضطرابات في عهد مرسي أضعفت حماسها بشأن الأمل في إقامة مصر ديمقراطية.

وقالت لحداد إن على مرسي أن يقبل عزله من أجل الاستقرار. وعندما أغلق الخط، قال حداد للآخرين المحيطين بمرسي ألا يتوقعوا أي مساعدة من واشنطن.

"أخبرتنا أمي للتو أننا سنتوقف عن اللعب خلال ساعة واحدة،" واحد

كتب أحد مستشاري مرسي رسالة نصية إلى أحد أقاربه خارج مصر. الأم أمريكا، الراعي الدولي لمصر.

وكانت هناك امرأة واحدة فقط في مجمع الحراسة مع مرسي ودائرته الداخلية، وهي باكينام الشرقاوي، كبيرة مستشاريه السياسيين. وأمرها مرسي بالخروج حفاظا على سلامتها. وتوقع أن يقتله الجنود في تلك الليلة، كما أخبرني مستشاروه فيما بعد. لكنه بدا في سلام بشكل غريب. كان يروي القصص ويضحك على السياسيين في شبابه في عهد الرئيس السادات.

وبينما كان آخر المساعدين يغادرون المجمع، سمع أمراً عاماً للحراس: "أغلقوا البوابات".

...

ظهر عيسى، الذي كان يبدو صبيانياً بأكمام قصيرة ويعتمر قبعة سوداء، على شاشة التلفزيون وهو يقف س على منصة ويجلس خلفه كوكبة من النجوم: محمد البرادعي، بابا الأقباط، والإمام الأكبر للأزهر، وزعيم الحزب السلفي.

وقال السيسي فقط إن المصريين "لا يطالبوننا بتولي السلطة".
"لتأمين الحماية الأساسية لمطالب الثورة".
عدت مسرعاً نحو المكان الذي تجمع فيه أنصار مرسي، للبحث عن علامات العنف، لكن المركبات العسكرية أغلقت الطريق. وسار رتل من الدبابات وناقلات الجند المدرعة في الشوارع. لقد حاصروا كلاً من القصر الرئاسي ومجمع الحراسة أيضًا.

لقد رأيت العديد من الانقلابات في مصر: جنرالات يعزلون الرئيس لأنهم يخشون الاضطرابات العامة، وجنرالات يخططون للسيطرة من وراء الكواليس، وجنرالات يحلون البرلمان، وجنرالات يحاولون إلغاء التصويت. وفي كل حالة، استمرت السياسة مليئة بالتشويق والمفاجآت. ولكن ليس هناك من شك في حدوث انقلاب حقيقي عندما تراه.

22
انقلاب

4يوليو 2013

يا

استدعى باما مجلس الأمن القومي إلى البيت الأبيض في اليوم التالي، في 4يوليو/تموز. وقبل أيام قليلة فقط، أثناء سفره إلى أفريقيا، ذكّر أوباما الصحفيين بأن

وعلى النقيض من مبارك، كان مرسي "منتخباً ديمقراطياً". لذا يتعين على خصومه أن يتبعوا "عمليات قانونية ومشروعة". ولكن الآن فاجأ أوباما القاعة. بالطبع، لا يمكننا أن نصف عزل مرسي بالانقلاب، كما أعلن أوباما في بداية اللقاء.

لقد جاء الجميع على استعداد للتجادل حول تطبيق ذلك
"قانون الانقلاب": القانون الذي يقضي بقطع المساعدات عن أي جيش يطيح بحكومة منتخبة.

وفي حيرة من التحول الواضح في تفكير الرئيس، لاحظ فيليب جوردون، منسق البيت الأبيض لشؤون الشرق الأوسط، بصوت عال أن وصف الاستيلاء على السلطة بأنه انقلاب لن يتطلب بالضرورة المطالبة بإعادة مرسي إلى منصبه. ومن الممكن أن تتدفق المساعدات مرة أخرى بعد استعادة الديمقراطية.

وأشار أوباما، الذي كان مخطوباً حديثاً، إلى الجنرال مارتن ديمبسي
رئيس هيئة الأركان المشتركة. "إذا عزلني مارتي ثم قطعت دولة أخرى العلاقات معها، فلن يضطر مارتي إلى إعادتي قبل أن تعيد الدولة الأخرى العلاقات؟" سأل أوباما.

كما تحدى ديمبسي التوقعات. وقال إن الجنود يتعلمون عدم إزالة حكومة منتخبة. أليس هذا ما حدث؟
ألن يخاطر البيت الأبيض بمصداقيته إذا لم يسم الانقلاب بما هو عليه؟ قدم رودس نفس القضية.

لكن آخرين أرادوا دعم الإطاحة بمرسي. وقد رحب البعض في الإدارة بالعودة إلى الحكم العسكري، حسبما أخبرني العديد من الحاضرين في وقت لاحق. واعترف أحد كبار المسؤولين المعنيين بأن عودة الحكومة العسكرية "مثلت درجة معينة من الألفة والقدرة على التنبؤ، والتي لا يمكنك استبعادها تمامًا باعتبارها ذات بعض الفوائد".

وكان مسؤول استخباراتي كبير قد نقل بالفعل موافقته على ذلك
الاستيلاء على أحد أنصار السيسي في المنطقة. وكان مايكل موريل، نائب مدير وكالة المخابرات المركزية، قد تلقى مكالمة هاتفية بعد ساعات من الاستيلاء على السلطة من سفير عربي كبير في واشنطن.

"مايكل، ما رأيك في مصر؟" سأل السفير.

أجاب موريل: "هذا شيء جيد". وأضاف: "كان مرسي يقود البلاد إلى الخراب وعدم الاستقرار والتطرف. والآن لدى مصر فرصة مرة أخرى".

وكان موريل يعلم أن هذه الإجابة "تتعارض مع سياسة الولايات المتحدة".
كتب لاحقًا في مذكراته. لكن السفير وافق.

أجاب السفير: "أنت على حق". (سألت موريل لاحقًا في رسالة بالبريد الإلكتروني عما إذا كان السفير هو صديقه يوسف العتيبة. ورفض موريل ذكر مصادره وأضاف رمزًا مبتسمًا).

ومن جانبه، احتفل العتيبة بليلة الاستيلاء على الكوكتيل في مطعم هاملتون، وهو مطعم وبار عصري في واشنطن، وانضم إليه رامي يعقوب، المصري الذي سلم وزارة الخارجية مذكرة "العملية 6" حول العملية العسكرية المخطط لها. يتولى. كما أرسل العتيبة رسالة تهديد بالبريد الإلكتروني إلى البيت الأبيض.

وكتب إلى اثنين من كبار المسؤولين في الإدارة، هما جيك سوليفان وأنتوني بلينكن: "نصيحتي الودية هنا، أن الولايات المتحدة بحاجة إلى مباركة هذه الخطوة بطريقة أو بأخرى، حتى لو كانت إيماءة خفية وخاصة".

"إذا لم يتم منح هذه المباركة، فسيكون التصور هو أن الولايات المتحدة تدافع عن مرسي، وسيتم إعادة توجيه الغضب في الشوارع الموجه حاليًا نحو مرسي نحوك وضد سفارتك".

أخبرني بعض موظفي مجلس الأمن القومي أنهم يشعرون بالقلق أيضًا بشأن سلامة موظفي السفارة إذا عارضت واشنطن عملية الاستيلاء. لكن كيري جادل في الرابع من يوليو

في البيت الأبيض، أكدوا أن عزل مرسي لم يكن في الواقع انقلابا. وأكد كيري بحماس أن السيسي كان ينحني أمام الإرادة الشعبية ويتحرك لإنقاذ مصر. "قال الجنرالات إنهم عزلوا مرسي بغرض تجنب الانهيار وإرساء حكم القانون، وليس بغرض الحكم. وقالوا إنهم سيضعون خريطة طريق للعودة إلى الانتخابات. لقد كان هناك جدول زمني واضح للانتخابات"، أخبرني كيري لاحقًا أنه جادل بذلك.

وأصر على أن الجيش لم يكن يطلب إدارة البلاد. وقالوا إنهم مستعدون للسماح للناخبين باتخاذ القرار. "كان علينا أن نختبر ذلك"

لقد أخبرني كيري بذلك، وأضاف المزيد من الحجج العملية. "إذا وصفناه بأنه انقلاب وانسحبنا، فسوف نفقد أي نفوذ، وستكون الدول الأخرى سعيدة بملء الفراغ".

وانحاز هاجل ومديرو المخابرات، وفي النهاية ديمبسي، إلى جانب كيري: فالتحالف مع مصر كان أكثر أهمية من أن يتم تعريضه للخطر، ومن شأن المساعدات أن تمنح واشنطن قوة جذب للسيسي نحو الديمقراطية وبعيدًا عن العنف.

"لماذا تسحبون كل أدوات التأثير التي لدينا؟" "سأل هاجل في الاجتماع. "إذا حركت السيسي ومصر، سيكون السيسي على متن طائرة إلى موسكو خلال ثمان وأربعين ساعة، وإلى الصين، وسيحصل على التمويل". السعوديون والإماراتيون "سيضخون الملايين، وسيكون الإسرائيليون منزعجين للغاية، وهو ما سيتعين علينا التعامل معه".

وبعد سنوات، أخبرني كيري أن الأميركيين الذين عارضوا الإطاحة بمرسي كانوا ساذجين فيما يتعلق بالمنطقة. "يجلس الجميع ويصدرون حكمًا على مكان مثل مصر أو الشرق الأوسط في الوقت الحالي بناءً على مثل هذا الخطأ الأمريكي الكلاسيكي: إنهم يضعون افتراضات حول ما يجب أن يكون عليه وما يجب على المصريين فعله بناءً على وضعنا، ورؤيتنا للوضع الراهن". قال كيري: "الحياة، ورؤيتنا للعالم". لكن المشكلة هي أن هذا عادة ما يكون منفصلاً تماماً عن الواقع على الأرض وما يفعله الممثلون الآخرون. نحن نرى الأشياء فقط من خلال عدساتنا الخاصة ومثلنا العليا.

"في مصر، ما هو البديل؟" هو أكمل. "لم تكن ديمقراطية جيفرسون. هل كان مرسي؟ أم السلفيين؟ أم السيسي ورفاقه والمؤسسة التي كانت موجودة منذ فترة؟ هل هم ديمقراطيون؟ رقم هل هم شيء يستحق التباهي به في المنزل؟ لا، ولكن على مدى عدد السنوات التي قمنا بها

ثمانين مليار دولار لمصر. في أغلب الأحيان، كان هذا هو نوع الحكومة التي كانت لديهم، وفي كل الأوقات تقريبًا. والحقيقة هي أنه بغض النظر عن مدى رغبتي في أن يكون الأمر مختلفًا، فإنه لن يكون مختلفًا غدًا.

إن الدفاع عن مرسي على حساب استعداء إسرائيل وممالك الخليج الفارسي لم يكن له أي معنى بالنسبة لكيري. لقد كان بحاجة إلى هؤلاء الحلفاء لأولويات أعلى. وكان يركز على الاتفاق النووي مع إيران، والحرب الأهلية السورية، واتفاق السلام الفلسطيني. وقال لي كيري إنه لم يكن يريد "الدخول في معركة معهم حول شيء واضح تاريخيا مثل كيفية عمل مصر".

"إذا قلنا فقط: يا رفاق، نحن نغسل أيدينا، لقد انتهيتم، خمنوا ماذا؟ المملكة العربية السعودية والكويت وجميع البلدان الأخرى، بما في ذلك إسرائيل، ستكون هناك بنسبة مائة بالمائة. كلهم، في القلب، في نفس الحالة الذهنية.

في أدوارهم المعتادة، يقوم وزير الخارجية بالضغط من أجل اهتمامات مثل الحقوق والديمقراطية والاستقرار على المدى الطويل بينما يتحدث وزير الدفاع عن المصالح الأمنية المباشرة. لكن في هذه المناقشة اصطف أعضاء مجلس الوزراء على نفس الجانب. غابت الصوت الأعلى في البيت الأبيض من أجل الحقوق والديمقراطية، سامانثا باور، استعدادا لتثبيتها سفيرة لدى الأمم المتحدة. لقد كان نقاشاً من جانب واحد لصالح السيسي.

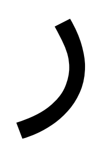
"لقد كنا معزولين في حكومتنا"، قال بن رودس لاحقًا
اخبرني. وأضاف: «الأشخاص الذين أرادوا أن تكون لهم علاقة مختلفة مع الشعب المصري، بما في ذلك الرئيس، كانوا على جزيرة في حكومتنا. كان من الصعب اتخاذ الموقف الذي اتخذناه في ذروة احتجاجات ميدان التحرير، والآن أصبح الأمر أصعب بكثير. كان هناك شعور بحتمية استعادة الجيش السيطرة”.

أوباما لم يحاربها. وقرر عدم الكشف عن أي قرار.
ولم تحدد الإدارة ما إذا كان ما حدث في 3يوليو/تموز في القاهرة انقلاباً عسكرياً أم لا، وبالتالي تجاوزت قانون الانقلاب. وفي السر، وصف بعض موظفي البيت الأبيض الإطاحة بمرسي بأنها "حدث يشبه الانقلاب".

23

قتل أنفسهم

3يوليو 24 – 2013يوليو 2013



وأبا العدوية كانت جارية في القرن الثامن في مدينة البصرة فيما يعرف الآن بجنوب العراق. وكان أبوها، وهو رجل فقير، قد أطلق عليها اسم رابعة لأنها ابنته الرابعة. وفي أحد الأيام وجدها صاحبها سيدها راكعة في الصلاة ومحاطة بالنور.

"لو كنت حرة لقضيت الليل والنهار في الصلاة"، صلّت بصوت عالٍ. "ولكن ماذا أفعل وقد جعلتني عبداً لإنسان؟"

وبدافع من إيمانها، منح سيدها رابعة حريتها. ركضت إلى الصحراء، ونامت على وسادة من الطوب، وكتبت الشعر.
أصبحت الأولى في سلسلة طويلة من الصوفيات والقديسات.
ثم استحوذت السينما المصرية في الستينيات، في عصرها الذهبي في عهد عبد الناصر، على قصتها. وُلدت رابعة من جديد في شريط السيلولويد باعتبارها أكثر زاهد خربشة براقة في التاريخ. وقد صورها أحد الأفلام المصرية أيام العبودية بجمال مبهر بأقراط ذهبية وحرير منسدل. رقصت داخل وخارج علاقات الحب على أغاني الفنانة المصرية الكبيرة أم كلثوم. ربما كان الفيلم، بقدر ما كان الأسطورة، هو الذي ألهم مجموعة من رجال الأعمال في القاهرة في التسعينيات لبناء مسجد يحمل اسم رابعة العدوية في حي الطبقة المتوسطة بمدينة نصر.

كانت رابعة لا تزال تتجول في برامج التلفاز في وقت متأخر من الليل حول العالم العربي عندما كنت أعيش في القاهرة، وكنت أفكر فيها باعتبارها القديسة الشفيعة لمزيج المدينة الخاص من التقوى والصخب. القاهرة هي عاصمة الثقافة العربية العابرة للحدود الوطنية التي تتحدى الصور النمطية و

العموميات، حيث قد يقدس نفس الأشخاص القديس، ويستمتعون بالفيلم، ويضحكون على التناقض.
وحظرت صحيفة نيويورك تايمز استخدام كلمة "علماني" لوصف أي مصري. وحتى أكثر المتحمسين
المناهضين للإسلاميين تبين في كثير من الأحيان أنهم متدينون بشدة (ولو بطرق مختلفة)، وحتى المصريين
الأكثر علمانية تحدثوا وتصرفوا على نحو بدا للأميركيين وكأنهم متدينون.

لا تثق أبدًا بأي شخص يحاول التعميم عن "الشعب المصري" ودينه، وخاصة من يقول لك إن "الشعب" إما
اختار الإسلام السياسي أو رفضه.

الرصيف المفتوح حول المسجد المسمى رابعة
وكانت العدوية هي المكان الذي اختاره أنصار مرسي كنقطة تجمع لهم قبل احتجاجات 30يونيو/حزيران. لقد
كان على مسافة قريبة من القصر الرئاسي، ولكنه بعيد بما يكفي لتجنب اشتباك آخر هناك مثل الصدام الذي
وقع في ديسمبر/كانون الأول. وبحلول الوقت الذي انتهت فيه مهلة الثماني والأربعين ساعة التي حددها
السيسي يوم الأربعاء، 3يوليو/تموز، كانت الحشود حول ميدان رابعة العدوية قد تزايدت إلى عشرات الآلاف.

وبدأت قوات الأمن في اعتقال مستشاري مرسي وقيادات الإخوان بينما كان السيسي لا يزال يتحدث. وأغلق الجنود والشرطة
جميع شبكات التلفزيون الإسلامية ومكتب قناة الجزيرة في القاهرة. وكانت كل وسائل الإعلام المصرية التي لا تزال تعمل تحتفل بعملية
الاستحواذ. وقد لف أحد مقدمي البرامج الحوارية نفسه بالعلم المصري.

ورقص آخر حول الاستوديو الخاص به بينما سقطت البالونات من السقف.
وبكت مذيعة أخبار في منديلها ثم غنت النشيد الوطني.

وقالوا جميعاً: "مرحباً بعودتك يا مصر". مصر «عادت».
وأظهرت شاشات التلفزيون رجالا ملتحين يقتادون مكبلي الأيدي وسط حشود من الجنود الذين كانوا
يسخرون منهم. ثم انتقلت الكاميرات إلى نساء في منتصف العمر يرتدين العباءات ويلوحن بالأعلام ويطلقن
الزغاريد. جادل مذيعو الأخبار حول ما إذا كانوا يحتفلون بالثورة الثانية أم بإكمال الثورة الأولى.

لم يكن هناك عودة الى الوراء. واعتقدت نسبة من المصريين في ذلك اليوم أن السيسي يرتكب جريمة.
فهل كانت هذه النسبة 15%كما قد يقول أنصاره؟ أم أنها كانت 30%، أو 50%أو ربما أكثر، وأين كانت؟
وكان الدعم المقدم لجماعة الإخوان المسلمين أعلى بكثير خارج القاهرة، لذا فإن الأدلة المتناقلة من العاصمة
كانت ذات قيمة محدودة. في أي

وفي هذه الحالة، يخاطر السيسي بالتعرض لعقوبة السجن إذا سمح بإجراء انتخابات ديمقراطية.

وكانت مي الشيخ قد بقيت في رابعة لمراقبة المشهد
وذكرت أن الأعداد استمرت في التضخم بعد إعلان السيسي عزل مرسي. عززت الطاقة العصبية الهتافات.

بكى الرجال الكبار. وكان الجنود يراقبون محيط المكان. والآن احتضن بعض الإسلاميين الحراس، ولفوا أذرعهم حول دروعهم الواقية من الرصاص. ثقة أم إنكار؟

وعلى حافة الحشد، بدأت مي محادثة مع أ
الأخت المسلمة اسمها إسراء البري، زوجة وأم في الثلاثين من عمرها، تغطي شعرها ولكنها ترتدي تنورة وبلوزة على الطراز الغربي. وصرخت بصوت عالٍ وسط الضجيج: "سنبقى حتى تعني أصواتنا شيئاً". «لم ندافع عن أصواتنا في المرة الأولى عندما ذهبنا إلى صناديق الاقتراع وانتخبنا برلماناً ثم شاهدنا وهم يحطمونه. ولكن من الآن فصاعدا سندلي بأصواتنا وسنقف خلفهم بدمائنا. . . .

لن أتخلى عن
حريتي".
لكن كل شيء انتهى، قالت لها مي. لقد رحل مرسي. لقد ذهب الدستور.

أجابت المرأة: "كنا نظن أن الجيش يقف خلفنا". "أراد الله أن يعلمنا أنه لا أحد يحمينا في هذا العالم، وأنه هو وحده ملجأنا."

وسار عشرات الآلاف في الشوارع يوم الجمعة وهم يحملون صور مرسي ويطالبون بعودته. واحتشد مئات الآلاف لنفس القضية في مدن وبلدات أخرى (حيث كان الإسلاميون أقوى). وأغلقت الشرطة جميع خدمات القطارات وأغلقت الطرق السريعة المؤدية إلى القاهرة لمنع الغزو.

وذكرت تقارير إخبارية أنه تم اعتقال محمد بديع، المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين. لكنه ظهر في رابعة ليعلن تحديه: «سلميتنا أقوى من رصاصهم». وأصبح هذا شعار الاعتصام.

ووقعت معركة بالأسلحة النارية في الليلة التي سبقت الانقلاب في فندق أصغر،

اعتصام إسلامي موازٍ كان يجري في ميدان النهضة، بالقرب من جامعة القاهرة بالجيزة، وفي الصباح، أحصينا أنا ومي بقايا سبع سيارات ودراجة نارية مشتعلة.

وقال إسلاميون إن مسلحين مجهولين قتلوا عشرات منهم. لكن ثقوب الرصاص كانت في اتجاهين وامتدت إلى عمق الشوارع الجانبية. وفي ميدان النهضة، لا بد أن الإسلاميين ومعارضيهم كانوا يحملون أسلحة.

لم أشاهد أنا أو أي صحفي غربي آخر أعرفه أسلحة في رابعة أثناء الاعتصام، وكنت أزورها كثيرًا. كانت رابعة المكان المناسب للعثور على جميع قيادات الإخوان الذين لم يدخلوا السجن بعد؛ كان هذا هو المكان الوحيد الذي كانوا فيه آمنين من الاعتقال. وقد أقاموا مقرًا ومركزًا إعلاميًا داخل المسجد. لقد أخبروني جميعهم بثقة كبيرة أن الشعب المصري لن يقبل أبدًا بالانقلاب. فالجنود والشرطة لن ينقلبوا أبدًا على مواطنيهم المصريين. وكان لكل جندي ابن عم كان من الإخوان المسلمين.

أعتقد أن على الجيش أن يستسلم؛ لن يكون أمامهم أي خيار"
هذا ما أخبرني به جهاد الحداد، المتحدث الرسمي باسم جماعة الإخوان المسلمين. "نحن نكثفها كل بضعة أيام، مع الاحتجاجات في جميع أنحاء البلاد. نحن قادرون لوجستيًا على الاستمرار في هذا الأمر لعدة أشهر». وكان والده عصام الحداد قد اختفى مع مرسي.

وأحيت الأزمة وحدة الحركة. وفي غضون أسبوع تقريبًا، كان أكثر من مائة ألف شخص -رجال ونساء وأطفال -يقضون الليل في اعتصام رابعة. بلدة صغيرة تمتد على عدة كتل وتقاطعات. وكان البعض يغادرون العمل كل يوم لكنهم يعودون للنوم هناك. قام المنظمون بتكديس أكياس الرمل أو الحجارة من الرصيف، وقاموا ببناء جدران منخفضة وبوابات مرتجلة في محيط المكان. قام رجال ملتحون يرتدون سترات برتقالية بفحص هويتي وتربيتي على الأرض. احتفظ البعض بالعصي أو الهراوات في متناول اليد في حالة الهجوم. لكنهم كانوا دائمًا يرحبون جدًا بالصحفيين الغربيين مثلي. لقد كنا أفضل أمل لهم في إيصال رسالة إلى العالم. وعلى الرغم من أن شبكة الجزيرة المملوكة لقطر كانت إلى جانبهم، إلا أن كل مؤسسة إخبارية مصرية لا تزال تعمل كانت ضدهم.

وكانت ممرات المشاة تمر عبر صفوف من الخيام المؤقتة أو الهياكل الخشبية، التي يصل بعضها إلى طابقين. خيم السكان على أسرة أطفال أو منصات أو بطانيات. خلال شهر رمضان، كان العديد من الأشخاص يأخذون قيلولة على الأرض بسبب حرارة منتصف النهار. قاموا بربط الأسلاك من أعمدة الإنارة لقرصنة الكهرباء للأضواء أو المراوح أو أجهزة التلفزيون أو

خدمة الإنترنت. استخدموا مواقد غاز صغيرة محمولة لإعداد الشاي أو القهوة، أو لطهي أطباق الفول.

نظم الإخوان أربعة مطابخ مشتركة كبيرة لإعداد وجبات بسيطة مثل الكشري أو المعكرونة. وكان بعضهم يقدم أكثر من عشرين ألف وجبة في الليلة. شكل الرجال والنساء صفوفًا منفصلة، مفصولة حسب الجنس، لالتقاط العشاء. قامت الشاحنات بنقل المياه النظيفة، وحمل الرجال أباريقها إلى المعسكرات داخل الاعتصام. كانت فرق التنظيف تمر عبر الاعتصام مرتين يوميا لجمع القمامة، لكن القمامة كانت تتراكم، وكانت رائحة الإنسانية تشم.

كان جو المخيم احتفاليًا بشكل غريب في معظم الأوقات. ربما
لقد كان الشعور بالانتماء للمجتمع، أو الإثارة العصبية، أو الإنكار المتعمد. عندما بدأ شهر رمضان في 8يوليو/تموز، كانت العائلات والأصدقاء يفطرون هناك معًا. ودوت الأناشيد الإسلامية عبر مكبرات الصوت. تبيع الأكشاك الدجاج المشوي، أو الذرة المشوية، أو الأعلام المصرية. كان الحلاق يوزع الزخارف على كرسي بالقرب من خيمته (مجانًا، ولكن التبرعات مرحب بها). أقام عدد قليل من الأزواج حفلات الزفاف.

أطلق الأطفال مدافع المياه البلاستيكية أو قفزوا على الترامبولين والزلاقات القابلة للنفخ. قام شخص ما بإعداد حمام سباحة صغير.
أمضى زميلي بن هوبارد أربعًا وعشرين ساعة يتجول
الاعتصام بكاميرا فيديو، وخلص إلى أنه وودستوك للإسلاميين. كانت بعض العائلات الضاحكة تلتقط صورًا بقلم لعشرات فراخ البط تحت لافتة كتب عليها DUCKS

ضد الانقلاب.
وقال مالكها، أحمد عبد الرحمن، البالغ من العمر تسعة وأربعين عاماً، لهوبارد: "تخرج البطة من البيضة ولا يمكنها العودة إليها، تماماً كما حصلنا على حريتنا ولن نعود".

في بعض الأحيان بدا الأمر وكأنه إعادة تمثيل لميدان التحرير الأصلي
الاحتجاجات، هي الطريقة التي يسير بها الأمريكيون في منتصف العمر حاملين الحراب لإحياء مدينة جيتيسبيرغ. لكن هذه المرة، لم يكن هناك محبو موسيقى الجاز ذوو الشعر الكثيف، ولا سيدات فضوليات من النخبة المصرية، ولا "ركن غوتشي" للأطفال الأغنياء من الجامعة الأمريكية، ولا أقباط.

وكان هؤلاء جميعهم تقريباً من الإسلاميين. خمس مرات في اليوم، كان كل رجل في الاعتصام يجثو على ركبتيه.

مع مرور الوقت، أصبح القلق أكثر وضوحًا.
تحدث الرجال والنساء في رابعة عن الأيام الخوالي السيئة عندما أ

كان الضرب بصوت عالٍ على الباب قبل الفجر يعني أن الشرطة جاءت لإخراج إسلامي من سريره وحبسه بعيدًا. وتذكر البعض ما تعرضوا له من تعذيب، كالضرب والتعليق في الهواء والصدمات الكهربائية على أعضائهم التناسلية. مليون شهيد! وأعلنت اللافتات في رابعة، لكنها كانت تتحدى السيسي على محاولة قتلهم جميعًا. لكن لا أحد يريد أن يموت.

كنت أعرف حينها أن قادة جماعة الإخوان المسلمين ألقوا اللوم سراً على مرسي لأنه أوقعهم في هذه الفوضى. لكن في العلن كانوا يحتفون به. غطت صورته كل خيمة وجدار وعمود إنارة واعتصام. باع البائعون أقنعة وجه مرسي وكان المتظاهرون يرتدونها. وكرر المتحدثون على المسرح اسمه وكأنه نبي الله.

وكان منظمو الإخوان يرحبون بأي حليف الآن. صعب-
لقد احتدم غضب الإسلاميين من على المسرح بشأن الشريعة الإسلامية والشرعية . وكانت إحدى القنوات المحلية التابعة لقناة الجزيرة تبث على الهواء مباشرة من رابعة، وكانت الشبكات الأخرى تبث مقاطع صوتية عن الاستشهاد أو الجهاد أو القصاص، مما أرعب العديد من المصريين الذين لم يقتربوا قط من الميدان.

"هؤلاء الناس يجرؤون على الاستهزاء بديننا!" زئير صفوت حجازي,
واعظ تلفزيون النار والكبريت. "الله سوف يعاقبهم!"
وهتف المتظاهرون ضد السيسي "الشعب يريد محاكمة القاتل المتسلسل".

وألقى البعض اللوم على المسيحيين أو وصفوا الجنود بـ "بلطجية الكنيسة". "هل رأيت الصلبان في ميدان التحرير؟" سأل واحد من المسرح. "هل هذه حملة صليبية؟"

لقد فزع محمد سلطان من الخطاب. وكان والده أحد الإسلاميين الذين يلقيون تلك الخطب النارية. لكن محمد كان أمريكيًا مصريًا يبلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا، ونشأ بشكل رئيسي في الغرب الأوسط للولايات المتحدة. عرفه جميع من حول الاعتصام بأنه الطفل السمين الذي يرتدي السراويل القصيرة والنعال التي يرتديها مايكل جوردان. كان أحد أعمام محمد أحد كبار قادة الإخوان المسلمين، وكان عمه الآخر (على الطريقة المصرية الكلاسيكية) لواءً في الجيش. وكان سلطان نفسه أكثر ليبرالية بكثير من معظم الإخوان المسلمين. كان قد ترأس رابطة الطلاب المسلمين القوية في جامعة ولاية أوهايو، وتطوع في حملة أوباما الرئاسية في أوهايو في عام 2008، وعاد إلى مصر في الوقت المناسب للانضمام إلى احتجاجات ميدان التحرير في عام 2011. ولم يعتبر نفسه رئيسا للوزراء.

اسلامي. كان يعتقد أن مرسي كان محافظا للغاية ورئيسا رديئا. لكن سلطان عارض الإطاحة العسكرية بأي زعيم منتخب ديمقراطيا. ولذلك انتقل ليلة الانقلاب إلى رابعة.

"هذا الشيء المتعلق بالشريعة والشرعية، لا يمثلني ولا يمثل الأشخاص مثلي!" قال لقادة الإخوان. لقد أقنعهم بـ"إعادة تسمية" الاعتصام. وقام بتبديل لون الخلفية خلف المسرح من الأخضر، لون علم النبي محمد، إلى الأسود، لون الحداد. وسرعان ما انتشرت اللافتات والقمصان المناهضة للديمقراطية والمناهضة للانقلاب في كل مكان، بدءاً بالحراس الذين ربتوني عند البوابات. حرص سلطان على عدم قيام أي كاميرا تلفزيونية بتكبير أي لافتة مكتوب عليها كلمة IHADJدون أخذ شعار واحد على الأقل مكتوب عليه PRODEMOCRACY ANTICOUP. انتشرت في كل مكان لافتات مكتوب عليها أطفال ضد الانقلاب، صيادلة ضد الانقلاب، محامون

ضد الانقلاب، وما إلى ذلك. أعلنت إحدى اللافتات أن المسيحيين ضد الانقلاب، على الرغم من أنني شككت في أن العديد من المصريين توافدوا على تلك اللافتة.

وبعيدًا عن الاعتصام، التقيت بعدد قليل من أصحاب المتاجر وسائقي سيارات الأجرة والخدمة

الناس، أو الغرباء في المصاعد الذين شككوا في ولائي بأسئلة دقيقة. هل صحيفة نيويورك تايمز تخضع لسيطرة الحكومة الأمريكية مثل صحيفة الأهرام في مصر؟ ماذا فكرت في رابعة؟ وإذا اقتنع السائل بأنني لست جاسوسا، فقد يهمس السائل بأنه يقف مع مرسي أو يكره السيسي. لكن لا يجب أن أخبر أحداً!

...

يا خارج رابعة، شعرت القاهرة بالتحول بين عشية وضحاها، كما لو أن عهد مرسي أصبح بالفعل ذكرى بعيدة. بحلول 4 يوليو، يبتسم

ظهر رجال الشرطة في الزوايا. وأزالت وزارة الداخلية الحواجز الخرسانية التي نصبت لقطع الشوارع المحيطة بمقرها. وأعلن الوزير –وهو مسؤول من عهد مبارك عينه مرسي وهو الآن من المؤيدين المتحمسين للانقلاب –أن الشرطة وقفت أخيراً "مع الشعب". ظهرت ملصقات الشرطة

في جميع أنحاء المدينة مع صورة لأطفال يبتسمون لضابط يرتدي الزي الرسمي.

أصبحت الشرطة الآن منفتحة بشأن ارتياحهم. وقال إيهاب يوسف، مسؤول الشرطة السابق الذي عمل كمتحدث غير رسمي للغربيين: "كان لديك ضباط وأفراد يعملون في ظل سياسة محددة ضد المتطرفين الإسلاميين والإسلاميين بشكل عام". ثم فجأة ينقلب النظام ويصبح هناك نظام إسلامي يحكم. لا يمكنهم أبدًا قبول ذلك نفسيًا".

تحسنت الحياة اليومية على الفور. وانتهت خطوط الغاز وانقطاع التيار الكهربائي في اليوم التالي للانقلاب. هل قام أحد اللاعبين –الجيش، على سبيل المثال –باحتجاز احتياطيات الوقود؟

وقال لي ناصر الفراش، المتحدث الرسمي باسم الوزارة المعين من قبل مرسي: "كان هذا تحضيراً للانقلاب". "دوائر مختلفة في الدولة –من مرافق التخزين إلى السيارات التي تنقل منتجات البنزين إلى محطات الوقود –جميعها شاركت في خلق الأزمة".

قام مذيعو الأخبار والسياسيون الدخيلون بتضخيم عدد الأشخاص بشكل كبير
المتظاهرين الذين خرجوا ضد مرسي في 30يونيو.

وبينما كان الجيش قد أخبر مرسي في البداية أن عدد المتظاهرين ضده بلغ 650ألفاً في القاهرة، قال مقدمو البرامج الحوارية الآن إن عدد المشاركين بلغ عشرة ملايين. ثم قالت الداخلية سبعة عشر مليونا. وسرعان ما أصرت جميع نشرات الأخبار على أن العدد لا يقل عن ثلاثين مليونًا. "خمسون مليون مصري"، هذا ما أعلنه رجل الأعمال وزعيم الحزب نجيب ساويرس في مقابلة على التلفزيون الأمريكي - أي كل مصري بالغ تقريبًا. "نحن الذين طلبنا من الجيش أن يأتي!"

وكانت الألعاب النارية تنفجر فوق ميدان التحرير كل ليلة لمدة أسابيع.
وغطت الأعلام المصرية المدينة. هرع رجال الأعمال على جانب الطريق إلى نافذة سيارتي ومعهم دلاء من الأعلام الصغيرة لمحاولة بيعي.
سمعني الغرباء في متاجر اللاتيه الباهظة الثمن وأنا أتحدث الإنجليزية وسحبوني جانبًا ليخبروني عن الانتصار الذي حدث. مصر خرجت من الظلام! لماذا دعم أوباما الإخوان؟ ألم أخاف من المسلحين في رابعة؟ لماذا رفض الإخوان التفرق؟

وكان ساويرس قد تنبأ لي قبل الاستحواذ على ذلك الإزالة
وسيجلب مرسي الكثير من الأموال من الخليج الفارسي الغني بالنفط

أن مصر لن تحتاج بعد الآن إلى قرض صندوق النقد الدولي بقيمة 4.8 مليار دولار. وكانت توقعاته مدروسة جيداً: فقد منحت المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والكويت مصر على الفور ما مجموعه 12 مليار دولار، أي ثلاثة أضعاف قرض صندوق النقد الدولي المقترح وثمانية أضعاف المساعدات الأمريكية السنوية.

وأعلن العاهل السعودي الملك عبد الله في بيان صدر بعد ساعتين من الانقلاب أن السيسي "تمكن من إنقاذ مصر". (قطر، الدولة الخليجية الوحيدة التي دعمت الإخوان، لم تنضم إلى التبرعات).

قال لي ساويرس: «سيستغرق ذلك اثني عشر شهرًا دون أي مشكلة». في الواقع، منحت المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي حكومة ما بعد مرسي أكثر من ملياري دولار شهريًا لأكثر من عامين. في 20 يونيو/حزيران 2014، أي بعد مرور عام تقريبًا على الاستيلاء على السلطة، هبط الملك عبد الله بطائرته العملاقة في مطار القاهرة لفترة كافية ليصعد السيسي، الذي كان في السابق ملحقًا عسكريًا بالرياض، على متن الطائرة ويكرمه في اجتماع استمر نصف ساعة. ووصفها أحد العلماء بأنها "حضن النصر" للملك. وأكدت الصحافة السعودية أن الملك أحضر معه رئيس مخابراته الأمير بندر. لقد كانت "لفتة شكر" للمساعدة في تنظيم الانقلاب.

وكان وزير الخارجية المصري محمد كامل عمرو قد استقال في الفترة التي سبقت الاستيلاء على السلطة في الثالث من يوليو/تموز. ولكنه عاد إلى عمله في صباح اليوم التالي واستدعني إلى مكتبه. كانت وزارة الخارجية المصرية، وهي ناطحة سحاب مكونة من أربعة وثلاثين طابقًا بين الفنادق الفاخرة على طول نهر النيل، تحتوي على مساحة أرضية تقريبًا تعادل مساحة المقر الرئيسي لوزارة الخارجية –وهو رمز شاهق للسلطة البيروقراطية. وكان عمرو دبلوماسياً مخضرماً في عهد مبارك، تم تعيينه من قبل الجنرالات واحتفظ به مرسي. رحب بي في مكتبه الفخم المطل على النهر بمصافحة وابتسامة، وقال لي إن الإطاحة بمرسي كانت يوما عظيما لمصر.

ألم ألاحظ، في كل تلك المؤتمرات الصحفية مع الأمريكيين الزائرين، أنه كان يتراجع دائمًا ولا يبتسم أبدًا؟ أنه ترك الحديث مع الآخرين؟ نعم، لقد بقي في منصبه في عهد الرئيس الجديد. لكنه قال إنه كان يعارض مرسي دائما، بما في ذلك أمام الدبلوماسيين الغربيين. قال لي: "كنت أقدم الصورة الحقيقية لهذا البلد للعالم الخارجي". "لا أقصد أن أكون كذلك

أنا أنفخ في بوق السيارة، لكنني أعتقد أن نظرائي احترموا ذلك". وكان وزير مرسي يسمم حكومات أجنبية أخرى ضده.

تلقيت مكالمة هاتفية من محمد البرادعي وأنا لا أزال

في المبنى. لقد أعجبت بالبرادعي منذ أن توقع في ديسمبر/كانون الأول 2010أن زمن مبارك قد انتهى. وكان قد دافع عن جماعة الإخوان المسلمين ضد الاتهامات الكاذبة بالإرهاب. لقد كان صادقاً بشأن المذبحة العسكرية التي تعرض لها المسيحيون خارج ماسبيرو.

لكنه عرض نفسه مرارا وتكرارا على مدى ثلاث سنوات كمرشح لمنصب رفيع لكنه تراجع قبل الانتخابات. لم يجد أبدًا أن الملعب نظيف أو عادل بما فيه الكفاية. ويبدو أن استراتيجيته المفضلة هي المقاطعة. وأكدت استطلاعات الرأي الوحيدة المتاحة ما كان واضحا داخل مصر: كان البرادعي أكثر شعبية بين الصحفيين والدبلوماسيين الغربيين مما كان عليه بين المصريين.

الآن، في اليوم التالي للانقلاب، أخبرني أنه أنهى للتو مكالمات هاتفية طويلة مع جون كيري وكاثرين أشتون، كبير الدبلوماسيين في الاتحاد الأوروبي. لقد تحدث البرادعي مع كل واحد منهم بشكل مكثف طوال العام، وكان يشير إليهم بأسمائهم الأولى، مثل الأصدقاء القدامى.

وقال إنه بذل قصارى جهده لإقناعهم بأن عزل مرسي من شأنه أن "يعيد" الانتقال إلى الديمقراطية، والآن يحاول إقناعي أيضاً.

"كما قال يوغي بيرا، "لقد حدث هذا مرة أخرى"."

قال البرادعي. كان يعني أن "الثورة" في ميدان التحرير لديها فرصة ثانية، فرصة للبدء من جديد وتصحيح الأمور هذه المرة. سأكون أول من يصرخ بصوت عالٍ وواضح إذا رأيت أي علامة على التراجع فيما يتعلق بالديمقراطية".

هذه المرة، كان متأكدا من أن الجنرالات سيحترمون حكم القانون

والخضوع للمدنيين المنتخبين. وقال: "من الواضح أن رجال الأمن يشعرون بالقلق، فقد وقع زلزال وعلينا التأكد من التنبؤ بالهزات والسيطرة عليها". "إنهم يتخذون بعض الإجراءات الاحترازية لتجنب العنف؛ حسنًا، هذا شيء أعتقد أنه يتعين عليهم القيام به كإجراء أمني.

ومع ذلك، أعرب عن ثقته المفاجئة في المدعي العام.

أحد الموالين لمبارك والذي كان قد انتقده من قبل. "كل من يتم القبض عليه أو اعتقاله، يتم ذلك بأمر من المحامي

قال البرادعي: "الجنرال –والعضوية في جماعة الإخوان المسلمين ليست جريمة".

وكان يتحدث كما لو أنه يتمتع ببعض السلطة الشخصية في الحكومة الجديدة لضمان وعوده. وقال لي: "لقد أكدت لجميع السلطات الأمنية هنا أن كل شيء يجب أن يتم وفق الإجراءات القانونية الواجبة".

وعن الإخوان المسلمين قال: "لقد قيل لي أن هناك
عدد من الاتهامات ويجب التحقيق فيها". لكن الرئيس مرسي "عومل بكرامة واحترام، وهذا هو المهم". وأعرب البرادعي عن أمله في أن تتمكن جماعة الإخوان المسلمين من المنافسة في الانتخابات البرلمانية.

شعرت بالأسف عليه. لقد كان حائزًا على جائزة نوبل، وقد صدق ذلك
كل ما قاله له الجنرالات.
وفي اليوم التالي، الجمعة 5يوليو، ظهر جندي خارج مبنى الرئاسة
ومزق مجمع الحراسة صورة لمرسي معلقة على الأسلاك الشائكة. كانت مجموعة من أنصار مرسي قد خيموا في الخارج معتقدين أن الرئيس لا يزال محتجزًا في الداخل (وهذا كان صحيحًا، كما علمت لاحقًا من شخص كان معه)، فغضبوا. وأطلق الجنود النار وقتلوا أربعة منهم على الأقل. في جميع أنحاء مصر في ذلك اليوم، قُتل ما لا يقل عن ثلاثين مدنيًا في مظاهرات ضد الانقلاب. ولم تقم أي شبكة تلفزيونية مصرية بتغطية أي منها.

...

9

وكان إبراهيم الشيخ، الأخ الأصغر لمي، يعيش مع أخت أخرى في برج سكني على بعد بنايات قليلة من مجمع الحرس الرئاسي. لقد كان لا مبالياً بالسياسة قبل عام 2011، لكنه كان مليئاً بالأمل بعد الانتفاضة. وبعد الانتخابات الرئاسية، ألقى باللوم على مرسي في استمرار انتهاكات الشرطة، واعتقد أنه يستحوذ على الكثير من السلطة. لذلك انضم إبراهيم إلى عريضة تمرد واحتجاجات 30يونيو.

كان مستيقظاً قبل فجر يوم 8يوليو/تموز –حيث كان يقضي معظم الليل في الخارج، كما يفعل المصريون أحياناً خلال شهر رمضان –عندما سمع صوت إطلاق النار في الخارج. ركض إلى النافذة حاملاً كاميرا فيديو ورأى مجموعة من الرجال العزل يركضون في الشارع. وأطلق الجنود النار باتجاههم. العادية

وكان الشرطي المتمركز بالقرب من الزاوية صديقاً لإبراهيم، فصعد الضابط إلى سيارة الدورية ليختبئ حتى انتهاء الأمر. وحطمت الرصاصات الأبواب وحطمت النوافذ.

وبعد ساعات قليلة، أخرج إبراهيم وجار آخر جثة الشرطي من السيارة التي تناثرت فيها الرصاص. قال إبراهيم لمي: "لم يعد له رأس".

وكان مقتل الشرطي نهاية موجة من أعمال العنف ذلك الصباح. بدأ الحراس خارج مجمع الحراسة في إطلاق النار مرة أخرى عند الفجر، لأسباب لم أستطع فهمها أبدًا. وبحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى مكان الحادث، كانت القمصان والأوشحة وقصاصات الملابس غارقة في برك من الدماء في الشارع.

وكان معتز أبو الشقرة، وهو مهندس كهربائي يبلغ من العمر 25عاماً، يمسك بصفيحة من المعدن المموج الذي حاول المتظاهرون استخدامه كدرع. وكانت مليئة بثقوب الرصاص. وقال هو وشهود آخرون –بما في ذلك معارضو مرسي –إن الجنود داخل أبراج الحراسة بدأوا إطلاق النار لسبب غير مفهوم أثناء السجود لصلاة الفجر.

وأضاف: "يبدو الأمر وكأنهم يخوضون حرباً بين دولتين، وليس مثل جيشنا أو شرطتنا".

وانتشرت أغلفة الرصاص وبقع الدم على مسافة مئات الياردات. أطلق الجنود النار على الرجال الفارين أثناء فرارهم، وواصلوا مطاردة المتظاهرين في الشوارع الجانبية لساعات.

كان أستاذ مصري أمريكي زائر من نيويورك يقيم في شقة مجاورة بالطابق الثالث عشر، وأرسل لي عبر البريد الإلكتروني وصفًا لما رآه من نافذته حوالي الساعة الرابعة صباحًا .

(طلب مني الاحتفاظ باسمه سراً حفاظاً على سلامة عائلته في مصر).

"رأيت المئات من جنود الجيش والشرطة يطلقون الرصاص عليهم
وكان المتظاهرون العزل يركضون بشكل محموم باتجاه الشرق والجنوب في شارع الطيران بعيداً عن الجنود والرصاص. . . . كان المتظاهرون يركضون، ولم تكن هناك معركة أو تبادل لإطلاق النار".

وقتل الجنود أكثر من ستين وجرحوا أكثر من أربعمائة. وقال مسؤولون في وقت لاحق إن جنديا وشرطيين قتلوا أيضا. ومن المفترض أن يكون أحدهما هو الشرطي المارة الذي قتل على يد

رصاص الشرطة الذي ساعد إبراهيم على إخراج جثته من سيارة الدورية.

كتبت على تويتر من الشارع، وسط أغلفة الرصاص وبقع الدم. "المذبحة المصرية. . . وقال العشرات من الشهود، بمن فيهم المارة الذين يكرهون الإخوان، إن المتظاهرين كانوا غير مسلحين عندما بدأ إطلاق النار.

اعتقدت أنني كنت نقل الأخبار. لقد تم تلقي رسالتي وكأنها عمل من أعمال الحرب، ومن جهات غير متوقعة. لفتت تغريدتي انتباه نجلاء رزق، أستاذة الاقتصاد المصرية المنتسبة إلى جامعات هارفارد وييل والجامعة الأمريكية بالقاهرة، وصدف أنها صديقة زوجتي لورا.

اعتقدت أن رزق كان ليبراليًا قدر الإمكان. كانت تسرح شعرها وتفضل النظارات الحمراء الشبيهة بنظارات القطط، وتعيش ذهابًا وإيابًا بين نيويورك والزمالك. كان عملها الأكاديمي متشككًا في حقوق الملكية. لقد شاركت في مسيرة ضد مبارك في يوم الغضب، ومزقت عبوة من الغاز المسيل للدموع سروالها الجينز.

قالت: "من المؤسف أن تغطيتك تظهر جانبًا/جزءًا واحدًا من القصة".
ردت عليّ عبر تويتر بعد أن استخدمت كلمة "مذبحة".

"غير محترف للغاية."

وتراكم العشرات من الآخرين.

"اعتقدت أنك محترف. حرج عليك."
"هؤلاء إرهابيون."

"لقد استفزوا الجيش".

"لماذا لا نجمع حشدًا من 500 بلطجي ونهاجم منشأة تابعة للجيش الأمريكي بالطوب والمولوتوف وبنادق AK47؟

أراهن أنهم سوف يرمون الورود."

"لقد كانوا يتسللون الأسلحة إلى المسجد".

اتصلت برزق لأسألها: ألم تكن قلقة من مخاطر استعادة الجيش السيطرة؟

وقالت: "ليس من المثالي" أن يقوم الجيش بإطاحة الرئيس، "لكن هذا أفضل شيء يمكن أن يحدث. . . . نحن نعلم أن هذه هي إرادة الشعب، وأنا متفائل بحذر".

ما كانت تخشاه هو جماعة الإخوان المسلمين. "أنا قلق

حول السلامة. أنا قلق بشأن الإرهاب. أنا قلق من أن يحاول شخص ما تفجير نفسه في عملية جهادية باسم مرسي. لا أريد أن يتعرض أطفالي للقصف في الشوارع من قبل بعض أنصار مرسي الذين يريدون الدفاع عن الإسلام. هذا هو ما يقلقني. هذا

هي حركة من أجل الخلافة الإسلامية، لذا فإن مصر بالنسبة لهم مجرد تفصيل". كان الإخوان «يعيدوننا إلى العصور المظلمة، على جميع المستويات»، وكان العنف «اللغة الوحيدة التي يعرفون كيف يتحدثونها».

أما بالنسبة لإطلاق النار الجماعي، فإن "الأدلة مختلطة"، قال رزق. وقالت: "أعتقد أن المتظاهرين المؤيدين لمرسي يثيرون ردود فعل مضادة ستحظى بالتعاطف، تعاطف عالمي". "إنهم جيدون جدًا في تصوير صورة تجذب العالم الغربي، باستخدام مصطلحات غربية مثل "الشرعية" و"الديمقراطية". إنهم جيدون جدًا في لعب هذه اللعبة!

كان الأمر كما لو أنها تعتقد أن المتظاهرين قد قتلوا أنفسهم عمدًا، كأداء للغرب. (بعد سنوات، اعترفت بأنها تعرضت للاجتياح في تلك اللحظة، وفي الواقع تواصلت معي في ذلك اليوم من نيويورك.

"ماذا حدث في عام ." . .2013قالت وهي تتأخر. "أعني أننا لسنا سعداء. أنا لست ناشطًا سياسيًا كما كنت.)

لقد بدأت أشعر بالهوس المناهض للإسلاميين الذي يسيطر على الليبراليين في مصر. ودافعت جبهة الإنقاذ الوطني –التي انتقدت بشدة انتهاكات الشرطة في عهد مرسي –عن أعمال القتل. دعت الجبهة إلى مؤتمر صحفي ورفعت لافتة تقول: الإخوان المسلمون في أمريكا

المؤامرة ضد الثورة.

وأعلن المتحدث باسمها: "نتوقع أعمال عنف من جانب جماعة الإخوان المسلمين".

مضيفو البرامج الحوارية الذين تباهوا بتحريرهم من
وعادت المخابرات في عام 2011إلى صف الجوقة اليونانية لحملة القمع. "هل تعرف ماذا يعني أن يأخذ المصريون أنفسهم للوقوف وإطلاق النار على جيشهم؟" وأعرب أحد المضيفين عن أسفه، كما لو أن المتظاهرين كانوا يطلقون النار على الحراس.

"ننسى الأفكار. ننسى الأيديولوجيا التي تشبعوا بها. فقط
"تذكروا أنه دم مصري"، هكذا قال بصوت مهيب، محذرًا المستمعين من أن قادة الإخوان لديهم عقول "وحوش مفترسة".

شعرت بارتباط شخصي بمضيفة واحدة: لميس الحديدي. بدأت حياتها المهنية كمساعدة مراسلة في مكتب القاهرة لصحيفة نيويورك تايمز (في عام ،1998مباشرة بعد تخرجها من الجامعة الأمريكية في القاهرة). لقد ذهبت لتصبح واحدة

من أهم الأصوات المؤثرة في الإعلام المصري. كان وجهها، مع غرتها المميزة التي تتأرجح للأسفل فوق جبهتها، على اللوحات الإعلانية في جميع أنحاء الطرق السريعة. عندما التقينا لتناول القهوة في فندق فورسيزونز، قاطعنا بعض المعجبين الذين كانوا يطلبون التوقيعات. لكنها كانت لا تزال "فتاة نيويورك تايمز ،"كما أخبرني الحديدي كلما تحدثنا.

وعندما فاز مرسي بالانتخابات، "أغمي عليها" من البكاء،

قال لي الحديدي. "أغلقت الباب خلفي لمدة نصف ساعة وأنا أبكي".

وقد عزاها مرشد قديم: محمد حسنين هيكل،

وهو نفس مستشار عبد الناصر الذي كان الآن يقدم المشورة للسيسي، ويتشاور مع البرادعي، ويوجه تمرد. "كان هيكل يقول لي: لا تقلق، سوف يفشلون، أعطهم سنة واحدة وسوف يفشلون".

بعد عمليات القتل خارج مجمع الحرس الرئاسي الحديدي

كان جريئا. وأصرت على أن الإخوان المسلمين تعمدوا قتل بعضهم البعض من أجل إثارة التعاطف. وأكدت الحديدي في برنامجها الإذاعي تلك الليلة: "لقد وجدوا أنفسهم مقتولين على يد أصدقائهم -بعضهم، والتحقيقات ستظهر ذلك". وانتشرت النظرية على وسائل التواصل الاجتماعي أيضًا.

بدأ المتحدثون باسم الحكومة وكورس برامجهم الحوارية

ويقدم سبباً جديداً لعزل مرسي: أن الإخوان المسلمين كانوا دائماً "إرهابيين". "ما هي الحقوق الإنسانية للشخص المسلح الذي يرهب المواطنين ويهاجم المنشآت العسكرية؟" سأل المتحدث العسكري العقيد أحمد علي مجموعة من المراسلين الغربيين حول طاولة اجتماعات في يوم إطلاق النار.

وأوضح أن مصر كانت تواجه "حرب الجيل الرابع".

"حرب معلومات" جديدة انتشرت في جميع أنحاء المنطقة منذ بداية الربيع العربي.

"إنها كلها حروب ضد الدولة من قبل مواطنيها، والسلاح الرئيسي في هذه الحروب هو تداول الفتن والشائعات والأكاذيب". وكان المتحدث باسم السيسي ينكر نفس "الثورة" التي تعهد السيسي بحمايتها قبل خمسة أيام فقط. (أصبحت "حرب الجيل الرابع" الموضوع المفضل لدى السيسي).

قامت كل شبكة تلفزيونية بوضع شعار جديد في زاوية برنامجها

الشاشة: مصر تحارب الإرهاب، باللغتين الإنجليزية والعربية، ومن المفترض أن يكون ذلك لصالح الصحفيين والدبلوماسيين الغربيين.

ويروي مقدمو البرامج الحوارية الآن حكايات عن مخزونات الأسلحة في رابعة أو التعذيب تحت منصة المتحدثين. (لقد فحصنا الأمر ولم نعثر على شيء). وكان كل صوت على شاشة التلفزيون يقول إن الإسلاميين لم يكونوا مصريين حقيقيين على الإطلاق. سوريون وفلسطينيون ومتسللون آخرون تدفع لهم قطر ملأوا الخيام في رابعة. لقد جلبت أمريكا وإسرائيل الإخوان المسلمين إلى السلطة كجزء من مؤامرة لإضعاف وزعزعة استقرار مصر. ومن شأن أيديولوجيتها العابرة للحدود الوطنية أن تدمر الدولة. وكانت رئاسة مرسي احتلالا أجنبيا. وقامت وزارة الداخلية بتمويل إنتاج أغنية بوب وطنية خاصة بها عن الإسلاميين: "ليس من بلدنا".

ولم يعد الإخوان المسلمون مجرد "خراف"، بل أصبحوا يوصفون الآن في البرامج الحوارية بأنهم صراصير أو حشرات. وقال البعض إن اعتصام رابعة كان مليئا بالمرض. ونشر آخرون (بما في ذلك قناة العربية) شائعات عن "جهاد النكاح": فقد كانت النساء الإسلاميات يسلمن أنفسهن لرجال رابعة للحفاظ على الروح المعنوية. قبل عام مضى، فاز الإخوان المسلمون بالانتخابات الحرة في مصر. أما الآن فقد أصبحوا خطرين، وأجانب، وغرباء، وحتى دون البشر.

وزعم متحدث باسم وزارة الداخلية في مؤتمر صحفي أن العنف المزعوم الذي مارسته جماعة الإخوان المسلمين في ذلك الصباح أثبت بطريقة أو بأخرى أن الشرطة بريئة من قتل المدنيين أثناء الانتفاضة ضد مبارك. وأعلن أن "رجال الشرطة لم يظنوا قط أن التاريخ سيتحدث بهذه السرعة".

وأطلق الصحفيون صيحات الاستهجان على طاقم الجزيرة وخرجوا من الغرفة بسبب تقارير الشبكة الانتقادية لعمليات القتل.

وصاح المتحدث بعد هروب الطاقم: "نحن في مصر، بلد الديمقراطية".

وكانت النخبة المثقفة الليبرالية صامتة أو مبتهجة بالكامل تقريبًا.

وقد ألقى مالك عدلي، أحد أبرز محامي حقوق الإنسان في مصر، باللوم في عمليات القتل التي وقعت قبل الفجر على قادة الإخوان المسلمين "القذرين". ووصف الكاتب خالد منتصر الإسلاميين بأنهم أسوأ من "المجرمين والمرضى النفسيين"، لأنهم غير قادرين على التغيير. "إن خيانتهم وإرهابهم ومؤامراتهم هي وشم لا يمحى".

وكان أحمد ماهر، زعيم جماعة 6إبريل الذي قاد الانتفاضة ضد مبارك، واحداً من الليبراليين القلائل الذين شككوا علناً في الثقة في الجنرالات. "عندما يخدعوننا مرة أخرى كما فعلوا في عام 2011، ماذا سأقول للناس؟" غرد.

انقلب عليه الليبراليون الآخرون ووصفوه بأنه إسلامي وحاولوا طرده من حركته. وكتبت إسراء عبد الفتاح، أحد مؤسسي جماعة 6 أبريل، في عمود صحفي تهاجمه: "لا مفر من أن يقف الشعب المصري العظيم إلى جانب قواته المسلحة ضد الخطر الأجنبي".

ولم يتحدث بوضوح سوى مثقف واحد بارز ضد الانقلاب العسكري والهستيريا المعادية للإسلاميين التي رافقته: عمرو حمزاوي، أستاذ العلوم السياسية في جبهة الإنقاذ الوطني. وفي أعمدة الصحف، شجب "الفاشية تحت الذريعة الزائفة للديمقراطية والليبرالية"، ووصف المثقفين الذين ظلوا صامتين بأنهم "طيور الظلام في هذه المرحلة".

وقد شوهته وسائل الإعلام وزملاؤه الليبراليون ووصفوه بالخائن.

قالت لي داليا عبد الحميد، إحدى المدافعات عن حقوق الإنسان، بعد سنوات، بعد أن هدأت المشاعر: "لقد كان كاساندرا". "كنا بمثابة حصان طروادة، "التعبئة الشعبية" التي سمحت للجيش بالسيطرة على الأمور".

لقد شهد التاريخ كل ذلك من قبل: انهيار العملية السياسية،

انتقام البيروقراطية الراسخة، والهستيريا القومية المفرطة، وتمجيد الجيش، وتقديم كبش الفداء والشيطنة. فايمار ألمانيا، على سبيل المثال. لكنني وقعت في حب الشباب الليبرالي في مصر. لقد كسر قلبي رؤيتهم هكذا.

24

أسد

24يوليو 2013 – 6 أغسطس 2013

أ

أغنية جديدة وصلت إلى موجات الأثير في مصر بعد أيام قليلة من الانقلاب. "تسليم العيادي" هو الذي نطق باللازمة. "باركوا الأيدي، باركوا جيش بلدي". كان في كل مكان. لقد أشبعت التغطية التلفزيونية. يتم ضخها من كل ستيريو سيارة أجرة. كان يخرج من نوافذ القوارب على طول نهر النيل. لا يمكنك التجول حول المبنى دون سماع ذلك. وقد قام بتسجيلها رئيس نقابة الموسيقيين التي ترعاها الدولة. لقد رفع لحناً جذاباً من أغنية شعبية مصرية عمرها عقود من الزمن (كانت جوقتها، "القمر بدر مبكراً"، تتحدث عن أفراح رمضان). وقد استعان بمجموعة من نجوم البوب المصريين المتمرسين ليغنوا الأبيات تباعاً بأسلوب "نحن العالم".

وبدأت الكلمات "هذا البطل الذي ضحى بحياته، الذي رفع اسم بلدي وضحى بنفسه من أجلها"، وقطع الفيديو للسيسي وهو يرتدي نظارة داكنة وقبعة سوداء. وتناوبت مقاطع منه مع لقطات عسكرية لجنود يهبطون من الجدران، أو يشقلبون فوق مركبات متحركة، أو يطلقون المدافع في الصحراء. وفي أحد المقاطع، ظهر السيسي وهو يمارس رياضة الجري في الصباح مع مئات من الجنود الذين يرتدون الزي العسكري وهم يركضون في صفوف خلفه.

غنى رجل مبتسم: "رجل حقيقي، ابن رجل حقيقي". "قال لمصر: لا يهم إذا عشت أو مت، ولم يوافق قط على التسامح والنسيان". ورددت النجمة الشقراء: "يا مصر أنت تأمرنا ونحن نطيع".

وبحلول أواخر يوليو/تموز، كانت ملصقات السيسي معلقة على واجهات المتاجر في كل مكان خارج اعتصام رابعة. الجميع يعرف من هو المسؤول الآن.

قام البعض بلصق الملصقات بحماس، والبعض الآخر للحماية.
وعلق الإسلاميون ملصقات السيسي للمساعدة في إبعاد الشرطة. واحتفظت بواحدة منها كتذكار: السيسي، بوجنتيه النظيفتين وقبعته العسكرية، يقف جنبًا إلى جنب مع أسد يزأر.

ونشرت الصحف الحكومية تحيات طويلة ومنمقة شعرًا لـ "المظهر الخالي من العيوب" للسيسي و"قوته الجبارة". محلات في الزمالك تبيع كب كيك السيسي. كان أحد متاجر الملابس الداخلية في وسط المدينة يبيع سراويل السيسي الداخلية -"للمرأة التي تريد حقًا أن تثبت لرجلها أنه هو الرئيس"، كما سخر أحد الصحفيين على وسائل التواصل الاجتماعي. وأنتج منتج "باركت الأيادي" أغنية ثانية تحيي السيسي لمواجهته "الإرهابيين". واختتمت هذه الأغنية بالجوقة "الثلاثين من يونيو لم يكن انقلابًا".

(أغنية ثالثة شكرت الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية على دورهما في عملية الاستحواذ).

وعندما أعلن عزل مرسي، أمسك السيسي بمنبره بكلتا يديه وأصر على أنه حاول مساعدة الرئيس. وقال السيسي آنذاك إنه لم ييأس من مرسي إلا بعد خطابه الأخير، في 2يوليو/تموز، لأنه "فشل في تلبية مطالب الشعب كاملة".

وفي الحقيقة، كان الجنرالات قد أشاروا إلى جبهة الإنقاذ الوطني التي يتزعمها البرادعي وغيرها بحلول بداية يونيو/حزيران بأنهم يدعمون الإطاحة بمرسي. وكان أحد الجنرالات قد قال لفريق مرسي إن "الباشا يجب أن يرحل" قبل ساعات من خطاب 2يوليو/تموز. ومع ذلك، بدا السيسي نادمًا تقريبًا على الإطاحة بمرسي.

وقد أخبرني المسؤولون الأمريكيون، الذين قرأوا تقارير استخباراتية حول المحادثات بين كبار الجنرالات، أن السيسي كان بالفعل أكثر ترددًا من بعض الجنرالات الآخرين بشأن عزل مرسي (لم يستمتع المجلس العسكري أبدًا بالاعتراف بانتخاب مرسي في المقام الأول). لكن الشرطة، والجواسيس، والقضاة، والأزهر، والكنيسة القبطية، وأصحاب وسائل الإعلام الإخبارية الخاصة، و"الليبراليين" على النمط الغربي، وملوك الخليج الفارسي -كلهم كانوا يضغطون على السيسي ليحل محل مرسي. .

ولم تتحدث واشنطن بصوت واحد ذي مصداقية بشأن هذه المسألة.

وقد وافق السيسي على تلك الدفعة، وقد غيرته. في خطاباته ومقابلاته الأولى، كان السيسي يهتف لجمهوره باللغة العربية العامية: أنتم "نور عيني". أسلوبه المعسول في الكلام

كان عاطفياً إلى درجة أنه بدا رومانسياً تقريباً، وقارنه البعض بعبد الحليم حافظ، سيناترا المصري.

قال لي أستاذ العلوم السياسية حسن نافع: «السيسي ناعم وحلو، وكأنه يغازل امرأة جميلة». وأطلق البعض على وسائل التواصل الاجتماعي لقب "القواد" على السيسي.

وقال السيسي لصحفي مقرب منه في محادثة خاصة أخرى تم تسريبها لاحقًا للعامة: "الناس يعتقدون أنني رجل ناعم".

وحذر السيسي من أنهم كانوا مخطئين. سيكون حازما. رئاسة السيسي ستكون بمثابة "تعذيب ومعاناة".

لقد ظل بعيدًا عن الأضواء في البداية، بعد أن قام بتعيين مدني
القائم بأعمال الرئيس: عدلي منصور رئيس المحكمة الدستورية العليا. (تم تعيين البرادعي نائبا للرئيس، مسؤولا عن العلاقات مع الغرب). وكانت الوظيفة الرئيسية لمنصور هي إصدار ميثاق مؤقت، واستندت ديباجته إلى كلمات وزير الدفاع السيسي. كان الانقلاب رسميًا.

عاد السيسي إلى الظهور بعد ثلاثة أسابيع من الانقلاب في خطاب متلفز في 24يوليو/تموز، وكان رجلاً متغيراً. لم يعد ينظر إلى أعلى ويداه بين فخذيه، ولم يعد يرتدي قبعته الصبيانية وأكمامها القصيرة. أما الآن فهو يرتدي نظارة شمسية داكنة اللون وكتافًا مذهبة، مثل بينوشيه العربي.

ومع ذلك، بدا وكأنه يتخلف خطوة عن دعاته. وكانت وسائل الإعلام الحكومية والخاصة -التي من المفترض أنها تسترشد بنفس وكالات الاستخبارات -تدين الإخوان المسلمين باعتبارهم إرهابيين أجانب وخطرين. ولا يزال السيسي يدافع عن صدق جهوده لمساعدة مرسي.

وفي حديثه أمام جمهور من الطلاب العسكريين، قال للمصريين أن يثقوا به كما يثق الأشبال بالأسد. "هل تأكل الأسود أشبالها؟" سأل.

"الجيش المصري هو حقا مثل الأسد."

وأكد مراراً وتكراراً: "نحن لم نخن ولم نتآمر". "أنا لم أخدع الرئيس. . . . لا تظنوا أنني ضللت الرئيس السابق!

"على من يمكنني أن أكذب؟" قاطعه بعد لحظات قليلة. "إلى عائلتي من المصريين؟"

وأحصى المرات التي قال فيها إنه حاول إنقاذ مرسي

-"مرة، مرتين، ثلاثاً." وفي وقت ما، ادعى أنه قال ذلك

مرسي في يناير/كانون الثاني الماضي أن يتخلى عن "مشروعه" بأكمله -"هذا الشكل من الدين". لكن السيسي أصر بعد ذلك على أنه لم يتخلى عن مرسي حتى مارس/آذار أو حتى الأسبوع الأخير من يونيو/حزيران. وروى أنه كان ينصح مرسي بتفاصيل صغيرة مثل صياغة الخطابات. وعندما قرأتها مرة أخرى لاحقًا، بدا لي تكرار السيسي أنه لم يخن الرئيس أمرًا قهريًا، مثل التعويض عن الشعور بالذنب.

لكن لهجته أصبحت أكثر صرامة في النهاية. لقد خرج الإخوان المسلمون الآن لتدمير مصر، "لإسقاط البلاد أو لحكمها".
"إذا كان أحد يتصور ذلك من خلال العنف أو الإرهاب!
الإرهاب! . . ،"قال وهو يبتعد. ودعا "جميع المصريين الشرفاء والثقين" إلى النزول إلى الشوارع يوم الجمعة "لإعطائي تفويضًا لمكافحة العنف والإرهاب المحتملين".

قال: "أظهر للعالم". "تحمل العبء معي."
لقد دفعت إنذارات وسائل الإعلام الإخبارية بشأن الأجانب والمسلحين والأسلحة والأمراض جمهور السيسي إلى الخوف من معسكر رابعة. وظهر نوع من الاندفاع القومي مرة أخرى في القاهرة. لقد أزلنا طاغية آخر! أخبرني أصدقاء مصريون ليبراليون، كانوا يخشون سرًا عودة الجيش إلى السلطة، أن عائلاتهم اشتكت من انتظار السيسي طويلًا لإخلاء رابعة بالقوة.

قال لي الناشط الحقوقي والصحفي حسام بهجت في وقت لاحق: "كنا حيوانات". "كنا مروعين."

يقضي المصريون عادة فترات ما بعد الظهيرة في شهر رمضان في مشاهدة المسلسلات التليفزيونية المخصصة لهذا الموسم. وفي يوم الجمعة الذي دعا فيه السيسي إلى التظاهر، ألغت ثماني شبكات تلفزيونية فضائية شعبية برامجها لدفع المشاهدين من على أرائكهم. وحلقت طائرات الهليكوبتر على ارتفاع منخفض فوق المدينة، وقامت المركبات العسكرية المدرعة بدوريات في الشوارع، وخرج الجنود والشرطة للتعبير عن فرحتهم. وسار عشرات الآلاف، تمامًا كما طلب السيسي، لمنحه "تفويضه". وتطايرت ملصقات تحمل صورة وجهه فوق الحشود.

وهتف البعض "اطحن يا سيسي". طرد الإسلاميين. وقُتل ثمانية آخرون في ذلك اليوم خلال اشتباكات بالقرب من رابعة.
ثم، حوالي الساعة 10:30 مساءً، عندما عادت الحشود إلى منازلهم،
انطلقت مسيرة مضادة للإسلاميين من رابعة عبر حي مدينة نصر. عندما وصلوا إلى الساحة المفتوحة المحيطة بالنسخة المصرية من مقبرة الجندي المجهول،

أطلق الجنود والشرطة النار، فقتلوا أكثر من ثمانين متظاهراً. عملية قتل جماعية ثانية.

أحد أفضل أصدقاء مي الشيخ كان يعمل في مكتبنا.
وكانت صديقة مي قد سارت مع والدتها، كما طلب السيسي. قالت لها مي: "إذا كنت تستطيعين العيش مع الدم، فعليك أن تعيشي مع ثقله". لم يتحدثا لأسابيع، ولم يتحدثا مرة أخرى عن السياسة.

...

ت

وكانت وزارة الخارجية قد حثت في اليوم التالي للانقلاب على ذلك
وأي أمريكي يعيش في مصر "يغادر في هذا الوقت". لقد غادرت لورا وأبنائنا لقضاء الصيف. وربما كان من الممكن أن نغفر للأميركيين الذين بقوا في القاهرة لاعتقادهم أننا استيقظنا في طهران أو بيونغ يانغ. وانتشرت الملصقات واللافتات في جميع أنحاء المدينة، ووضعت علامة X سوداء على وجه السفير الأميركي، أو وضعت وجه أوباما مع وجه أسامة بن لادن. وزعمت القاضية السابقة تهاني الجبالي على شاشة التلفزيون أن الأخ غير الشقيق لأوباما الكيني كان يمول جماعة الإخوان المسلمين.

وتم الترويج لنفس الخط المخالف للواقع إلى حد كبير في جميع أنحاء وسائل الإعلام الإخبارية: فقد تآمر أوباما وباترسون ("سفير الإخوان المسلمين") مع إسرائيل وتركيا وقطر لجلب الإسلاميين إلى السلطة في مؤامرة لتقسيم وشل مصر. كان البيت الأبيض يعلم أن السعوديين والإماراتيين هم من يقودون الحملة الدعائية، وتعجب بن رودس من أن مثل هذا النقد اللاذع يأتي من الحلفاء. وقال لي: "لقد احتفلوا بالانقلاب العسكري، ومع ذلك لم يكن هناك أي شك في ذلك في واشنطن".

قام البيت الأبيض بإيماءات. وفي 24 يوليو/تموز، يوم "خطاب التكليف" الذي ألقاه السيسي، أخرت الإدارة تسليم أربع طائرات جديدة من طراز F-16 إلى مصر. ولكن في المجمل، كانت الولايات المتحدة غير مبالية بشكل ملحوظ إزاء القدح المناهض لأمريكا من جانب عميلها المصري.

تحدث هاجل مع السيسي كل يومين تقريبًا في ذلك الصيف، بما مجموعه سبعة عشر مكالمة على مدى خمسة أسابيع، وأحيانًا لمدة تصل إلى تسعين دقيقة. أخبرني هيغل أنه حذر السيسي قائلاً: "هذا هو ما سيأتي. سنقوم بسحب الكثير من الدعم. سنقوم بتعليق أنظمة الأسلحة. . . . نحن لا نريد أن نكون

هناك سواء. إجراء الانتخابات. دع الناس يخرجون من السجن. دعوهم ينظمون الاحتجاجات". لكن لهجة هاجل ظلت تصالحية. وأرسل للسيسي سيرة ذاتية عن جورج واشنطن، كنموذج يحتذى به، وضحكا معًا على غرور القادة الذين يعتقدون أنهم لن يستطيعوا ترك مناصبهم أبدًا.

وقال هاغل إن السيسي دار حوله. "العذر الذي كان يستخدمه دائمًا هو: "هذه هي المحاكم"، "نحن دولة ديمقراطية"، وكل هذا الهراء". 'سيادة القانون! لا أستطيع تجاوز المحاكم. سوف يعيدني إلى نفس النوع من الشبكة."

أخبرني مسؤول كبير في البيت الأبيض أن هاجل "لا يزال يريد فقط بناء علاقة". وقد أصبح أوباما، الذي يركز الآن أكثر على مصر، منزعجا. واستقال هاغل في تشرين الثاني/نوفمبر 2014، بعد خلافات مع الرئيس بشأن سياسات أخرى في المنطقة.

وقال هاجل إن إسرائيل كانت تضغط بشدة على واشنطن لدعم الانقلاب، وكان السيسي يعرف ذلك. السيسي "كان سيخبرني بذلك أيضًا".

قال لي هيجل: "كان الإسرائيليون يقولون لي: هذا هو أمننا، وهذه أفضل علاقة أقمناها على الإطلاق مع المصريين". "وكانوا يعملون في الكابيتول هيل، كما يفعلون. كان الأمر كله يتعلق بالأمن الإسرائيلي. "لا يمكنك أن تخذلنا هنا."

قدم السيناتور راند بول، الجمهوري عن ولاية كنتاكي، مشروع قانون إلى
وقف المساعدات العسكرية لمصر بسبب الانقلاب. وكتبت لجنة الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية، المعروفة باسم "إيباك"، إلى كل عضو في مجلس الشيوخ قائلة إن أي تخفيضات "يمكن أن تزيد من عدم الاستقرار في مصر وتقوض المصالح الأميركية المهمة وتؤثر سلباً على حليفنا الإسرائيلي". صوت مجلس الشيوخ بأغلبية 86 صوتًا مقابل 13 لصالح حماية المساعدات.

لقد توقفت منذ فترة طويلة عن التفكير في مصر وإسرائيل باعتبارهما جارتين معاديتين تحتاجان إلى مكافآت أمريكية للحفاظ على السلام بينهما.
والآن يتعاون القادة العسكريون المصريون والإسرائيليون مع بعضهم البعض ضد البيت الأبيض للحفاظ على تدفق الأموال.

كيري كان مسافرا إلى إسلام أباد وقت "الانتداب"
مذبحة، عندما قتل الجنود المصريون أكثر من ثمانين متظاهرا. وقد اتصلت به سوزان رايس، مستشارة الأمن القومي، أكثر من مرة وذكّرته شخصياً بالبقاء على رسالته: الولايات المتحدة تريد العودة إلى الديمقراطية. ومن شأن القمع أن يزعزع استقرار مصر. وكانت المساعدات الأميركية على المحك.

وتجاهلها كيري. الجنرالات "كانوا يستعيدون الديمقراطية"
وقال كيري لشبكة تلفزيون باكستانية. "لقد طلب الملايين والملايين من الناس من الجيش التدخل".

في البيت الأبيض، "لقد كانت لحظة رائعة"، أحد كبار المواطنين
أخبرني مسؤول أمني لاحقًا. واشتكى مستشارو أوباما لموظفي كيري، ولكن في زيارة للقاهرة بعد أسابيع قليلة، أشاد مرة أخرى بحكومة السيسي لاتباعها خريطة الطريق نحو الديمقراطية. وفي أواخر يونيو/حزيران التالي، أي بعد مرور عام تقريباً على الانقلاب، شكر كيري المصريين علناً "على عملهم الشاق في التحول إلى الديمقراطية".

لكن مذبحة 26يوليو/تموز ،2013أثارت انزعاج البيت الأبيض لدرجة أنه أرسل أحد كبار الدبلوماسيين في وزارة الخارجية، ويليام بيرنز، لمحاولة التوسط في التوصل إلى اتفاق قد يوقف القتل. أرسل الاتحاد الأوروبي برناردينو ليون، وهو دبلوماسي إسباني، للانضمام إلى بيرنز.

وسمحت لهم حكومة السيسي الانتقالية بلقاء الشاطر في مجمع سجون طرة بالقرب من المعادي في الساعة الواحدة صباحًا، برفقة أحد السجانين. وأوضح الشاطر، الذي كان هادئا وواقعيا، أنه لا يكن أي اهتمام بمرسي لكنه رفض التفاوض نيابة عنه. ولم ينتخب سوى مرسي رئيسا.

"عمري خمسة وستين عاماً، أمضيت أربعة عشر عاماً في السجن"
قال لهم الشاطر. "ربما سأقضي أربعة عشر عامًا أخرى."
وعندما التقوا بالسيسي، كان مطولاً ومبرراً لنفسه.
وقال للدبلوماسيين إن جماعة الإخوان المسلمين هددت بتدمير مصر. وأصر السيسي قائلا: "الناس اتصلت بي".
"كجيش، كان لدينا التزام بإنقاذ مصر".

بالنسبة للسيسي، "كان كل شيء وجوديًا"، كما أخبرني بيرنز لاحقًا.
وقد ظهر وزيرا خارجية عربيان بشكل غير متوقع للانضمام إليهما في اجتماعاتهما: الأمير عبد الله بن زايد – المعروف باسم – ABZمن دولة الإمارات العربية المتحدة، والشيخ خالد العطية من قطر. ولم يطلب بيرنز وليون من أي منهما الحضور. وأشار كل منهم إلى محادثات خاصة مع كيري. وأعرب الدبلوماسيون عن أملهم في أن يتمكن كل وزير خارجية من العمل على عميل بلاده في مصر.

ويمكن لقطر أن تقنع الإخوان المسلمين بالانحناء. يمكن للإماراتيين أن يخففوا من شأن السيسي.

لكن اتضح أن بنك ABZكان يتعامل بشكل مزدوج. وحالما غادر بيرنز وليون، حث أبز جنرالات مصر على القيام بكل ما يلزم لكسر الإسلاميين، بالقدر المطلوب من القوة. وأكد لهم أننا ندعمكم في واشنطن.

أبلغت وكالات الاستخبارات الأمريكية عن تقويض ABZلبيرنز وكيري والبيت الأبيض. لكن ABZبالكاد أخفى دعمه للانقلاب. وقبل مغادرته القاهرة، ابتسم ابتسامة عريضة لالتقاط صورة له في إحدى الصحف وهو يضع ذراعيه حول أكتاف اثنين من مؤسسي تمرد، واحتضنهما بكل فخر باعتبارهما من رعايا الإماراتيين.

أخبرني كيري، بعد سنوات، أن أصدقاءه في الخليج العربي عملوا بنشاط ضد سياسة أوباما في مصر خلال ذلك الصيف. وأضاف: "هذا هو أحد حقائق المنطقة".

"سوف ينظرون إليك جميعًا في عينيك، ولا يريدون أن يقولوا "لا" -لا يريدون أن يزعجوك في وجهك -لكنهم سيتبعون دائمًا مصلحتهم النهائية." وقال إنه على عكس واشنطن، فإن ملوك الخليج الأثرياء بالنفط "كان لديهم حنفية تتدفق بحرية لدعم مصالحهم".

كان الاعتصام الذي دام شهرًا في رابعة لا يزال يتسع، ولكن في 6أغسطس، بعد ما يقرب من أسبوع في القاهرة، اعتقد بيرنز وليون أنهما توصلا إلى اتفاق بشأن الخطوات الأولى لبناء الثقة بين الإخوان والجنرالات. ستقوم حكومة السيسي بإطلاق سراح اثنين من السياسيين الإسلاميين المعتدلين من السجن؛ سيبدأ الإخوان في فض اعتصام رابعة. وأبلغ ليون كبير مفاوضي الإخوان عمرو دراج أنه سيتم إطلاق سراح الإسلاميين خلال ساعتين. ثم اتصل مرة أخرى في اليوم التالي ليطلب من دراج التحلي بالصبر، إذ كانت عمليات الإفراج قادمة.

وبدلاً من ذلك، أعلنت حكومة السيسي انتهاء المفاوضات. وكانت القوات الأمنية تستعد لإخلاء رابعة. غادر بيرنز وليون القاهرة. وبعد ذلك بعامين، قبل ليون وظيفة مربحة من ABZكرئيس لمركز تدريب دبلوماسي جديد في أبو ظبي، في دولة الإمارات العربية المتحدة.

25
تطهير الساحة

14أغسطس 15 – 2013أغسطس 2013

استيقظت كل صباح عند أول ضوء في ذلك الصيف متسائلة: هل تحركت الشرطة أثناء الليل؟ هل بدأوا بإخلاء رابعة؟
أنا

انتظار المذبحة هو شعور فريد. في أوائل عام ،2011قمت بزيارة مدينة الزاوية الليبية، غرب طرابلس، بعد أن حرر سكانها أنفسهم في اللحظات الأولى للانتفاضة ضد القذافي. كانت "الزاوية الحرة" تحتفل في ساحة البلدة، وقمت بتوزيع بطاقات العمل.

وبعد ثلاثة أسابيع، استيقظت قبل الفجر في طرابلس
في غرفة الفندق، وكان هاتفي يرن بمكالمات متكررة من الزاوية.
وكانت قوات القذافي تستعيد السيطرة على المدينة. كان الجنود يطلقون النار في كل مكان. سوف يقتلون الجميع. من فضلك افعل شيئًا، ناشد المتصلون بي. أخبر واشنطن. لن يساعدنا أحد؟

لقد نشرت مقالة قصيرة على موقع نيويورك تايمز . كانت الزاوية مدينة أشباح عندما عدت. وكانت مئذنة المسجد قد دمرت بقذائف الهاون، وملأت القبور المحفورة حديثا زاوية من الساحة. بدا يوليو وأغسطس 2013في القاهرة وكأنه إعادة عرض بالحركة البطيئة. شعرت بالعجز تمامًا.

وفي 11أغسطس/آب، أبلغنا مسؤول مصري بوقوع الاعتداء
وستبدأ معركة رابعة في فجر اليوم التالي. شاهدت أنا ومي شروق الشمس من خارج بوابة الاعتصام. كان الحراس القلقون يسيرون ذهابًا وإيابًا وهم يحملون العصي الخشبية في أيديهم.

لم يحدث شيء. وقد ألغى وزير الداخلية المصري ذلك في اللحظة الأخيرة؛ أخبرني الدبلوماسيون الأمريكيون الذين يتابعون العملية

أنه كان يخشى أن يأخذ السقوط وحده. وأصر على أن تنضم قوات الجيش إلى العملية أيضا.

وبعد ليلتين، في 13أغسطس، حصل سائقنا على نصيحة أخرى من
معالج المخابرات الخاص به (بالطبع كان لديه معالج –كنت أفترض ذلك دائمًا). لا تأتي للعمل في اليوم التالي، ابق بعيدًا عن مرمى النيران. فقام السائق بتقسيم الفارق، كما اعترف لاحقاً للورا وآخرين. انتظر ليأخذني حتى بعد بدء الاعتداء. لقد أسقطني ومي الشيخ من مكان إطلاق النار في مدينة نصر.

...

م

كان أحمد سلطان، خريج ولاية أوهايو يرتدي شبشبًا وسراويل كرة السلة، والذي حاول توسيع نطاق رسالة الاعتصام، قد أمضى الليل في القيام ببعض المهمات حول مدينة الخيام المترامية الأطراف، وتوقف عند الفجر بالقرب من زاوية طريق النصر. وشارع يوسف عباس لالتقاط صورة مع حوالي عشرة من الأصدقاء. وكان اثنان من أبناء قيادات الإخوان.

كانوا يبتسمون للكاميرا عندما بدأ الرصاص يتطاير
من جميع الجهات. أمسك سلطان بقناع الغاز الخاص به، وركض نحو حاجز من أكياس الرمل، ورفع جهاز iPhoneالخاص به لمحاولة تصوير الاعتداء. لكن إطلاق النار كان يأتي من أعلى ومن خلفه، من أعلى مبنى مهجور. وأحصى سبع جرافات تابعة للجيش تتجه نحو مكان الاعتصام. وكان المئات من رجال شرطة مكافحة الشغب يحملون بنادق كلاشينكوف يأتون سيرا على الأقدام. وقفز أحد المتظاهرين الإسلاميين على جرافة لمحاولة الصعود إلى المقصورة. فجرته بندقية إلى أشلاء.

تذكر سلطان أن والده كان داخل الاعتصام فهرب
خارج للعثور عليه. وتبين أنه كان مجتمعًا مع مجموعة من قيادات الإخوان تحت طاولة على المسرح، مختبئًا من الرصاص. وتناوب كل قائد على حمل لوح من الخشب كدرع، والركض نحو الميكروفون، وحث الجمهور المسعور على الحفاظ على الإيمان بالله. ثم تراجع كل منهم إلى أسفل الطاولة.

اختبأ سلطان معهم.

وكانت القناة المصرية التابعة لقناة الجزيرة قد قامت بتعيين مصور مستقل على المسرح. ولكن في الساعة 11:30صباحاً أصابت رصاصة المصور في رأسه فسقط على الأرض. آخر

أمسك الصحفي المستقل خوذة دراجة وسار خلف الكاميرا نفسها، حتى بعد حوالي ثلاثين دقيقة أصابته رصاصة أخرى أيضًا. سقطت خوذة الدراجة رأسًا على عقب على المسرح، مملوءة بالأدمغة والدماء، والتقط سلطان صورة لها.

اندفعت امرأة شابة –مروة سعد، وهي صيدلانية –أمام قادة الإخوان المنكمشين وأمسكت بالميكروفون. "أين أنت؟ أين رجال العالم؟" صرخت. "أنت تتركنا نموت!"

كان سلطان لا يزال يصور أحداث العنف بكاميرا الآيفون الخاصة به.

وعندما انحنى لتوصيله بالمولد، مرت رصاصة بالقرب من رأسه. تراجع، وأصابت طلقة ثانية العضلة ثلاثية الرؤوس. وصنع طبيب من قيادات الإخوان عاصبة من كوفية كان يرتديها سلطان حول رقبته.

تم بناء سلطان مثل صبي أخوي أمريكي في الغرب الأوسط، في الخامسة عشرة

و 272جنيها. واستغرق الأمر أربعة من الأصدقاء لحمله إلى عيادة ميدانية بالقرب من مسجد رابعة العدوية، حيث أعطاه الأطباء مسكنات للألم وتضميد جرحه. تم تحويل الغرفة المجاورة إلى مشرحة. وكانت الجثث مكدسة واحدة فوق الأخرى.

...


شققنا أنا و"آي" طريقنا سيرًا على الأقدام عبر العمارات السكنية في حي مدينة نصر، "مدينة النصر". ال

وكانت وزارة الداخلية قد وعدت منذ أسابيع بأن "فض" الاعتصام من قبل الشرطة (عبارتهم السريرية) سيترك "مخرجاً آمناً" لأي متظاهر يرغب في الخروج، وخاصة للنساء والأطفال الذين يعيشون داخله. سمعنا التطمينات تتكرر مرة أخرى في الإذاعة الحكومية ذلك الصباح ونحن في طريقنا إلى مكان الحادث. ولكن بقدر ما بحثنا بشدة، لم نتمكن من العثور على أي طريق للدخول أو الخروج. وقام الجنود والشرطة بتطويق الاعتصام. لم يكن هناك مخرج آمن.

كانت الشوارع الجانبية مليئة بالكراهية والغضب. كانت هناك امرأة في منتصف العمر تتجول في منزلها مرتدية ثوب النوم، مع غطاء رأس طويل يغطي كتفيها. لوحت لنا بمسدس كهربائي صغير كما لو كانت مستعدة لتقديم يد المساعدة للشرطة والجنود.

وقالت لنا: "أخيراً، قاموا بإخلاء الساحة".

وعلى بعد مبنى واحد، رفع رجل تمكن من الفرار من الاعتصام يديه لإظهار بقع الدم على راحتيه. وصرخ باتجاه الشرفات: "لقد تركتموه يقتلنا أيها الخونة". "لقد أعطيته تفويضا."

وعلى بعد بنايات قليلة من مكان الاعتصام، كانت مجموعة من الشباب جاثمين

فوق صندوق حليب بلاستيكي مملوء بالزجاجات. كانوا يسكبون البنزين ويغمسون قصاصات من القمصان الممزقة في عنق كل زجاجة: قنابل المولوتوف. ثم نظر أحدهم للأعلى. لقد رآني أشاهد، وقلمي في دفتر ملاحظاتي. لقد تجنبت عيني والتفتنا للفرار.

قبل أن نتمكن من ذلك، كانت ناقلة جنود مدرعة تنطلق خلفنا بالقرب من الزاوية. وكانت مجموعة من رجال شرطة مكافحة الشغب الملثمين يرتدون الدروع الواقية من الرصاص يقتربون ويحملون بنادق مرفوعة. إن وقوفنا بالقرب من صانعي المولوتوف جعلنا أهدافًا واضحة، لذلك سارعنا أنا ومي عبر الشارع.

تحطم الزجاج من حولنا. أصابت الشظايا جينز ماي. كانت رصاصة

حطموا نافذة الحافلة على بعد ياردتين. أتذكر أن الجنود والشرطة كانوا يطلقون النار من الجانبين؛ وتذكرت مي أن المتظاهرين كانوا يلقون قنابل الغاز من جانب وأن الشرطة تطلق النار من الجانب الآخر. وفي كلتا الحالتين، كنا عالقين في الوسط.

لقد انحنينا معًا في ملجأ زقاق متعامد

الشارع. طريق مسدود. تصدعت طلقات نارية في الشارع خلفنا خارج الزقاق. وتدفقت قنابل الغاز المسيل للدموع، وحجبت السحب الرؤية.

قلت: "لا تقلقي يا مي"، محاولًا أن أبدو وكأنني أقصد ذلك.

نظرت عبثًا إلى الجدران والأسوار، آملًا أن يحدث شيء ما

التسلق، مثل أنبوب الصرف أو السلم، أو حتى تطرق النافذة. تذكرت أنها أخبرتني في مقابلة العمل التي أجرتها ماي أنها تعلمت اللغة الإنجليزية من خلال إعادة قراءة جين آير. وكانت الآن في السابعة والعشرين من عمرها. لقد تزوجت للتو في سبتمبر الماضي. لقد خاطرت بحياتها بالفعل أكثر من مرة أثناء القيام بهذه المهمة. وتخيلت أنها تخبر والديها أنها ماتت في رابعة.

كانت مي تتمتم صلواتها الأخيرة. شهقت وقفزت

وظننت للحظة أن رصاصة أصابتها. ثم لمحت ذيل قطة يختفي بين الصناديق. بالنسبة لصحفية مبتدئة، كانت مي هادئة بشكل ملحوظ في المواقف المحفوفة بالمخاطر –في الغاز المسيل للدموع

القاهرة، إطلاق نار في بورسعيد، داخل مكاتب وزارة الدفاع المصرية. لكنها كانت تخشى الحيوانات الصغيرة، حتى السحالي الصغيرة التي تزحف على جدران مكتبي. ركضت إحدى القطط الشبيهة بالجرذان التي تحوم فوق القاهرة عبر مخبأنا في الزقاق واصطدمت بكاحلها.

قُتل ما لا يقل عن أربعة صحفيين في ذلك اليوم في رابعة وما حولها. واحد على الأقل، هو المصور محمود أبو زيد، المعروف بشوكان، الذي اعتقل في ذلك اليوم وسجن لأكثر من أربع سنوات ونصف دون أي إدانة. لكن كل ما كنت أفكر فيه هو "ماي"، وكل ما تمكنت "ماي" من التفكير فيه هو قطة الشارع. أود أن أنظر إلى تلك اللحظة التي قضيناها في الزقاق كمثال عن الطريقة التي تعامل بها المصريون، أو تخلصوا من مشاعرهم بشأن رعب ذلك اليوم.

الغاز المسيل للدموع، والغبار، والأبواق والصراخ، وأصوات مدافع الغاز الخافتة، وأصوات إطلاق النار: الروائح والأصوات هي ما أتذكره. جلسنا بالقرب من الجدران لمدة بدا أنها عشرين دقيقة أخرى. استمرت المعركة. تم إزالة الغاز المسيل للدموع في الغالب من الشارع خارج الزقاق. ألقينا أنا ومي نظرة خاطفة على الزاوية للتأكد من أن المكان واضح بما فيه الكفاية، ثم انطلقنا مسرعين للخارج.

كان رجل يرتدي قميصًا أحمر ميتًا على المنحدر.

وجدنا أنفسنا قبالة ساحة مدخل مركز رابعة العدوية الطبي. لقد تجمعنا بالقرب من الزاوية.

وأطلق القناصة النار من أسطح المنازل القريبة. قامت حفنة من المتظاهرين الإسلاميين بالقرب منا برفع أغطية صناديق القمامة أو ألواح الستايروفوم في محاولة لحماية أنفسهم.

لقد تعثرنا في ما يشبه البوابة المؤقتة للدخول والخروج
الاعتصام الذي أقامه المتظاهرون، رغم أنه لم يكن ممراً آمناً. لقد تمكنوا من نقل حاويات القمامة والحطام والسيارات المقلوبة لتأمين ممر داخل وخارج المركز الطبي جزئيًا، حيث تم فتح مدخل ثانٍ على الجانب الآخر يؤدي إلى اعتصام رابعة.

وقال محمد عبد العظيم، وهو صاحب متجر يبلغ من العمر 25 عاماً: "لا يوجد ممر آمن". لقد هرب من المعسكر المحاصر ويحاول الآن العودة عبر المستشفى. شاهدناه وهو يركض بسرعة ويزحف في رشقات نارية على مسافة عشرين ياردة

رصيف محمي جزئيا لباب المبنى. حبست أنفاسي حتى رأيت أنه قد فعل ذلك.

اندفعنا أنا ومي إلى الأمام خلفه، وسقطنا على الأرض عند بداية حافة حجرية منخفضة على طول الطريق المؤدي إلى الباب.
بدا وكأنه يوفر لنا بعض المأوى، فزحفنا على أربع.
"تعال إلى هنا، هناك ثقوب رصاص فوق رأسك!"
صرخت ماي في وجهي.
"هناك ثقوب رصاص فوق رأسك أيضًا!" صرخت مرة أخرى
بشكل دفاعي، ولسبب ما ضحكنا كلانا.
مشينا ببطء على طول التراب، ورؤوسنا قريبة من الأرض
مقاعد الجينز لدينا في الهواء. شعرت بألم الذنب بسبب الثمن الذي لحق بكرامتها. وصرخت قائلة: "أشعر وكأنني جبانة".
"أنت عكس الجبان! فقط ابقِ في الأسفل،" فصرخت في وجهها، وفجأة شعرت بالغضب من أن بعض الشعور بالشرف قد يجبرها على رفع رأسها.

صعدنا بسرعة درجات المركز الطبي –آخر متر للوصول إلى بر الأمان –ونظرت حولي. وكانت الأرضية الرخامية في الردهة مغطاة بالدماء. سارت النساء في الغرفة محاولات مساعدة الجرحى، وكانت الدماء ملطخة بأطراف عباءاتهن.

جلست امرأة شابة متربعة على الأرض، وطفلها محتضن بذراع واحدة. اسمها هيام حسين، وكانت تنام في خيمة مع ابنتها سارة، البالغة من العمر ثمانية عشر شهراً، عندما استيقظتا فجراً على صوت إطلاق النار وصفارات الإنذار والصراخ.

أمسكت بابنتها وركضت، ونسيت حذائها. أمسكت سارة بقوة لإبعادها عن الدماء الملطخة بالبلاط، وأعادت هيام الاتصال بهاتفها المحمول مرارًا وتكرارًا في محاولة للوصول إلى زوجها. وقالت وهي تبكي: "لا أستطيع تحمل كل الدماء التي رأيتها".

"الشهداء، بهذه الطريقة!" نادى مسعف. هرع الرجال في مجموعات
أربعة أشخاص، يحملون المزيد من الجثث بين أذرعهم المربوطة إلى مشرحة مؤقتة في الطابق السفلي. قتلى من الرجال والنساء والمراهقين. أسماء البلتاجي، ابنة برلماني من جماعة الإخوان المسلمين كنت أعرفها تبلغ من العمر سبعة عشر عامًا، قُتلت هناك في ذلك اليوم. أحصت إحدى المجموعات الحقوقية مقتل ما لا يقل عن ثلاثين طفلاً تحت سن الثامنة عشرة في رابعة. قُتل ما لا يقل عن 19امرأة هناك في ذلك اليوم، معظمهن بالرصاص في الرأس أو الصدر، بحسب مزن حسن.

نظرة للدراسات النسوية. أخذت العديد من الأمهات اللاتي لديهن أطفال صغار أطفالهم إلى أسرة أخرى أو ربما كان هناك المزيد.

في الطابق السفلي من المشرحة، ملأت الجثث الرفوف والطاولات. وكان المتطوعون ينشرونها على الأرض. لم أتمكن من عدهم جميعًا. لو كنت صحفياً أفضل لكنت أدرس تفاصيل مثل أماكن الجروح على الجثث.

هل أطلقت قوات الأمن النار بهدف القتل؟ كل ما كنت أفكر فيه هو حجم الدم. لم تكن هناك طريقة للتعبير عن حجم الدماء في بضع مئات من الكلمات في رسالة صحفية.

قررت أن أحاول قياس سرعتها. ما مدى سرعة دخول الموتى الجدد إلى هذه الغرفة؟ لقد قمت بوضع علامة في دفتر ملاحظاتي حيث تم إحضار كل جثة عبر الباب. تسع جثث في خمسة عشر دقيقة قتيل آخر كل مائة ثانية، ولا نهاية في الأفق.

وبطبيعة الحال، لم يكن المركز الطبي هو المستودع الوحيد للجثث الجديدة في رابعة. وما زلت لا أملك طريقة لمعرفة مدى سرعة موت الناس. كنت أخدع نفسي، أو أشغل نفسي. وعندما نظرت لاحقًا إلى تلك الصفحة من دفتر ملاحظاتي، لم أر سوى علامات التجزئة والأرقام.

حاولنا الخروج من المركز الطبي وعبر المسجد. سمعت مي شابًا على هاتفه. "الخروج الآمن؟

قال في الهاتف: "سأسأل". وأخبره رجل آخر يرتدي ملابس ملطخة بالدماء أنه لا يوجد مثل هذا المخرج، وقام الشاب بلكم الهواء بغضب. ثم تظاهر بالهدوء وطمأن المتصل. "أنا أتجه نحو المخرج الآمن الآن. . . ."خمنت مي أنه كان يتحدث إلى والدته.

خوفًا من إطلاق النار، تراجعنا إلى المركز الطبي الآمن وحاولنا صعود سلالمه. ومن نافذة في الطابق السادس، رأينا آلاف المتظاهرين محشورين في الساحة، وبدا أنهم ينحسرون ويتدفقون في انسجام تام، أولاً في اتجاه واحد ثم في الاتجاه الآخر. وكانت موجات من الشرطة تتقدم من الجانبين وتضغط على الحشد على نفسه.

أعادنا أحد موظفي المستشفى الرابضين من النافذة.

وقال إن القناصة أظهر لنا المكان الذي أدت فيه رصاصة من سطح قريب إلى تحطيم نافذة بالقرب منا.

وشاهدت فيما بعد لقطات فيديو التقطها أحد الهواة في ذلك اليوم لجرافات الجيش وهي تقوم بتسوية الخيام المفتوحة الجوانب بالأرض مع صفوف من الجثث في أكفان بيضاء ملقاة بداخلها. وفي الخلفية صاح ضابط شرطة عبر مكبر الصوت: "وزارة الداخلية حريصة جدًا على سلامة المواطنين". وقامت شرطة مكافحة الشغب بسكب الوقود على الخيام الأخرى لإشعال النار فيها.

أخبرني صحفي أثق به لاحقًا أنه رأى متظاهرين اثنين
في فض الاعتصام بالرد بالأسلحة النارية. كان أحدهما يحمل مسدسًا محلي الصنع يطلق خرطوشة بندقية واحدة في كل مرة، وكان الآخر يحمل ما يشبه مدفعًا رشاشًا صغيرًا. كنت سأفاجأ لو لم يقم أحد بتهريب سلاح. وقالت الشرطة في وقت لاحق إن ثمانية من أفرادها قتلوا هناك. وأعلن وزير الداخلية أن الشرطة عثرت على خمسة عشر قطعة سلاح ناري استخدمها المتظاهرون الذين بلغ عددهم الآلاف. وكانت الحجارة والزجاجات الحارقة هي الأسلحة الوحيدة التي رأيتها في أيدي المدنيين. من لديه سلاح ويرمي بدلاً من ذلك حجراً أو قنبلة غاز؟

كان محمد سلطان في المستشفى الميداني بالمسجد، في انتظار تراجع أعمال العنف. وبحلول الساعة الخامسة مساءً، كانت مسكنات الألم قد انتهت وكانت ذراعه تنبض. وأعلن أحد كبار قادة الإخوان المسلمين –محمد البلتاجي، الذي توفيت ابنته للتو –في الغرفة أن الجيش وافق على توفير مخرج آمن لأي مصاب يمكنه المشي بمفرده.

قال: "إذا استطعت أن تفلت بجلدك، فاهرب". اترك وراءك أي ممتلكات.

خرج سلطان مع الآخرين، وهو يحدق في الأرض، من خلال أ
القفاز من شرطة مكافحة الشغب. وسمع رجلاً مسناً أمامه يتمتم: "إنا لله وإنا إليه راجعون".

وضع أحد رجال شرطة مكافحة الشغب مسدسًا على رأس الرجل العجوز، وقال له: "ما نفعله هو في سبيل الله. نحن نقتلكم أيها المنافقون".

وقال رئيس الوزراء المؤقت في وقت لاحق إن "قرابة الألف"
وقد مات مدنيون ذلك اليوم في رابعة. توصلت دراسة أجرتها هيومن رايتس ووتش على مدار عام وصدرت في عام 2014 إلى أن الوفيات تجاوزت هذا العدد بالتأكيد وأكدت أسماء ما لا يقل عن 817 من القتلى. "إن الاستخدام العشوائي والمتعمد للقوة المميتة أدى إلى واحدة من أكبر عمليات قتل المتظاهرين في العالم

وخلصت الدراسة إلى أنه في يوم واحد في التاريخ الحديث. وتتفوق رابعة على مذبحة ميدان تيانانمين في الصين عام 1989، ومذبحة أنديجان في أوزبكستان عام 2005.

أخبرتني العائلات وجماعات حقوق الإنسان أن الأطباء الشرعيين الحكوميين كانوا يجبرون العائلات على قبول شهادات وفاة مزورة لإخفاء عدد القتلى الحقيقي (وهي ممارسة شائعة لخفض إحصائيات أعمال الشغب في العديد من الأنظمة الاستبدادية العربية).

"تم شطب حوالي ثلاثمائة حالة وفاة على أنها انتحارية"
أخبرني خالد أمين، العميد السابق في الشرطة، فيما بعد. "كما لو أن الجميع قرروا قتل أنفسهم في ذلك اليوم!

وتم الضغط على المستشفيات والمشارح للقيام بذلك. قالوا للعائلات: 'اسموه انتحارًا وإلا لن تنالوا أطفالكم'".

حاولت لسنوات أن أجد جنديًا أو شرطيًا يشارك في العملية ويروي جانبه من الأحداث. كل واحد رفض أو تراجع. وقال البعض لوسطاء إن أفراد قوات الأمن يخشون أن يتم القبض عليهم وهم يتحدثون عن الأمر إلى شخص غربي.

كانت القصة الرسمية مختلفة عن تلك التي كتبها المصري
لقد طلبت الشرطة عدة مرات تفسير العنف المفرط: أطلق المتظاهرون الطلقة الأولى. وانتقمت قوات الأمن، الغاضبة من الحماس النبيل، لرفاقها الذين سقطوا. "لقد بدأوا إطلاق النار وسقط ثلاثة شهداء من جانبنا في أقل من خمسة وأربعين دقيقة"، أصر جنرال في الشرطة في مقابلة تلفزيونية بعد بضعة أيام.

"فكيف يمكننا التعامل مع إطلاق النار؟ لا يمكننا أن نقول فقط: "اصمتوا". وأكد أن الشرطة ضبطت نفسها قدر استطاعتها. لو واصلنا إطلاق النار، لكان الجميع هناك قد ماتوا".

ثم أضاف، بشكل أقل معقولية، أن معظم القتلى المدنيين قتلوا بنيران صديقة من إسلاميين آخرين على أي حال.
وبطبيعة الحال، لم يتم تأكيد أي من هذا عن بعد.
أخبرني أمين لاحقًا أن قوات الأمن استخدمت إجراءاتها المعتادة في أي عملية كبرى. قام كبار الضباط "بحملة" القواعد قبل بدء تطهير رابعة. وذكّر القادة القوات بأصدقائهم وزملائهم الذين قُتلوا في الماضي على يد إسلاميين عنيفين، وحذروا من أن اعتصام رابعة كان مدججًا بالسلاح. تحضر ل

وأوصى القادة بمقاومة شرسة وعنيفة. الإسلاميون في الداخل أرادوا دماء الشرطة.

قال أمين: "إنهم يضخونهم حقاً". "الرسالة هي: لقد قتلوا أصدقائك، لديهم أسلحة، وسوف يقتلونك، إنهم مخيفون". يتلاعب بك الضباط عاطفيًا ويهاجمونك حتى تتمكن من إطلاق النار على الآخرين".

وكان أمين قد تقاعد في بداية ذلك الصيف، لكنه بقي

على اتصال مع زملائه. قال لي بعد سنوات: "لا أحد يتحدث عن ذلك لأنه أمر لا يغتفر". "أولئك الذين يندمون على ذلك يخافون جدًا من التحدث، وأولئك الذين لا يندمون على ذلك يصمتون."

...

س أصدرت حكومة ISIقرارًا بحظر التجول الساعة 7:00مساءً . وانتشرت نقاط التفتيش العسكرية في أنحاء المدينة. وكان سكان القاهرة قد سخروا من حظر التجول خلال أيام مبارك الأخيرة. وكان الناشطون والمثقفون قد خرجوا ليلاً بتحدٍ وكأن الأمر يتعلق بمبدأ سامٍ. لكن في ليلة 14أغسطس ،2013كانت القاهرة ساكنة مثل المقبرة. كانت لورا وأبناؤنا قد عادوا مؤخرًا من الولايات المتحدة إلى القاهرة، وأمضوا اليوم على بعد بنايات قليلة من المنزل خوفًا من أعمال العنف. نمت في الساعة الرابعة صباحًا في فندق رخيص بالقرب من مكتب نيويورك تايمز ، وفي صباح اليوم التالي توجهت إلى مسجد آخر على بعد بنايات قليلة من رابعة.

لقد حول الإخوان المسلمون حجم صالة الألعاب الرياضية
حرم المسجد إلى مشرحة مرتجلة أخرى.
وكانت مئات الجثث ملفوفة بملاءات بيضاء موضوعة في صفوف مرتبة على الأرض في منتصف نهار أغسطس. وسار رجال بينهم وهم يرشون المطهرات في الهواء. ويحرك آخرون مبردات تحتوي على كتل كبيرة من الثلج ويضعونها على كل صندوق ميت لتقليل الرائحة. لقد كانوا في ذلك طوال الليل. لقد غمرت المياه الناتجة عن ذوبان الجليد السجادة.

تحركت عبر الغرفة، وأحصي الجثث، ووصلت إلى 240جثة، على الرغم من أن عملية الإزالة كانت مستمرة لعدة ساعات، ولم يكن هذا سوى واحد من العديد من مستودعات القتلى الذين قتلوا في رابعة.

وكانت العديد من الجثث متفحمة لدرجة يصعب التعرف عليها، وتم حرقها في خيامهم.

وتعرض الطاولات الموجودة في الزاوية صفوفاً من بطاقات الهوية المأخوذة من الموتى لمساعدة العائلات في الحصول عليها.
كان صبي صغير في حجم ابني إيميت البالغ من العمر أربع سنوات، نائماً على قطعة سجادة جافة بين الطاولات.

وفي الخارج، تجاهلت مجموعة من الرجال نداءات مكبرات الصوت في المسجد بالتفرق لتجنب استقطاب الأجهزة الأمنية.
قال أحد الرجال: "أطلقوا النار على أي شخص يرتدي الزي العسكري". "لا يهم إذا تم دمج الخير مع الشر، لأن هذا ما حدث لنا الليلة الماضية."

وطمأنه آخرون إلى أن حمام الدم سيقلب الشعب المصري ضد الجيش. وأصر أحدهم على أن "هذا يحدث بالفعل".

لكن في موقع المجزرة، وجدت مشهد ابتهاج.
كان عمال يرتدون بزات برتقالية يزيلون الأنقاض ويغسلون بقع الدم من الأرض المتفحمة خارج مسجد رابعة العدوية. لقد أخرج الجنود وشرطة مكافحة الشغب صدورهم مثل الأبطال. وتوقف المدنيون لتهنئتهم. وكانت مجموعة من الشباب يرقصون على أنغام الموسيقى المنبعثة من ستيريو سيارة متوقفة قريبة. لقد كانت ضربة الصيف المنتشرة في كل مكان: "باركوا أيدي" الجنود.

وبينما كانت الحياة تأخذنا منعطفًا، قال صوت مليء باللطف: "تقطع أيدينا من أجسادنا إذا مسوا المصريين".

نذر رجل حقيقي، ابن رجل حقيقي نقسم أنك وفيت بوعدك.

26

الجهاديون في البيت الأبيض

15أغسطس 2013

ص فقد عقد أوباما المقيم، الذي كان يقضي إجازته في مارثا فينيارد، اجتماعاً لمجلس الأمن القومي عبر مؤتمر عبر الهاتف، والآن لم يعد منعزلاً أو واقعياً. ولم تكن المذبحة غير متوقعة. وحذر عصام الحداد من أن إراقة الدماء أمر لا مفر منه. مما لا شك فيه أن العنف وحده هو القادر على كسر المعارضة ضد الإطاحة بأول رئيس منتخب في مصر. والواقع أن وزراء السيسي تعهدوا مرارا وتكرارا باستخدام كل القوة اللازمة للقضاء على المتظاهرين، وكان الجميع يعلمون أن الشرطة تعمل بسرعتين: كسولة أو مميتة. وكانت قوات الأمن قد نفذت بالفعل عمليتي إطلاق نار جماعيتين في يوليو/تموز، مما أسفر عن مقتل العشرات في وقت واحد. لكن أوباما والبنتاغون وآخرين في البيت الأبيض فوجئوا بطريقة أو بأخرى. كان الرئيس غاضبا الآن.

وقال لي أحد كبار المسؤولين، الذي تحدث مع أوباما في ذلك اليوم، في وقت لاحق: "لم يكن هذا ما كنا نتوقعه بعد أن لم يكن رد فعلنا بنفس القدر من القسوة الذي قد يكون عليه رد فعلنا على التغيير غير الدستوري للسلطة".
"لقد فوجئنا بأنهم سيكونون بهذه القسوة والوحشية والعلنية في وحشيتهم."

وكانت سامانثا باور، التي كانت آنذاك سفيرة الأمم المتحدة، تشارك في مؤتمر عبر الهاتف مع موظفي الأمن القومي.
وقال: لقد قتلوا مئات الأشخاص العزل.
وتذكرت باور: "نحن متحالفون مع حكومة تطلق النار على الناس في الشوارع".

"لقد كان أكثر غضباً ورعباً من أي شخص آخر في غرفة العمليات".

لكن كيري وهيجل والبنتاغون جادلوا مرة أخرى بشأن هذه العقوبة
ومن شأن الجيش المصري أن يقلل من النفوذ الأمريكي.
ألقى أوباما خطاباً متلفزاً في الساعة 10:30 صباحاً قال فيه: "لا يمكن لتعاوننا التقليدي أن يستمر كالمعتاد عندما يُقتل مدنيون في الشوارع وتُتراجع الحقوق".

وأعلن إلغاء مناورة عسكرية مشتركة نصف سنوية تعرف باسم النجم الساطع لمدة عام. وبعد شهرين، في أكتوبر/تشرين الأول، علق البيت الأبيض المساعدات العسكرية السنوية لمصر البالغة 1.3 مليار دولار، "في انتظار إحراز تقدم موثوق نحو تشكيل حكومة مدنية شاملة ومنتخبة ديمقراطيا من خلال انتخابات حرة ونزيهة".

وكانت مصر أقرب حليف عربي لأميركا. ربما لن نعرف أبدًا ما إذا كان الربيع العربي كان سينتهي بشكل مختلف لو اتخذت الولايات المتحدة موقفًا أكثر اتساقًا تجاه الأحداث في القاهرة، أو إذا كانت واشنطن قد ضغطت على حلفائها في الخليج الفارسي بقوة أكبر لاحترام الانتخابات في مصر. والآن أصبحت الإدارة منقسمة بشكل أعمق من أي وقت مضى: فقد زعم كيري وهيجل وآخرون أن استئناف المساعدات هو السبيل الوحيد للاحتفاظ بأي نفوذ على مصر. جادل باور ورودس بأن الاستسلام تخلى تمامًا عن نفوذ واشنطن ومصداقيتها.

وقال فيليب جوردون، منسق البيت الأبيض لشؤون الشرق الأوسط، وهو ينظر إلى الوراء: "لقد كانت تجربة سريالية". ولم يعتقد أي من الطرفين أن سياستهما سيكون لها أي تأثير على مصر.

بسبب استياءهم من تعليق المساعدات، اتصل مسؤولو البنتاغون برودیس،
باور وآخرون في مجلس الأمن القومي من "تجمع الإخوان المسلمين" أو "الجهاديين في البيت الأبيض".

27

القصاص

14أغسطس 1 – 2013يونيو 2017

أ

اندلعت ردود فعل عنيفة في جميع أنحاء البلاد بمجرد بدء الهجوم على الاعتصام. ومع انتقال الجنود ورجال الشرطة إلى ميدان رابعة العدوية، هاجمت حشود من المسلمين في مدن أخرى عشرات الكنائس، وألقت باللوم على المسيحيين في دعم الانقلاب. وكانت مدينة كرداسة الواقعة غربي القاهرة مركزا للتشدد الإسلامي على مدى عقود. واقتحم مسلحون مركز الشرطة وأعدموا أربعة عشر ضابطا وتركوا جثثهم متناثرة على الأرض.

انتشرت كتابات على الجدران تصف السيسي بالقاتل في جميع أنحاء القاهرة، حتى في المباني الراقية المحيطة بفيلتنا. سي سي قطيل. السيسي قاتل، يُكتب باستخدام حرفي Cباللغة الإنجليزية للإشارة إلى اسمه.

وكانت الشوارع مهجورة صباح الجمعة 16أغسطس/آب، بعد يومين من المجزرة. نشر الجيش جنوداً ودبابة على مدخل حينا.
خططت لورا والأولاد لقضاء اليوم بأمان في نادي المعادي هاوس، وهو النادي الذي تديره السفارة الأمريكية. لقد كانوا فعليًا العائلة الغربية الوحيدة التي عادت إلى القاهرة بعد الصيف. كان لديهم المكان كله لأنفسهم. وتقوم طواقم العمل برفع الجدران الخارجية وإضافة الأسلاك الشائكة.

أخذت مي، من أجل السلامة من حيث العدد، وسافرنا إلى وسط المدينة
معاً. لم نصل بعيدا. وقام عشرات الرجال بملابس مدنية ويحملون بنادق كلاشينكوف بإغلاق الطريق السريع المؤدي إلى البسيتين، شمال شرق المعادي. في البداية اعتقدت أنهم قد يكونون إسلاميين، أو ربما خاطفي سيارات.

ثم رأيت البعض يتكئون على حافة الطريق ويوجهون أسلحتهم نحو مركز شرطة البسيتين. لم يرد أحد بإطلاق النار، لذلك كان هؤلاء هم رجال الشرطة، أو على الأقل يعملون لصالحهم. لكن ذلك لم يكن مريحا. وكانت الشرطة قد اعتقلت بالفعل العديد من الصحفيين. بوجود أمريكي في السيارة، قد يعتبروننا جواسيس. استدار سائقنا على شكل حرف U وعاد بالسيارة في اتجاه حركة المرور، إذا كان هناك أي حركة مرور. في ذلك اليوم، كان لدينا الطريق بأكمله.

نزلنا أنا ومي على كورنيش النيل، نخطط للحاق بالركب
بمسيرة إسلامية احتجاجا على الانقلاب والمجزرة. سمعنا إطلاق نار من مكان قريب بمجرد أن ابتعد السائق. جاء رجلان يرتديان أقنعة منديل على لحيتهما يركضان حول الزاوية ويحملان بنادق طويلة. وبخ أحد المارة للانضمام إلى الاحتجاج الإسلامي. فهل ظهرت أخيراً «الميليشيات الإخوانية» التي سمعنا عنها الكثير؟

اختبأنا خلف شجرة جميز بالقرب من النهر. كانت سيدتان محجبتان ورجل ملتحٍ يحمل صورة مرسي يختبئون خلف شجرة أخرى بجوارنا، ونصت إحدى السيدتين على مي. "من هم هؤلاء الرجال؟ هل هم معنا أم معهم؟″

"نحن صحفيون!" قالت لها مي. "يجب أن نسألك!"
ظهر أحد المسلحين الملثمين من العدم من الجانب الآخر من الشجرة وحرك ماسورة بندقيته عبرنا نحن الخمسة، مثل الخارج عن القانون في عملية سطو.

"إنهم صحفيون!" بصقت المرأة. لقد كانت ترمينا لحماية نفسها.

واستهدف المسلح مي. وبعد لحظة طويلة ناشد التعاطف. وقال: "لقد كانوا يطلقون النار علينا طوال اليوم". لم يكن لدي أي فكرة عمن كان يقصد.

"كنا نحاول تغطية المظاهرة. نحن نحاول فقط المغادرة!" توسلت مي.

كان المسلحون يسمحون لنا بالهرب إذا مشينا جنوبًا على ضفاف النيل، بعيدًا عن المسيرة الإسلامية التي خططنا لتغطيتها. كنت أنا ومي مقتنعين بأن الرجال كانوا محرضين متخفين من الشرطة.

أصبح من الصعب معرفة من كان.
أثناء سيرنا، تابعنا تقارير ومقاطع فيديو على وسائل التواصل الاجتماعي عن إطلاق نار في جميع أنحاء القاهرة. وفي أحد مقاطع الفيديو، كان أحد أنصار مرسي يطلق النار من بندقية بالقرب من مدخل فندق فور سيزونز المقابل لحديقة الحيوان.

وفي حالات أخرى، قفز المارة الفارون من طلقات نارية أو سقطوا من الجسور فوق نهر النيل. لقد رأينا برج مكاتب فارغًا يحترق دون رادع ودون مراقبة.

وكان الإخوان المسلمون لا يزالون يحاولون تنظيم مظاهرات في الشوارع، وتعرضوا جميعًا لهجوم شديد من قبل الجيش والشرطة. وكان عمرو دراج قد أدار مفاوضات الساعة الحادية عشرة مع الدبلوماسيين الغربيين لمحاولة تجنب المذبحة.

سار مع زوجته وبناته الثلاث يوم الجمعة في مسيرة احتجاجية عبر كوبري من الزمالك باتجاه وسط المدينة. وبدأ مسلحون إطلاق النار من أعلى أحد الفنادق. وحاصرهم بلطجية بملابس مدنية على الطريق، وقامت الشرطة بخنق المسيرة بالغاز المسيل للدموع. (كان هناك شهود غير إسلاميين أيضًا).

"نحن نتعامل مع مصاصي الدماء"، أخبرني دراج عندما قابلته بعد ظهر ذلك اليوم. "تحليلي هو أنهم يريدون إجبار الناس على اللجوء إلى العنف". (كان دراج من بين عدد قليل من قادة الإخوان المحظوظين الذين تمكنوا في نهاية المطاف من الفرار من مصر -بشكل رئيسي إلى إسطنبول أو الدوحة أو لندن).

وبحلول فترة ما بعد الظهر، تجمع آلاف المتظاهرين الإسلاميين في ميدان رمسيس، وهي الساحة المفتوحة التي تبعد حوالي نصف ساعة سيراً على الأقدام شمال شرق الدوار المروري في التحرير. وكان ميدان رمسيس هو المكان الذي اغتيل فيه مؤسس جماعة الإخوان المسلمين قبل عقود من الزمن على يد عملاء الملك. وقام شبان إسلاميون بإلقاء الحجارة والزجاجات الحارقة على مركز للشرطة، وردت الشرطة بإطلاق النار. قُتل حفيد مؤسس الإخوان المسلمين البالغ من العمر ثلاثين عامًا. وكذلك كان حال ابن المرشد العام لجماعة الإخوان محمد بديع، البالغ من العمر ثمانية وثلاثين عاماً (الذي صاغ شعار «سلميتنا أقوى من رصاصهم»).

وخلصت التقارير الرسمية إلى أن أكثر من مائة مدني
قُتل، لكن زميلي كريم فهيم أحصى ما لا يقل عن ثلاثين جثة في مشرحة مؤقتة أخرى داخل مسجد بالقرب من الساحة. شككت في أن وزارة الصحة أحصتهم في مجموعها.

تساءلت عما إذا كان هذا هو ما شعرت به الجزائر عندما بدأت حربها الأهلية.

تم إخلاء لورا والأولاد في اليوم التالي، السبت، إلى تل أبيب، لكنها أعادتهم بعد بضعة أسابيع، مع بعض الخوف.

لم نرغب في تفويت بداية العام الدراسي. العديد من المغتربين

بقي بعيدا. تقلصت صفوف أبنائنا في مدرسة المعادي البريطانية الدولية إلى نصف العدد الذي كانت عليه من قبل.

...

وكان مايكل موريل من وكالة المخابرات المركزية ومسؤولين استخباراتيين أميركيين آخرين يشعرون بالقلق في عهد مرسي من أن تنظيم القاعدة قد يعثر على موقع

موطئ قدم في شمال سيناء، وهو قطاع من الصحراء الصخرية يقع بين قناة السويس وإسرائيل، على بعد حوالي 120 ميلاً شرق القاهرة و002 ميل شمال الجبل التوراتي. والآن أدى رد الفعل العنيف ضد الاستيلاء إلى توسيع موطئ القدم الأولي هذا إلى تمرد ناشئ. وفي غضون ساعات من اعتقال مرسي، نشر المسلحون مقطع فيديو على الإنترنت لحشد من الآلاف في شمال سيناء يتجمعون تحت راية الجهاد السوداء. وأعلن المتحدث ساخراً من شعار الإخوان: "لقد انتهى عصر السلمية، فلا سلام بعد اليوم".

وردد المتظاهرون "لا انتخابات بعد اليوم".

وُلدت الجماعة الجهادية أنصار بيت المقدس -التي أدى مقتلها لستة عشر جنديًا مصريًا في صيف عام 2012 إلى فضيحة في البلاد -إلى ميلادها من جديد باعتبارها المعارضة المسلحة الرئيسية للسيسي. وبعد مذبحة رابعة، تحولت جماعة أنصار بيت المقدس من مهاجمة إسرائيل إلى مهاجمة قوات الأمن المصرية. وأعلنت مسؤوليتها عن هجمات شبه يومية على الشرطة والجنود. أطلق المسلحون النار على واحد أو اثنين هنا وهناك، أو أعدموهم داخل الحافلة، أو فجروا قنابل أدت إلى مقتل العشرات في وقت واحد. أصبح قتل ستة عشر جنديًا دفعة واحدة أمرًا روتينيًا تقريبًا.

وفي غضون أسابيع، بدأ المسلحون بتنفيذ تفجيرات واغتيالات داخل القاهرة. وأحدث انفجار سيارة مفخخة حفرة في أحد شوارع مدينة نصر لكنه فشل في قتل وزير الداخلية. وأدى انفجار عبوة ناسفة إلى مقتل المدعي العام. وفي الذكرى الثالثة للانتفاضة 25 – كانون الثاني/يناير – 2014دمر انفجار مقراً أمنياً وألحق أضراراً بمتحف الفن الإسلامي. وما إلى ذلك وهلم جرا. وبحلول ربيع عام 2017، كان الآلاف من أفراد قوات الأمن قد لقوا حتفهم، وما زالت الأعداد في تزايد.

وكانت جماعة أنصار بيت المقدس معادية للإخوان المسلمين كما كانت معادية للسيسي. لقد انتقد الجهاديون في كل مكان منذ فترة طويلة

الإخوان المسلمون لتجنب العنف، والمطالبة بالديمقراطية، ومصادقة واشنطن، والأهم من ذلك كله لثقتهم في الجنرالات. وقد شبّه أيمن الظواهري، زعيم تنظيم القاعدة، جماعة الإخوان المسلمين بـ"مزرعة دواجن" التي "تنتج دجاجاً سعيداً راضياً بما يُعطى له، وجاهلاً باللصوص والوحوش من حوله".

وفي مقطع فيديو يعلن فيه المسؤولية عن تفجير في القاهرة في أكتوبر/تشرين الأول من ذلك العام، سخر أحد الراويين من أنصار بيت المقدس من "هذه المهزلة المسماة "الإسلام الديمقراطي". وأخبر التعليق الصوتي جماعة الإخوان المسلمين أنهم لن يخسروا شيئاً إذا انضموا إلى الجهاد المتشدد. هل كانوا سيمنعونك من الوصول إلى السلطة؟ الآن لقد طردوك. هل كانت أمريكا ستغضب منك؟

الآن هو مستاء. هل كانوا سيعتقلونك؟ الآن هم يعتقلونك. هل كانوا سيسفكون دمك؟ والآن يسفكون دماءكم ويحرقون مقراتكم ويعتدون على المساجد». كتائب السيسي "لم تجد سوى الهتافات والصيحات والصدور العارية. لذلك كنتم فريسة سهلة له، للقتل والأسر والتعذيب والمضايقة.

وخلص الراوي إلى أن "المواجهة المسلحة" كانت الرد الوحيد. "يجب أن يحارب الحديد بالحديد والنار بالنار." وأعلن الجهاديون في جميع أنحاء المنطقة تبريرهم.

وكانت مصر هي المحور. حتى انقلاب 3يوليو/تموز ،2013كان الصحفيون والعلماء والدبلوماسيون يتحدثون دون اعتذار عن الربيع العربي، والانفتاح الديمقراطي. فاز الحزب الإسلامي في تونس بالانتخابات البرلمانية، ثم شكل أول حكومة ائتلافية إسلامية ليبرالية في المنطقة. كانت الانتفاضة السورية لا تزال تتمحور بشكل أو بآخر حول الديمقراطية، وليس الانتقام أو الثيوقراطية. ولم يتعهد سوى فصيل صغير من المتمردين بالولاء لتنظيم القاعدة، ولم يتجرأوا على القيام بذلك علناً إلا في شهر إبريل/نيسان الماضي. فقد أجرت ليبيا انتخابات برلمانية ذات مصداقية واختارت رئيس وزراء ليبرالياً. واعتبرت وزارة الخارجية اليمن نموذجا للانتقال إلى الديمقراطية.

ولكن بعد مذبحة رابعة، يمكن لذراع تنظيم القاعدة في العراق أن يعلن أن "صنمين قد سقطا: الديمقراطية وإفلاس جماعة الإخوان المسلمين". وأصبح الاختيار الآن واضحا: "صناديق الذخيرة بدلا من صناديق الاقتراع".

وقد أخذ الجنرال الليبي المنشق، خليفة حفتر، حذو السيسي.
وأعلن في أوائل عام 2014 أن المجلس الأعلى الليبي الوهمي للقوات المسلحة سوف يحل برلمانها، ويعتقل الإسلاميين، ويقضي على حركتهم.
وقد كرر حفتر أجزاء من خطاب السيسي الانقلابي بشكل شبه حرفي، مثل وعده بخريطة طريق انتقالية.

وضحك رئيس الوزراء على ذلك. ومع ذلك، في قاعدته بالقرب من بنغازي، تلقى حفتر الأسلحة وغيرها من أشكال الدعم من الإمارات العربية المتحدة ومصر في انتهاك للحظر الذي تفرضه الأمم المتحدة (تم تأكيد ذلك لأول مرة في تسجيل مسرب من مكتب السيسي وفي رسائل البريد الإلكتروني المخترقة بين دبلوماسيين إماراتيين، ثم أصبح الأمر معروفًا لاحقًا). وسرعان ما قامت الجماعات المسلحة المؤيدة والمعارضة لحفتر بالتنمر على البرلمان. انهارت العملية السياسية. وانفجرت ليبيا في حرب أهلية استمرت لسنوات.

انفصل الذراع العراقي لتنظيم القاعدة بعد أشهر قليلة من المذبحة التي وقعت في القاهرة ليصبح تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا، المعروف أيضًا باسم داعش أو داعش. وبحلول شهر يونيو/حزيران من العام التالي، أعلن تنظيم داعش قيام "خلافة" تمتد إلى عمق سوريا. وبحلول صيف عام 2015، كانت قد استفادت من فوضى الحرب الأهلية الليبية للسيطرة على مائة ميل من ساحلها على البحر الأبيض المتوسط حول مدينة سرت.

كثيرا ما سمعت الناس في العالم العربي وفي الغرب يستشهدون بـ

الفوضى التي اندلعت في جميع أنحاء سوريا والعراق وليبيا واليمن لتبرير استيلاء السيسي على السلطة. انظر إلى الفوضى التي أحدثها الربيع العربي! لكن الأمل تضاءل فقط بعد تولي السيسي السلطة، مع عودة النظام القديم ودفاع الجهاديين. ما أشعلته التحرير أطفأته رابعة.

...

9

بدأ المتحدثون العسكريون المصريون يتوقعون الهزيمة الوشيكة للجهاديين في شمال سيناء مباشرة بعد رابعة. ومع مقتل المزيد والمزيد من الجنود هناك، شهرًا بعد شهر، كرر المتحدثون نفس التوقعات. كان الجيش يقوم بعملية التطهير فقط. ومنع الجنرالات الأجانب والصحفيين من دخول المنطقة. ثم ألقت الشرطة العسكرية القبض على الصحفي المحلي نحن

قد اعتمد على. وكان بيان صحفي عسكري قد تفاخر بقتل أربعة مسلحين في قريته، وكانت جريمته هي الكتابة على الفيسبوك أن الجنود قتلوا بدلاً من ذلك أربعة مدنيين عزل. تم السماح له بالخروج بعد بضعة أسابيع لكنه كان خائفًا من الإبلاغ.

لذلك، تخفيت مي الشيخ، الشجاعة دائمًا، وهي مصرية
امرأة ترتدي حجابًا في مقعد الراكب بجوار سائق بدوي في سيارة صغيرة قديمة تحمل لوحات ترخيص شمال سيناء. عند نقاط التفتيش، تحدثت الشرطة فقط مع السائق الذكر، على افتراض أنها قريبته الأنثوية.

وكان الجيش قد قام بعزل وسط العاصمة الإقليمية العريش، مثل نسخة مصغرة من المنطقة الخضراء الأمريكية في بغداد المحتلة. وكانت السلطات المصرية قد أغلقت جميع خدمات الهاتف المحمول أو الإنترنت خلال ساعات النهار، ويرجع ذلك جزئيا إلى استخدام المسلحين إشارات الهاتف لتفجير القنابل المزروعة على جانب الطريق.

وعند الغسق، فرض الجنود حظر تجول ليليًا صارمًا.
أفاد السكان والأطباء بمقتل عشرات المدنيين الأبرياء برصاص جنود ثائرين عند نقاط التفتيش. وحوّلت طائرات الهليكوبتر التي تطارد المسلحين بلدات بأكملها إلى أنقاض. احتشد السكان المحليون في العريش خلف الأبواب المغلقة للتحدث مع مي، وهمسوا بتوتر حول الكتيبة ،101وهو مركز احتجاز عسكري داخل المنطقة الأمنية المسورة ومشهور بالتعذيب.

"المسلخ"، كما أطلق عليه العديد من السكان. وقال طبيب في المستشفى المحلي لمي: "الأشخاص الذين يتم نقلهم إلى اللواء 101لا يخرجون". فكرت في الغرفة ،101غرفة الاستجواب في رواية 1984لجورج أورويل.

وأشار البعض إلى أنصار بيت المقدس باسم "اللواء - "102المنافس
العصابة التي أرهبت قراهم. وسيطر اللواء 102على الليل عندما انسحب الجنود داخل مجمعاتهم المسورة. لكن حتى في النهار أقام الجهاديون نقاط تفتيش وسيطروا على الطرق في بعض مناطق شمال سيناء.

وسرعان ما تطورت جماعة أنصار بيت المقدس من حيث التطور، وقامت بشن هجمات منسقة مع موجات من المهاجمين، وضربت مناطق أبعد من سيناء -وخاصة في الصحراء الغربية، بالقرب من ليبيا. ولم تعد جماعة أنصار بيت المقدس موطئ قدم لتنظيم القاعدة، بل أعلنت ولاءها لتنظيم داعش في عام 2015واختبرت تكتيكات الخليفة الجديد. إعادة تسمية ولاية سيناء التابعة للدولة الإسلامية

استولت القوات المسلحة على مدينة الشيخ زويد الرئيسية في شمال سيناء وسيطرت عليها لفترة وجيزة. وهاجمت القوات الجوية المصرية البلدة لطرد المسلحين قبل غروب الشمس.

وقام المسلحون بقطع رؤوس المخبرين المشتبه بهم، وفي إحدى الحالات، أ
غربي: كرواتي يعمل في شركة بترول فرنسية اختطفوه على الطريق السريع. لقد قاموا بإخراج مقاطع فيديو دموية على طريقة تنظيم الدولة الإسلامية. ثم جربوا أيديهم في قصف الطائرات. وفي خريف عام 2015، أسقط الجهاديون طائرة روسية مستأجرة أثناء إقلاعها بالقرب من شرم الشيخ في جنوب سيناء. قُتل مائتان وأربعة وعشرون شخصًا. وبعد ذلك تحول المسلحون إلى مهاجمة المسيحيين أيضاً.

وعلى مدى الأشهر الثمانية عشر التالية، اغتال مقاتلو الدولة الإسلامية أكثر من ستة أقباط محليين، وأحرقوا المنازل، ودمروا الكنائس، وأجبروا أكثر من مائة عائلة على الفرار للنجاة بأرواحهم. في أحد الشعانين عام 2017، أدى تفجيران لكنيستان تابعتان لتنظيم الدولة الإسلامية بعيدًا عن سيناء، في مدينتي طنطا والإسكندرية، إلى مقتل ما لا يقل عن خمسة وأربعين شخصًا.

أخبرني المسؤولون الغربيون بشكل خاص في عامي 2014 و5102 أنهم يعتقدون أنه ربما كان هناك ما لا يقل عن 2000 مقاتل من أنصار بيت المقدس في شمال سيناء؛ ويقدر بعض الدبلوماسيين الأمريكيين العدد بنصف ذلك. ولم تقل السلطات المصرية سوى بضع مئات. ولكن بحلول إبريل/نيسان 2017، كانت مصر قد فقدت أكثر من 3000 جندي وشرطي في قتال من لا يتجاوز عددهم، بحسب إحصاءاتها، بضع مئات من "الإرهابيين". إذا أضفت أعداد الجثث في بياناتها الصحفية، فإن حكومة السيسي زعمت أن قواتها الأمنية قتلت ما يزيد عن 6200 مسلح -أي أكثر من ثلاثة أضعاف أعلى تقدير لعدد المقاتلين في أنصار بيت المقدس على الإطلاق. . الأرقام الرسمية لم تضيف ما يصل.

وقد تشاجر الدبلوماسيون الأميركيون فيما بينهم حول مدى ضآلة القوة القتالية التي اشترتها المساعدات العسكرية البالغة 1.3 مليار دولار سنوياً.
وحتى بعد مرور أربع سنوات، لم يتمكن الجيش المصري من هزيمة رعاع المسلحين في سيناء. فهل حل المقاتلون الجدد محل الذين سقطوا بهذه السرعة؟ من قتلت مصر؟

وتلقي قصة الأخوين البدويين بعض الضوء على اللغز.
بدأت الحادثة في رفح، وهي بلدة يبلغ عدد سكانها حوالي 80 ألف نسمة وتقع بالقرب من حدود غزة. وبحلول صيف عام 2015، كانت حكومة السيسي قد قامت بذلك

هدمت آلاف المباني هناك، مما أدى إلى نزوح أكثر من 3200 أسرة وتدمير أفدنة من أراضيهم الزراعية. وكانت الفكرة هي إنشاء منطقة عازلة مع غزة لمنع المسلحين من القفز على الحدود. لكن تسوية مدينة بأكملها بالأرض لم تكسب سوى القليل من الأصدقاء بين النازحين.

في 18 يوليو 2016، تم القبض على الأخوين المراهقين – داود صبري العوابدة وعبد الهادي صبري العوابدة، وكلاهما من عشيرة الرميلات – وسط الحطام. ومن المستحيل معرفة السبب، لأن الشرطة لم توجه أي اتهامات ولم تجر أي محاكمة. اختفى الاخوة. وافترضت عائلاتهم أن الكتيبة 101 قد ابتلعتهم.

لكن الأخوين ظهرا بعد بضعة أشهر في وثيقة مسربة
تم تسجيل الفيديو الذي وقع في رقعة من الصحراء الصخرية. وكان جنود وضباط مخابرات وميليشيات موالية للحكومة يرتدون الزي العسكري والدروع الواقية يتجولون بالقرب من عربة همفي أمريكية الصنع. وكان رجال الميليشيا يتجولون حول بعض الأسرى مقيدين ومعصوبي الأعين. كان داود، البالغ من العمر ستة عشر عامًا، ملقى على الأرض ويرتدي قميصًا أحمر، ويداه وقدماه مقيدتان معًا.

وسُمع أحد القادة وهو يصرخ: "ليس فقط في الرأس، ليس في الرأس". أطلق أحد رجال الميليشيا أربع طلقات من سلاحه الكلاشينكوف على داود. قال القائد: "هذا يكفي".

كان عبد الهادي، شقيق داود، البالغ من العمر تسعة عشر عاماً، يرتدي بنطال الجينز الأزرق ويقف وذراعاه مقيدتان وعيناه معصوبتان. "يا فتى، هل أنت من عائلة أبو شنانة؟" سأله أحد رجال الميليشيات وأمسكه من شعره. وسمع دوي طلقات نارية متفرقة في الخلفية. تبادل عبد الهادي وآسره الأسماء القبلية ومواقع القرى حتى حددوا المكان الذي تعيش فيه عائلة عبد الهادي، مثل شخصين من نفس مسقط الرأس يجتمعان في مكان بعيد.

"حسنًا، تعال إذن"، قال الجندي أو رجل الميليشيا أخيرًا
قاد السجين بعيدا.
وألقى رجال الميليشيات عبد الهادي على الأرض. "استمر في ذلك، هيا!" صاح شخص ما. ووقف اثنان من المسلحين الموالين للحكومة فوق عبد الهادي. قام أحدهم بنزع العصابة البيضاء عن عينيه. وأطلق آخر النار عليه خمس مرات، وأنزل بندقيته الكلاشينكوف، ومشى بهدوء بعيدًا.

وكانت هناك ست جثث أخرى بملابس مدنية ملقاة في مكان قريب.

وبعد عمليات القتل، قام رجال الميليشيات والجنود بوضع الأسلحة على المنطقة
الأرض حول الجثث، كما لو كانوا مسلحين عندما ماتوا. تم تسجيل هذا الجزء من العرض أيضًا على الفيديو.

"هل يجب أن أغير موضع السلاح؟" يسأل صوت.

"انتهى، انتهى!" يقول له المصور.

في 5نوفمبر/تشرين الثاني ومرة أخرى في 6ديسمبر/كانون الأول، أصدرت وزارة الدفاع المصرية لقطات دعائية رسمية تظهر الشقيقين القتيلين وستة جثث أخرى. وقالت الوزارة إنه تم القضاء على "ثمانية عناصر إرهابية مسلحة" في معركة بالأسلحة النارية.

كما ظهرت لقطات من نفس المشهد على موقع إلكتروني مؤيد للجيش. "هذا هو الانتقام لأولئك الذين ماتوا"، أعلن جندي يقف بالقرب من الجثث في هذا الفيديو. وكانت وزارة الشؤون الأخلاقية، وهي الذراع الدعائي للجيش، مسؤولة عن هذه القضية، وقام الضباط الراضون بمشاركة أفلامهم المنزلية.

ووصفت هيومن رايتس ووتش ومنظمة العفو الدولية مقاطع الفيديو بأنها أدلة على جرائم حرب، وأنها جزء من نمط من عمليات القتل التعسفي وخارج نطاق القضاء على يد الجيش الذي يتلقى من دافعي الضرائب الأمريكيين أكثر من أي دولة باستثناء إسرائيل.

وتجاهل المسؤولون المصريون هذه الشكاوى. جنرال بالجيش
وقال في برنامج حواري تلفزيوني إن المشاهد التي تم تصويرها هي افتراءات إخوانية. ولم يكن السيسي منزعجا. لكن من الأفضل أن أفهم من أين جاء بعض هؤلاء "الجهاديين" القتلى.

أخبرني دبلوماسيون غربيون أنهم يعتقدون أن قوات الأمن المصرية كانت تستخدم سيناء كمكب لجثث السجناء الذين قتلوا تحت التعذيب في سجون مصر. وأضيف ضحايا التعذيب إلى قائمة جثث "الإرهابيين".

لم أكن أرى كيف ستكون التكتيكات العشوائية التي يتبعها الجيش المصري
الوصول إلى أي مكان، ولكنني فوجئت مرة أخرى. وبحلول عام 2017، أخبرني دبلوماسيون بريطانيون وأمريكيون أن تنظيم الدولة الإسلامية لم يعد يقيم نقاط تفتيش على الطرق السريعة. ولم يعد الجنود ينكمشون في ثكناتهم ليلاً خوفاً على حياتهم.

ما هو السر بعد أربع سنوات من القتال؟ لم يكن
العسكرية المصرية. لقد كانت إسرائيل.
لقد خاضت مصر وإسرائيل أربع حروب على حدودهما في سيناء، إذا حسبنا المناوشات حول أزمة قناة السويس. تحتفل مصر في 25إبريل من كل عام، بيوم تحرير سيناء، إحياءً لذكراه

الانسحاب النهائي لآخر جندي إسرائيلي في عام 1982. لكن الجيشين تعاونا بشكل وثيق خلال أربعة عقود من السلام، كما كنت أعرف. ولا تزال حكومة السيسي ووسائل الإعلام التابعة لها تشوه سمعة الدولة اليهودية باعتبارها عدوًا بغيضًا. وكان التعاون مع "الصهاينة" أمرًا ملعونًا مثل الخيانة.

وبعد أسابيع قليلة من تولي السيسي السلطة، في أغسطس/آب 2013، أدى انفجاران غامضان إلى مقتل خمسة مسلحين مشتبه بهم في منطقة شمال سيناء ليست بعيدة عن الحدود الإسرائيلية. وعندما أشار تقرير لوكالة أسوشيتد برس إلى أن طائرات إسرائيلية بدون طيار قتلت المسلحين، نفى المتحدث باسم السيسي ذلك بشدة. وقال العقيد أحمد علي: "لا صحة شكلا أو جوهرا لوجود أي هجمات إسرائيلية داخل الأراضي المصرية"، متوعدا بإجراء تحقيق لم يحدث أبدا. وأضاف أن "الادعاءات بوجود تنسيق بين الجانبين المصري والإسرائيلي في هذا الشأن عارية عن الصحة تماما وتخالف العقل والمنطق". ورفضت القوات المسلحة الإسرائيلية التعليق. لقد تم نسيان هذا الحدث تقريبًا.

ولكن بحلول أواخر عام 2015 - عندما زرع تنظيم الدولة الإسلامية علمه في سيناء، وبدأ يطمح إلى السيطرة على الأراضي، وأسقط الطائرة الروسية - نفد صبر قادة إسرائيل. وأصبح الفشل المستمر للجيش المصري في تأمين شبه الجزيرة أمراً خطيراً. بدأت القوات الجوية الإسرائيلية حملة سرية من الضربات الجوية ضد المسلحين المشتبه بهم داخل مصر، وغالبًا ما كانت تقصفهم مرتين في الأسبوع أو أكثر، وكل ذلك بمباركة الرئيس السيسي.

وأطلقت إسرائيل طائرات بدون طيار وطائرات نفاثة ومروحيات غير محددة. قامت الطائرات والمروحيات بتغطية علاماتها وحلقت في مسارات غير مباشرة لإعطاء الانطباع بأنها أقلعت من البر الرئيسي المصري. وأخفى السيسي الضربات عن الجميع باستثناء دائرة صغيرة من كبار ضباط الجيش والمخابرات. ولم يُسمح لأي صحفي بدخول المنطقة، ولم تطرح وسائل الإعلام التي تهيمن عليها الدولة أي أسئلة. كما قيدت الرقابة العسكرية الإسرائيلية التقارير العامة عن الغارات هناك أيضًا.

ولكن بحلول نهاية عام 2017، كانت إسرائيل قد نفذت أكثر من مجرد هجوم
مائة ضربة سرية داخل مصر: حرب جوية سرية.
وقد ألمح المسؤولون الحكوميون البريطانيون والأمريكيون المذهولون إلى ذلك
تحدثت لمدة عامين عن الحجم المتزايد للهجمات التي نفذتها إسرائيل في سيناء المصرية بمباركة السيسي. وبحلول عام 2017، أخبرني
العديد من المسؤولين الأمريكيين أن إسرائيل تستحق الكثير من هذا

ويعود الفضل في ذلك إلى النجاح المحدود الذي حققته الحكومة المصرية في احتواء تنظيم الدولة الإسلامية (على الرغم من ظهور جهاديين أكثر شراسة ليحلوا محل كل زعيم قُتل، كما أشار أحد الدبلوماسيين). وقد اشتكى المسؤولون العسكريون الإسرائيليون للأميركيين بأن المصريين لم يفعلوا ما يكفي من جانبهم، وفشلوا في بعض الأحيان في إرسال قوات برية بعد غارة جوية عندما طلب الإسرائيليون سلسلة منسقة من العمليات. لكن على مدار أكثر من عامين، وفي ظل إدارتين أميركيتين، التزمت جميع الأطراف الصمت، خوفاً من احتمال حدوث اضطرابات في مصر إذا أصبح دور إسرائيل معروفاً.

ومع ذلك، فإن اعتماد مصر على إسرائيل أدى إلى تغيير ديناميكيات المنطقة. في 21شباط/فبراير ،2016عقد وزير الخارجية كيري قمة سرية في العقبة بالأردن، ضمت السيسي والملك عبد الله ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو. وكان من ضمن أجندة كيري التوصل إلى اتفاق إقليمي تضمن فيه مصر أمن إسرائيل كجزء من صفقة لإقامة دولة فلسطينية.

وسخر نتنياهو. ماذا يمكن أن يقدم السيسي لإسرائيل؟ نتنياهو
هذا ما سأله أمريكيان مشاركان في المحادثات. اعتمد السيسي على إسرائيل للسيطرة على أراضيه، من أجل بقائه.

السيسي كان بحاجة لنتنياهو؛ نتنياهو لم يكن بحاجة للسيسي. ومن جانبه، قال السيسي للمسؤولين الأميركيين بشكل مباشر إنه لن يفعل شيئا للضغط على نتنياهو.

وفي عام ،2017أعلن الرئيس ترامب أن الولايات المتحدة تعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل. ولم تعد واشنطن تنتظر اتفاقاً إسرائيلياً مع الفلسطينيين على جعل المدينة المقدسة عاصمة مشتركة للدولتين. وندد الدبلوماسيون المصريون علنًا بقرار ترامب، حتى أنهم بادروا إلى إصدار قرار للأمم المتحدة لإدانته. لكن تسجيلًا صوتيًا مسربًا أظهر ضابط مخابرات مصري يقوم بتدريب مقدمي البرامج الحوارية حول كيفية إقناع الجمهور بقبول قرار القدس لصالح الاستقرار.

وقال الضابط، الذي عرف نفسه باسم أشرف الخولي، للمضيفين إن الفلسطينيين يمكنهم الاكتفاء بمقرهم الحالي في مدينة رام الله بالضفة الغربية. "كيف تختلف القدس عن رام الله حقًا؟" كرر الخولي.

• • •

ب لأن "رابعة" تعني الرابعة باللغة العربية على طريقة الإخوان
وقام الإسلاميون من إسطنبول إلى مانيلا بتعديل التحية ذات الأصابع الأربعة
كرمز للتضامن. وأصبح شعار اليد السوداء التي ترفع أربعة أصابع على خلفية صفراء زاهية هو الرمز الجديد لجماعة الإخوان المسلمين، وجرمت حكومة السيسي هذه البادرة. يمكن معاقبة أي شخص يتم القبض عليه أثناء قيامه بذلك. تم إيقاف نجم كرة قدم محترف عن فريقه، وتم طرد الطلاب من المدارس، وتم القبض على المصطافين لالتقاط صور سيلفي في محطة القطار. لقد أخبرنا أبناءنا ألا يرفعوا أصابعهم الأربعة أبدًا في المدرسة أو في الشوارع، حتى على سبيل المزاح -وهو درس صعب لطفل يبلغ من العمر أربع سنوات.

كان جهاد الحداد، المتحدث باسم جماعة الإخوان المسلمين وابن مستشار مرسي للسياسة الخارجية، يبلغ من العمر 32عاماً. تلقى تعليمه في بريطانيا وعمل سابقًا في مؤسسة كلينتون في قضايا الشرق الأوسط والطاقة. أخبرني أفراد عائلته أنه كان صديقًا شخصيًا لتشيلسي. التقى حداد برئيس الوزراء ديفيد كاميرون في 10داونينج ستريت، وأصبح همزة وصل مع الدبلوماسيين والصحفيين الغربيين. كنت أعرف حداد كمهاجم: كان يقوم بالعلاقات العامة للإخوان. لكنه كان ذكيا وجيد القراءة. لقد استمتعت بصحبته.

وبعد مذبحة رابعة، جعله ذلك التاريخ مطلوبا، فهرب تحت الأرض. وصلت إليه بعد ستة أيام عبر سكايب.

كان يبتعد عن الهواتف أو البريد الإلكتروني، ويتسلل من شقة إلى أخرى، ويخفي وجهه في الأماكن العامة، ولا يقضي أكثر من ليلة واحدة في مكان واحد. "أمن الدولة عدواني للغاية وأنا وجه معروف".

لقد توقف الإخوان عن الدعوة إلى الاحتجاجات في الشوارع أو "الشهداء".
وكان الكثير منهم يموتون. وقال حداد إن الإسلاميين "يمزحون عن الأيام الخوالي لمبارك". وقال لي: "لقد اقتربنا من الإبادة ذات مرة في عهد عبد الناصر، لكن هذا أسوأ". "هذا هو الأسوأ على الإطلاق."

تم القبض عليه في 17سبتمبر/أيلول. وحكم على كل من جهاد ووالده عصام بالسجن مدى الحياة بتهمة التحريض على العنف. وسرعان ما أصبح كل الإخوان المسلمين الذين أعرفهم تقريبًا في السجن أو المنفى. وفي عام ،2017قدر المسؤولون الأمريكيون عدد السجناء السياسيين الذين ما زالوا خلف القضبان في مصر بأكثر من ثلاثين ألفًا. وقال بعضهم ستين ألفا. وقامت وزارة الداخلية ببناء سجون جديدة لاحتجازهم.

ولكن كان هناك ما يقرب من نصف مليون من الإخوان المسلمين يدفعون مستحقاتهم في مصر. ولم تتمكن الوزارة من سجنهم جميعا.

فهل يقبل شباب الإخوان المسلمين منطق العنف كما

جادل الجهاديون؟ في 27مايو ،2015وقع أكثر من مائة عالم مسلم على رسالة مفتوحة بعنوان "نداء مصر".

وجاء في الرسالة أن "للطرف المتضرر الحق في القتال ضد المعتدي". لقد حكم مصر "نظام قاتل"، ويجب معاقبة المتعاونين معه -"الحكام والقضاة والضباط والجنود والمفتين والإعلاميين والسياسيين" -باعتبارهم "قتلة" بموجب الشريعة الإسلامية. حكم بالإعدام.

وقد أيد متحدث باسم القيادة الخفية لجماعة الإخوان المسلمين -والذي يكتب الآن على الإنترنت تحت اسم مستعار -الدعوة في اليوم التالي.

أعدمت الحكومة المصرية حفنة من الإخوان، وأعلن المتحدث أن "القصاص" هو الرد الوحيد على هؤلاء "القتلة" -"ثورة تحصد الرؤوس من فوق الجثث الفاسدة".

وغمرت شبكات التلفزيون الفضائية المرتبطة بجماعة الإخوان المسلمين المصرية والتي تبث من اسطنبول مطالبات بالانتقام.

"الآن، ليس الأمر أن سلميتنا أقوى من الرصاص"، هذا ما قاله رجل كان على حافة أعمال شغب في القاهرة الكبرى لمحاوره في مكالمة هاتفية مع إحدى الشبكات. "سلامنا أقوى بالرصاص ....

نسائهم من أجل نسائنا. بناتهم من أجل فتياتنا. الدم بالدم."

"هذا ما كنت أقوله للتو!" ووافقه الرأي محمد ناصر. «أرسلت رسالة لزوجات الضباط وأخبرتهم أن الثوار سيقتلون أزواجهن!»

لقد كانت دعوة مصر أكثر من اللازم بالنسبة لبعض وجهاء الحركة.

إن التمسك باللاعنف قد يبدو وكأنه "الإمساك بجمرة مشتعلة"، كما كتب أحد الشيوخ، محمود غزلان، في رسالة مفتوحة نُشرت على الإنترنت من مكان غير معلوم. لكن تاريخ الإخوان أثبت أن «العنف هو سبب الهزيمة والزوال».

وأيد التوبيخ أحد كبار العلماء الموقرين، والذي يشار إليه أحيانًا باسم مفتي الإخوان المسلمين، عبد الرحمن البر.

"السلام ليس تكتيكا أو مناورة"، كتب في رسالته المفتوحة من مكان مخفي. "إنه خيار أساسي مبني على الفقه الديني" و"قراءة صحيحة للتاريخ".

غرقت الرسائل عبر الإنترنت من الإخوان الشباب الغاضبين
تحذيرات. "ما تصفه لا يسمى "السلام"، بل يسمى "العار والذل". "لقد تجاوز سفك الدماء معنى "السلام" المعرض للخطر."

وفي غضون أيام، ألقت الشرطة القبض على كلا الشيخين. وكانت إحدى المحاكم قد أدانتهم غيابياً بالتحريض على العنف على الرغم من الجهود العلنية التي بذلوها لوقف ذلك. وكانت أحكام الإعدام الخاصة بهم في انتظار.
لقد كان الإخوان، جد الحركات الإسلامية، كذلك
وقد قدمت نفسها لعقود من الزمن على أنها حصن ضد العنف والتطرف. أما الآن فقد أصبحت مرتبكة ومنقسمة داخليًا لدرجة أنها لم تتمكن من لعب أي دور من هذا القبيل. وبحلول عام 2017، انهارت جماعة الإخوان المسلمين في نقاشات لا نهاية لها حول الأخطاء التي حدثت، وكيفية المضي قدمًا، والأهم من ذلك كله حول من يجب أن يتولى المسؤولية. هل تحركوا بسرعة كبيرة أم ببطء شديد؟ فهل يجب عليهم التراجع إلى الانفصالية أم تبني المواجهة؟ هل يمكن أن يكون هناك شيء اسمه "العنف الدفاعي"؟

تم تقسيم الخلايا الفردية حسب الولاءات لفرق القيادة المتنافسة.
لمدة عامين بعد عام 2011، كتب الصحفيون الغربيون في الشرق الأوسط عن المناقشات حول مدى توافق الإسلام والديمقراطية.
بعد صيف عام 2013، كتبنا عما إذا كان الإسلام عنيفًا بطبيعته.

...

F أو في الأشهر القليلة الأولى بعد رابعة، كان الجيش ينتشر بكثافة حول المدينة صباح كل جمعة لسحق أي احتجاج قبل انطلاقه. في بعض الأحيان، كان أنصار الإخوان ينظمون مسيرات يوم الجمعة في حي المعادي أو بالقرب منه، وكانت بيننا بعض الاتصالات القريبة. لكن معظم المسيرات فرقت بسرعة من قبل الشرطة. لقد نجحنا دائمًا في إبعاد أبنائنا. ثم تلاشى نمط الاحتجاجات في الشوارع تدريجياً.

وأعقب أشهر المظاهرات حالة من القلق
فترة من الانفجارات الليلية، أحيانًا على مرمى سمع غرفة نومنا. في إحدى ليالي شهر أكتوبر، دمرت قنبلة طبقًا للأقمار الصناعية كنا نمرره كل يوم أثناء قيادة أطفالنا إلى مدرستهم. ولكن مع مرور الوقت، أصبح من الواضح أن هؤلاء المهاجمين، على عكس الجهاديين، كانوا يستهدفون البنية التحتية أو المتاجر الفارغة، ولم يحاولوا قتل المدنيين.

أثنت لورا على ضبط النفس وتنفست بسهولة أكبر. أصبحت حياة الأولاد الآن مقيدة بالمباني القليلة التي تفصل بين منزلنا ومدرستهم ونادي البلياردو، لكن لا يبدو أنهم يمانعون. كانت هناك مسرحيات مدرسية واجتماعات للسباحة. كانت لورا تعمل في الجامعة الأمريكية بالقاهرة. كان معظم زملائها المصريين الناطقين باللغة الإنجليزية سعداء بالتخلص من الإخوان المسلمين.

في أحد الأيام، بعد رابعة بأسابيع قليلة، رن هاتفي بينما كنت أتوجه إلى مطعم في الزمالك لتناول العشاء. "مرحبًا ديفيد، هذا محمد سلطان. . ."

لقد كان خريج ولاية أوهايو المصري الأمريكي هو من أصيب برصاصة في ذراعه أثناء اعتصام رابعة. كان يتصل بي من زنزانة مكتظة وخافتة للضوء في مجمع سجون طرة.

وكانت الشرطة قد اعتقلته في مداهمة شقته قبل أيام
بعد المذبحة. لقد تم إدخاله إلى السجن من خلال طقوس التكريس المعروفة باسم التشريفة . تم تجريد هو والسجناء الجدد الآخرين من ملابسهم الداخلية، ثم أُجبروا على الركض لمدة ساعتين بين صفين من الحراس وقاموا بضربهم بالسياط والأحزمة والهراوات.

ولم يقدم سلطان أي رعاية طبية، واعتمد على سجين مصاب بـ
درجة طبية لإزالة دبوسين يبلغ طولهما ثلاثة عشر بوصة من ذراعه المصابة، باستخدام كماشة وشفرة حلاقة مستقيمة، دون تخدير أو تعقيم. ثم ألقاه سجانو سلطان في زنزانة تحت الأرض. صرخ السجناء وتوسلوا للحصول على المياه الجارية لبضع ساعات في اليوم. وكان سلطان قد دفع ما يعادل أربعين دولارًا لمجرم شارع مقابل استخدام هاتف محمول مهرب لمدة ساعة.

لقد اتصل بي وبأبيجيل هوسلوهنر، نظيرتي في صحيفة واشنطن بوست.

كنت مرعوبًا من أن يتم القبض عليه وهو يتحدث معي (هل كان هاتفي تحت المراقبة؟) ويتعرض لمزيد من الضرب. لكن سلطان كان يعلم أن أمله الوحيد هو جواز السفر الأمريكي. لقد أراد أن يخبر الأميركيين أن مواطناً آخر كان في السجن لدفاعه عن الديمقراطية.

لقد راهن على أن لهجته الغربية الوسطى ستثير في داخلي شعورًا بالارتباط، وكان على حق في ذلك.

السجون المصرية تجعل أقسى السجناء الأمريكيين يبدون مثل فندق فور سيزونز. تم جمع عشرات الآلاف بعد

تم حرمان الانقلابيين من الغذاء اللائق أو الصرف الصحي أو الرعاية الصحية أو الفراش. كانوا ينامون على أرضيات مزدحمة موبوءة بالحشرات. وتعرضوا للضرب والتعذيب في بعض الأحيان. لم يكن أي من ذلك مفاجأة.

كان من الصعب، بطريقة منحرفة، التعاطف. قصصهم
غير واضحة معًا: مدير تسويق إقليمي لشركة أدوية دنماركية تم القبض عليه في المطار وهو في طريقه لحضور مؤتمر مبيعات؛ تم عرض الطبيب اللطيف الذي تحول إلى برلماني أمام الكاميرات وهو لا يزال يرتدي أغطية سريره؛ انطلق المرشد العام السبعيني بدون أطقم أسنانه. كيف يمكن للمصريين أن يفعلوا ذلك ببعضهم البعض؟

في أحد الأيام التي لا تُنسى، بعد مرور عامين على رابعة، تلقيت ثلاث مكالمات هاتفية منفصلة حول ثلاثة أصدقاء آخرين كانوا جميعًا محتجزين في السجون المصرية -اثنان إسلاميان وليبرالي. أراد شقيق أحدهم وابن الآخر وخطيب الثالث أن يعرفوا: هل كان هناك أي شيء يمكنني فعله للفت الانتباه إلى قضاياهم؟

لا، لقد أخبرتهم بلطف، أنه ليس هناك ما يمكنني فعله. ولم يكن هناك سجين سياسي مصري آخر يستحق النشر.

وقد اتُهم سلطان بالتحريض على العنف، مثل كثيرين آخرين. لكنه كان يعلم أن هويته الأمريكية جعلته مختلفاً. لقد كانت لغته العامية، وبذاءته، وحماسته لفريق باكيز بولاية أوهايو، وعمله يطرق أبواب حملة أوباما لعام 2008. وعندما بلغ السادسة والعشرين من عمره في 16 نوفمبر/تشرين الثاني 2013، ساعدت في ترتيب قيام الموقع الإلكتروني لصحيفة نيويورك تايمز بنشر رسالة مفتوحة إلى أوباما كتبها سلطان في ذلك اليوم وقام بتهريبها إلى خارج السجن.

"السيد. سيدي الرئيس، كل ما أتوق إليه هو فرصة الاجتماع بعيد الشكر مع العائلة والأصدقاء والاستمتاع ببعض الديك الرومي والفطيرة. ما زلت أحلم بمشاهدة فوز فريق Buckeyes طوال هذا العام بعد فوزه على ميتشيغان. العد التنازلي للساعات في رأس السنة الجديدة. مشاهدة مباراة السوبر بول بقميص توم برادي الخاص بي (آمل ألا يكون مخيبا للآمال في الموسم الماضي!) وتناول برجر الجبن الجيد مع البطاطس المقلية. . ."

وفي عيد ميلاده السابع والعشرين، هرب من السجن رسالة إلى والدته. أخبرها أنه كان على قيد الحياة بفضل الدروس في التصميم والمثابرة التي تعلمها في لعب كرة السلة في المدرسة الثانوية، من مدرب كان يسميه سلابي.

وكان سلطان قد دخل السجن في الساعة الخامسة عشرة وكان وزنه 272 رطلاً. وعلى مدار ثلاثة أشهر من ذلك الخريف، توقف تدريجيًا عن تناول البروتين أو اللحوم (القليل الموجود في السجن)، ثم توقف عن تناول الكربوهيدرات، ثم منتجات الألبان. في 26 يناير/كانون الثاني 2014، بدأ إضرابًا عن الطعام، ولم يتناول سوى الماء والملح والفيتامينات التي قدمتها عائلته.

وبعد حوالي خمسة عشر يومًا، بدأ يفقد وعيه من حين لآخر. وفي بعض الأحيان كان يُنقل إلى مستشفى السجن لحقنه بالجلوكوز والمحلول الملحي في الوريد. تم حبسه في الحبس الانفرادي وانهار لفترة وجيزة، وضرب رأسه بالباب حتى نزف واحتاج إلى ضمادة. أخبرني فيما بعد أن الحراس أدخلوا شفرات حلاقة تحت الباب وكشفوا عن سلك كهربائي داخل زنزانته لإغرائه بالانتحار. فقال له أحدهم: «أرحنا وإياكم من هذا الصداع».

وظل مستيقظا بسبب صرخات الألم الصادرة من زنازين أخرى. تم وضعه تحت الأضواء الكاشفة لمدة أربع وعشرين ساعة يوميًا ثم وميضًا وامضًا. وعندما رفض السماح لأطباء السجن بأخذ علاماته الحيوية، تم تقييد يديه إلى كرسي متحرك وضربه حتى يخضع.

ثم تم نقل سجين مريض اسمه رضا إلى غرفة سلطان في المستشفى. صرخ زميله الجديد في الغرفة من الألم ومات أمامه. لكن لم يستجب أحد لنداءات سلطان طلباً للمساعدة. عندما جاء شخص ما أخيرًا في الساعة 3:00 مساءً من اليوم التالي، كان سلطان قد أمضى نصف يوم بمفرده مع الجثة.

وبعد أحد عشر شهرًا من تناول الماء والفيتامينات، فقد سلطان واحدًا
مائة وستون جنيها. وناشد دبلوماسيون أمريكيون في القاهرة المصريين ترحيله. في سبتمبر/أيلول 2014، التقى أوباما بالسيسي للمرة الأولى، خلال انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة، وقام بالدفع وجهاً لوجه من أجل إطلاق سراح سلطان. وتحدث السيسي عن استقلال القضاء المصري. بقي سلطان في السجن.

في يناير 2015، استجاب سلطان لرغبة عائلته وبدأ
فيقبل الحليب واللبن، حفاظاً على سلامة أعضائه. وقالوا إن تدخل أوباما قد يكسبه حريته. وفي 30 مايو 2015، وبعد 21 شهرًا في السجن و61 شهرًا من الإضراب عن الطعام، تم ترحيله أخيرًا إلى الولايات المتحدة.

التقيت بسلطان في منزل أخته بشمال فيرجينيا في الشتاء التالي، وأخبرني أن الأصدقاء الثلاثة الذين اعتقلوا معه ما زالوا جميعًا في السجن. وكذلك كان والده العجوز. وخلافا له، كانوا مصريين فقط.

وقال إن جهاديي تنظيم الدولة الإسلامية يقومون بالتجنيد بقوة في السجن. "يقولون: هؤلاء المرتدون لن يحترموا شيئًا سوى المقاومة العنيفة. إنهم لا يفهمون إلا لغة السلاح».

قال سلطان. "الشيء الوحيد المشترك بين جميع من في السجن -رجال داعش، وجماعة الإخوان المسلمين، والليبراليين، والحراس، والضباط -هو أنهم جميعًا يكرهون أمريكا".

28
الدولة العميقة

14أغسطس 1 – 2013يونيو 2017

لغالبًا ما كنت أنا وأورا نشتري البقالة من سلسلة متاجر تسمى سوق سعودي. كان بإمكان لورا أن تسير هناك دون أن تترك المنطقة الآمنة التي نعيش فيها. انخفض عمال التوصيل ودية

مشترياتنا على بابنا، وتعرفت لورا عليها جميعًا. وفي أحد الأيام في أواخر عام ،2013ذهبت للتسوق ووجدت حشدًا من رجال الشرطة خارج المتجر. تم طرد جميع الموظفين. استولى الجيش على السلسلة. وكان صاحبها أحد الأخوة المسلمين.

وكان لدى مالك الشركة المنافسة، مترو، اتصالات.
وفي رحلة إلى الإسكندرية في ذلك الخريف، لاحظنا أن جنودًا يرتدون الزي الرسمي كانوا يقطعون الطريق برسوم مرور أيضًا. وتولى الجيش، حرصاً على الأمن، إدارة وبناء جميع الطرق والجسور. وسرعان ما انتقل كشك تحصيل رسوم طريق الإسكندرية السريع إلى جوار محطة وقود واستراحة مملوكة للجيش، مما أدى إلى تدمير الشركات المملوكة للقطاع الخاص في الموقع القديم. وعلى مدار ستة أشهر في عام ،2014تلقت الشركات المملوكة للجيش أكثر من 1.5مليار دولار من العقود لبناء مباني سكنية، وأنفاق، وطرق، وأشياء أخرى كثيرة. كانت هذه أوقات ازدهار لشركة الجيش المصري.

الجنرالات «يعتبرون مصر ساحة معركة» منير فخري عبد
صرحت نور، وزيرة التجارة في عهد السيسي، لأبيجيل هوسلوهنر من صحيفة واشنطن بوست. وهذا يمنح الجيش حق الرفض الأول على كل قطعة أرض".

كان صديق بريطاني يقوم بتطوير مركز تسوق في القاهرة، وفي إحدى الليالي شرح النظام وهو يتناول المشروبات. بالطبع كانت هناك بيروقراطية وبقشيش في عهد مبارك. ولكن الآن

طُلب من المطور توظيف الجيش لبناء جميع الطرق وشبكات الصرف الصحي أو المياه والبنية التحتية الأخرى. وقد تعاقد الجيش من الباطن على هذه الوظائف مع شركة كان مساهموها الرئيسيون يدعمون الانقلاب بشدة (عائلة ساويرس). ومنحت تلك الشركة العقود لابن رئيس وزراء السيسي آنذاك، إبراهيم محلب. كل فرد في السلسلة حصل على قطع. وكان من الخطورة إثارة مثل هذا الفساد الرسمي علناً.

محلب الذي كان يرأس شركة البناء الحكومية في عهده
جلب مبارك سجلاً طويلاً من الفساد إلى منصب رئيس الوزراء. وأظهرت سجلات المحكمة التي تم تقديمها بعد الإطاحة بمبارك أن محلب قام بتضخيم العقود الحكومية للسماح للرئيس وعائلته باختلاس الملايين مقابل مشتريات فخمة مثل خمس ثلاجات ألمانية الصنع، ومكتب خاص للسيدة الأولى في فندق خمس نجوم، وعدة فيلات بالمدينة. البحر الأحمر، ومزرعة خارج القاهرة. وفر محلب إلى السعودية عام 2012 لتجنب الملاحقة القضائية بتهمة الفساد. ولم يعد إلا عندما عينته حكومة السيسي وزيرا للإسكان في عام 2013. وعين السيسي محلب رئيسا للوزراء بعد ثمانية أشهر، في فبراير/شباط 2014، ونسي ماضيه.

هل كان محلب الآن يوجه العقود بوقاحة لابنه؟ لقد هرعت
للتحقيق، ولكن لم تكن هناك حاجة. وقد أدرجت شركة ابنه –رواد البناء، التي أسسها محمد محلب –عقودها الحكومية وعقودها من الباطن في مكان بارز على موقعها على الإنترنت: محطة لمطار القاهرة؛ مرافق الصرف الصحي والمياه في القاهرة وعلى ساحل البحر الأبيض المتوسط؛ البنية التحتية لجامعة جديدة في الجيزة؛ محطة كهرباء بمدينة بني سويف؛ ومزرعة رياح بالقرب من البحر الأحمر؛ والطرق لمركز إداري جديد. وفي ظل اقتصاد متشائم، كانت عائلة محلب ترتفع.

وأكد لي المسؤولون التنفيذيون في الشركة أن الأمر كله كان على أساس الجدارة. لكن السيسي أوقف قواعد المناقصات التنافسية، لذلك كان من المستحيل معرفة ذلك. ولم يكن هناك مدع عام مستقل أو برلمان أو صحافة مصرية للتحقيق.

"إنه ليس ابن محلب فقط"، أنور السادات، النائب والبرلماني
قال لي ابن شقيق الرئيس السابق. "إن الإمبراطورية الاقتصادية العسكرية بأكملها تحتاج إلى الرقابة".
(افترضت أن اسمه الشهير سيحمي السادات، لكن في عام 2017، وافق البرلمان بشكل مطاطي

وصوت بالإجماع تقريبا على طرده، لارتكابه جريمة الدفاع عن استقلال المنظمات غير الربحية. وقال أحد النواب: "لقد رأينا أن السادات كان يعمل ضد البرلمان وضد الدولة"، في إشارة إلى الخيانة).

وكان الفساد هو ثمن الاستبداد. الحكومة المصرية
لعقود من الزمن، كانت تتباهى بوجود هيئة رقابية قوية للغاية لمكافحة الفساد، وهي هيئة الرقابة الإدارية. إنها وكالة تجسس محلية يديرها الجيش، وتقوم بالمراقبة الإلكترونية، وتدير سجونها الخاصة، وتحتجز المشتبه بهم أو حتى الشهود دون أوامر قضائية أو محاكمات. أنشأها عبد الناصر للمساعدة في السيطرة على البيروقراطية المدنية، وترفع تقاريرها مباشرة إلى الرئيس. هذه هي المشكلة: فهي لا تتظاهر بالاستقلالية.

ومن الناحية العملية، كثيراً ما تتهم هيئة الرقابة الإدارية أعداء الرئيس بالفساد بينما تتستر على تصرفات أصدقائه وعائلته. وبعبارة أخرى، فإن هيئة الرقابة هي في حد ذاتها أداة للفساد. وتدير الأنظمة الاستبدادية العربية الأخرى أنظمة مماثلة.

لقد وعدت انتفاضة 2011 ذات يوم بوضع حد للإفلات من العقاب على التعاملات الذاتية. وفي الأيام المتوترة التي أعقبت الإطاحة بمبارك، تقدم ضابط شرطة يعمل في الجهاز لفضح فساد الجهاز. وفي الشكاوى الرسمية، وبعد ذلك في المقابلات التلفزيونية، قدم المبلغ أدلة على أن رئيس الجهاز، الفريق أول محمد فريد التهامي، كان لا يزال يتستر على مبارك حتى بعد الإطاحة به. وقال المقدم معتصم فتحي: "إنه يحمي النظام السابق" من خلال حفظ الأدلة في "خزنة سرية".

قال إن التهامي حصل على هدايا بملايين الدولارات -في الواقع،
أموال الحماية –من الشركات المملوكة للدولة والهيئات الحكومية. وفي المقابل، أنفق التهامي ما يصل إلى ستة عشر ألف دولار سنويًا من ميزانية الجهاز على هدايا لوزير الدفاع، وأكثر من ذلك على هدايا لأبناء مبارك. وملأت الاتهامات الصحف. وفتح المدعون القضية. وبدأت لجنة برلمانية التحقيق. واستبدل مرسي التهامي البالغ من العمر ستة وستين عاما بجنرال آخر من داخل السلطة.

ومع ذلك، كان التهامي أيضًا مرشدًا للسيسي. وكان التهامي قد قام بترقية السيسي في المخابرات العسكرية ثم عين أحد رجال السيسي

أبناء هيئة الرقابة الإدارية. وفي اليوم التالي لتولي السيسي السلطة –في 4يوليو/تموز – 2013عاد التهامي إلى الساحة مرة أخرى. وعين السيسي صديقه القديم رئيسا جديدا لجهاز المخابرات العامة المصرية، وهو أحد أقوى المناصب في الدولة. وبأذن السيسي، أصبح التهامي أحد أكثر المدافعين تأثيراً عن سياسة الأرض المحروقة للقضاء على جماعة الإخوان المسلمين. قال لي أحد الدبلوماسيين الغربيين: "لقد كان الأكثر تشدداً، والأكثر تخلفاً عن الإصلاح على الإطلاق". لقد تحدث كما لو أن ثورة 2011لم تحدث قط".

واختفت الاتهامات الموجهة ضد التهامي. تم نفي المبلغ إلى وظيفة مكتبية بعيدة عن القاهرة. قال لي محمد إبراهيم سليمان، وزير الإسكان السابق الذي اتهمته إفادات فتحي، بسعادة: "لقد حبسوه في الطابق السفلي".

وسرعان ما عاد العديد من السياسيين، مثل سليمان، الذي سُجن بتهمة الفساد بعد الانتفاضة، إلى العمل، بما في ذلك أحمد عز، الوجه الأكثر شهرة في عهد مبارك الراحل. لقد وجدته يعود للعمل في مكتب داخل فندق فور سيزونز.

كم كلف الفساد مصر؟ وكان علماء الآثار يشعرون بالقلق

وبعد انتفاضة ،2011سمح انسحاب الشرطة للناهبين بنهب الآثار والحفريات. لكن الفساد استمر في تآكل تراث مصر القديم بعد عودة الشرطة في عهد السيسي. وتحدث علماء آثار غربيون ومصريون عن سرقة القطع الأثرية القديمة أو إساءة معاملتها باعتبارها مأساة لم يتم الإبلاغ عنها. في عام ،2014كان عمال المتحف المصري يقومون بإصلاح وحدة إضاءة حول قناع الدفن البالغ من العمر 3300عام للملك توت عنخ آمون عندما قطعوا لحيته عن طريق الخطأ. أعاد القيمون على المتحف ربطه على عجل بنوع من الغراء الفائق من أجل تغطية خطأهم وإبقاء أكبر سحب في المتحف مفتوحًا. لاحظ أحد الزائرين وجود حلقة غير متقنة من مادة الإيبوكسي حول عملية الإصلاح، وليس من الواضح ما إذا كانت لحية الملك توت ستظل كما كانت في السابق.

وقدّر مراجع الحسابات الحكومي، هشام جنينة، مطلع عام 2016

وقد كلف هذا الكسب غير المشروع البلاد 76مليار دولار على مدى السنوات الثلاث الماضية، معظمها من خلال المبيعات الفاسدة للأراضي الحكومية. كان ذلك نحو ثلاثة أرباع الميزانية الحكومية السنوية، ومن المؤكد أن تقديراته كانت منخفضة إذا أخذنا في الاعتبار الرشوة والمحسوبية والتعامل الذاتي على كل مستوى من مستويات البيروقراطية. الشفافية

وصنفت منظمة مراقبة الفساد الدولية، مصر بالقرب من قاع العالم العربي، على قدم المساواة مع مناطق الحرب مثل اليمن والعراق.

أخذ السيسي التقييم شخصيا. وقام على الفور بطرد جنينة.
وأدانت المحكمة جنينة بتهمة نشر أخبار كاذبة. تم تغريمه بمبلغ 2200دولار، وحُكم عليه بالسجن، وتمت مهاجمته كذباً عبر وسائل الإعلام الحكومية باعتباره عضوًا سريًا في جماعة الإخوان المسلمين. (تم تعليق الحكم عليه، مما أثار تكهنات بأن إدانته كانت تهدف إلى القضاء على طموحاته السياسية. وفي الفترة التي سبقت إعادة انتخاب السيسي في عام 2018، قامت عصابة من الرجال المجهولين بضرب جنينة، وبعد بضعة أيام اعتقلته الشرطة مرة أخرى.)

وقد نفد صبر كيري ومسؤولين أميركيين آخرين مع مرسي
لتحركه ببطء شديد للتوصل إلى اتفاق مع صندوق النقد الدولي خلال عامه الأول والوحيد في منصبه. عارض السيسي الصفقة علناً وأخرج صندوق النقد الدولي.

لماذا الإصلاح؟ ولم يكن بوسع ملوك الخليج العربي أن يسمحوا للسيسي بالفشل، وبالتالي إعطاء فرصة أخرى للإخوان المسلمين.
وبدا أن حكام الخليج على استعداد لدفع أي شيء لمواصلة دعم رجلهم في القاهرة.

محادثة أخرى مسجلة سرا التقطت للسيسي وهو يتشاور
مع جنرالات آخرين في أوائل عام 2014 حول كيفية التعامل مع أحد رعاته في الخليج العربي. «أخبره أننا بحاجة إلى عشرة لكي نضعهم في حساب الجيش. قال السيسي: «هؤلاء العشرة، عندما يوفقنا الله، سنعمل لصالح الدولة». وأضاف: «نحتاج إلى عشرة سنتات أخرى من الإمارات، وسنتين إضافيتين لوضعهما في البنك المركزي، لاستكمال المحاسبة لعام 2014.»

ضحك مدير مكتبه، الذي كان جنرالًا آخر، بصوت عالٍ.
"لماذا تضحك؟" -سأل السيسي. "لديهم المال مثل الأرز، يا رجل!"

في بعض الأحيان، فقد السيسي حساب كل شيء. "لا لا لا! ليس ثمانية مليارات دولار في ستة أشهر، لا! صاح في تسجيل آخر.
لذلك قام الجنرالات بإحصاء كل شيء معه. بضعة مليارات هنا، وبضعة مليارات هناك، وأدركوا أنهم تلقوا أكثر بكثير –أكثر من 30مليار دولار.

"""فليستمر الله في تقديمه""" قال السيسي.

أجاب جنرال آخر: "آمين يا سيدي".

ومد السيسي يده إلى واشنطن أيضاً. وفي اجتماع خاص، طلب من كيري إرسال "حاملة طائرات مليئة بالمال"، وفقًا لعدد من الأمريكيين الحاضرين أو المطلعين على الاجتماع.

ولكن بحلول أواخر عام 2016، بعد سنواته الثلاث الأولى في السلطة، ثلاث مرات

فطالما تولى مرسي منصبه، لم يقم السيسي إلا بإصلاحات رمزية في الاقتصاد. وواصل البرنامج الذي بدأ في عهد مرسي لاستخدام "البطاقات الذكية" لتتبع السلع المدعومة مثل الوقود والدقيق. ولكن من دون المساءلة أو الرقابة، انتهى الأمر بالفساد مثل بقية البيروقراطية. ومن الطبيعي أن يسيطر عليها الجيش.

وبحلول ذلك الوقت، ومع انخفاض أسعار النفط وعائداته، فقد حتى ملوك الخليج الفارسي صبرهم. لقد خففوا من كرمهم. واعتماداً على تبرعاتهم، انخفضت احتياطيات مصر بشكل خطير. وبدأت قيمة الجنيه في الانخفاض، وحاول السيسي دعمها بالإكراه وحده. أصدر مرسوماً برفع سعر الصرف بشكل مصطنع وسجن الصرافين الذين قاموا بتقويضه. وقيدت السلطات التحويلات المصرفية إلى خارج البلاد، وحدت من استخدام بطاقات الائتمان المصرية في الخارج، وفتشت الأمتعة في المطار بحثا عن أي كميات كبيرة من النقود.

كان لا فائدة. أصبحت الدولارات نادرة. ونفدت المتاجر والمصانع من السلع والمواد المستوردة. قام المصنعون بتسريح العمال.

اختفت الواردات من رفوف المتاجر. بالنسبة لي، كان هذا يعني الاستغناء عن العلامات التجارية المفضلة لدي من الحبوب وزبدة الفول السوداني. بالنسبة للمصريين، كان ذلك يعني نقصًا خطيرًا في الأدوية، بما في ذلك المضادات الحيوية. تظاهرت الأمهات اللاتي يحتجن إلى حليب الأطفال المستورد في الشوارع بسبب النقص، وقام الجيش بإحضار الإمدادات لبدء توزيعها. وانخفضت القيمة الحقيقية للجنيه إلى نصف السعر الرسمي وانتعشت السوق السوداء للدولار رغم الشرطة.

وأخيراً، في نوفمبر/تشرين الثاني 2016، اضطر السيسي إلى العودة إلى صندوق النقد الدولي. ولم تعد خطة الإنقاذ البالغة 4.8 مليار دولار التي تمت مناقشتها في عهد مرسي كافية تقريبًا. مصر تحتاج الآن إلى 12 مليار دولار.

فرض صندوق النقد الدولي التعويم الحر للعملة مما أدى إلى خفض القيمة

الجنيه المصري بأكثر من النصف بين عشية وضحاها. انها معلقة في

ويبلغ سعر الدولار نحو 18أو 20جنيها انخفاضا من نحو 7.5جنيه في عهد مرسي. وفي عام ،2017ارتفعت أسعار المواد الغذائية بمعدل يزيد على 30في المائة سنويا. وكانت الأجور راكدة. وكانت البطالة في ارتفاع.

مع محفظتي المليئة بالدولارات، أستطيع أن أعيش مثل الملك. هز أصدقائي المصريون رؤوسهم بالبؤس.

...

س أعاد عيسى كتابة تاريخه. وفي الثلاثين شهرًا التي سبقت مذبحة رابعة، كثيرًا ما أخبر المقربين منه من المصريين

وقال المسؤولون الأمريكيون إنه كان سعيدًا بالعمل تحت قيادة رئيس منتخب ديمقراطيًا من جماعة الإخوان المسلمين (كما أخبرني العديد من هؤلاء المقربين والمسؤولين في ذلك الوقت). وبعد رابعة، أصر على أنه حذر طوال الوقت من السماح للإسلاميين بفرصة الاستيلاء على السلطة.

وقال: "لقد أخبرتك دائمًا، آن، أن الإسلام السياسي سوف يفشل".
السفير باترسون، الذي كتب إلى واشنطن أن السيسي لم يقل شيئًا من هذا القبيل أبدًا.

ولم يعد يدافع عن جدية جهوده لمساعدة مرسي،
وألمح السيسي إلى أنه خدع الرئيس منذ البداية. وقال السيسي للباحث الأمريكي الزائر شبلي تلحمي في أوائل عام 2014: "لقد استهان بي".

مبارك في تسجيل مسرب آخر لمحادثة معه
دكتور، أعاد تقييم السيسي. "لقد تبين أنه مخادع."
تحدث السيسي عن نفسه بصيغة الغائب، وكأنه شخصية تاريخية.
وقال لهاجل وأوباما: «السيسي لن يقوم أبدًا بعمل تعاوني » .

لقد عاد دائمًا إلى العبارة الاستبدادية الكلاسيكية، وهي أن
وكان البديل الفوضى. لقد سمعت نفس الشيء باستمرار من مؤيدي استيلائه على السلطة. وكان أول رئيس وزراء للسيسي هو حازم الببلاوي، وهو خبير اقتصادي معترف به دوليا وكان من بين أبرز الليبراليين في مصر. عندما زرت منزله بعد أقل من عام من مذبحة رابعة، كان الببلاوي يجلس على كرسي بذراعين بجوار نافذة شقته الكبرى المطلة على مدينة نصر.

كان هناك كتاب اقتصاد وغليون تبغ على طاولة جانبية صغيرة مستديرة.

وكان الببلاوي قد تحدث علناً ضد مذبحة ماسبيرو، واعترف على الأقل بأن عدد القتلى في رابعة اقترب من الألف. لقد كنت على استعداد لأن أحبه، وحاولت تدفئته بأسئلة سهلة. سألتك خلال فترة رئاستك للوزراء، ما هو أكثر ما تفتخر به؟

ففض اعتصام رابعة تطوع دون تردد.
حقًا؟ سألت بدقة. وكان فخورا بسفك الدماء؟
أخبرني أنه كان يعلم بالطبع أن الكثيرين سيموتون. وكذلك فعل السيسي. وقال الببلاوي: "هذه هي شرطة دولة مثل مصر". "لا أستطيع أن أقول أن هذه هي الدنمارك."

وتابع الببلاوي: "إنها مسألة هيبة الدولة".
"نحن نتحدث عن بلد تكون فيه الدولة مركزية، وإذا كان هناك شك في الدولة فسوف يتفكك كل شيء". إن اعتصام رابعة "كان بمثابة اختبار لمدى إمكانية حصولنا على دولة أم لا".

لقد استخلص الببلاوي لي إيديولوجية الدولة العربية العميقة.
لقد استخدم الأتراك والعرب هذا المصطلح لسنوات لوصف آلية الحكومة الدائمة –البيروقراطية، والجيش، والشرطة والقضاة، ووسائل الإعلام، والمؤسسات الدينية، وما إلى ذلك –قبل وقت طويل من ظهور عبارة "الدولة العميقة". أصبحت رائجة في عهد ترامب في واشنطن. إن الدولة العميقة عبارة عن آلة يمكنها العمل بغض النظر عمن يفترض أن يقود السيارة. كما اكتشف مرسي.

بدت لي مؤسسات الدولة المصرية العميقة قوية بشكل ملحوظ. لقد نجوا من الثورات والانتخابات والبرلمانات والرؤساء. نفس الموظفين الذين رحبوا بي في مصر في عهد مبارك، هم الذين رتبوا لقاءي مع مرسي، وكانوا لا يزالون موجودين في عهد السيسي. وفي كل مكان، كان نفس البيروقراطيين يشغلون نفس المكاتب التي كانوا يشغلونها عندما وصلت إلى مصر لأول مرة.

لكن فلسفة الدولة العميقة –أي أيديولوجية الاستبداد العربي –اعتمدت على فرضية معاكسة: أن الدولة نفسها هشة وثمينة مثل التابوت تحت الزجاج في المتحف المصري. عند أدنى هزة، سوف تسود الوحشية. وكانت هيبة الدولة -وهيبة الدولة، كما تُترجم أحيانًا -هي الحصن الوحيد ضد الفوضى.

نتعلم في دروس التربية المدنية الأمريكية أن الاستقرار يعتمد على القاعدة
القانون، وأن القانون، بحكم تعريفه، يجب أن يقيد حتى الرئيس. وقد قلبت أيديولوجية الدولة العميقة هذه البديهية رأساً على عقب.
وكان النظام الاجتماعي هشاً إلى الحد الذي جعل حراسه –الجنرالات، والشرطة، والمخابرات ، أو "مؤسسات الدولة"، حسب التعبير المصري الملطف -يجب أن يمارسوا السلطة دون قيود.

وعليهم أن يضعوا أنفسهم فوق القانون من أجل إنقاذه.
تبنى السيسي هذه المفارقة في اللحظة التي أطاح فيها بمرسي، في 3يوليو/تموز .2013وأعلن أنه اضطر إلى التحرك لمنع "انهيار الدولة"، ولكي يفعل ذلك قام بتعليق الدستور الذي تم التصديق عليه حديثا، وأطاح بالرئيس المنتخب حديثا. وأمر بشن حملة من الاعتقالات والرقابة خارج نطاق القانون. وتعهد بالحفاظ على حكم القانون وقام في هذه العملية بتمزيقه بالكامل.

وفي الاجتماعات مع كيري أو أوباما، ابتسم السيسي وأومأ برأسه، وبدا أنه يتفق معهم. قال نعم بلغة الجسد، لكن لا بكلامه. لا، فهو لن يطلق سراح الأمريكيين المسجونين، أو الصحفيين المصريين، أو قيادات الإخوان. لا، فهو لن يخفف القيود المفروضة على الجماعات الحقوقية أو الأحزاب السياسية. وأصر على أنه لا يستطيع التدخل في استقلال القضاء المقدس، دون أن يقنع أحداً.

لقد تصرف كما لو أن سفك الدماء في رابعة قد خرج عن يديه.
قال: نعم، إنه أمر فظيع. نحن نحقق. يتذكر كيري لاحقًا أن الشرطة خرجت عن السيطرة. "في بعض الأحيان اعتقدت أنه كان يحاول بصدق حل المشاكل. . . . وفي أحيان أخرى كان يختلق الأعذار".

خاض السيسي، الذي يتولى السلطة الفعلية منذ الانقلاب، انتخابات رئاسية شكلية في عام .2014وقد حدد موعدها في اللحظة الأخيرة، وقام بحملته الانتخابية لمدة ثلاثة أسابيع فقط. لم يكلف نفسه عناء حضور مسيراته الخاصة، ولم يحدد برنامجًا. لقد كان «مرشح الضرورة» على حد تعبير هيكل.

وكان خصم السيسي الوحيد مدنياً ناصرياً. وكان متفقاً في معظمه مع السيسي، خاصة فيما يتعلق بإطاحته بمرسي. ولكن عندما افتتحت صناديق الاقتراع في 26مايو/أيار ،2014سيطر الذعر على الدولة العميقة. تقريبا لم يكن هناك أحد يصوت!

وفي اللحظة الأخيرة، فتح مسؤولو الانتخابات صناديق الاقتراع لليوم الإضافي الثالث غير العادي. وأعلن رئيس الوزراء أ

عطلة وطنية، وإلغاء أسعار النقل العام، وتهديد بفرض غرامات على غير الناخبين. أصيب مضيفو البرامج الحوارية بحالة هستيرية. وصرخ مصطفى بكري، أحد المضيفين: "أي شخص لا يصوت فهو يعطي قبلة الحياة للإرهابيين". "أولئك الذين لا يخرجون هم خونة!

خونة! خونة! إنهم يبيعون هذا البلد".
وأعلن فوز السيسي بنسبة 98% من الأصوات. لكن المراقبين المستقلين انسحبوا بسبب المخالفات، فمن يستطيع التأكد؟ وهيمن ائتلاف بقيادة ضابط مخابرات سابق على الانتخابات البرلمانية بعد بضعة أشهر، ببرنامج يتألف فقط من الدعم، في كل شيء، للرئيس عبد الفتاح السيسي. (أعيد انتخابه بهامش مماثل في عام 2015 بعد اعتقال العديد من المنافسين المحتملين).

ما هي رؤية السيسي لمصر؟ في وسط الساحة
وفي المكان الذي وقع فيه اعتصام رابعة، أقام السيسي نصبًا تذكاريًا فريدًا. برجان من الجرانيت يميل كل منهما نحو الآخر، وفي المنتصف كرة بيضاء واهية معلقة في الهواء. أوضحت لوحة أن الحجر الأطول هو الجيش وأن شقيقه الأقصر هو الشرطة. لقد كانا يدان. وكان الجرم السماوي الأبيض الهش الموجود بداخلهم هو الشعب المصري.

وكان السيسي قد طلب من زملائه الضباط العسكريين ذات مرة أن يفكروا في المصريين وكأنهم أطفال. وقال لمجموعة من كبار الضباط، في تسجيل آخر مسرب، إن الجيش هو "الأخ الأكبر، الأب الكبير جدا الذي لديه ابن فاشل بعض الشيء ولا يفهم الحقائق".
"هل يقتل الأب ابنه؟ أم يؤويه دائمًا ويقول: سأصبر حتى يفهم ابني؟

"هل تريد أن تكون أمة من الدرجة الأولى؟" سأل المصريين في محادثة أخرى، هذه المرة مع صديقه الصحفي المقرب. "هل تتحملين إن جعلتك تمشي على قدميك؟ هل ستتحملين عندما أوقظك في الخامسة صباحًا كل يوم؟ هل ستتحمل التقليل من تناول الطعام وتقليل استخدام مكيفات الهواء؟ فهل تتحملون رفع الدعم دفعة واحدة؟ هل تتحمل مني هذا؟

وبدلاً من إلقاء اللوم على السياسات الحكومية، كان السيسي يلوم المصريين دائمًا على افتقارهم المفترض إلى الصناعة والمشاريع، وعلى تراخيهم الأخلاقي، ومعدل المواليد المذهل لديهم. وخلال حملته الانتخابية، اشتكى للأطباء من أن حكومته لا تستطيع توفير نفس المستوى لجميع المصريين

الرعاية الصحية التي يقدمها الجيش للجنود. "لماذا؟ لأنه لا يوجد شيء، لا يوجد شيء! هو صرخ. وقال إن الأطباء يجب أن يعملوا بجد أكبر مقابل أقل.

ولكن إذا كان الشعب هو المشكلة، فإن سلطة الحكومة كانت دائمًا هي الحل. تضخم اقتصادي؟ واقترح فرض ضوابط إلزامية على الأسعار وإنشاء مصانع تديرها الدولة. نقص الطاقة؟ فهو سوف يجبر المصريين على تركيب مصابيح موفرة للطاقة في كل مقبس منزلي، حتى لو اضطر إلى إرسال موظفين حكوميين لتركيب كل واحدة منها. "لمبات سيسي"، قال لي موظف متجر الأجهزة عندما اشتريت واحدة (طواعية).

وأوضح السيسي في المقابلة التليفزيونية الوحيدة خلال حملته القصيرة: "لن أترك فرصة للناس ليتصرفوا من تلقاء أنفسهم".
"برنامجي سيكون إلزاميا."
وأضاف أنه في الاقتصاد "يجب أن تكون الدولة هي المسيطرة هنا".
لذلك ستقوم حكومته بالتخطيط والاختيار و"التنفيذ".
وكان محور برنامجه الاقتصادي هو قناة السويس "الجديدة".
-رده على السد العالي لعبد الناصر. لقد عمل عشرون ألف مجند سنويًا لمدة عشر سنوات لحفر القناة الأصلية، التي اكتمل بناؤها عام 1869. ووعد السيسي بالانتهاء من قناته الجديدة في عام واحد، بغض النظر عن تكلفة الاندفاع. وفي سبتمبر/أيلول 2014، باع ما قيمته 8 مليارات دولار من السندات الحكومية الخاصة للجمهور لدفع ثمنها (بدون تمويل أجنبي).

مصر تبتهج، هدية مصر للعالم عناوين الصحف
تم الإعلان عنها عند الانتهاء من البناء في الوقت المحدد في عام 2015. وأمرت الحكومة كل إمام بإلقاء خطبة تقارن القناة الجديدة بخندق معركة حفره النبي محمد نفسه. وأعلن السيسي أمام جمهور من السفراء وكبار الشخصيات في الافتتاح: "شريان ازدهار إضافي للعالم". وكان سعرها الرسمي البالغ 8 مليارات دولار يعادل تقريبًا ما أنفقته مصر في ذلك العام لدعم الخبز.

ومع ذلك، كانت هذه "القناة الجديدة" في الواقع عبارة عن ممر جانبي موازٍ
إلى جانب حوالي ثلث النسخة الأصلية فقط. وقد أزالت بعض الاختناقات المحتملة، ولكن ليس كلها. وكان ذلك غير ضروري.
ظلت قناة السويس تعمل بأقل من طاقتها لسنوات عديدة.
أدى تغير أنماط التجارة إلى انخفاض أحجام الشحن. ولكن لا يهم. وعندما استمرت إيرادات القناة في الانخفاض، المصري

نسيت وسائل الإعلام الإحراج الذي سببته توقعات السيسي الوردية بشأن المكاسب غير المتوقعة في المستقبل.

في عام - 2016بعد ثلاث سنوات من توليه السلطة، وبعد عامين من تنصيبه، وبعد عام من انعقاد برلمانه المؤقت -ألقى السيسي خطابًا حول خطته لمصر على مدى العقدين المقبلين. لكنه كان لا يزال يتحدث، وبصورة جنونية في بعض الأحيان، عن نفس التهديد الوجودي الذي استخدمه لتبرير استيلائه على السلطة.

وأعلن السيسي: "هدفنا الحفاظ على الدولة المصرية"، وكرر العبارة عشرات المرات الأخرى. وأصر على أن "الهدف الرئيسي لأي دولة هو الحفاظ على الدولة، الحفاظ على الدولة، الحفاظ على الدولة". وقال: "لا تزال هناك مساعي ومؤامرات تجري لإسقاط مصر". «مازلت أتحدث عن الهدف الوطني وهو الحفاظ على الدولة».

كان الجميع يعلمون أنه يعتمد على دعم المجلس العسكري، لكن السيسي حذر مستمعيه الآن من أنه وحده القادر على إنقاذ مصر. وقال السيسي: "لا تسمع لأحد غيري". "أنا رجل لا يكذب، ولا يدور حول الأدغال، ولا يهتم إلا ببلده!"

وكرر مرة أخرى أنه سوف يقضي على جميع الأعداء. "سوف أمسح
ووعد بأن يحذف أي شخص يهدد هذا البلد من على وجه الأرض. "أنا أقول لكل مصري يسمعني الآن، ما رأيك في ما يحدث؟ من أنت؟"

صدى: العقيد معمر القذافي جارة مصر المجنونة
وقد استخدم نفس الكلمات لتحدي الليبيين المنتفضين ضده في ثورة الربيع العربي. رجل أنتوم؟ من أنت؟ عندما كانت الثورات رائجة، اشتريت قمصان مان أنتوم لأبنائي. هل كان السيسي ينوي اقتباس القذافي؟

واعترف السيسي بصراحة أنه ليس لديه وقت للديمقراطية التي تعهد باستعادتها ذات يوم. "ما زال الوقت مبكراً للبدء في ممارسة الديمقراطية بشكل منفتح، حيث ننتقد هذا أو ذاك، ويتم طرد هذا الرجل. مازلنا في الأيام الأولى."

وقال للمصريين: توقفوا عن الشكوى. سيكون هو القاضي.
"هل ستعرف أفضل مني ما إذا كانت هذه الحكومة جيدة أم لا؟" سأل. لماذا يجب على وزرائه أن يتسامحوا مع انتقادات من

عام؟ "ماذا يحصلون مقابل التسامح معك؟ ما الذي يحصلون عليه مقابل هجماتكم طوال النهار والليل؟
لكن بعد بضعة أشهر، في مؤتمر للشباب في السويس في نيسان/أبريل 2017، ألقى السيسي باللوم على هؤلاء الوزراء في إخفاقات حكومته. وقال السيسي ساخرا: «إن معالي وزير الزراعة يتحدث عن خلق مجتمعات متآزرة». لماذا لم نقم بإنشائها قبل ثلاث سنوات؟ وكان هناك ثلاثة وزراء للزراعة. لماذا لم نفعل ذلك؟"

ووبخ السيسي قائلا: "الناس يقولون الأشياء هنا شيء، لكن تحويل هذا الكلام إلى أفعال هو قصة مختلفة تماما، وإلا فلن تكون مصر متخلفة إلى هذا الحد".

وذكّر الجمهور بوعده الذي لم يتحقق بتطوير مليون ونصف فدان من الصحراء كأراضي زراعية، وألقى باللوم مرة أخرى على وزرائه.
"وزارتا الري والزراعة ستخصصان الأراضي، وتخصصان المياه، ثم تنسحبان". ومع ذلك، فهو بالكاد يستطيع إطلاق النار عليهم. "هل سأترك شخصًا عمل معي لمدة خمسة أو ستة أشهر فقط؟ أين ستكون مصداقيتي إذا قمت بإزالة كل من يأتي للعمل معي؟ أين حقا!
وضجت الجماهير في المؤتمر بالتصفيق.

أخبرني الكثير من المصريين أنهم ممتنون للسيسي. هم
شعرت بأنني محظوظ لأنني لم أعيش في فوضى ليبيا أو سوريا أو العراق أو اليمن.
وكانت هذه الفكرة موضوعاً متداولاً في وسائل الإعلام الإخبارية الموالية للحكومة.
وحتى مدرس اللغة العربية السابق، الذي تحدث ذات مرة عن "عصابة اللصوص" في عهد مبارك وشرطته الوحشية، أخبرني في عام 2016 أنه غير رأيه. لقد علمته "الثورة" تقدير الشرطة وتقدير السيسي.

ومع ذلك، لم يكن بوسع المصريين الآخرين إلا أن يضحكوا على زعيمهم. وتباهى السيسي بحبه لمصر في نهاية خطاب واحد. "أقسم بالله لو كنت أستطيع أن أبيع نفسي لفعلت".

ظهرت قائمة على موقع eBay في غضون دقائق: "رئيس مصري واحد
تستخدم قليلا. . . قد لا يتم الشحن إلى قطر." تجاوزت العطاءات 100301 دولارًا قبل أن يغلق موقع eBay المزاد. (ظل كاتب القائمة مجهولاً ومن المفترض أنه كان في الخارج؛ وإهانة الرئيس هي مرة أخرى جريمة تستحق السجن داخل مصر).

بالنسبة لبعض المصريين، أعاد السيسي إلى الأذهان فيلمًا كوميديًا تم إنتاجه في القاهرة في الثمانينيات. ويصادف أن بطلها سائق سيارة الأجرة يشبه مريضًا عقليًا مهووسًا يُدعى بلحه -وهي أيضًا كلمة عربية تعني تمرًا، كما هو الحال في ثمار أشجار النخيل.

لماذا حاولت الهروب مرة أخرى يا بلحة؟ سأل أحد حراس اللجوء سائق سيارة الأجرة عن طريق الخطأ، مما أجبره على دخول المستشفى. "أنا لست بالاها!" انه ينفث. أنا لست موعدا!

ولم يستمر مشهد البلحة إلا دقائق قليلة ولم يساهم في أي شيء في الحبكة. لكن المصريين وجدوا لقبا جديدا لرئيسهم –بلحه. وبحلول عام 2017، لن يجد أحد المتحدثين العرب الذين يبحثون في Google عن معلومات حول فاكهة التمر -"البلحة" -سوى قائمة طويلة من المنشورات ومقاطع الفيديو الساخرة على الإنترنت حول السيسي.

"هل هربت مرة أخرى يا بلحة؟" سأله المحاورون في حوار مدبلج. "أنا لست بالاها!" احتج مرارا وتكرارا. "أنا لست بالاها!"

...

في

عندما يأتي شخص ما ويحاول تقسيمكم، ثم قتله،

أيًا كانوا،" كان يقول شيخ ذو لحية رمادية. بطربوشه الأحمر الطويل المعتاد ملفوفًا باللون الأبيض -زي عالم دين تدرب في معهد الأزهر -جاء المفتي الأكبر السابق علي جمعة إلى قاعة وزارة الدفاع بعد مذبحة رابعة لإلقاء خطاب ديني للجنود.

وقد عين مبارك الشيخ جمعة في عام 2003، وخدم لمدة عشر سنوات كأعلى سلطة دينية إسلامية في مصر، وواصل تقليد العداء لجماعة الإخوان المسلمين التي شكلت المؤسسة الدينية منذ استيلاء عبد الناصر على السلطة. الآن، في أغسطس 2013، أخبر جمعة الجنود أن الإخوان المسلمين هم زنادقة، مثل الخوارج، وهي طائفة سيئة السمعة بتمردها ضد الخلفاء المسلمين الأوائل. "حتى مع قدسية الدم وعظمته، يسمح لنا النبي أن نحارب هذا".

وقال مرة أخرى: "أطلق النار بهدف القتل"، على هؤلاء "الأشخاص الفاسدين والكريهين".

اعتلى أحد كبار العلماء في وزارة المساجد المنصة ودعم جمعة. المعتصمون في رابعة كانوا "معتدين

عليهم التوبة" و"ليس المصريين الشرفاء". وكان استخدام القوة المميتة ضدهم واجبا عسكريا. ""القلب مطمئن لهذا""

ثم قام الداعية التلفزيوني الشهير عمرو خالد بتذكير الجنود
وأن الإسلام أوجب عليهم طاعة أوامر قادتهم.
"أنت أيها المجند في الجيش المصري، أنت تؤدي مهمة لله عز وجل!"

وعرضت إدارة الشؤون الأخلاقية بالجيش مقطع فيديو للحادثة
محاضرات عن الإسلام للجنود وشرطة مكافحة الشغب المتمركزين في جميع أنحاء البلاد، من المفترض أن يساعدوا في إزالة أي هواجس أخلاقية أو أخلاقية حول قتل إخوانهم المصريين. أصبح جمعة مستشارًا دينيًا غير رسمي للسيسي، وكثيرًا ما كان يلقي نفس الخطبة الدموية. ففي صلاة الجمعة في أوائل عام 2014، على سبيل المثال، قام مرة أخرى بتقديس الجنود والشرطة الذين قاتلوا "فصيل المنافقين" و"الإرهابيين"، الإخوان المسلمين. وأعلن قائلاً: "طوبى للذين يقتلونهم، والذين يقتلونهم". وبث التلفزيون الحكومي الخطبة، واتجهت كاميراته نحو السيسي وهو يستمع بانتباه من على الأرض. كان هذا هو إسلام الدولة العميقة، وكان رجال الدين فيها ماهرين مثل الجهاديين في تبرير سفك الدماء.

وكان عبد الناصر أول من أمم مسلمي مصر
المؤسسة الدينية –الأزهر، والمفتي، ووزارة المساجد. وفي ظل حكمه، وضع رجال الدين في مصر نموذجاً لشيطنة الإخوان المسلمين. وكان شيوخه يسمونهم "إخوة الشيطان".

في عام 2011، حثت جميع السلطات الدينية العليا في مصر المسلمين على تجنب احتجاجات ميدان التحرير ضد مبارك، وفي عام 2012، أيد المفتي جمعة الترشح العام ضد مرسي. وأعلن جمعة أن المشير شفيق كان "أقرب إلى الله". والآن، بعد عام 2013، كانت أصوات المؤسسة الدينية تشيد أحيانًا بالسيسي ووصفته بأنه "رسول الله" أو "ظل الله على الأرض".

وتقبل السيسي هذا الدور. لقد تعهد عدة مرات في حملته القصيرة بأن جزءًا من وظيفته سيكون "تقديم الله" بالطريقة الصحيحة للجمهور. وتعهد بالبقاء "في حالة تأهب ومسؤولية" لإصلاح أخطاء الآخرين بشأن الإسلام. وأضاف: «أنا أقود الشعب، فلا يمكن أن تكون هناك قيادة تتحدث وتعرض

بينما أنا جالس على الهامش أشاهد"، قال في موضوع الوعظ. لم يكن الدستور الجديد الذي تمت الموافقة عليه في عهد السيسي في بداية عام 2014 أكثر علمانية من الدستور الذي تم إقراره في عهد مرسي في عام 2012 أو الدستور المعمول به في عهد مبارك. وكانت مبادئ الشريعة الإسلامية لا تزال أساسها.

وبعد الهجمات الإرهابية ضد الغرب في عام 2015، تصدر السيسي عناوين الأخبار في جميع أنحاء العالم من خلال الدعوة إلى "ثورة" في الإسلام. وقال لرجال الدين في الأزهر في كلمة متلفزة: "من غير المعقول أن الفكر الذي نقدسه يدفع المجتمع الإسلامي إلى أن يكون مصدر قلق وخوف وخطر وقتل ودمار للعالم أجمع". "عليك أن تقف بصرامة."

واعتبر المعلقون الأمريكيون الخطاب بمثابة إشارة إلى أن السيسي
كان مارتن لوثر المسلم الذي طال انتظاره. وقد أوصى به جورج ويل لجائزة نوبل للسلام. وقد وصفه الكثيرون، مما أثار حيرتي، بالعلماني.

حاول محامٍ ومذيع تلفزيوني مصري الرد على دعوة السيسي للإصلاح من خلال فتح نقاش حول الأقوال المنسوبة إلى النبي محمد. وقال مقدم البرنامج إسلام البحيري إن سوء فهم الأقوال كان يبرر العنف.

واتهمه شيوخ الأزهر بإهانة الإسلام وإهانتهم أيضًا، وكلاهما جريمتان بموجب دستور السيسي. والسيسي دعم الأزهر ضد المفكر الحر. وقال السيسي إن الأزهر وحده هو الذي يمكنه توجيه أي "إصلاح"، ولا يمكن لأحد أن يعارضه. وقامت حكومة السيسي بحبس البحيري في طرة لمدة عام بتهمة زندقة، قبل أن يطلق سراحه بعفو رئاسي.

عندما يتعلق الأمر بديننا أو سياستنا، فإن الأمريكيين و
يقول الأوروبيون الغربيون عادة إننا نؤمن بأن التفكير المستقل والمناقشة المفتوحة هي السبيل إلى الإصلاح. (وكان الشيخ محمد عبده يعتقد ذلك أيضًا). لكن فكرة السيسي عن "الإصلاح" كانت عبارة عن إسلام الدولة العميقة: الذي تمليه عليه السلطات من أعلى. لقد حظر الكتب غير التقليدية عن الإسلام وفرض ضوابط مشددة على التعاليم الإسلامية. وأغلق سبعة وعشرين ألف مسجد مستقل. ونهى عن الوعظ للأئمة غير المرخصين.

أصدرت حكومته إرشادات خطبة إلزامية لأولئك الذين لا يزالون في منابرهم.

وجاء في خطبة رسمية من 3100كلمة صدرت بمناسبة ذكرى احتجاجات الربيع العربي عام 2016: "على المرء أن يطيع ولاة الأمر في اجتناب المنكر وإرضاء الله". وحذر نص الخطبة من أن الانتفاضة لم تجلب سوى "الخراب والفوضى".

سوف يقوم المسيحيون الأمريكيون بأعمال شغب إذا حاولت حكومتنا السيطرة على كنائسنا. لكن المستبدين العرب دفعوا بنفس النهج التنازلي في التعامل مع "الإصلاح" الديني لأكثر من نصف قرن. ولم تنجح حتى الآن إلا في دفع المعارضة إلى العمل السري، حيث ازدهرت التطرف. فهل ستكون النتيجة مختلفة في عهد السيسي؟

وبمرور الوقت، شككت في أن السيسي وأنصاره صدقوا ذلك
المشكلة الأساسية لم تكن خلف المنبر على الإطلاق. المشكلة كانت في الناس على سجادات الصلاة. لم تكن النخبة تثق بالمسلمين المصريين كثيرًا لدرجة أنها لم تسمح لهم بالنظر في الإصلاحات أو رفضها بأنفسهم.

"الفكر الديني، أو الخطاب الديني، مبتلى بالتخلف"، هكذا أعلن وزير الثقافة الأول في عهد السيسي، جابر عصفور، في مقابلة تلفزيونية صباحية، وهو يرفع يديه، كما كان يفعل في كثير من الأحيان، عن إخفاقات مواطنيه المصريين. "نحن نعيش الآن في عصر التخلف."

وكان تواضروس الثاني، الذي صعد إلى البابوية القبطية في عام 2012، يبشر بإنجيل موازٍ. فهو لم يؤيد السيسي فقط للرئاسة؛ تواضروس يبرئ الجيش من مذبحة ماسبيرو. وعادة ما يؤكد البابا أنه لا أحد يعرف من قتل هؤلاء المسيحيين العشرين. ومع ذلك، ذهب في بعض الأحيان إلى حد إلقاء اللوم على الإخوان المسلمين، حيث ادعى أنهم خدعوا المسيحيين بطريقة ما ودفعوهم إلى الاشتباك مع الجيش ثم فروا من مكان الحادث.

قال تواضروس الثاني في يونيو/حزيران 2014: "يمكننا أن نصلي في أمة بدون كنيسة، لكننا لا نستطيع أن نصلي في كنيسة بدون أمة". لقد كان مزمور الدولة العميقة، الذي تم التبليغ به في اليوم التالي على الصفحة الأولى من جريدة الأهرام.

جلب السيسي بعض النعم إلى الكنيسة. وأسكت القدح الطائفي الذي وجهه الدعاة التلفزيونيون السلفيون. وبعد تنصيبه رئيسًا، قام بزيارة مفاجئة إلى قداس ليلة عيد الميلاد القبطي، في 6يناير 2015. وتمنى مبارك ومرسي للبابا عيد ميلاد سعيد عبر الهاتف وأرسلا مبعوثين إلى القداس، و

وكان مرسي قد حضر القداس بصفته زعيما لجماعة الإخوان قبل انتخابه. لكن السيسي كان أول رئيس يحضر الخدمة.

وقال السيسي للمصلين: "لا يقول أحد: أي نوع من المصريين أنت؟". "يجب أن نكون مصريين فقط!" ثم غادر مع حاشيته من الحراس قبل الصلاة الأولى.

ومع ذلك، في بعض النواحي، كان أداء المسيحيين أسوأ في عهد السيسي مما كان عليه في عهد مرسي، ويرجع ذلك جزئيًا إلى أنهم أصبحوا كبش فداء للغضب من الانقلاب. قمت بزيارة كنيسة الأب موسى بالمنيا، على بعد 140 ميلاً جنوب القاهرة، بعد شهر من رابعة. تم تجريد حرمها الشاهق من الزجاج الملون والأيقونات ومصابيح الحديد والأسلاك النحاسية وأي شيء آخر يمكن أن يسرقه اللصوص. قام المهاجمون بإشعال النار في المقاعد. كانت القبة الحجرية العالية سوداء اللون. غطى الرماد والحطام الأرض. لذلك انضممت إلى المئات من أبناء الرعية المتجمعين على كراسي قابلة للطي في قبو خرساني منخفض. كانت مضاءة بمصابيح عارية تتدلى من السقف، وشعرت وكأنني أصلي في سراديب الموتى الرومانية.

الأب صموئيل عزيز يبلغ من العمر ثمانية وستين عاماً، وله لحية بيضاء طويلة

والنظارات، أخبرني أنه كان محاصرًا في مكتب الكنيسة أثناء الهجوم. وقد اتصل أحد قادة الشرطة ليعرض مرافقته إلى مكان آمن، لكن لم يحضر أحد على الإطلاق. قال القس: "لقد كانوا ضعفاء للغاية وكان عددهم يفوقهم عددًا". وبعد مرور شهر، كان لا يزال ينتظر وصول أي ضابط شرطة إلى مكان الحادث.

وفي بلدة دالجا القريبة، هاجم حشد من الغوغاء ديرًا عمره 1650 عامًا وسرقوا أيقونات وآثارًا أقدم من الإسلام بالإضافة إلى جرن معمودية من القرون الوسطى. وأضرم مشعلي النار النار في خمسة وثلاثين منزلاً تعود للمسيحيين. وكان أحد المسيحيين قد دافع عن منزله بمسدس، فقُتل وسُحب في الشوارع.

لكن الشرطة لم تظهر بعد في دالجا أيضًا. أخبرني الأب أبراهام تينيسا البالغ من العمر سبعة وأربعين عامًا أن "البلطجية" كانوا يحاولون ابتزاز المسيحيين للحصول على أموال الحماية، مثل ضريبة القرون الوسطى المفروضة على المسيحيين، الجزية.

واشتكى المسيحيون من نفس التحيز ضدهم. وبعد ثلاثة أشهر من تولي السيسي السلطة، أدانت المحكمة ثلاثة مسيحيين بقتل مسلم في اندلاع أعمال العنف التي أدت إلى الهجوم على الكاتدرائية في عهد مرسي. تم الحكم على كل مسيحي

إلى خمسة عشر عاماً في السجن. ولم يتم إدانة أي مسلم بقتل أي من المسيحيين الخمسة الذين ماتوا أثناء القتال.

ولا يزال الادعاء يسجن المسيحيين بتهمة التجديف ضد الإسلام. أ
ولا تزال لجنة علماء المسلمين تفرض رقابة على عرض الأفلام. وعلى الرغم من وعد السيسي، لا يزال بناء الكنيسة يتطلب الحصول على تصريح خاص من الأجهزة الأمنية، التي أنكرت ذلك كثيرًا.

والأسوأ من ذلك كله هو أن الشرطة فشلت في حماية المسيحيين من العنف المتزايد ضدهم. وفي مايو ،2016انتشرت شائعة في قرية كرم بمحافظة المنيا، عن علاقة حب بين رجل مسيحي وامرأة مسلمة. قام حشد من أربعين مسلمًا بإحراق منزل المسيحي على الأرض، وضربوا الأسرة، وجروا الأم الحاكمة، سعاد ثابت، البالغة من العمر سبعين عامًا، عارية في الشوارع.

ولم يجد الادعاء أدلة كافية لاتهام أي شخص بارتكاب هذه الجرائم. لا عجب أن تنظيم الدولة الإسلامية رأى هدفا سهلا، وأعلن أن المسيحيين "فريسته المفضلة"، وبدأ في قصف الكنائس.

وعندما وجدت الأب ماتياس، الذي قاد المسيرة التي انتهت بمذبحة ماسبيرو عام ،2011أخبرني أن الجندي الذي ركله وضربه -الرائد آنذاك إبراهيم الدماطي- قد تمت ترقيته في العام التالي إلى قائد أركان حرب. الشرطة تحت قيادة وزير الدفاع السيسي. قال الأب ماتياس بحزن: "في عهد السيسي، دفع الكاهن يؤدي إلى ترقيتك على الفور".

أخبرني الأب فيلوباتير، القس الآخر على رأس تلك المسيرة، أنه لم يعد بإمكانه العودة إلى القاهرة دون خوف من الاعتقال بسبب نشاطه.

"حياة الأقباط في ظل حكم الإخوان المسلمين كانت أفضل بكثير"
أخبرني الأب فيلوباتير. على الأقل في ذلك الوقت كان للأقباط حرية التنظيم والاحتجاج. وتابع: "نحن نتعامل مع دكتاتور وهو مستعد لفعل أي شيء للحفاظ على سلطته". "في الاقتصاد، في السياسة، في الحرية، كل شيء يسير في الاتجاه الخاطئ."

• • •

إن قواعد اللعبة المعيارية للانقلابات تدعو إلى إنشاء محاكم خاصة
مع النظام القديم . ولم يزعج السيسي. ولم يعين سوى دائرة من المحاكم القائمة يعمل فيها قضاة سريعو الحكم ومناهضون للإسلاميين

التعامل مع قضايا "الإرهاب". لا حاجة لقواعد أو لوحات خاصة.
وكان القضاة في كل مكان حريصين على حبس أي شخص تقدمه الشرطة أو المخابرات إلى لائحة الاتهام.

وفي 24 مارس/آذار 2014، أصدرت هيئة من ثلاثة قضاة في المنيا حكمها
تم إعدام 529 عضواً مزعوماً في جماعة الإخوان المسلمين، جميعهم بسبب مقتل ضابط شرطة واحد خلال أعمال شغب مناهضة للحكومة يوم مذبحة رابعة. استغرقت المحاكمة جلستين فقط، مدة كل منهما أقل من ساعة. وصدرت أحكام غيابية على أكثر من 400 متهم.

وبعد شهر، حكمت نفس الهيئة بالإعدام على 680 آخرين من الإخوان المسلمين المزعومين، بعد محاكمة سريعة بنفس القدر، بتهمة قتل شرطي واحد مرة أخرى. وكان من بين المدانين المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين محمد بديع، البالغ من العمر سبعين عاماً؛ وكان متواجداً في القاهرة يوم وقوع الجريمة ولم يتم تقديم أي دليل محدد يربطه بجريمة القتل.

وكان الجاني المزعوم الآخر هو محمد عبد الوهاب، مدير المدرسة الثانوية الضعيف البالغ من العمر ستين عامًا.

قال المدير، وهو جالس في غرفة معيشته بالمنزل محاطًا بالعديد من الأطفال البالغين، إنه عاد لتوه من حفل تقاعده عندما سمع نبأ إدانته غيابيًا. وقال: "نحن نعيش في العبث"، وهز جميع أطفاله رؤوسهم.

لقد نجا من عدة عمليات جراحية في القلب. ولم يتمكن من صعود السلالم أو التنفس بالقرب من الدخان. رفع جلابيته ليظهر لي الندبات الجراحية على ساقي الساق. "أنا الذي اقتحمت مركز الشرطة وقتلت ضابط الشرطة؟" سأل. "كل شيء مجرد نزوة. لا توجد سيادة للقانون".

وفي ديسمبر/كانون الأول، أصدرت محكمة في الجيزة حكماً بالإعدام على 188 آخرين من الإخوان المسلمين المزعومين (أحدهم قاصر). صحيفة التايمز بالكاد غطتها. لقد أصبحت أحكام الإعدام الجماعية المنافية للعقل شائعة إلى حد أنها لم تعد أخباراً بعد الآن. لقد استغرقت عملية الاستئناف سنوات.

مرسي، الذي نقله الجيش بهدوء إلى أحد السجون فيه
الإسكندرية، حُكم عليه بالسجن مدى الحياة بسبب خروجه من اعتقاله القصير خلال انتفاضة ميدان التحرير. وقال ممثلو الادعاء إن حماس، المسلحين السنة في غزة، وحزب الله، الشيعة في غزة

لبنان، تآمروا معًا بشكل غير محتمل لإخراجه من سجن القاهرة.

وأدانت محكمة أخرى مرسي بتهمة التجسس أثناء توليه منصبه كرئيس، بزعم تبادل أسرار مع قطر.
وحكمت عليه محكمة ثالثة بالإعدام بسبب أعمال القتل التي وقعت في شجار خارج القصر الرئاسي في ديسمبر/كانون الأول ،2012 عندما كان بعيداً عن العاصمة.

مشهد.

لقد افترضت أن عملية الاستئناف ستحفظه من المشنقة،
لكنني تساءلت كيف يمكن للقاضي أن يحافظ على صراحة في التعامل مع مثل هذه الأحكام السخيفة.
وكان القضاء المصري يفتخر على مدى عقود باستقلاله.

تمت ترقية القاضي محمود شريف، الأمين العام لنادي القضاة وقت الانقلاب، إلى منصب رفيع في وزارة العدل عندما التقيت به في أوائل عام .2017 وكان شريف يرتدي أصفادا فرنسية وبدلة أوروبية، واعترف بذلك بصراحة. وأن مرسي لم يسيطر على الكثير قط، وبالتأكيد ليس على الجيش، أو الشرطة، أو القضاة، أو وسائل الإعلام الحكومية، أو المؤسسة الدينية، أو بقية البيروقراطية.

ولكن لماذا يغتنم الفرصة أنه قد يفعل ذلك؟ "ليس علي الانتظار حتى يصبح طاغية!" قال شريف.

لقد مرت مصر الآن بثلاثة دساتير في ثلاث سنوات –الدستور الذي كان قائما في عهد مبارك، والدستور الذي تمت الموافقة عليه في عهد مرسي، والثالث الذي تم التصديق عليه في عهد السيسي. وتساءلت هل كان من الصعب على القضاة المصريين التكيف بهذه السرعة مع الأطر القانونية الجديدة؟

قال: لا على الإطلاق. "لقد اختار الشعب عدة دساتير مختلفة.
علينا أن نطيع، لأننا نحكم باسمهم".
فكيف عرف جميع القضاة أن الدستور الذي تم التصديق عليه قبل ستة أشهر فقط قد فقد كل شرعيته بين عشية وضحاها؟ وقال: "عندما يخرج الناس إلى الشوارع"، ردّ مبتسماً على شعبويته المثيرة.

"القوة تأتي من الشعب!"
إذن كم عدد "الشعب" الذي نحتاجه؟ هل بضعة ملايين
افعلها؟ سألت ، التحقيق بلطف.
"نحن بحاجة إلى ثلاثين مليونًا بالضبط!" فأجاب على الفور: الرقم المضخم الذي استقر عليه مروجو الدعاية الحكومية هو حجم احتجاجات 30 يونيو ضد مرسي. "ليس تسعة وعشرون مليونًا، وليس تسعة وعشرين مليونًا ونصف!" قال وهو يصفع مكتبه. "يجب أن يكون بالضبط ثلاثين مليونًا!"

انفجرنا كلانا في الضحك.

...

جـ

كانت السيطرة على وسائل الإعلام أولوية بالنسبة للجنرالات. وبعد الإطاحة بمبارك، "تعامل الناس ووسائل الإعلام بفظاظة
لقد اشتكى أحد كبار المسؤولين العسكريين من السيسي في اجتماع خاص قبل توليه السلطة. (تم تسريب تسجيل صوتي لاحقًا).

وافق السيسي قائلاً: "صحيح"، لكنه حث على الصبر. "يستغرق الأمر وقتًا طويلاً جدًا
الوقت حتى تمتلك حصة مناسبة من التأثير على وسائل الإعلام"، ولكن "نحن نعمل على هذا، بالتأكيد".

وفي غضون أشهر بعد استيلائه على السلطة، اختفت أدوات نفوذ السيسي
مغلق في مكانه. وينص قانون جديد على فرض عقوبة السجن على أي صحفي يخالف التصريحات الرسمية للجيش بشأن حربه ضد "الإرهاب". وتعهد أصحاب جميع الصحف الكبرى كتابيًا بعدم انتقاد حكومة السيسي أثناء الأزمة. أوقفت شبكات التلفزيون مقدمي البرامج الحوارية الذين اقتربوا كثيرًا من الخط. وصادر الجنود نسخًا مطبوعة من الصحف.

وبعد مرور أربع سنوات على الاستيلاء على السلطة، أصبحت مصر واحدة من أكثر الدول التي تسجن الصحفيين عدوانية في العالم. وكان أكثر من خمسة وعشرين خلف القضبان.

استخدم السيسي وسائل الإعلام لبناء عبادة شخصيته أيضًا. وفي تسجيل مسرب آخر، طلب من مدير مكتبه أن يتأكد من أن وسائل الإعلام تصوره كبطل "في مهمة شبه مستحيلة" و"يحمل مسؤولية بلد يمر بأزمة وجودية". أظهر تسجيل آخر مدير المكتب وهو يؤكد ذلك. وقال لوسيط لم يذكر اسمه: "هناك نقطة نريد أن يناقشها جميع إعلامينا على شاشة التلفزيون: استجواب السيسي كان بمثابة "عار" على الأمة".

قال مدير المكتب إن انتقاد السيسي -"هذا المصري الشجاع والمميز والحرّ والوطني" -سيكون بمثابة "افتراء على هذا الشيء الجميل الذي وجدناه في حياتنا"، وقد أدرج ستة من مقدمي البرامج الحوارية الذين يجب أن يوصلوا هذه الرسالة.

"شعبنا المصري العزيز، هل تحب أن يحدث هذا للرجل الذي عمل وضحى؟" اقترح مدير المكتب.

"هل انت تنصت؟ هل تكتب هذا أم لا؟" لقد تدخل عدة مرات. "أثاروا الناس به!"

يمكن أن تكون التشوهات انحناءًا للعقل. تحدث السيسي في الجمعية العامة للأمم المتحدة في أكتوبر/ تشرين الأول ،2014 وأنهى خطابه بترديد شعار حملته الانتخابية باللغة العربية، "تحيا مصر!". تحيا مصر! نظر معظم المندوبين في صمت مرتبك.

لكن حاشية السيسي وبعض الحلفاء العرب قفزوا على أقدامهم وهم يهتفون ويصفقون. وأظهرت الشبكات المصرية فقط لقطات قصيرة من الهتاف. وأفاد المذيعون أن الجمعية العمومية بأكملها كانت تهتف للسيسي.

"تحيا مصر" تهز الجمعية! وأعلنت صحيفة الأهرام في تقريرها

عنوان الصفحة الأولى.
وقال أمير أديب، مقدم البرامج الحوارية القومية: "كان عبد الفتاح السيسي عريس الأمم المتحدة، وكانت مصر العروس".
"شيء من العبقرية."
عندما كتبت عن هذا التحريف، نشرت صحيفة الأهرام
مقال يقول إنني أيضًا أصفق للسيسي. "من وجهة نظر كيركباتريك، تمكن السيسي من محو الصورة التي كانت في أذهان البعض، بأن ما حدث في مصر في يونيو 2013 كان "انقلابًا" وليس ثورة. . . . وأشار كيركباتريك إلى أن جميع الدبلوماسيين كانوا في حالة من الصمت والاستمتاع طوال خطاب السيسي.

ولذلك نشرت صحيفة نيويورك تايمز على موقعها على شبكة الإنترنت ترجمة إنجليزية لمقال الأهرام حول "وجهة نظر كيركباتريك"، جنباً إلى جنب مع النص الأصلي الذي كتبته.

محررو الأهرام لم يروا هذه الفكاهة. وكتبت صحيفة الأهرام في اليوم التالي، في عدم تراجع غير معتاد عن ادعاءاتها الأصلية، أن كيركباتريك "يدافع بشدة عن المنظمة الإرهابية" -الإخوان المسلمين- "ويروج دائمًا لفكرة وجود قمع للحريات".

بحلول عام ،2015 كان مقدمو البرامج الحوارية المؤيدة للحكومة يدينونني على الهواء، بالاسم، باعتبارهم عدوًا لمصر. قام أحد المضيفين، أسامة كمال، بوضع صورتي وأصر على الإشارة إلي باسم كيرك دوغلاس. هل كان يعلم أن اسمي الأوسط هو دوغلاس؟ كنت قلقًا من أن هذا الاهتمام قد يجعلني هدفًا للمضايقات أو عنف الغوغاء، وبقيت كذلك

رأسي إلى أسفل. (فتح المدعون قضية رسمية ضدي في عام .(2018

أخبرتني مراسلات أجنبيات أن وكالات الاستخبارات استهدفتهن بانتهاكات أخرى. أخبرتني صحفية بريطانية أنها أثناء تغطيتها للمذبحة الأولى بعد الانقلاب، اقتحمت مجموعة من الرجال شقتها. اختبأت في غرفة النوم واستمعت وهم يفتشون غرفة المعيشة والمكاتب. لكن المتسللين لم يسرقوا شيئا. (وكان زميلها في الغرفة، وهو صحفي آخر، غائبًا في تلك الليلة).

وبعد بضعة أيام، هجم عليها مجموعة من الرجال خارج شقتها وأمسكوا بها من الخلف. قام أحدهم بسحب سكين على صدرها وبين فخذيها. "هل تريد مني أن أقطع ثدييك؟" هدد باللغة الإنجليزية. "هل تريد مني أن أقطع بظرك؟" ثم هرب الرجال دون أن يسرقوا شيئًا.

وبعد أسابيع قليلة، بعد مجزرة رابعة، تلقت رسالة
بريد إلكتروني مجهول من حساب تحت اسم "العسكري العسكري". وبلغة إنجليزية ركيكة، اتهمتها بالنوم مع زميلها في المنزل، ووصفته بالجاسوسة، وحذرت من أنها أثارت "غضب الشعب" بانضمامها إلى "الإرهابي" التابع لجماعة الإخوان المسلمين.

وجاء في الرسالة: "نحن نراقبكم جميعًا، ونحصي أنفاسكم، على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع". "نحن ملائكة حراسة. يمكننا أن نتحول في دقيقة واحدة إلى قتل الشياطين ."

انتقلت للعيش مع صديق آخر من أجل السلامة. ثم، بعد ظهر يوم الجمعة بعد بضعة أسابيع، اعتدى عليها حشد من عشرات الرجال في مكان ليس بعيدًا عن المكان الذي هاجمتها فيه بالسكين. أدخلوا أيديهم داخلها، فصرخت وكافحت وهربت.

أخبرتني أنه عند نقطة تفتيش تابعة للجيش في الشارع، كان الجنود يراقبون ولم يفعلوا شيئاً. وسرعان ما انتقلت خارج مصر.

اعتقدت أن عودة الشرطة قد تكون أفضل على الأقل
حماية المرأة المصرية. لكن خلال الأيام الأربعة من المظاهرات، من 30يونيو/حزيران وحتى الإطاحة بمرسي، اعتدى الغوغاء جنسياً على ما لا يقل عن 91شخصاً، وفقاً لإحصاء أجرته هيومن رايتس ووتش ونظرة للدراسات النسوية. وفي حفل تنصيب السيسي، في يونيو/ حزيران ،2014حاولت مراسلات التلفزيون اللاتي يغطين الاحتفالات في ميدان التحرير الإبلاغ عن موجة أخرى من الاعتداءات. وفي حالتين على الأقل، قطعتهم مراسيهم.

وضحكت المذيعة مها بهنسي لمراسلها: “إنهم سعداء”. "إنهم يستمتعون."

وقد جعل مقطع فيديو عبر الهاتف المحمول من المستحيل تجاهل اعتداء واحد في ذلك اليوم. وأظهرت الصورة امرأة في الساحة عارية باستثناء قميص أسود يغطي كتفيها. كانت مؤخرتها مصابة بكدمات باللونين الأرجواني والأسود، وكانت أيدي الرجال تغطيها في كل مكان. ولوح شرطي بمسدسه، فابتعدت الكاميرا وعادت للظهور. كانت عارية تمامًا ووجهها لأعلى، وكان جسدها مرتخيًا ومحمرًا. وضعتها أيدي الغرباء في السيارة.

لقد قام السيسي بحملة انتخابية للرئاسة ووعد باستعادة "شجاعة" مصر و"رجولتها". وبعد يومين من الضجة حول الفيديو، لاحقته كاميرات التلفزيون الحكومي إلى المستشفى حيث كان يسلم باقة من الزهور الحمراء للضحية. (كان وجهها مشوشا.) قال لها وهو يضع يده على صدره: "أعتذر لك، وكدولة، لن نسمح بحدوث هذا مرة أخرى".

وقال للمصريين متحدثا أمام الكاميرا: “عار عليكم أن تسمحوا بحدوث هذا”.

وكان ذلك الاعتذار هو مدى دفاع السيسي عن مشاركة المرأة في الحياة العامة. استأنف المجلس الوطني للمرأة الذي ترعاه الدولة احتكاره الرسمي لتنظيم المرأة.

مزن حسن، الناشطة النسوية الشابة التي حاولت بناء حركة، اتُهمت بجريمة قبول تبرعات أجنبية لمؤسستها غير الربحية. وقامت النيابة بتجميد أصولها ومنعتها من السفر.

آخر مرة رأيتها فيها، في أوائل عام 2017، كانت تنتظر الذهاب إلى السجن.
ولم تتعاطف الرئيسة الجديدة للمجلس القومي للمرأة، مايا مرسي (لا علاقة لها بالرئيس السابق)، مع مزن ودافعت عن النيابة.
"دعونا لا نحكم على القانون!"

قال لي مرسي. "إذا كنت تعلم أن هناك قانونًا يقول "لا تفعل هذا"، فهل ستفعل؟"

وأصرت على أن السيسي كان “المنقذ” لنساء مصر. قالت
ولم تر أي مشاكل على الإطلاق في الطريقة التي يعامل بها الجيش والشرطة النساء. عندما سألت عن اختبارات العذرية، قدمت الأعذار. وكان على الجنود اتباع الإجراء. إن إساءة معاملة الفتاة ذات الصدرية الزرقاء قد أساءت تمثيل الشخصية الحقيقية للجيش المصري النبيل.

وأضاف: «لقد رأينا الجيش المصري الحقيقي بعد ذلك، في الموجة الثانية من
الثورة في الثلاثين من يونيو». "لم يلمس أحد أي امرأة، أليس كذلك؟"

كنت متشككا. قامت جماعات حقوقية مستقلة بجمع
شهادة عشرات النساء اللاتي تعرضن للاعتداء الجنسي في المظاهرات ذلك اليوم.

هل تعتقد أن هناك أي مشاكل على الإطلاق فيما يتعلق بمعاملة النساء من قبل الجيش والشرطة؟

"أنا لا أرى ذلك." توقفت للتفكير. قالت لي مرة أخرى: "لا، لا أرى ذلك".

...

ل

تساءلت الهالة عن معاييرها المتراجعة. إنها لن
اتفقوا على الانتقال إلى عاصمة عربية على شفا الثورة. الآن كانت القنابل تنفجر في القاهرة. وبدأت الشرطة في اعتقال
الصحفيين الغربيين. لقد تم تصنيفي كمتعاطف مع الإرهابيين في وسائل الإعلام. الأمهات المصريات اللاتي التقت بهن في الملعب
تراجعن خطوة إلى الوراء عند ذكر اسمي. ولكن هنا ما زلنا كذلك.

اهتزت المعادي في ربيع عام 2015بنبأ وفاة
نشرت لوحة الرسائل على الإنترنت التي يستخدمها الجهاديون تعليمات مفصلة حول كيفية ضرب مدرسة دولية محلية. كان المستشارون
الأمنيون لشركات النفط العالمية يتحدثون عن موجة من عمليات اختطاف السيارات التي تستهدف سيارات الدفع الرباعي (مثل سيارتنا).
واعتقد المستشارون أن المتشددين يريدون سيارات رباعية الدفع لنقل الأسلحة في الصحراء. قامت إحدى شركات الطاقة الكبرى بسحب
أسطولها من سيارات لاند روفر وطلبت من جميع الموظفين قيادة سيارات أصغر حجمًا. لقد ألغينا خططنا لزيارة واحة سيوة في الصحراء
الغربية وجبل سيناء في جنوب سيناء. لم نعد نشعر بالأمان على الطرق.

ومنعت السفارة الأمريكية موظفيها من القيادة خارج القاهرة أو شرم الشيخ.

عندما قام مسلحو تنظيم الدولة الإسلامية بقطع رأس الموظف الكرواتي في شركة النفط الفرنسية في شهر أغسطس من
ذلك العام، اعتبرنا ذلك علامة مشؤومة على أنهم قد يستهدفون الغربيين. وأسقط المسلحون الطائرة الروسية المستأجرة بعد بضعة
أشهر، وقاموا بذلك

كانوا يختبرون الهجمات على المواقع السياحية. لكن تلك المخاوف كانت مجردة.

كان الأمر الأكثر إلحاحًا هو ذلك اليوم في أوائل عام 2015عندما كان ابني توماس
داس على مسمار. كان عمره تسع سنوات. وأدى اندلاع الاحتجاجات في الشوارع إلى إغلاق الطرق مرة أخرى،
ووردت أنباء عن مزيد من إطلاق النار. كانت لورا خائفة من نقله إلى المستشفى. لقد اكتفت برحلة إلى صيدلي
محلي أساء التعامل مع الجرح.

احتاج توماس إلى عملية جراحية في قدمه عندما عدنا إلى الولايات المتحدة.
وكان معظم الصحفيين الغربيين الذين غطوا ميدان التحرير قد رحلوا منذ فترة طويلة. تم تدوير البعض
للخارج. ورحل آخرون إلى إسطنبول أو بيروت، وهي مدن عالمية أقرب إلى الأحداث في سوريا والعراق.

التقينا مرة أخرى عندما كنت في مهام في بغداد أو تونس، وكانت الأحاديث حول المشروبات تعود دائمًا إلى
المأساة في مصر. لكن لورا وأنا بقينا.

وكان الرئيس أوباما قد قرر عدم وصف استيلاء السيسي على السلطة بأنه انقلاب لتجنب قطع المساعدات العسكرية السنوية
البالغة 1.3مليار دولار. والآن ربما كان آخر من يقبل في إدارته فكرة استئنافها. وكان لقاءه المباشر مع السيسي على هامش الجمعية
العامة للأمم المتحدة في سبتمبر/أيلول 2014نقطة تحول. وكان المستشارون قد حذروا أوباما من أن السيسي يمكن أن يكون مطولاً
ومتكلفاً، حتى أنه تحدث عن الرئيس السابق بيل كلينتون خلال اجتماع في مؤسسته. لذا حاول أوباما وضع السيسي في موقف دفاعي
بمطالب محددة بشأن الحقوق والحريات. وهذا أحد أسباب مطالبته بالإفراج عن محمد سلطان، المواطن الأمريكي الذي كان آنذاك
مضرباً عن الطعام في السجن.

ويتذكر المسؤولون الذين حضروا الاجتماع أوباما باعتباره قويا وصارما. لكن السيسي ابتسم وأومأ برأسه
ورفض. وقال إنه أراد إزالة أي إزعاج في علاقتهما، لكن مصير سلطان كان متروكاً للقضاة. وواصل السيسي
الضغط من أجل الحصول على المزيد من المساعدات العسكرية لخوض الحرب على "الإرهاب" داخل مصر.

تمتم أوباما قائلاً: "حسناً، هذا الرجل لن يتغير أبداً".
مستشاريه وهم يغادرون الغرفة.
وذكرت وكالات المخابرات أن السيسي بالكاد لاحظ الانتقادات. لقد كان مسرورًا بهذا الاهتمام.

التقى أوباما بمجلس الأمن القومي في ربيع عام 2008
2015بشأن تعليق المساعدات العسكرية. تقريبا كل الرؤساء

والآن يضغطون من أجل استئناف المفاوضات، لكن أوباما ما زال ضدها. وقال أوباما لأحد مستشاريه قبل الاجتماع: «لقد قرأت كل الأوراق وما زلت غير مقتنع».

وكان البيت الأبيض أيضاً يخفض معاييره. في البداية، طالبت باستعادة الديمقراطية بالكامل، ثم تخفيف القيود المفروضة على المنظمات غير الربحية، أو زيادة الوصول إلى شمال سيناء. والآن أصبح أوباما يطلب فقط إطلاق سراح بعض السجناء السياسيين، بما في ذلك مواطن أميركي واحد. ولم يقدم السيسي شيئا حتى الآن. (كان السيسي قد عين مستشارًا للأمن القومي لنفس الموالي لمبارك الذي قاد الغارات على المعهد الجمهوري الدولي المدعوم من الولايات المتحدة والمعهد الديمقراطي الوطني، وهو الشخص الذي حاصر سام لحود في السفارة الأمريكية –فايزة أبو النجا).

وتحدث السفير روبرت س. بيكروفت، المبعوث الجديد إلى القاهرة، عبر مؤتمر عبر الهاتف. وشدد على القوى الرجعية داخل حكومة السيسي –السلطة القضائية، والمؤسسة الدينية، والشرطة، وأجهزة المخابرات، وزملائه الجنرالات، وما إلى ذلك.

بمعنى آخر، لم يكن السيسي يسيطر على الدولة العميقة. لقد كان أداتها. ومن الممكن أن يحل محله جنرال آخر.

كان أوباما مقتنعا بأن الضغط المستمر لن يحقق شيئا، واتصل بالسيسي في مارس/آذار للإعلان عن استعادة المساعدات. ولم يتعرض الجيش المصري لأي عقوبة تقريبًا.

...

ب بين قطع رأس الكرواتي والمسمار في قدم توماس، قررت أنا ولورا في خريف عام 2015 أن الوقت قد حان لمغادرة مصر. انتقلت لورا والأولاد إلى لندن، وهو منصبي التالي.

قدمت طلباتي من القاهرة وليبيا حتى تولى رئيس المكتب الجديد، ديكلان والش، منصبه في عام 2016. لكن الأسئلة التي لم تتم الإجابة عليها ظلت تدفعني إلى العودة.

ماذا حل بمصر في صيف الانقلاب؟ ماذا حدث للشباب الذين ملأوا ميدان التحرير عام 2011، وهم المثقفين الليبراليين الذين أعجبت بهم كثيراً؟ ومرة أخرى، دافع البعض بشجاعة عن حقوق الإنسان في عهد السيسي. ولكن كيف يمكن أن يحتفل هذا العدد الكبير من الناس بالانقلاب وحملة القمع؟

وحتى لو لم يفز المثقفون الليبراليون بالانتخابات، فإن أصواتهم لاقت صدى في مصر وخارجها. ولو أن المزيد من الناس تحدثوا ضد المذابح، لما كان بوسع المؤسسة العسكرية أن تزعم بنجاح أن استيلائها على السلطة كان بمثابة ثورة ليبرالية أو إجماع وطني.

واستمعت واشنطن، على وجه الخصوص، إلى الليبراليين.

محمد البرادعي، أشهر الليبراليين في مصر، استقال أثناء فض اعتصام رابعة. وكتب في خطاب استقالته العام: "العنف لا يولد إلا العنف". وأضاف: «المستفيدون مما حدث اليوم هم دعاة العنف والإرهاب، وهم الجماعات الأكثر تطرفاً». وفر من البلاد في ذلك اليوم.

إذا تحمل البرادعي المسؤولية عن دوره في الانقلاب،

لم أسمع ذلك قط. وفتحت النيابة قضية ضده بتهمة خيانة الوطن. ونددت به وسائل الإعلام ووصفته بالخائن.

وكان عمرو حمزاوي هو الليبرالي الوحيد في العلن

معارضة الاستيلاء كما حدث. وبعد رابعة، اتهمته النيابة بإهانة القضاء على أساس تغريدة كتبها في عهد مرسي. (كان الأمر يتعلق بقرار محكمة ضد الموظفين الأمريكيين في المعهد الديمقراطي الوطني والمعهد الجمهوري الدولي). في البداية، منعته السلطات من مغادرة مصر (أجبرته على إلغاء محاضرة في جامعة ييل).

ثم تم تهديده بالسجن وأجبر على النفي.

وسرعان ما شعر "الليبراليون" الآخرون بنفس الشيء. وعلى الفور، حظر السيسي المظاهرات غير المصرح بها في الشوارع، وهو التكتيك الذي أوصله إلى السلطة. وهددت حملة القمع على التنظيم بالقضاء على كل جماعة مستقلة لحقوق الإنسان.

وتم طرد هيومن رايتس ووتش من البلاد. هبة مرايف، التي تناولت العشاء معي في إفطار السفارة عندما وصلت إلى مصر لأول مرة، انتقلت إلى تونس. قامت الشرطة بسجن عدد من أبرز الناشطين المرتبطين باعتصام ميدان التحرير. تم إعلان حركة شباب 6أبريل ذات الميول اليسارية منظمة إرهابية وأصبحت العضوية فيها جريمة. وفي نهاية المطاف، قام السيسي أيضاً بسجن عبد المنعم أبو الفتوح، الإسلامي الليبرالي الذي هاجم جماعة الإخوان المسلمين.

لم تعد المحادثات الخاصة آمنة. موقع إلكتروني وبرنامج تلفزيوني يسمى "الصندوق الأسود" متخصص في بث المراقبة الهاتفية للناشطين الليبراليين والمحامين الإسلاميين وغيرهم. لم يكن الأمر لعنًا أبدًا ولكنه كان دائمًا مخيفًا. (مضيفه

تم انتخابه لعضوية البرلمان في عهد السيسي.) بدأ الأصدقاء المصريون يصرون على وضع هواتفنا الذكية في الثلاجة كلما تحدثنا، لأنه حتى في وضع "إيقاف التشغيل" يمكن استخدامها كأجهزة استماع. بحلول عام 2017، حظرت الحكومة المصرية تطبيقات الاتصالات المشفرة مثل Signal أو WhatsApp. وحجبت العشرات من المنشورات والمواقع الليبرالية أو ذات الميول اليسارية. كما تم اعتقال الكاتبة المصرية سارة خورشيد لفترة وجيزة بتهمة الجلوس في مقهى مع أجنبي. وقد أخذها راعي آخر للتجسس واتصل بالشرطة. قامت والدته بتسليم أحد أعضاء مجموعة 6 إبريل.

تم سجن الصحفي الليبرالي الذي يحظى بتقدير كبير، أحمد ناجي
عشرة أشهر للفحش في رواية أدبية. قامت حكومة السيسي بقمع المثلية الجنسية واعتقلت العشرات بعد رفع أعلام قوس قزح في حفل لموسيقى الروك. قامت الشرطة السرية بمغازلة الرجال المثليين من خلال خدمات المواعدة عبر الإنترنت لمحاولة الإيقاع بهم.

ناقش البرلمان تجريم الإلحاد. وفي بداية عام 2018، تساءلت الباحثة والدبلوماسية الأمريكية السابقة ميشيل دن على تويتر: "للمرة الألف، ماذا كان سيقول المجتمع الدولي لو حدث هذا في عهد رئاسة مرسي؟" لقد كانت نكتة متداولة في مصر: الحمد لله تخلصنا من الإسلاميين.

وكانت شيماء الصباغ يسارية دعمت الاحتجاجات
ضد مرسي واحتفلت باستيلاء السيسي على السلطة. لقد نشأت في الإسكندرية باعتبارها ابنة داعية مسلم محافظ، وكانت غاضبة من تقاليده. قال لها مستسلماً: "بالنسبة لأمثالك، ارتداء البنطلون هو غطاء". كان إبقاء بنطالها هو كل التواضع الذي يمكن أن يأمل فيه. وتركت شعرها الداكن المموج مكشوفاً ومقصوصاً فوق كتفيها.

بحلول وقت الاستيلاء عليها، كانت في الثلاثين من عمرها، متزوجة من فنان وأم لطفل يبلغ من العمر أربع سنوات وشاعرة بارعة.

يكتب معظم الشعراء المصريين الجادين باللغة العربية الفصحى؛ كان صباغ أحد الشعراء القلائل الذين كتبوا بأسلوب الشعر الحر الطليعي ولكن باستخدام اللغة العربية العامية في الحياة اليومية. تبدأ قصيدتها بعنوان "رسالة في محفظتي":

لست متأكدا

في الواقع، لم تكن أكثر من مجرد محفظة

ولكن عندما فقدت، كانت هناك مشكلة
كيف تواجه العالم بدونها

خصوصاً

لأن الشوارع تتذكرنا معًا

المحلات التجارية تعرفها أكثر مني

لأنها هي من تدفع

إنها تعرف رائحة عرقي وتحب

هو -هي. . . .

على أية حال، لديها مفاتيح المنزل وأنا أنتظرها.

وكان الصباغ نشطا في حزب اشتراكي صغير دعم استيلاء السيسي على السلطة، متخيلا مصر أكثر تقدمية. ثم أيد الحزب السيسي على مبدأ أنه أفضل من الإسلامي.

لكن في الذكرى الرابعة للانتفاضة الأصلية، 25يناير/كانون الثاني ،2015أرادت صباغ وأصدقاؤها إحياء ذكرى "الشهداء" الذين ماتوا احتجاجاً على مبارك.

ولأن الشرطة ستخرج بأعداد كبيرة في ذلك اليوم لضمان عدم تكرار ذلك، فقد تجمع الصباغ ونحو عشرين آخرين بعد ظهر يوم 24يناير/كانون الثاني. وقد التقوا على بعد بنايات قليلة من ميدان التحرير، مسلحين فقط بالزهور التي خططوا لوضعها هناك. ولم يروا أي سبب للخوف من فرقة شرطة مكافحة الشغب الملثمة على بعد أمتار قليلة.

أصابهم الغاز المسيل للدموع قبل أن يخطوا أي خطوة تقريبًا. طلقات نارية
تصدع من خلال الدخان. مالت رأس الصباغ إلى الخلف. كان الدم يسيل على خديها. عندما بدأت في الانهيار، أمسكها صديق راكع من خصرها ليثبتها في وضع مستقيم، وضغط رأسه على بطنها. احتضنها وأنزلها ببطء على الأرض.

وشاهدها العشرات من الأشخاص الذين كانوا يشربون القهوة في مقاهي الرصيف القريبة وهي تموت في الشارع.
التقط المصورون الصحفيون عملية قتلها ثانية تلو الأخرى، وإطارًا تلو الآخر. وانتشرت الصور عبر الفيسبوك خلال ساعات.

ومع ذلك، تم احتجاز أصدقائها الذين ذهبوا إلى الشرطة كمشتبه بهم
وعقد بين عشية وضحاها. وأعلن متحدث باسم وزارة الداخلية في اليوم التالي أن الشرطة لا يمكن أن تكون قتلتها. لن يطلقوا النار أبدًا على مثل هذا الحشد الصغير. وأصر اللواء جمال مختار على أن الصور ومقاطع الفيديو "ليست دليلاً على الإطلاق".

وقال: "هناك فصيل من جماعة الإخوان المسلمين وظيفته واهتمامه كله هو فبركة الصور ومقاطع الفيديو التي تخبر الناس أن الشرطة تعتدي على المتظاهرين، وأن هذا ينزف، وهذا مصاب".

وبعد أيام قليلة، ألقت الشرطة القبض على نائب رئيسها
حزب سياسي -كان صديقاً شخصياً للصباغ -للاشتباه في أنه أطلق النار من سلاح مخفي عبر جيب سترته لقتلها. وكانت نشرات الأخبار المؤيدة للحكومة تقول إن الأمر كان بمثابة خطة لإلقاء اللوم على الشرطة. ثم أمر أحد القضاة بالتعتيم الإعلامي على الأخبار، ولم نسمع سوى القليل عن الأمر.

لقد اعتدت على الموت لدرجة أنني بالكاد أتفاعل. كنت في
حمام السباحة مع أبنائي عندما سمعت لأول مرة عن مقتل الصباغ. لم أكن أعتقد أن الأمر يستحق التوقف يومًا مع عائلتي للكتابة عن وفاة متظاهر آخر. تقتل الشرطة عدداً قليلاً على الأقل كل أسبوع تقريباً –معظمهم من الإسلاميين، ولكن أيضاً من اليساريين أو الليبراليين. لقد قتلوا فتاة تبلغ من العمر سبعة عشر عامًا في تجمع إسلامي في الإسكندرية في نفس اليوم الذي توفي فيه الصباغ. وقتلوا عشرين آخرين في اليوم التالي، 25يناير/ كانون الثاني، في ذكرى الانتفاضة. وقتلوا طالباً بعد خمسة أيام في اشتباكات بعد مظاهرة في محافظة الشرقية، على بعد مسافة قصيرة بالسيارة شمال القاهرة. واستمر و

على.

لكن تلك الصور. كان التعبير على وجه الصباغ خلال ثوانيها الأخيرة لا ينسى. مذهول جدًا، ساذج جدًا.

لمدة ثلاث سنوات، كلما سألت ليبراليًا أو يساريًا مصريًا
حول القمع في عهد السيسي، كانت إجاباتهم تبدأ دائمًا بنفس الطريقة: بمقدمة طويلة حول مسؤولية الإخوان المسلمين. وكان ينبغي للإخوان أن يتقاسموا المزيد من السلطة. كان عليهم أن يهاجموا الجنرالات. كان ينبغي عليهم أن يحكموا بشكل أفضل. كان يجب أن يخرجوا من المسرح قبل أن يتم دفعهم.

لقد كان السيسي خطأ الإخوان. سمع نفس الشيء كل دبلوماسي وصحفي غربي في القاهرة من عام 2013حتى عام 2016

حجة مرارا وتكرارا. لكن الزمن خفف من هذا التفسير. ولم يحمل أي من الإخوان المسلمين البندقية التي قتلت شيماء الصباغ.

وبعد أربع سنوات، بدأت الإجابات تتغير. وفاجأ السيسي مصر عام 2016 بإعلانه نقل جزيرتين فارغتين في البحر الأحمر إلى راعيه ملك السعودية. وتظاهر رفاق السيسي من القوميين ذوي الدم والأرض ضد استسلام الأراضي المصرية، وبدأت الشرطة في اعتقالهم وإطلاق النار عليهم كما لو كانوا إسلاميين. لقد انقلب على حلفائه القوميين. فكرت في الخنازير في مزرعة الحيوانات وهي تسحق إضراب الدجاج.

وظهرت أدلة جديدة على وجود اضطراب في النظام. وبينما كان وفد تجاري إيطالي يزور القاهرة مطلع عام 2016، تم اكتشاف جثة جوليو ريجيني، وهو طالب دراسات عليا إيطالي كان يدرس في مصر، نصف عارية ومغطاة بالدماء على جانب طريق الإسكندرية السريع. كانت إحدى أسنانه الأمامية مفقودة، بينما كانت الأخرى مكسورة أو مكسورة. وكان جلده مليئا بحروق السجائر. وكان ظهره ممزقاً بجروح عميقة. وقد انقطعت شحمة أذنه اليمنى، وتحطمت عظام معصميه وكتفيه وقدميه. وأكد تشريح الجثة الإيطالي في وقت لاحق أنه تعرض للضرب والحرق والطعن وربما الجلد على باطن قدميه على مدى أربعة أيام. أخيرًا قتله كسر في الرقبة.

وحاولت الشرطة تقديم سلسلة من التفسيرات. في البداية قاموا بتلفيق ادعاءات كاذبة حول المثلية الجنسية. ثم اخترعوا عصابة تنتحل صفة الشرطة لسرقة جوازات السفر الأجنبية.

لقد انهارت جميع سيناريوهاتهم غير القابلة للتصديق. وأصبح الجدل حول فرع الجيش أو الأجهزة الأمنية الذي قتله ولماذا قتله لعبة صالونات مروعة بين المثقفين المصريين.

أخبرني المسؤولون الأمريكيون في واشنطن والقاهرة لاحقًا أنهم خلصوا إلى أن جهاز المخابرات الذي قتل ريجيني لم يفعل ذلك بناءً على أوامر السيسي. كما أنها لم تقتل ريجيني لتقويض السيسي.

لقد عذبت وقتلت ريجيني من تلقاء نفسها، دون طلب إذن. وكان القتلة قد تركوا جثته عمداً ليتم اكتشافها أثناء وجود الوفد الإيطالي في القاهرة، لإرسال رسالة من نوع ما.

ولم يعد جواز السفر الغربي يشكل حماية. واعتقدت وحدات من الأجهزة الأمنية أن بإمكانها قتل من تشاء. أكثر

وبعد مرور أكثر من عام، في عام 2018، لم تحدد الحكومة المصرية الوحدة المسؤولة، وأخبرني مسؤولان أمريكيان أنهما يعتقدان أنهما يعرفان السبب. وكان محمود، نجل السيسي، أحد ثلاثة ضباط في جهاز المخابرات العامة ربما أداروا العملية.

داليا عبد الحميد كانت في الخامسة والثلاثين من عمرها باحثة في إحدى جماعات حقوق الإنسان. كانت ترتدي نظارة سلكية صغيرة، وكان شعرها طويلًا ومموجًا، وعملت على قضايا يمكن اعتبارها تفكيرًا تقدميًا حتى في نيويورك ولندن، مثل حقوق المتحولين جنسيًا المصريين.

مثل معظم المصريين الذين أعرفهم، كان لعبد الحميد أقارب على جانبي الحروب الثقافية. كان والداها مدرسين ذوي ميول يسارية في المدارس الحكومية، وكان شقيقها منظمًا بارزًا لانتفاضة ميدان التحرير عام 2011. لكن عمها كان زعيمًا متوسطًا في جماعة الإخوان المسلمين. وبعد قتال الشوارع أمام القصر الرئاسي في ديسمبر/كانون الأول 2012، رفض عبد الحميد التحدث معه.

"كنت غاضبا جدا. شعرت وكأنهم كانوا يجروننا إلى نوع ما

قالت لي: حرب أهلية.

في أوائل عام 2017، قررت عبد الحميد تأليف مقالة لمجلة إلكترونية حول الحالة النفسية لبيئتها – المثقفين في القاهرة، والليبراليين، واليساريين، والفنانين الذين كانوا مجتمعها. لقد دعوتها لتناول العشاء في مطعم ياباني يرتاده الليبراليون المصريون والصحفيون الغربيون، متوقعًا أن أسمع اللوم المعتاد من جماعة الإخوان المسلمين.

وقالت إن مجزرة رابعة محوت ذلك بالنسبة لها. "كل شيء

بدا بلا معنى." فر عمها من جماعة الإخوان المسلمين تحت الأرض لكنه تسلل إلى أخته والدة عبد الحميد. وكان عمها يعتزم حضور اجتماع سري في يونيو/حزيران 2015 لقادة الإخوان الهاربين ومحامي الدفاع في شقة بضاحية 6 أكتوبر. اقتحمت الشرطة الشقة وأعدمت جميع الحاضرين – ما لا يقل عن تسعة أشخاص. ونجا عم عبد الحميد لأنه تم القبض عليه واعتقاله قبل وصوله إلى هناك.

قالت لي: "لذلك أعتقد أنني سعيدة لأنه سجين". كان يتصل بها أحيانًا من الداخل، وكانت سعيدة بسماع ذلك منه.

طلقت زوجها في صيف عام 2013، وطلقت منها اثنين
انفصل الأصدقاء المقربون في ذلك العام أيضًا. اعتقدت أن الأمر مرتبط بالاكتئاب الذي يخيم على دائرتها. لقد أصبح الفيسبوك، الذي كان ذات يوم الأداة المميزة لمنظمي ميدان التحرير، وعاءً لمعاناتهم.

قالت: "يبدأ الجدول الزمني الخاص بي على فيسبوك كل صباح بأشخاص يروون الكوابيس التي عانوا منها في الليلة السابقة".
"'كنت أهرب من الجيش''، 'كنت في وسط اعتداء جنسي من قبل الغوغاء في كابوسي'، 'حلمت بزوجي المسجون'.

"مع تقدم اليوم، يشكو الناس من نوبات الهلع، ونوبات القلق. "أنا مكتئب للغاية ولا أستطيع النهوض من السرير اليوم." "أنا مكتئب للغاية ولا أستطيع تحريك عضلة اليوم." في الليل، يتحدثون عن الأرق، ويبدأ الأمر من جديد.

"جميع منشوراتنا الآن على فيسبوك تدور حول "من فضلك أطلقوا سراح هذا الشخص"، أو "أنقلوا هذا السجين إلى المستشفى، فهو يحتاج إلى العلاج"، أو "اسمحوا لهذا الشخص بالخروج لرؤية والده المحتضر ودفن ميته"، أو "هذا الشخص" عمره ثمانين سنة، أخرجوه ليموت بكرامة». هذه هي الآن مطالب الحياة اليومية في مصر".

ماذا كان يفعل أصدقاؤها حيال ذلك؟ "لقد تحولنا جميعًا إلى المشاريع الشخصية. الهواجس التي طورناها. الطبخ، الأطفال، صالة الألعاب الرياضية، اليوغا، تعلم آلة موسيقية، تعلم لغة جديدة، الكحول، اضطرابات الأكل، فقدان الشهية، الشره المرضي -سمها ما شئت، لدينا كل شيء. تريد أن تشعر أنك تسيطر على شيء ما، ولو كان ذلك على جسدك فقط. ولكننا نفشل في هذا أيضاً.

"الصدمة التي مررنا بها، والقتلى الذين رأيناهم، ومشاهد المشرحة، والاعتداءات الجنسية، والمذابح... . ."
تأخر عبد الحميد . "في ذكرى كل حادثة في الثورة، يتحول الفيسبوك إلى ساحة حرب. "لقد فعلت هذا" أو "لقد فعلت ذلك" أو "لم تنضم إلى هذه المسيرة" أو "لم توقع على هذا الالتماس". يتهم الناس بعضهم البعض بأشياء حدثت قبل ست سنوات. إنه الجنون المطلق، ومظهر العجز والهزيمة المطلقة. نحن جميعًا نتحول ضد بعضنا البعض، مثلما يحدث عندما تتقاتل الديوك. لقد أصبحنا شرسين للغاية تجاه بعضنا البعض."

لقد توقفت. "الجميع يريد العثور على النقطة التي ذهب إليها كل شيء
قالت: "خطأ، ولا أحد يريد مناقشة رابعة".

ونادرا ما سمعت ليبراليا من القاهرة يعترف بهذا التحفظ.
قام عبد الحميد بتغيير الموضوع على الفور. وعادت إلى مشاعر زملائها الناشطين. قالت: "كنا ممتلئين بأنفسنا". "أعتقد أن البعض منا، ربما دون وعي، يكره وصول فصيل ثوري مختلف عنا" -الإخوان المسلمون -إلى السلطة.

هرعت من خلال التنازلات الإلزامية. "بالطبع،
وكان سجل الإخوان المسلمين في السلطة بائسا للغاية. وبطبيعة الحال، أنا لا أدافع عنهم بأي شكل من الأشكال. لكن علينا أن نتوقف عن هوسنا بالخطأ الذي ارتكبوه . علينا أن ننظر إلى ما فعلناه من خطأ.

"لقد نسينا أن هؤلاء الأشخاص شاركوا أيضًا في هذه الثورة، ودفعوا الثمن. في الأيام الأولى للثورة، في ميدان التحرير، كان الإخوان المسلمون هم الذين ينامون تحت عجلات الدبابات لمنعهم من التحرك. لقد كانوا هناك، وأعتقد أننا كرهنا الإخوان المسلمين كثيراً وكانوا شجعاناً. . . . أن البعض منا يعتقد أن استعادة النظام القديم سيكون أفضل من وجودهم في السلطة.

وقالت إن الأخلاق هي ما يدافع عنه النشطاء والمثقفون.
وقالت ببطء: "في ذلك الصيف، في عام 2013، لم نلتزم بأخلاقياتنا". "سواءً كان ذلك بوعي أم بغير وعي، فقد أعمتنا الكراهية. . ."تراجعت مرة أخرى، وتجمعت الدموع في عينيها. "انظر كيف أجد صعوبة في الحديث عن ذلك؟"

"لم نرغب في تصديق أنه كان انقلابا. كنا نظن أنه سيكون لدينا فرصة أخرى. لقد بالغنا في تقدير قوتنا. لقد كرهنا الإخوان كثيراً. لقد تم غسل أدمغتنا من قبل وسائل الإعلام. . ."

وقفة طويلة أخرى.
"الهزيمة ثقيلة جدًا، ولا تريد أن تتحمل المسؤولية. من الصعب أن تتخيل أن لك علاقة بهذا الأمر،» اعترفت أخيرًا.

وتابعت: "لم نكن يهودًا في ألمانيا النازية". "لقد فشلنا في الاختبار. لقد فشلنا في الشهادة. الأخلاق هي رأس مالنا. عندما يضيع ذلك، ليس لديك شيء. نسيت من أنت. يمكنك إغراق نفسك في الكحول أو الزاناكس أو أي شيء تريده. لكن هذا الشيء سيظل يطاردك. وعاجلاً أم آجلاً، سنصل جميعاً إلى هناك."

غادرت القاهرة في وقت مبكر من صباح اليوم التالي دون أن أخطط للعودة.

الخاتمة

أنا

لقد شاهدت جزءًا كبيرًا من السباق الرئاسي لعام 2016 من القاهرة، وهذه النقطة المميزة جعلت النقاش حول الشرق الأوسط مثيرًا بشكل خاص. كان عداء المرشح دونالد جيه ترامب للإسلام صريحا ولا لبس فيه. لقد حرص على قول "الإسلام الراديكالي" بدلاً من "التطرف الإسلامي" للتأكيد على أن العقيدة نفسها هي المشكلة. ووعد بمنع جميع المسلمين من دخول الولايات المتحدة. وادعى أن المسلمين في جيرسي سيتي هتفوا لتدمير مركز التجارة العالمي في 11 سبتمبر. وروى قصصًا ملفقة تمجد قتل المقاتلين المسلمين بالرصاص المنقوع في شحم الخنزير. حتى أنه ألمح إلى أن أوباما نفسه كان مسلمًا مشفرًا. فكيف سينسجم ترامب مع السيسي، الذي تعهد كرئيس لمصر بتعليم الإسلام والدفاع عنه؟

لقد عشقوا بعضهم البعض. وقفز السيسي ليبرر وعد المرشح بحظر المسلمين. وقال السيسي لشبكة CNN إن الأمر كان مجرد حديث انتخابي.

لقد كان أول زعيم أجنبي يهنئ ترامب ليلة الانتخابات، وعندما التقيا في البيت الأبيض، أمسك السيسي بيد الرئيس الجديد الممدودة بشغف غريب مثل مراهق للقاء مثله الأعلى. وقال السيسي لترامب: "لدي تقدير عميق وإعجاب بشخصيتك الفريدة".

"رجل رائع"، هكذا وصف ترامب السيسي عندما التقيا للمرة الأولى في سبتمبر/أيلول 2016، ومرة أخرى خلال زيارة السيسي الرسمية إلى البيت الأبيض في أبريل/نيسان التالي. وهتف ترامب قائلاً: "لقد سيطر على مصر، وقد سيطر عليها حقاً"، موضحاً أن مصر كانت لديها "مشاكل هائلة" مع "الإرهابيين" قبل أن "يقضي عليهم" السيسي.

وكانت الحقائق أقل إرضاءً. وكان عدد المصريين الذين يُقتلون كل عام بسبب التفجيرات أو عمليات إطلاق النار التي ينفذها متشددون إسلاميون قد تصاعد بشكل حاد في عهد السيسي، سواء بالمقارنة مع انتخابات مرسي الوحيدة.

سنة في منصبه أو مع سنوات مبارك الأخيرة. ومن المفترض أن ترامب كان يقصد بكلمة "الإرهابيين" الإخوان المسلمين، الذين دفعهم السيسي بالفعل إلى العمل تحت الأرض (رغم أنه لم يتم القضاء عليهم). لكن ترامب كان واضحا بما فيه الكفاية. كان السيسي رجلاً قوياً، وهو من النوع الذي كان معجباً به.

"سنكون أصدقاء لفترة طويلة جدًا"

واختتم ترامب كلامه بعد اجتماعهما في البيت الأبيض.

كان حكام المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة سعداء بترامب تمامًا كما كان السيسي. استضافه أفراد العائلة المالكة السعودية في الرياض، وسلموه سيفًا، ورقصوا جنبًا إلى جنب. وقف الملك سلمان والسيسي وترامب معًا في مركز سعودي لمكافحة الإرهاب وأيديهم على كرة بيضاء متوهجة ليس لها غرض واضح. زار الأمير محمد بن سلمان، الابن المفضل للملك والمستشار المهيمن، البيت الأبيض ووصف ترامب بأنه "صديق حقيقي للمسلمين".

لماذا اتفق ترامب والمستبدون العرب؟ كان ترامب قد اختار الجنرال جيمس ماتيس وزيراً للدفاع والجنرال مايك فلين كأول مستشار له للأمن القومي، وكلاهما من المؤيدين المتحمسين للجنرال السيسي وأعداء لدودين لجماعة الإخوان المسلمين. أصبح السفير العتيبة من دولة الإمارات العربية المتحدة –برو-طيبة –بمثابة مدرس في الشؤون الإقليمية لجاريد كوشنر، صهر ترامب ومستشار الشرق الأوسط. ربما وجد ترامب والمستبدون العرب أسبابًا للتغاضي عن خوفه من المسلمين.

ومع ذلك، تساءلت عما إذا كان خوف ترامب من المسلمين لا يشكل عائقًا على الإطلاق. لقد كان جزءًا من السند. كان فلين معجباً بالسيسي على وجه التحديد لأنه كان مسلماً «علمانياً جداً» أو «معتدلاً». وكان من الصالحين وليس كغيره. في بعض النواحي، بدا أن السيسي والمستبدين العرب متفقون على أن مواطنيهم المسلمين كانوا "متخلفين" للغاية بحيث لا يستطيعون حكم أنفسهم. المصريون يتخلفون عن الأوروبيين الغربيين بسبب "الفجوة الحضارية"، كما قال السيسي لمجلة ألمانية في عام 2015، في محاولة لشرح ضرورة عمليات القتل في رابعة. واعتبر الأصدقاء المصريون هذا التحيز أمرا مفروغا منه: فالطغاة العرب مثل السيسي كانوا دائما يلجأون إلى نوع من التعصب الغربي. إن الحقوق التي اعتبرها الغربيون عالمية في الداخل لا يمكن أن تنطبق على العرب، لأن الناس والثقافة مختلفان جوهريا.

بحلول عام ،2016 بدا الأمل في التغيير الديمقراطي في العالم العربي وكأنه خدعة قاسية. وكان من السهل أن ننسى أن ثورات عام 2011 خلقت انفتاحاً حقيقياً، وأن جنرالات مصر كانوا يخشون لفترة من الوقت الرفض الشعبي، أو أن تونس أكملت التداول السلمي للسلطة. لقد نشرت الانتفاضات المزيد من الفوضى والعنف في جميع أنحاء المنطقة أكثر من أي وقت مضى منذ نهاية الحرب العالمية الأولى. ومزقت الحرب الأهلية ليبيا واليمن وسوريا والعراق؛ ولم تتمكن البحرين من الحفاظ على تماسكها إلا بالقوة العسكرية السعودية. لقد تحول النضال من أجل الديمقراطية إلى نزاعات طائفية. وتم تجنيد الخصوم المحليين كبيادق في حروب بالوكالة بين المملكة العربية السعودية وإيران، أو بين الإمارات العربية المتحدة وقطر، وهما حليفان صغيران غنيان لأميركا في نزاع عائلي غريب.

وكان زعماء تنظيم القاعدة قد شعروا بالقلق في عام 2011 من تلك الحركات
وكانت الديمقراطية تعلو على جهادهم، وتقدم للمسلمين ما أسماه أسامة بن لادن "أنصاف التدابير". لكن الجهاديين عادوا بقوة بعد التحول مرة أخرى إلى الاستبداد. لقد انسحبت أميركا مرة أخرى إلى الحرب في العراق للمرة الثالثة خلال ربع قرن.

وتدفق اللاجئون من الصراعات العربية باتجاه الغرب وأثاروا ردود فعل قومية عنيفة. وليس من قبيل المبالغة القول إن الاضطرابات التي اندلعت في مختلف أنحاء العالم العربي ساعدت في انتخاب ترامب رئيسا وإخافة بريطانيا للخروج من الاتحاد الأوروبي.

لقد صادف وجودي في واشنطن في الذكرى السنوية الخامسة لـ
الانتفاضة المصرية، 25 يناير .2016 تحدث توم دونيلون، مستشار أوباما للأمن القومي منذ بداية الانتفاضة وحتى نهاية الأسبوع بعد الانقلاب، في منتدى عام استضافته مجلة بوليتيكو . ماذا حدث للربيع العربي؟ كان السؤال الأول الذي طرح عليه.

وقال دونيلون: "لقد كان الأمر سلبياً بالنسبة لشعوب الشرق الأوسط، وكان سلبياً بالنسبة لأمن الولايات المتحدة". لقد رأيتم انهيار نظام الدولة في العالم العربي الإسلامي". فكرت في تحذيرات السيسي من "انهيار الدولة"، فرأيت الرؤوس تومئ برأسها

أنا.

الاستنتاج الذي استقر في واشنطن هو أن شعوب المنطقة كان من الممكن أن تكون أفضل حالاً لو أنها لم تنتفض قط.
لقد فشل العرب في الديمقراطية؛ ربما كانوا يفضلون الرجال الأقوياء.

وعلينا أن نشكر السيسي على استعادة النظام. وعلينا أن نقنعه بفتح الاقتصاد المصري (توصية واشنطن الدائمة). ويتعين علينا أن نستمر في إرسال 1.3مليار دولار سنويا بطائرات أباتشي وطائرات إف 16لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية في سيناء (وكأن استيلاء السيسي على السلطة في حد ذاته لم يشعل التمرد). كان الإسلام السياسي –سواء داعش أو الإخوان المسلمين –يشكل تهديدًا للغرب، وكان السيسي حصنًا ضده. لقد كان "شريكاً طبيعياً"

قال دينيس روس، الدبلوماسي المخضرم في الشرق الأوسط الذي وقف إلى جانب أوباما خلال مكالمته الأخيرة مع مبارك، في مقالته الافتتاحية في صحيفة نيويورك تايمز : "الإسلاميون ليسوا أصدقاءنا".

"إن الطريقة الوحيدة لدعم نضوج مصر كدولة ذات
المجتمع المدني مع الديمقراطية هو دعم الرئيس السيسي".
وجادل الجنرال ماتيس في أبريل/نيسان ،2016في خطاب ألقاه في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية (الذي تلقى تمويلاً كبيراً من الإماراتيين). وقبل ثلاث سنوات، قال ماتيس إن المصريين عزلوا مرسي بسبب "قيادته المستبدة". والآن قال ماتيس إنه مع محاولة السيسي "تقليل كمية السلبيات المتعلقة بالدين الإسلامي، أعتقد أن الوقت قد حان بالنسبة لنا لدعمه والوقوف إلى جانبنا في هذا الأمر".

لكن ستة أعوام أمضيتها في مصر أقنعتني بأن الانتفاضات لم تكن مصدر الفوضى. كان النظام القديم ينهار بشكل واضح منذ لحظة وصولي إلى القاهرة، وقبل وقت طويل من وصول أول متظاهر إلى ميدان التحرير. لقد بدا واضحًا في عام 2011-وأكثر وضوحًا في عام -2018أن فشل نظام الدولة العربية كان سبب الانتفاضة، وليس نتيجتها. كانت الأنظمة الاستبدادية القديمة هشة كما كان يخشى حكامها، لكن ذلك كان بسبب اعتمادها على الفساد والإكراه مما أدى إلى إفراغها من هيئتها. لذا، لا شيء أكثر سذاجة من الاعتقاد بأن وضع وجه جندي مختلف أمام نظام استبدادي متجدد من شأنه أن يسفر عن نتيجة أكثر استقرارا. لقد قدمت الثلاثين شهراً من الخطوات غير الكاملة نحو الديمقراطية في مصر فرصة على الأقل لإيجاد بديل.

ويقول الكثير من المصريين الآن إن نضالهم محكوم عليه بالفشل
البداية. ومن الغريب أن العيش في ظل الفشل الذريع والمأساوي للانتفاضة أقنعني بالعكس: فالمصريون لديهم نفس القدر من الإمكانات التي يتمتع بها أي شعب للوفاء بوعود الحرية والديمقراطية التي أعادت ميدان التحرير إلى الحياة. شاهدت الآلاف

ضحوا بحياتهم من أجل بناء مصر أكثر عدلا وحرية. إن تضحياتهم ليست أقل إلهاما لأنهم هُزِموا. لقد عملوا تحت وطأة أكثر من ستة عقود من المخاوف والاستياء التي لم يتم حلها، ضد زمر قوية مثل القضاة والجنرالات الذين ما زالوا منغمسين بعمق في الوضع الراهن القديم. وعلى مدى تلك الأشهر الثلاثين، وهي فترة أطول مما يحق لأي شخص أن يتوقع، تمكن المصريون رغم ذلك من صد المحاولات المتكررة لاستعادة هذا النظام القديم.

انتخب المصريون رئيسا من جماعة الإخوان المسلمين، و
ولم يحدث الاستيلاء الثيوقراطي المخيف. ربما كان مرسي هاوياً من الدرجة الثانية للرئيس، لكنه بدا لبعض الوقت وكأنه قد يظل في منصبه لفترة كافية حتى يُصوت لصالح خروجه من منصبه، مثل الإسلاميين في تونس. ولم يكن مرسي مخطئا عندما اشتبه في العداء من جانب الدولة العميقة. ولم يكن مخطئًا في قلقه من أن السعوديين والإماراتيين يسعون إلى تقويضه، أو من أن الكثيرين في واشنطن سيكونون سعداء برحيله. لقد أخطأ مرسي عندما وثق بالسيسي.

ولم يكن الليبراليون مثل البرادعي مخطئين عندما خشيوا أن يستسلم زعماء الإخوان المسلمين للتشبث بالسلطة. ولم يكن المتظاهرون خارج قصر مرسي مخطئين عندما أعربوا عن قلقهم من أن وزارة الداخلية لا تزال سليمة، ومسيئة، ومهددة. لكن البرادعي والمتظاهرين ارتكبوا نفس الخطأ. لقد وثقوا بالسيسي. لقد منحوا مصداقيتهم للانقلاب الذي دمر الشيء الذي قالوا إنهم يدافعون عنه: فرصة بناء ديمقراطية ليبرالية. ترك المدنيون مخاوفهم تفرقهم، وكان الجنرالات مستعدين وينتظرون.

في صباح يوم انتخاب ترامب، التقيت صديقي حسام بهجت لتناول القهوة في الزمالك. كان في السابعة والثلاثين من عمره، لكنه لا يزال يبدو وكأنه طالب دراسات عليا. كان حليق الذقن، وشعره مقصوصًا ويرتدي نظارة بيضاوية الشكل، ويحمل حقيبة جلدية مليئة بالكتب والصحف المتدلية على كتفه.

قبل خمسة عشر عامًا، عندما كان في الثانية والعشرين من عمره، أسس بهجت ما أصبح أهم منظمة لحقوق الإنسان في مصر، وهي المبادرة المصرية للحقوق الشخصية. لقد فعل أكثر من أي شخص آخر لتوثيق الجوانب المظلمة للاستبداد –التعذيب، وإساءة معاملة الشرطة، والتمييز الجنسي، ورهاب المثلية، والطائفية، والفساد. بالنسبة لجيل من الصحفيين والدبلوماسيين الغربيين، كان بهجت موردًا لا غنى عنه.

كلما جاء أحد كبار مسؤولي الشركة إلى القاهرة، كان أول شيء نفعله جميعًا هو تحديد موعد للقاء مع بهجت. ثم سقط مبارك، وانفتحت وسائل الإعلام، وأعاد بهجت تقديم نفسه باعتباره أهم صحفي استقصائي في مصر. كتب ثم قام بتحرير المنشور الإلكتروني ذي التوجه اليساري مدى مصر (نطاق مصر، على الرغم من أن مدى يمكن أن يعني أيضًا ترصيع الحجر الكريم). اعتقدت أن بهجت كان من أذكى الأشخاص الذين قابلتهم في حياتي، ومن أشجعهم.

لقد أفلت من الاعتقال بأعجوبة مرتين على الأقل منذ أن تولى السيسي السلطة. وفي أكتوبر/تشرين الأول 2014، تلقى بلاغاً بأن الشرطة قادمة لملاحقته. واستقل الرحلة التالية إلى نيويورك، حيث قبل زمالة في كلية كولومبيا للصحافة. لكن بهجت كان يحب مصر. كما أنه كان يكره الطقس البارد. لذا، بعد مرور عام، أقنع نفسه بأن القاهرة آمنة بما يكفي للعودة.

استدعته المخابرات العسكرية للاستجواب في نوفمبر/تشرين الثاني 2015 بشأن شيء كتبه. احتجزه الضباط في مقرهم، وحالما علمت بالأمر، كتبت مقالاً لموقع صحيفة نيويورك تايمز بأسرع ما يمكن. وأعربت وزارة الخارجية عن قلقها بشأن سيادة القانون وحرية التعبير. أصدر الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون نداء شخصياً. وبعد ليلتين خرج بهجت.

اعتقدت أن "ماما أمريكا" لا تزال تتمتع ببعض النفوذ.

لكن المخابرات كانت تنتظر وقتها فقط. في أوائل عام 2016، فتح الادعاء قضية جنائية ضد بهجت بتهمة قبول مساهمات أجنبية غير مصرح بها في المجموعة الحقوقية التي أسسها. تم منعه من السفر وتم تجميد أصوله (إلى جانب أصول العديد من الأشخاص الآخرين). بدأت سلسلة طويلة من جلسات الاستماع.

ثم فاز ترامب في الانتخابات. "الآن سأذهب بالتأكيد إلى السجن"
مازحني بهجت في رسالة نصية ذلك الصباح.
لم يكن يكن حباً كبيراً لهيلاري كلينتون؛ بهجت فضل بيرني
ساندرز. لكن كلانا كان يعلم أن ترامب لم يُظهِر أي صبر تجاه حقوق الإنسان في الداخل، ناهيك عن مصر. ولم يكن على وشك الضغط على السيسي لإطلاق سراح شخص مثل بهجت.

استمرت محاكمة بهجت حتى عام 2017، وحافظ على وجهه الشجاع.
أخبرني أنه بمرور الوقت وجد شيئًا يعجبه في ترامب. وفكر بهجت: هنا رئيس أمريكي صنع

أفراد عائلته كبار مستشاري البيت الأبيض. لقد روج لنظريات المؤامرة، ووصف المنتقدين بالخيانة، وقام بتخويف وسائل الإعلام. لقد كذب مع الإفلات من العقاب. كان يحتقر العادات القانونية والعملية البرلمانية. قام بطرد أحد كبار مسؤولي إنفاذ القانون الذي هددته تحقيقاته. وبدأ الأميركيون من اليسار واليمين يتحدثون عن «دولة عميقة» خاصة بهم ــحكومة دائمة إما أحبطت أوباما أو أحبطت ترامب، اعتمادا على من كان يتحدث.

لقد كانت واشنطن في حيرة من أمرها بشأن سبب تصرف المصريين بشكل مختلف عما فعلناه. ظن بهجت أننا بدأنا نتصرف بطريقة مصرية صغيرة. وكتب بهجت على تويتر في ربيع عام 2017: "أمريكا. عالم ثالث لذيذ جدًا".

شكر وتقدير

م

لقد خاطرت آي الشيخ بحياتها، وتحدت التهديدات والإهانات من مواطنيها المصريين، وعملت على مدار الساعة لأكثر من عامين -كل ذلك لمحاولة قول الحقيقة حول ما كان يحدث في بلدها. وكنت مستفيدًا عرضيًا من جهودها، وكذلك كان قراء صحيفة نيويورك تايمز. أثناء كتابة هذا الكتاب، قامت بالتشاور بشأن تخطيطه، وملأت الثغرات في التقارير، وقدمت تعليقات قيمة على المسودات المبكرة للفصول. إن امتناني لها لا يتوقف، وآمل أن تكتب يومًا ما كتابًا خاصًا بها عن كل ما شهدته.

كان أنتوني شديد مديراً لمكتب التايمز في بيروت عام 2011. وهرع إلى القاهرة للمساعدة في تغطية اعتصام ميدان التحرير، ولم أعرفه إلا لمدة ثلاثة عشر شهراً فقط، حتى وفاته في 16 فبراير/شباط 2012، وهو يغطي الانتفاضة في مصر. سوريا. لقد كان أعظم مراسل دولي لجيلنا الذي يعمل في المنطقة، وقد علمني الكثير. كان لأنطوني موهبة خاصة في ترجمة الشعر بأصوات العرب العاديين، وقد بذلت قصارى جهدي لأقتدي بتعاطفه الاستثنائي. أتمنى أن أقرأ الكتاب الذي كان سيكتبه.

إن الالتزام الذي لا مثيل له بالتقارير الدولية من قبل صحيفة نيويورك تايمز وعائلة سولزبيرجر جعل هذا الكتاب ممكنًا. وأنا ممتن بشكل خاص للدعم والبصيرة والصداقة التي قدمها مايكل سلاكمان -سلفي في القاهرة، ومحرري خلال الربيع العربي، ورئيس المكتب الدولي بحلول عام 2018. كما أنني مدين بالشكر للعديد من الآخرين: دين باكيه، وجو كان. وسوزان تشيرا، وبيل كيلر، وجيل أبرامسون (الذي أظن أنه ساعد في إقناع المكتب الدولي بإرسالي إلى القاهرة)، وجيم ياردلي. قام بيل شميدت بالترتيب لعائلتي خلال عملية الإخلاء الأولى؛ جانيت إلدر، التي توفيت العام الماضي، اعتنت بالثانية. لقد استفدت من

الحكمة والصبر الذي يتمتع به عدد أكبر من المحررين والمحررين الموجودين على المكتب أكثر مما يمكنني ذكره هنا.

أنا ممتن للتعاون والصداقة الحميمة مع العديد من الجدد

زملاء يورك تايمز في هذا المجال، ومن بينهم كريم فهيم، وبن هوبارد، وديكلان والش، وآن برنارد، ونيل ماكفاركوهار، ورود نوردلاند، وروبرت وورث، وليام ستاك، ومنى النجار، ونور يوسف، وروبرت ماكي، وآخرون. خارج التايمز، أنا ممتن للصداقة التي تربطني في القاهرة بالصحفيين باتريك كينجسلي، إدموند بلير، أمينة إسماعيل، ليلى فاضل، أبيجيل هوسلوهنر، هبة صالح، ماكس رودنبيك، ماجي مايكلز، لويزا لوفلوك، مات برادلي، ثاناسيس كامبانيس وآخرين. . كما أدين بالشكر العميق للموظفين المصريين في مكتب التايمز القاهرة. وطلبوا عدم ذكر أسمائهم حفاظا على سلامتهم.

قدمت نور يوسف مقدمات قيمة وقدمت استشارات ثاقبة أثناء تأليف هذا الكتاب. كما طلب اثنان من المترجمين الذين عملوا معي عدم ذكر أسمائهم لتجنب الانتقام.

أنا مدين بالشكر للكثيرين على أماكن الإقامة أثناء البحث و

الكتابة: سيمون كيتشن وكريمة زين العابدين، وأندريه وآني هيوستن، وجاريد وشاي هاردنر، وكاثي برادفورد، وسوزان وبيتر برادفورد، ووالداي، نانسي ودوغلاس كيركباتريك.

قدم المعهد الملكي للخدمات المتحدة قاعدة في لندن

وقام مركز وودرو ويلسون بتوفير مساحة مكتبية في واشنطن. شارك كل من ستيفن كوك، وحازم قنديل، وخالد فهمي، وميشيل دن، وناثان براون، ومايكل حنا، وآيمي هوثورن، وأندرو ميلر، ودانييل بنيم، وتمارا كوفمان ويتس، وصامويل تادروس، ومختار عوض، وبريان كاتوليس، وجون ألترمان، بوقتهم ومشاوراتهم.

وكيل أعمالي، إليز تشيني، انتزع مني عرضًا بطول كتاب والذي ظل بمثابة المخطط لهذا الكتاب. كانت ويندي وولف في فايكنغ رائعة وملتزمة ولا ترحم، وهو كل ما يمكن لأي مؤلف أن يأمل فيه. تم تحرير جين كافولينا بعيون النسر.

قرأت ريبيكا كوربيت المسودات المبكرة لكل فصل (بالإضافة إلى بعض المسودات التي ماتت على طول الطريق) ونصحتني بشأن بنيتها. لست متأكدًا من أنه كان بإمكاني إنهاء الكتاب بدونها. قامت Ruth Feycechبتعديل السطر الإضافي في النهاية. والدي دوغلاس

قاطع كيركباتريك تقاعده لإعداد الصفحات قيد المعالجة. أرييل كامينر، صديقتي ومحررتي لأكثر من ربع قرن، قدمت اقتراحات قيمة في عدة أماكن ودعمتني بحماسها. باتريك كينجسلي، الذي غطى القاهرة لصحيفة الغارديان في عام 2013ويعمل الآن لصحيفة التايمز، قرأ المخطوطة التي كانت على وشك الانتهاء وساعد في إصلاح العديد من التفاصيل. كما قدم ميتيك بودوسزينسكي، عالم السياسة الذي كان دبلوماسيًا أمريكيًا في المنطقة خلال الربيع العربي، تعليقات مفيدة أيضًا.

كثيرون ممن عايشوا الأحداث قدموا نصائح أو تصويبات على أجزاء من النص: حسام بهجت، مؤسس المبادرة المصرية للحقوق الشخصية، وعماد شاهين، محرر موسوعة أكسفورد للإسلام السياسي، قرأ كل منهما أجزاء كبيرة.

Mozn Hassan, Mohamed Soltan, Suliman Ali Zway, and Moises Salman read portions.
Wael Eskandar, Mina Thabet, Wael Haddara, Shadi Hamid, Nour Youssef,

ولا يتحمل أي منهم أي مسؤولية عن أي عيوب في ذلك
عمل. أي استنتاجات أو أخطاء أو أخطاء تخصني وحدي.
أبنائي توماس، البالغ من العمر الآن اثني عشر عامًا، وإيميت، البالغ من العمر تسعة أعوام الآن، هما أبطال: أعجوبة المرونة والتصميم. لم يلهموني فقط؛ لقد أزعجوني أيضًا للعودة إلى لوحة المفاتيح. "أبي، عليك إنهاء الكتاب!"

أعظم دين لدي هو لورا برادفورد. أنا ممتن لأنها تزوجتني قبل خمسة عشر عاما، ممتنة لأنها انتقلت معي إلى القاهرة، وممتنة لرؤاها ومساهماتها كشريك في كل ما ساهم في تأليف هذا الكتاب. لقد أجبرتها على تحمل عبء الأبوة بمفردها في كثير من الأحيان. من يستطيع أن ينسى رحلتي في عطلة نهاية الأسبوع إلى ليبيا والتي استمرت لمدة شهرين، أو السنة التي قضيت فيها عيد ميلادك في تغطية أعمال الشغب في القاهرة؟ ولكنه صحيح اليوم كما كان يوم التقينا: أفضل أن أنظر إليك بدلاً من كل الصور الموجودة في العالم.

ملحوظات

ت

كانت مصادر المعلومات الرئيسية لهذا الكتاب هي تجاربي الشخصية ومقابلاتي. العديد ممن أجريت معهم مقابلات يتحدثون عن أنفسهم في النص، لذلك لم أذكرهم هنا.

وتحدث آخرون –معظمهم من المسؤولين الحاليين والسابقين في واشنطن أو المنشقين السياسيين في مصر –بشرط عدم الكشف عن هويتهم لتجنب الأعمال الانتقامية من نوع أو آخر. وعندما اعتمدت على مصادر لم يكشف عنها، فقد تأكدت من رواياتهم مع واحد أو أكثر من الآخرين حيثما كان ذلك ممكنا.

لقد كتبت هذا الكتاب جزئيًا للإجابة على الأسئلة التي أزعجتني
نهاية فترة عملي كرئيس لمكتب القاهرة، وللقيام بذلك تابعت إعداد تقارير إضافية في كل من مصر وواشنطن. ولكنني أيضاً استفدت على نطاق واسع من تقاريري في صحيفة نيويورك تايمز: المقالات المنشورة، وصناديق الدفاتر، والميجابايت من الملفات الرقمية، وساعات من التسجيلات الصوتية التي تم إنتاجها أثناء عملي في الصحيفة. عندما اعتمدت على تقارير محددة من قبل صحفيين آخرين، حاولت الاعتراف بذلك في النص.

هذه الملاحظات مخصصة للقراء المهتمين بشكل خاص بمصر أو العالم العربي أو السياسة الخارجية
الأمريكية. لقد قمت بإدراج كتب أو مقالات مختارة اعتمدت عليها للحصول على خلفية تاريخية أو سياق تاريخي، وقدمت أسماء أو تفاصيل قمت بإزالتها من النص لتجنب إثقال كاهل القارئ العام. وفي أماكن قليلة، تناولت أيضًا مناقشات تهم في المقام الأول أولئك الذين عايشوا هذه الأحداث أو درسوها. في ترجمة الأسماء العربية، لم أتبع أي قاعدة ثابتة. حاولت استخدام التهجئة المفضلة للموضوع، التهجئة الإنجليزية الأكثر شيوعًا، أو التهجئة في صحيفة نيويورك تايمز، لسهولة الرجوع إلى أرشيفاتها.

1من شرب الماء:

لقد واجهت لأول مرة الحقيقة البديهية القائلة بأن الأنهار شكلت ثقافات مصر والعراق في الليل تقترب بالقرب من أنتوني شديد (نيويورك: هنري هولت وشركاه، .(2005ومن الكتب الرائعة عن المدينة كتاب "القاهرة: المدينة المنتصرة" بقلم ماكس رودنبيك (لندن: بيكادور، .(1998

اعتمدت على روايتين مباشرتين عن سد أسوان وأزمة السويس من منظور مصري: وثائق القاهرة (جاردن سيتي، نيويورك: دوبليداي، (1971وقص حكاية الأسد (نيويورك: أربور هاوس، ،(1987وكلاهما بقلم محمد. هيكل. لقد استخدمت كتاب "أيزنهاور "1956لديفيد أ. نيكولز (نيويورك: سيمون وشوستر، (2011كمرجع للدور الأمريكي. واستفدت أيضًا من كتاب المعونة الاقتصادية والسياسة الأمريكية تجاه مصر، ،1981-1955بقلم ويليام ج. بيرنز (ألباني: مطبعة جامعة نيويورك الحكومية، ،(1985الذي يظهر في هذه الصفحات كدبلوماسي.

وفي عام ،2017بدأ استيراد الأدوية الغربية الجديدة مؤخرًا في خفض انتشار التهاب الكبد الوبائي سي.

:2مدينة التناقضات المدون في إفطار السفارة الأمريكية هو وائل عباس؛ عالمة السياسة مي قاسم. تم إنقاذ الكاتب الصحفي المحكوم عليه بالسجن، إبراهيم عيسى، من السجن بموجب عفو رئاسي.

بعض المعلومات عن أحمد عز تأتي من محادثاتي معه بعد ذلك
إطلاق سراحه من السجن.
هناك تاريخان ممتازان ومختلفان للغاية عن مصر الحديثة، وقد اطلعت عليهما، وهما
الكفاح من أجل مصر بقلم ستيفن أ. كوك (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، (2012وجنود وجواسيس ورجال دولة بقلم حازم قنديل (لندن: فيرسو، .(2012
للحصول على خلفية عن نهج إدارة أوباما تجاه العالم العربي قبل الربيع العربي، يمكن أن تكون نقطة البداية المفيدة هي كتاب Obamians Theبقلم جيمس مان (نيويورك: .(Viking Penguin، 2012

أخبرني ثلاثة أشخاص مختلفين بأجندات وأيديولوجيات مختلفة تمامًا ولكن جميعهم لديهم معرفة مباشرة بشكل مستقل عن تحذيرات السيسي للجنرالات في عام :2010محمد هيكل، داعية عبد الناصر وعميد المعلقين السياسيين المصريين؛ وحسن نافعة، أستاذ العلوم السياسية الليبرالية بجامعة القاهرة؛ وياسر رزق، صحفي مصري مقرب من السيسي. ويتمتع نافع بمصداقية خاصة في هذا الشأن لأنه ينتقد السيسي بشدة. سمع هيكل ونفاع رواية تقييم السيسي من مجموعات من الجنرالات، بما في ذلك السيسي نفسه، في عام ،2011كما سأروي لاحقًا في الكتاب.

وأخبرني هيكل، الذي أصبح مستشاراً للسيسي، أن السيسي سأل الجنرالات: «هل نحن؟ وكان هو الذي تقدم إلى الجيش · مستعد؟ كيف نرد على هذا السؤال؟ . وأنهم لا ينبغي أن يدعموا مبارك".

سمعت العبارة التي لا تُنسى "الانحدار الذي لا رجعة فيه" من باراج خانا، وهو عالم علاقات دولية.

وقدم تقرير التنمية البشرية في مصر لعام ،2010الذي رعاه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي جزئيا، إحصاءات عن الفقر في مصر. بعض الإحصائيات المصرية الرسمية جمعها الصحفي محمد أبو الغيط في صحيفة المصري اليوم.

رواية نجيب محفوظ هنا هي قصر الرغبة، المجلد الثاني من ثلاثية القاهرة، التي نشرت لأول مرة باللغة العربية عام .1957قرأت الترجمة الإنجليزية التي نشرتها الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام .1991

لقد اعتمدت على "إحصاء الإسلام" بقلم طارق مسعود (نيويورك: مطبعة جامعة كامبريدج، (2014لتأملاته الممتازة في مصر عام ،2010بما في ذلك تقييمات عز. أنا أكون

وذلك بعد الاستخدام العام لـ"إجماع واشنطن" ليعني مجموعة من الوصفات للأسواق الحرة والخصخصة -وهو ما يسميه النقاد بالليبرالية الجديدة.

وكشف السيسي عن تفاصيل حول حجم الرواتب العامة في خطاباته، وظهرت بعض المقارنات هنا لأول مرة في كتاب "ثورة مصر الفاشلة" بقلم بيتر هيسلر، في عدد 2يناير 2017من مجلة نيويوركر.

بالنسبة لتاريخ الولايات المتحدة ومصر، كانت المصادر المهمة هي وثائق القاهرة، وقص حكاية الأسد، والقنوات السرية (لندن: هاربر كولينز، ،(1996لهيكل أيضًا؛ تحرير مصر: فلسفة الثورة بقلم جمال عبد الناصر (واشنطن العاصمة: مطبعة الشؤون العامة، ؛(1956بحثاً عن الهوية بقلم أنور السادات (نيويورك: هاربر ورو، ؛(1977ثلاثة عشر يومًا في سبتمبر بقلم لورانس رايت (نيويورك: ألفريد أ. كنوبف، ؛(2014أيزنهاور 1956بقلم نيكولز؛ الكفاح من أجل مصر بقلم كوك؛ والأهم من ذلك كله، الجنود والجواسيس ورجال الدولة بقلم قنديل. لقد رسمت بشكل كبير على قنديل.

وتضاربت الروايات حول تفاصيل اتصالات الضباط الأحرار
مع الأميركيين قبل انطلاق انقلاب ،1952لكن ليس هناك شك في أن التواصل قد حدث، وكان الضباط الأحرار يعتقدون بشكل صحيح أن بإمكانهم تجنيد الولايات المتحدة إلى جانبهم. لقد وثق جنود وجواسيس ورجال دولة قنديل تودد السادات لهنري كيسنجر. قال السادات إن الولايات المتحدة "تمتلك 99بالمائة من الأوراق" خلال مقابلة أجريت معه في مارس/آذار 1977على تلفزيون سي بي إس، وكثيرا ما كان يكرر هذه العبارة، كما أشارت صحيفة واشنطن بوست في نعيها في 7أكتوبر/تشرين الأول .1981روى لي ميتيك بودوسزينسكي، وهو دبلوماسي سمع ذلك.

وتم نقل هشام طلعت مصطفى من السجن إلى المستشفى لأسباب صحية
بعد ثلاث سنوات. حصل على عفو كامل من الرئيس السيسي عام .2017

:3يوم الشرطة أفضل رواية عن انتحار بائع الفاكهة المتجول، "صفعة لكبرياء رجل تثير اضطرابات في تونس"، نُشرت في عدد 22يناير 2011من صحيفة نيويورك تايمز بقلم كريم فهيم.

المنظم الذي قال لي "دائما نبدأ من النخبة" هو إسلام لطفي. بالإضافة إلى تقارير فهيم في الوقت الحقيقي، فإن هذه الرواية عن يوم 25يناير/كانون الثاني مبنية على مقابلات مع العديد من المنظمين وغيرهم ممن شاركوا في المسيرة في ذلك اليوم. وكانت سندس عاصم إحدى سيدات الإخوان اللاتي اعتقدن أنهن أول من وصل إلى الميدان مع والدتها، النائبة السابقة في جماعة الإخوان. لقد عدت إلى القاهرة بحلول صباح يوم 26يناير.

وليد راشد، الذي توقع الثورة صباح 28يناير، استسلم
السياسة لتأسيس وبيع شركة مراسلة عبر الإنترنت. آخر مرة تحدثنا فيها، أثناء احتساء القهوة، في عام ،2016كان مرشدًا في "حاضنة" للشركات الناشئة وكان يؤسس شركة ثانية.

عدد مراكز الشرطة والسيارات التي تم حرقها في 28يناير/كانون الثاني ،2011والحساب الداخلي لوسائل الإعلام الحكومية، يأتي من التحرير: آخر 18يومًا من مبارك بقلم عبد اللطيف المناوي (لندن: دار جلجامش للنشر، .(2012وكان المناوي رئيسا لقسم الأخبار في وسائل الإعلام الحكومية في ذلك الوقت.

تحدث مايكل موريل، المدير السابق بالإنابة لوكالة الاستخبارات المركزية، عن تلك الفترة في مذكراته بعنوان « الحرب العظمى في عصرنا» (نيويورك: اثني عشر، .(2015 الواجب: مذكرات وزير في الحرب بقلم روبرت إم جيتس (نيويورك: ألفريد أ. كنوبف، (2014تحدد السرد المقبول تقليديًا لمناقشات البيت الأبيض حول الانتفاضة. ويقول خصومه في تلك المناظرة إنه أخطأ في صياغة حججهم. لقد جادلوا جزئيًا بذلك

وكان حكم مبارك غير قابل للاستمرار بغض النظر عن الموقف الأميركي. تعكس الرواية هنا مقابلات مع أكثر من عشرة أشخاص مشاركين في جميع جوانب هذا النقاش.
الصحفي الذي زين شقتها بالكتابات الثورية كان ويندل ستيفنسون من نيويوركر. لقد اعتمدت على الثورة 2.0 لوائل غنيم (نيويورك: هوتون ميفلين هاركورت، 2012) وعلى تأمل كتبه في 21 مارس/آذار 2018 على موقع "ميديوم". لقد أجريت معه مقابلة أيضًا في عام 2011 أيضًا.
"استشراق الانتفاضة المصرية" بقلم رباب المهدي، نُشر في 11 أبريل/نيسان 2011، في المجلة الإلكترونية "جدلية"، يشرح وجهات النظر الغربية حول الانتفاضة المصرية.

تم اقتباس إدوارد ووكر في The Ghost Plane بقلم ستيفن جراي (لندن: C. Hurst &

كو، 2006). لقد اعتمدت أيضًا على Alter Egos: هيلاري كلينتون، وباراك أوباما، وصراع الشفق على القوة الأمريكية بقلم زميلي مارك لاندلر (نيويورك: راندوم هاوس، 2016) والاختيارات الصعبة بقلم هيلاري كلينتون (نيويورك: سيمون وشوستر، 2014). (. يصف موريل قنواته الخلفية مع سليمان في الحرب العظمى في عصرنا.

4: "نحن لا نفعل ذلك بعد الآن"

ونظم العشاء مع المثقفين والصحفيين اللواء محمد العصار. ومن بين المواضيع التي تمت مناقشتها نصيحة الفريق السيسي للمجلس العسكري في عام 2010 حول احتمال اندلاع انتفاضة ضد خلافة جمال مبارك في عام 2011؛ وكما أشرنا سابقًا، وصف لي كل من حسن نافعة، وهو ليبرالي منتقد للجيش، وياسر رزق، وهو قومي مؤيد للجيش ومقرب من السيسي، بشكل مستقل وجبات العشاء والرسالة المتعلقة بالسيسي.

وقد ذكر دبلوماسيون أمريكيون لقب طنطاوي "كلب مبارك" في برقية عام 2008 التي نشرها موقع ويكيليكس.

عرفت عن ارتجالية لجنة صياغة الدستور واعتمادها على موقع برينستون الإلكتروني من أحد أعضاء اللجنة الذي تحدث بشرط عدم الكشف عن هويته. وقد أفاد ناثان جيه براون، أستاذ العلوم السياسية في جامعة جورج واشنطن والذي يدرس القضاء المصري، عن الاعتماد على الموقع أيضًا. وقد كتب أعضاء آخرون في اللجنة، وأبرزهم طارق البشري، عن أهدافها. واللواء المسؤول عن الشئون القانونية الذي أعلن تغيير القاعدة هو اللواء ممدوح شاهين.

ويعتبر بعض الليبراليين أو اليساريين المصريين أن لحظة الاستفتاء قد حانت
بداية النهاية للانتفاضة لأنها قلبت الإسلاميين وغير الإسلاميين ضد بعضهم البعض، مما أدى إلى تقسيم أولئك الذين يسعون إلى حكومة مدنية. وقام الإسلاميون بحملة من أجل الميثاق المؤقت المدعوم من الجيش على أمل الانتقال المبكر من الحكم العسكري. عارض بعض غير الإسلاميين الاستفتاء وسعوا إلى تأجيل الانتخابات لأنهم يعتقدون أن الإسلاميين لديهم السبق في التنظيم. يزعم أشرس المنتقدين الليبراليين للإخوان المسلمين أن دعم الاستفتاء يرقى إلى مستوى التعاون مع الجيش، ومبادلة دعم الإخوان بمزايا سياسية. ولكن كان من الواضح بالنسبة لي حتى في ذلك الوقت أن الإسلاميين كانوا يخشون الجنرالات. لقد سعت جماعة الإخوان المسلمين إلى إجراء انتخابات مبكرة لإخراج الجيش من السلطة في أسرع وقت ممكن، وليس للتعاون معه. وكان الإخوان المسلمون واثقين تماماً من شعبيتهم على المدى الطويل. ولم يروا أي ميزة انتخابية في الانتخابات المبكرة، لأنهم لم يخشوا أن يؤدي تأخير الانتخابات إلى السماح للآخرين باللحاق بالركب. معظم الدبلوماسيين والمحللين الذين تحدثت معهم يتفقون مع هذا الرأي.

ومن ناحية أخرى، يرى بعض الإخوان المسلمين أن بعض الليبراليين على الأقل كانوا كذلك
ولا يخافون فقط من الانتخابات المبكرة؛ لقد كانوا يخشون أي انتخابات لأنهم كانوا يعلمون أنهم سيخسرون. ولكن من السهل أن نفهم لماذا فضل غير الإسلاميين التأجيل دون اللجوء إلى مثل هذه النظريات، والعديد من الأشخاص الذين قاموا بحملات ضد الإسلام

واستمر الاستفتاء للتظاهر من أجل إنهاء سريع للحكم العسكري. ورغم أن الاستفتاء كان بمثابة الانقسام الأول في وحدة الانتفاضة؛ أنا لا أؤيد نظريات المؤامرة من أي من الجانبين.

وعن "خميس التنازلات"، كتب المناوي في التحرير: آخر 18 يومًا من حكم مبارك أن "تكتيك الإعلان عن التنازلات للجمهور مثل هذا، في اليوم السابق للاحتجاج، تم تبنيه على نطاق واسع طوال الأشهر التالية في مصر، من أجل للتخفيف من حجم وعدوانية التظاهرات المقبلة".

المرأة الشابة التي أقتبس عنها وهي تتجاهل الضابط الذي يطلب الرشوة كانت لارا الجبالي.
المصريون: تاريخ جذري لثورة مصر غير المكتملة بقلم جاك شينكر (نيويورك: نيو برس، 2016) يركز على نشاط العمال والطبقة العاملة خلال سنوات الانتفاضة.

لقد عمل المدون حسام الحملاوي ذات مرة كمساعد مراسل لصحيفة نيويورك تايمز في القاهرة، قبل وقت طويل من وصولي إلى هناك.

وفي إطار مغازلة أمريكية رفيعة المستوى للقادة العسكريين المصريين، التقت وزيرة الخارجية كلينتون ومستشار الأمن القومي دونيلون في واشنطن بالجنرال العسكري الذي تم تعيينه خلفًا لسليمان في منصب رئيس المخابرات، مراد موافي.

حول الهجوم على السفارة الإسرائيلية، أجريت مقابلات مع العديد من المسؤولين الأمريكيين، بما في ذلك ستيف سايمون، وليون بانيتا، ودانيال شابيرو، سفير الولايات المتحدة لدى إسرائيل آنذاك.
وكانت الصحفية المصرية هبة عفيفي تعمل معي لصحيفة نيويورك تايمز من خارج السفارة.

عدد الجهاديين الذين أفرج عنهم الجنرالات ظهر في كتاب "من أخرج الجهاديين؟"
بقلم حسام بهجت، منشور في موقع مدى مصر الإلكتروني بتاريخ 16 فبراير 2014.
ألقى أنصار الانقلاب العسكري في عام 2013 باللوم على مرسي زوراً في إطلاق سراحهم.

5: السيدة الأولى وحمالة الصدر الزرقاء

وقد استفاد هذا الفصل كثيرا من رؤى وتوجيهات نور يوسف ومي الشيخ. في كتابه الاستشراق (نيويورك: بانثيون، 1978)، كتب إدوارد سعيد مطولا عن الانشغال الغربي بالجنسانية العربية والدافع الغربي لتفسير السياسة العربية بمصطلحات جنسية (متوقعا "نظرية الكرات الزرقاء" للجهاد). وقد اتهم سعيد الباحث برنارد لويس بالتقليل من فكرة "الثورة" العربية من خلال مقارنتها، بلغة جنسية، بـ "نهضة" الجمل.

ومن بين المصادر الأخرى، اعتمدت هنا على سيرتين مهمتين. إحداهما هي درية شفيق: ناشطة نسوية مصرية، بقلم سينثيا نيلسون (القاهرة ونيويورك: مطبعة الجامعة الأمريكية في القاهرة، 1996). أما الكتاب الآخر فهو "صب الحجاب: حياة هدى شعراوي، أول نسوية في مصر"، بقلم سانيا شعراوي لانفرانشي (لندن: آي بي توريس وشركاه، 2015).

تم إجراء المسح الذي أجرته الأمم المتحدة لتقييم مدى انتشار تشويه الأعضاء التناسلية للإناث في عام 2015. ومن الآمن أن نقول إن المعدل كان مرتفعًا على الأقل في عام 2011. ويمكن الاطلاع على مزيد من المعلومات في كتاب "الجنس والقلعة: الحياة الحميمة في عالم عربي متغير" بقلم شيرين الفقي (لندن: تشاتو وويندوس، 2013).

قانون إيداع "عروس الصيف" نفذه وزير العدل أحمد الزند في عهد الرئيس السيسي. لقد قام بتحديث قانون نادرًا ما يتم تطبيقه والذي كان يتطلب في السابق مبلغًا رمزيًا صغيرًا فقط.

تعرفت على توفيق حامد من كتابه داخل الجهاد: كيف يعمل الإسلام الراديكالي،
لماذا ينبغي أن يخيفنا، وكيف نهزمه (ماونتن ليك بارك، ماريلاند: Mountain Lake Press، 2015). يحتوي الغلاف على دعاية مغالى فيها من السيناتور جون ماكين.
عملت ميرنا توماس لاحقًا كصحفية لفترة في صحيفة نيويورك تايمز.

وكانت الكاتبة لميس جابر تكتب في جريدة الوفد ، كما تحدث خالد عبد الله في التلفزيون.

:6فيلق طيبة

أنا ممتن لمينا ثابت، المتحدث السابق باسم اتحاد شباب ماسبيرو، ووائل إسكندر، الناشط والكاتب الليبرالي، لمساعدتهما وتعليقاتهما على هذا الفصل.
إن رواية مذبحة ماسبيرو هنا هي نتاج تقاريري الخاصة من مكان الحادث في تلك الليلة، ومقابلات مع أكثر من عشرة شهود على عمليات القتل أو المشاركين في المسيرة، ومراجعة لمقاطع الفيديو الضخمة.

ساعدني صموئيل تادرس، الباحث في واشنطن الذي يكتب عن مصر، في التواصل مع عوض بسيط، المحرر السابق لفيلق طيبة. قدم لي باسط منظورًا قيمًا، وساعدني في تعقب الكاهنين، وتطوع بالتوصل إلى استنتاج مفاده أن حياة المسيحيين المصريين كانت أفضل في عهد مرسي مما كانت عليه في عهد السيسي.

رواية أخرى مفيدة عن ليلة مذبحة ماسبيرو، بما في ذلك الادعاءات
ضد الأب فيلوباتير، موجود في فيلم "حدث ذات مرة" بقلم ثاناسيس كامبانيس (نيويورك: سيمون وشوستر، .(2015

واللواءان اللذان عقدا المؤتمر الصحفي هما عادل عمارة ومحمود حجازي.
وكان حجازي، الذي كان مرتبطا بالجنرال السيسي من خلال زواج أبنائهما، قد خلفه لاحقا في منصب رئيس المخابرات العسكرية ثم أصبح رئيسا للأركان العسكرية.

:7"كيف يمكن أن يحدث سقوط الدولة"

يرى العديد من الليبراليين المصريين أن جماعة الإخوان المسلمين تعاونت بشكل فعال مع الجنرالات من خلال تثبيط المواجهات المباشرة ضد الحكم العسكري بينما كانت الانتفاضة لا تزال تتمتع بالزخم. ولكن من غير الواضح ما إذا كانت المواجهة المباشرة في عام 2011 كانت لتؤدي إلى نتيجة مختلفة. لقد كان نهج الإخوان غير القائم على المواجهة نتيجة للتدرج التقليدي للجماعة. وربما كان ذلك يعكس أيضاً تقييماً موثوقاً، بل وصحيحاً، لقوة المؤسسة العسكرية. على أية حال، تبين أن نهاية القصة هنا تدور حول الصراع بين الجيش والإخوان المسلمين، وليس المؤامرة أو التعاون بينهما. في الغرب، سمعت في كثير من الأحيان مقولة مفادها أن الإخوان المسلمين تحركوا بسرعة أكبر مما ينبغي لتحدي الجنرالات، وهذا أمر خاطئ بالتأكيد.

وقاد اللواء محمد العصار وفداً إلى واشنطن في صيف عام ،2011و
وفي 25يوليو/تموز، قال أمام جمهور في معهد السلام الأمريكي إن "الإخوان المسلمين والسلفيين هم مكونات الشعب المصري" وبالتالي "لا يمكن تجاهلهم".
وأضاف: "لديهم الاستعداد للمشاركة في الحياة السياسية. . إنهم يتقاسمون بطرق جيدة.

أما بالنسبة لتفكير جماعة الإخوان المسلمين خلال هذه الفترة، فقد تحدث خيرت الشاطر، كبير الممولين والاستراتيجيين الرئيسيين للجماعة، علناً لعدة أشهر عن الخوف من "سيناريو الجزائر" -حيث أدى الفوز الساحق للإسلاميين في الانتخابات البرلمانية في الجزائر عام 1991إلى إثارة حالة من الفوضى. انقلاب مدعوم من الغرب وحرب أهلية استمرت عقدًا من الزمن وأدت إلى مقتل أكثر من مائتي ألف جزائري. وأدى القتال إلى ولادة الجماعة التي أصبحت فيما بعد تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي.

قمت بزيارة مكتب الشاطر في وقت قريب من تلك الاشتباكات في الشوارع، وأخبرني أحد مستشاريه أنه أثناء القتال كان الجنرالات يتحدثون عبر الهاتف كل يوم مع الشاطر،
وكانوا يجذبون الإخوان إلى الشوارع: هل ستنزلون بعد؟ هل ستنزل الآن؟

جدل الإسلام بعد إحياء السياسة العربية بقلم ناثان ج. براون (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، (2017يقدم تحليلاً ممتازًا للنقاش العام في مصر

خلال هذه الفترة. لقد جعلت الحرية ووسائل التواصل الاجتماعي من السهل أكثر من أي وقت مضى الجدال والشيطنة، لكن غياب العملية السياسية جعل الحل مستحيلا. وكانت النتيجة الانقسام والاستقطاب. وليس من المستغرب أن يخرج الخطاب عن نطاق السيطرة إذا لم يجد أي تأثير في نتائج السياسة.

أصدر المجلس الأعلى للقوات المسلحة بيانه رقم 69بتاريخ 22يوليو .2011

كانت فايزة أبو النجا، العضوة المتبقية في مجلس الوزراء، تقود تحقيقًا في التمويل الغربي للمنظمات غير الربحية المصرية منذ أوائل الربيع.

وظهرت "مبادئ" المجلس العسكري للدستور تحت اسم أحدها

ونواب رئيس الوزراء المدنيين العاملين تحت إمرتهم في الحكومة علي السلمي؛ عُرفت المبادئ باسم وثيقة سلمي.

وكان القيادي الإخواني الذي تم الاستهزاء به خارج الميدان هو محمد البلتاجي، الذي أحضر بسخرية باقة من الزهور إلى احتجاجات يوم الشرطة في 25يناير/كانون الثاني .2011

وفي الأيام الأولى للاشتباكات، اعتذر عن ابتعاد بقية قيادات الإخوان. وكتب على تويتر: "لديك الحق في أن تغضب". "علينا أن نعيد النظر في مواقفنا"

التقيت به وهو يجلس على كرسي قابل للطي في الردهة المتربة للمقر القديم للإخوان بعد يومين من طرده من الميدان. قال لي: "اعتقدت أننا يجب أن نذهب إلى الميدان بأعداد كبيرة لحماية المتظاهرين، وتأمين المداخل، وضمان الهدوء -وأنه لا ينبغي لنا أن نحافظ على مسافة بعيدة"، لكن الشاطر والقادة الآخرين رأوا أن القتال "كان بمثابة تصعيد". محاولة لجر الإخوان إلى أزمة مفتعلة".

يتذكر بن رودس كتابة بيان عيد الشكر وغضب توم دونيلون.

ووصف ستيفن سيمون، المدير الأول لشمال أفريقيا والشرق الأوسط، مكالمته مع دونيلون؛ ولم يستجب دونيلون للطلبات المتكررة للتعليق. قال العديد من الأشخاص الآخرين في إدارة أوباما إنه ليس من غير المألوف أن تعكس لهجة أو محتوى تصريحات البيت الأبيض الاختلافات اعتمادًا على من كان في الخدمة في ذلك الوقت.

:8الأجداد

وأنا ممتن للأستاذ عماد شاهين لاستشاراته وتعليقاته على الفصول المتعلقة بالإسلام السياسي.

يعتمد هذا الفصل في المقام الأول على تقاريري بين السلفيين المصريين في القاهرة والإسكندرية والجيزة وبورسعيد. للحصول على معلومات أساسية، قمت باستشارة الإسلام والحداثة في مصر بقلم تشارلز سي آدامز (لندن: راسل ورسل، (1933ومحمد عبده بقلم مارك سيدجويك (لندن: منشورات وان وورلد، ،(2010وهما من بين عدد قليل من السير الذاتية الجيدة باللغة الإنجليزية عبده.

بالنسبة لسياق السلفية المعاصرة، اعتمدت على السلفية العالمية: الحركة الدينية الجديدة في الإسلام، تحرير رويل ميجر (لندن: سي. هيرست وشركاه، ،(2009وفي هذا المجلد، "حول طبيعة الفكر والعمل السلفي" بقلم رويل ميجر (لندن: سي. هيرست وشركاه، .(2009برنارد هيكل.

الإسلام والسياسة بقلم بيتر ماندافيل (لندن: روتليدج، (2014عبارة عن نظرة عامة رائعة على الحركات السياسية الإسلامية، ويظهر مؤلفها في هذه الصفحات كمستشار لوزارة الخارجية. كتاب آخر مفيد لشخص كان في البيت الأبيض خلال هذه الفترة هو عصر الإرهاب المقدس: حرب الإسلام الراديكالي ضد أمريكا من تأليف دانييل بنجامين وستيفن سايمون (نيويورك: راندوم هاوس، .(2012

استخدم لقب "الخديوي" ورثة محمد علي باشا، مؤسس الدولة المصرية الحديثة، الذي نصب نفسه في عام 1805حاكمًا مستقلاً لولاية مصر العثمانية.

والزعم بأن النبي محمد هو من اخترع الديمقراطية الدستورية هو مرجع
إلى ميثاق المدينة المنورة. أصدر النبي محمد هناك عندما وصل من مكة عام 622، الميثاق الذي يضمن المساواة في الحرية الدينية والحقوق السياسية لليهود والوثنيين وكذلك المسلمين الذين يعيشون في المدينة. ويعتقد بعض العلماء أن هذا عقد اجتماعي يؤسس لدولة تعددية، حتى لو استنكر النبي محمد فيما بعد الأديان الأخرى أو دعا إلى الحرب الدينية.

:9البرلمان يطلق لحيته بالإضافة إلى عماد شاهين، قرأ شادي حامد وعلق على نسخة سابقة من التاريخ القصير
للإخوان المسلمين المعروضة هنا.

المصدر الأكثر أهمية للتاريخ والخلفية لهذا الفصل هو كتاب "مجتمع الإخوان المسلمين" بقلم ريتشارد ميتشل (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 1969). وقد اعتمدت بشكل كبير على مقالتين معاصرتين أخريين حول التاريخ الحديث: "تحولات الإخوان المسلمين المصريين" بقلم منى الغباشي، في المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط (المجلد 37، العدد 3، أغسطس 2005) و ""الإخوان يذهبون إلى البرلمان"" بقلم سامر شحاتة وجوشوا ستاخر، في تقرير الشرق الأوسط (رقم 240، خريف 2006). كما اعتمدت على "سياسة الولايات المتحدة والإخوان المسلمين" بقلم ستيفن بروك، في كتابه "الغرب والإخوان المسلمون بعد الربيع العربي" (واشنطن العاصمة: معهد أبحاث السياسة الخارجية، 2013)، والذي نقل عن كوندوليزا رايس في الجامعة الأمريكية في القاهرة . كتاب ماندافيل الإسلام والسياسة لا غنى عنه.

في مناقشاتي حول جماعة الإخوان المسلمين في هذا الفصل وفي جميع أنحاءه، اعتمدت أيضًا على حسن البنا بقلم جودرون كريمر (لندن: منشورات عالم واحد، 2010)؛ سيد قطب وأصول الإسلام الراديكالي بقلم جون كالفيرت (القاهرة ونيويورك: مطبعة الجامعة الأمريكية في القاهرة، 2011)؛ مسجد في ميونيخ بقلم إيان جونسون (نيويورك: هوتون ميفلين، 2010)؛ "صورة لمصر" بقلم ماري آن ويفر (نيويورك: فارار وستراوس وجيرو، 1999)؛ إغراءات القوة: الإسلاميون والديمقراطية غير الليبرالية في الشرق الأوسط الجديد (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 2014) والاستثناء الإسلامي: كيف يعيد الصراع على الإسلام تشكيل العالم (نيويورك: مطبعة سانت مارتن، 2016)، وكلاهما من تأليف شادي حامد؛ عد الإسلام: الدين والطبقة والانتخابات في مصر بقلم طارق مسعود (نيويورك: مطبعة جامعة كامبريدج، 2014)؛ داخل جماعة الإخوان بقلم حازم قنديل (كامبريدج، المملكة المتحدة: مطبعة بوليتي، 2014)؛ والسقوط العربي: كيف فاز الإخوان المسلمون وخسروا مصر في 891 يومًا، بقلم إريك تراجر (واشنطن العاصمة: مطبعة جامعة جورج تاون، 2016)، من بين آخرين.

اثنان من غير الإسلاميين أثار سجنهما ضجة كبيرة حول سجن الرئيس جورج دبليو بوش
أيمن نور، سياسي ليبرالي، وسعد الدين إبراهيم، مثقف.
وفي عام 2007، التقى النائب ستيني هوير، وهو ديمقراطي من ولاية ماريلاند، بسعد البشير.
الكتاتني في منزل السفير الأمريكي.
وصف الجنرال جيمس ماتيس جماعة الإخوان المسلمين وتنظيم القاعدة بأنهما "يسبحان في نفس البحر" في 14 مايو 2015، في خطاب ألقاه في مؤسسة التراث. لقد قال أشياء مماثلة عدة مرات. نُشرت مقالة افتتاحية دينيس روس في صحيفة نيويورك تايمز في 11 سبتمبر 2014.

تم سرد المكالمة الهاتفية التي تم اعتراضها بين عبد الناصر وملك الأردن
بشكل واضح في رواية لورانس رايت ثلاثة عشر يومًا في سبتمبر.
وكان لقاء أبو الفتوح في محل الأحذية مع كمال السنانيري صهر المفكر سيد قطب. وقد ورد وصفها في عبد المنعم أبو الفتوح: شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر 1970-1984 (القاهرة: دار الشروق، 2010) كتابه

مذكرات كما رويت لحسام تمام. وهو متوفر باللغة العربية فقط، واعتمدت على دينا عادل ومي الشيخ في الترجمة.

أفضل مصدر باللغة الإنجليزية للخلفية الشخصية لبنا هو كريمر المذكور أعلاه. ال
الاقتباسات من البنا المستخدمة هنا تأتي من أعمال ميتشل المبكرة النهائية. كان الخليفة الفكري الرئيسي لمحمد عبده هو رشيد رضا،
الذي كان وسيطًا محوريًا في تطور الحداثة الإسلامية من عبده إلى البنا.

يظهر الاقتباس عن غطاء الرأس في "تحول المسلم المصري".

"إخواني" للغباشي، منسوب لعضوي مجلس الإرشاد عصام العريان وأبو الفتوح. تراث النبي: الطغاة والديمقراطيون والسياسة الجديدة للإسلام بقلم أنتوني شديد (لندن: مطبعة ويستفيو، (2002يدور حول سياسات ما بعد الإسلاموية ويحكي قصة حزب الوسط في مصر. وكان ذلك هو الحزب المنشق عن الإخوان والذي كان يضم عصام سلطان.

:10سفاح ضد سفاح وكان اللواء المسؤول عن الشئون القانونية ممدوح شاهين. وكان
يوسف سيدهم رئيس تحرير جريدة وطني القبطية ومتحدثًا غير رسمي باسم الكنيسة. خارج المناطق الليبرالية نسبيًا، كان أداء أبو الفتوح جيدًا في صناديق الاقتراع في منطقتين فقط: مرسى مطروح، حيث ساعد صديقه القديم، وشمال سيناء، حيث أخبرني أنه المرشح الوحيد الذي زارها. أشك في أن السلفيين جلبوا له الكثير من الأصوات.

:11نادي القضاة

"حكم القانون في العالم العربي: المحاكم في مصر والخليج" بقلم ناثان ج. براون (كامبريدج، المملكة المتحدة: مطبعة جامعة كامبريدج، (1997هو تقرير ممتاز ومتعاطف عن القضاء المصري. وقد استفاد هذا الفصل أيضًا من "الاستقلال بلا مساءلة: المفارقة القضائية لفشل انتقال مصر إلى الديمقراطية" بقلم سحر ف. عزيز، في مجلة .Penn State Law Review 101 (2016)

وتستند رواية الجانب الأمريكي عن هذه الأحداث إلى مقابلات مع أكثر من عشرة مسؤولين معنيين، لكن معظمهم تحدثوا بشرط عدم الكشف عن هويتهم.

والمثال النموذجي لهذا النوع من الصقور القومي المصري الذي غضب عليه
تمويل الديمقراطية الأمريكية فايزة أبو النجا. وكانت هي المسؤولة عن الادعاء ضد المعهد الجمهوري الدولي والمعهد الديمقراطي الوطني. عندما اتصلت بمكتبها في أوائل عام 2012، كان المجلس العسكري قد كلف جنرالا للرد على هاتفها. وعينها الرئيس السيسي مستشارة للأمن القومي، وفي عام 2017كانت لا تزال تشارك في المساعدات الأمريكية.

كان ستيفن سيمون وسيرجيو أغيري من موظفي مجلس الأمن القومي الذين حاولوا دون جدوى العمل من خلال ليون بانيتا وهيلاري كلينتون للتوصل إلى تسوية مع الجنرالات بشأن المساعدات الأمريكية. المتحدث باسم وزارة الخارجية الذي اشتكى لي من أن الولايات المتحدة خصمت أموال الكفالة من مدفوعات المساعدات هو السفير بدر عبد العاطي.

وسمعت نفس الرواية عن رسالة الشاطر للجنرالات من عدة شخصيات رفيعة
في حملة مرسي، وتحدث بعضهم بشرط عدم الكشف عن هويتهم. الكلام الذي أقتبسه هنا من وائل هدارة، مستشار مرسي.

صادفت مصطلح "الانقلاب القضائي" في وصف حل البرلمان
تحليل أجراه ناثان براون في مجلة فورين بوليسي بتاريخ 14يونيو 2012.

:12ليلة القدر

وكان أول اتصال لهدارة في حملة مرسي هو خالد القزاز، المقيم الدائم في كندا والمتزوج من كندية. خلفيته تعليمية، لكنه عمل ضمن فريق مرسي للسياسة الخارجية.

الجنرال الذي تحدث عن دور الجيش باعتباره "الوصي الجدير بالثقة" كان كذلك
Mahmoud Hegazy, who appeared with General Mohamed el-Assar.
ولتوضيح التسلسل الزمني، كانت المسيرة الافتتاحية لمرسي في ميدان التحرير هي الليلة التي سبقت تنصيبه رسميًا. لقد وصفته أخيرًا لأنه كان الخطاب الذي تم تذكره.
محاولة اغتيال عبد الناصر عام 1954 نفذها محمود عبد
لطيف، عضو جماعة الإخوان المسلمين من إمبابة، في القاهرة. واعتقد البعض (ولا يزال البعض يشكك) في أن عبد الناصر اختلق هذه الحادثة كذريعة لسحق الإخوان المسلمين. تم وصف المشهد في العديد من الأماكن، بما في ذلك كتاب ريتشارد بي. ميتشل "مجتمع الإخوان المسلمين" (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 1969) والبرج الذي يلوح في الأفق: القاعدة والطريق إلى 11 سبتمبر بقلم لورانس رايت (نيويورك: ألفريد أ. كنوبف، 2006).

تستند هذه الرواية عن لقاء مرسي مع السيسي في أغسطس 2012 إلى مقابلات مع شخصين كانا يعملان في القصر في ذلك الوقت وعلى حساب أحد كبار أعضاء جماعة الإخوان المسلمين المطلع على التفاصيل.

"اللعبة الطويلة" بقلم ديريك شوليت (نيويورك: الشؤون العامة، 2016) يروي قصة أوباما
مخاوف الإدارة من أن السيسي كان "مقربًا جدًا من مرسي".

13: يوم في المحكمة إسلامي آخر رفع دعوى قضائية ضد تهاني الجبالي على أساس مقالتنا هو عصام
سلطان، الذي ساعد أيضًا في تأسيس حزب الوسط ما بعد الإسلاميين وعطل اليوم الأول للبرلمان.

14: الرئيس والسيدة مرسي

وحصلت صحيفة الغارديان على جزء من تقرير اللجنة الذي حاول مرسي حجبه.
"يظهر التقرير أن الجيش المصري شارك في التعذيب والقتل أثناء الثورة" بقلم إيفان هيل ومحمد منصور، الغارديان، 10 أبريل/نيسان 2013. أحمد سمير كان كاتب عمود في المصري اليوم.

وكان رئيس وزراء مرسي هشام قنديل. وكانت نائبته باكينام الشرقاوي، التي كانت كبيرة مستشاريه السياسيين. وكان نائبه المسيحي سمير مرقص، الذي كان أيضًا مستشار مرسي لشؤون التحول الديمقراطي. كنت أعرف الشرقاوي وكانت مؤثرة. استقال مرقص في ديسمبر/كانون الأول 2012. وأخبرني مستشارو مرسي أن المرشحين الرئاسيين الليبراليين أو القوميين المنافسين رفضوا الدعوات للانضمام إلى الحكومة. ولكن العديد من الليبراليين المخلصين أصيبوا بخيبة أمل لأن مرسي لم يشكل حكومة أقرب إلى حكومة ائتلافية، ولم يشرح قط السبب وراء عدم قيامه بذلك. ومع ذلك، بغض النظر عن الموظفين، لم يكن لدى حكومته فرصة لفعل الكثير.

15: تحت العباءة

المدينة السورية التي زرتها هي تلاليان.
وكانت الناخبة الليبية في بنغازي، البالغة من العمر خمسة وخمسين عاماً، هي نعيمة القريين.
وكان المناهض للإسلاميين هو محمد أبو حامد.
ومن بين الأشخاص الذين أخبروني عن رد فعل الشاطر على إعلان مرسي، جهاد الحداد ومراد علي.

ومن الجدير بالذكر أن فريق مرسي كان على حق في تخوفه من قيام المحكمة بحل الجمعية التأسيسية. وفي حكمها الصادر في 2 يونيو/حزيران 2013، قالت المحكمة إنها كانت ستفعل

ذلك بالضبط.
"ما الذي يجعل محمد مرسي يدق: هل هي قنبلة موقوتة؟" بقلم باتريك جراهام نُشر في صحيفة جلوب آند ميل في 4مايو 2013.

المحلل الذي قال للمحتجين أن "ينزلوا إلى الشوارع ويموتوا" هو صلاح عيسى.
أفضل تحليل للدستور المصري لعام 2012في سياقه موجود في كتاب ناثان ج. براون "مجادلة الإسلام بعد إحياء السياسة العربية". لقد أنتجت السياسة المصرية العديد من الادعاءات المبالغ فيها حول مزاياها وأوجه قصورها، وقد ترددت أصداء الانتقادات على نطاق واسع في الغرب. ولكن القراء الذين يريدون أن يفهموا هذا النقاش عليهم أن يقرأوا الفصل الذي كتبه براون بعنوان "الدساتير العربية، أصوات الجمهور المتعددة". وكانت مقارنة الاستفتاءات الدستورية بقسم الولاء الجماهيري هي مقارنة براون أيضًا.

إن الرواية هنا عن التسوية الشرعية حول المادة 219هي نتاج تقاريري الخاصة، بما في ذلك مقابلات مع العديد من الأعضاء الليبراليين والإسلاميين في اللجنة -من بينهم منار الشوربجي، عالمة السياسة الليبرالية في الجامعة الأمريكية في القاهرة؛ وعمرو موسى، وزير الخارجية السابق والمرشح الرئاسي الذي انسحب في اللحظة الأخيرة لتجنب التوقيع على التسوية؛ وعمرو دراج، من جماعة الإخوان المسلمين. كما ساعد عمرو حمزاوي، وهو برلماني ليبرالي سابق وعالم سياسي، في تكوين فهمي للدستور والتسوية. ويصل تقرير براون إلى استنتاجات مماثلة من خلال منهجية علمية.

رواية اللقاء بين أوباما وحداد تأتي من مساعدين من الجانبين، من بينهم وائل حدارة وبن رودس.

16:قعقعة في القصر

المتظاهر الذي سألت عنه هو محمد الجندي.
وكان زعيم الإخوان المسلمين، الذي أقتبس منه حث أنصاره للدفاع عن القصر، هو عصام العريان. وقد وثق تقرير لـ هيومن رايتس ووتش بعض هذه المناشدات. ودق محمد عبد المقصود ناقوس الخطر بشأن الزنا في الخيام. "قتلاهم في النار" قالها الشيخ فوزي السعيد.

تحدثت علا شهبا، في لقاء تلفزيوني مع الإعلامي يسري فودة.
ويشير بعض منتقدي جماعة الإخوان المسلمين إلى أنه في كانون الأول/ديسمبر 2012، عرض وزير الدفاع عبد الفتاح السيسي استضافة اجتماع للحوار بين إدارة مرسي ومعارضيها السياسيين. وأصر المتحدثون باسم مرسي على أن الحدث سيكون حدثًا اجتماعيًا بحتًا، وألغاه السيسي في النهاية. وبالتالي، منع مرسي السيسي فعليًا من الإشراف على تلك المحادثات، على أساس أن ذلك سيشكل سابقة سيئة للديمقراطية المدنية إذا تدخل وزير الدفاع في السياسة المدنية أو وضع نفسه فوق الرئيس (مثل رئيس هيئة الأركان الذي يتوسط في اتفاق بين الديمقراطيين). والجمهوريين). ويستشهد منتقدو الإخوان بالاجتماع المجهض كدليل على أن مرسي، في مناسبة واحدة على الأقل، هو الذي تراجع عن الدعوة إلى الحوار.

17:القتل والاغتصاب والنصارى والجواسيس

وكان المتحدث باسم وزارة الداخلية هو اللواء أسامة إسماعيل. وكان مدرب المسعف جون بورتر.

تم الهجوم على مكتب الإخوان أونلاين في 25يناير/كانون الثاني 2013
وكان مقر الإخوان يوم 6ديسمبر 2012.
El Sayyid el-Badawi ran the Wafd party.
إحصائيات قضايا التجديف ضد المسيحيين تأتي من أعمال إسحاق
ابراهيم المبادرة المصرية للحقوق الشخصية.

: 18وجهة نظر من الغرب

وتحدث الجنرال جيمس ماتيس عن العتيبة في كلمة ألقاها في مركز التقدم الأمريكي في واشنطن، في 23يناير/كانون الثاني ،2015وعن عادل الجبير في معهد أسبن في 20يوليو/تموز .2013

وتحدثت السفيرة باترسون مع عصام الحداد وخالد القزاز في شهر مارس
حول الحملة التي تقودها الإمارات العربية المتحدة للانقلاب. لقد سُمح لي بإجراء تسجيل صوتي للإحاطة المذكورة هنا.

كان هيرناندو دي سوتو بولار من بين الذين أخبروني عن عمله في
أخوة؛ قال إنه أعجب بالشاطر.
يصف فلين وجهات نظره حول الإسلام السياسي وإعجابه بالسيسي في كتابه "ميدان القتال: كيف يمكننا كسب الحرب العالمية ضد الإسلام الراديكالي وحلفائه"، الذي كتبه مع مايكل ليدين (نيويورك: مطبعة سانت مارتن، .(2016

وتستند رواية دور السفير جيمس وات إلى مقابلات مع مستشاري مرسي، ومسؤولين بريطانيين مقربين من وات، وأعضاء جبهة الإنقاذ الوطني.

وكان اللواء محمد العصار، الذي بدأ يلمح في شهر نيسان/أبريل تقريباً إلى احتمال التدخل العسكري، هو أيضاً الجنرال الذي أشاد، خلال زيارة إلى واشنطن عام ،2011بجماعة الإخوان المسلمين لدورها البناء في العملية الانتقالية.

وفي بعض الأحيان، حث الدبلوماسيون الأوروبيون والأميركيون مرسي على تقديم تنازلات أحادية الجانب لمعارضيه خلال هذه الفترة. لكن مستشاريه يقولون إن الدبلوماسيين لم يقدموا قط أي إشارة إلى أن المعارضة ستفكر في تقديم أي تنازلات متبادلة، مثل الاعتراف بشرعية مرسي كرئيس أو وقف الدعوات للاحتجاج والمطالبة بإطاحته. أخبرني العديد من الدبلوماسيين المشاركين في وقت لاحق أنه كان من المشكوك فيه أن التنازلات المقترحة من مرسي، مثل تغيير الوزراء، ستحدث أي فرق.

:19جبهة جديدة: عضوا المجلس العسكري اللذان ظلا على اتصال بجبهة الإنقاذ الوطني هما اللواء العصار،

الذي كان أيضًا مسؤول الاتصال بالبنتاغون، واللواء حجازي، المرتبط بالسيسي من خلال زواج أبنائهما.

وبعد أن تفاخر ساويرس أمامي بدوره في الترويج للفيديو الموسيقي عن تمرد، طلب المتحدثون باسمه التصحيح، زاعمين أنه باع شبكته التلفزيونية. لكن تبين أن البيع المفترض كان مجرد خدعة. وكان ساويرس قد زيف عملية البيع لأسباب سياسية، وبعد سنوات باع الشبكة مرة أخرى بشكل حقيقي.

وكان حسن شاهين من تمرد، بالصدفة، هو المتظاهر الذي كان كذلك
كانت تجري بالقرب من Blue Bra Girl عندما جردها الجنود من ملابسها.
في أوائل عام ،2014روى لي محمد هيكل محادثاته مع البرادعي وأراني صورة للسيسي وهو يسلم كعكة عيد ميلاد. لقد رفض البرادعي التحدث معي منذ مغادرته القاهرة.

وكان مدير مكتب الفريق السيسي هو اللواء عباس كامل. وكان رئيس أركان الجيش
اللواء صدقي صبحي .
ربما تكون بعض التسجيلات الصوتية المسربة أو رسائل البريد الإلكتروني الخاصة المذكورة في هذا الكتاب
حصلت عليها من أحد أجهزة المخابرات المصرية أو أحد أجهزة المخابرات الأجنبية. لقد قمت بتأكيدها أو التحقق منها جميعًا، باستثناء القليل منها الذي تم نشره على نطاق واسع دون تناقض معقول لدرجة أنه أصبح أمرًا معروفًا للعامة في مصر. وأكد مسؤولون أمريكيون مطلعون على التقارير الاستخباراتية دقة التسريب الذي يشير إلى أن الإمارات أرسلت أموالاً إلى الجيش المصري من أجل تمرد.

:20الابن المطيع

وكان وائل هدارة أحد مصدرين من إدارة مرسي وصفا شحنة المخدرات في المطار والاجتماعات السرية داخل القصر.

اقتباسات السيسي في دهشور مأخوذة من "رسائل عسكرية" لأحمد عليبة في الـ
الأهرام ويكلي، عدد 22-16مايو ،2013ومن جريدة الأهرام اليومية. ونشرت رويترز التعليقات باللغة الإنجليزية أيضًا.

الجنرالان اللذان اتصلا بأعضاء جبهة الإنقاذ الوطني في شهر مايو
وكان مرة أخرى العصار وحجازي.
وكان منزل بدوي يقع في الضاحية المعروفة بمدينة 6أكتوبر.
روى اثنان آخران حضرا اجتماع وزارة الخارجية بشكل مستقل تسليم المذكرة ورد توماس ميليا. لدي المذكرة، باللغتين العربية والإنجليزية، كما كتبت لأول مرة في القاهرة
وكما تمت ترجمتها للتسليم في واشنطن. لكن ميليا لا يتذكر استلامه المذكرة أو الإدلاء بالتصريحات التي نسبها إليه الاثنان الآخران.

30 :21يونيو أخبرني كيري عن جانبه من اجتماع أديس أبابا مع مرسي. وقد وصف لي العديد من
المساعدين المقربين من مرسي روايته.

بعد أيام قليلة من المظاهرة السورية التي يهيمن عليها السلفيون في القاهرة، حشد حشد من الناس في قرية على الحدود
وأعدمت ضواحي المدينة أربعة من الشيعة. وقالت جماعات حقوق الإنسان إن حضور مرسي المؤتمر قد أضفى الشرعية على الطائفية المتصاعدة في جميع أنحاء المنطقة. لكن
الاتصال بمرسي غير مباشر وبعيد. ويشكل المسلمون الشيعة أقلية صغيرة من المصريين، والعديد من السنة المصريين يحتقرون الشيعة ويعتبرونهم غير مسلمين. ومن المشكوك
فيه أن يكون الغضب بشأن عمليات القتل قد أدى إلى رد فعل عنيف ضد مرسي، باستثناء ربما في دائرة صغيرة من المدافعين عن حقوق الإنسان.

وأعرب عمرو حمزاوي عن قلقه من أن تبدو جبهة الإنقاذ الوطني معيقة لأنها رفضت باستمرار قبول أي من دعوات مرسي للحوار أو المفاوضات. ولذلك انفصل عن
المجموعة لحضور اجتماع السد الإثيوبي، وكان فشلاً ذريعاً.

بالإضافة إلى المصادر المقتبسة، فإن هذه الرواية للرد الأمريكي على الانقلاب خلال الفترة التي سبقته تستند إلى محادثات مع أكثر من عشرة من كبار المسؤولين الذين
شاركوا عن كثب.

خالد يوسف وصف لي دوره في تصوير 30يونيو.
وتستند رواية الأيام الأخيرة لمرسي إلى محادثات مكثفة مع خمسة أشخاص
كانوا معه أو على اتصال وثيق خلال تلك الفترة. وتأتي رواية المحادثة الأخيرة بين مرسي وأوباما من سجل موثوق للمكالمة التي أجراها أشخاص في البيت الأبيض.

تظهر ملاحظة الولاة الذين تعرضوا للهجوم في مصر في زمن ما
الثورة بقلم نيل كيتشلي (كامبريدج، المملكة المتحدة: مطبعة جامعة كامبريدج، .(2017
قام كيتشلي أيضًا بإجراء التقييم الأكثر منهجية لأعداد الحشود.
وكان رئيس الوزراء السابق مرسي الذي كان يعاني من الشيخوخة واقترح إعادته هو كمال الجنزوري.
مدير المكتب الذي قاطع لقاء مرسي مع السيسي هو أحمد عبد العاطي.

:22الانقلاب: هذه الرواية لاجتماع 4يوليو/تموز في البيت الأبيض مبنية على مقابلات مع أكثر من
ستة مشاركين. تم تأكيد جميع الاقتباسات من قبل المتحدث أو عدة أشخاص آخرين. الاقتباسات والتصريحات المنسوبة لأوباما تم سردها وأكدها العديد من الآخرين، ولكن ليس
أوباما نفسه. اقتباسات من كيري وهيجل تأتي من

رواياتهم الخاصة لي عن تصريحاتهم في الاجتماع (وتم تأكيد جوهرها أيضًا من قبل آخرين).

كتب مايكل موريل في مذكراته، الحرب العظمى في عصرنا، أنه كان يشعر بالقلق من أن أجهزة الأمن المصرية في عهد مرسي كانت تمنح تصريحًا مجانيًا للمتشددين المناهضين للغرب.
وكتب: "لقد توقفت قوات الجيش والاستخبارات وإنفاذ القانون في مصر عن قتال القاعدة لأنهم شعروا بعدم وجود دعم سياسي لهم". وكان تنظيم القاعدة "يؤسس موطئ قدم جديد في سيناء وأجزاء أخرى من مصر".

أخبرني موريل في رسالة بالبريد الإلكتروني أن "موطئ قدم" تنظيم القاعدة الذي كان يقصده هو أنصار بيت المقدس -الجماعة التي هاجمت نقطة تفتيش عسكرية مصرية في يوليو/تموز 2012، قبل أن يتولى مرسي أي سلطة حقيقية. تعود جذور الجماعة بين بدو شمال سيناء إلى عقد من الزمن.

هل من الممكن أن يتوقف الجنود والجواسيس والشرطة المصريون عن القيام بعملهم نكاية بمرسي؟ انا سألت.

وقال موريل إنه يثق بجواسيس مصر. ورد موريل عبر البريد الإلكتروني: "لا أعتقد أن رجال الأمن الذين عملت معهم سيسمحون عن طيب خاطر بتفشي الإرهاب لأسباب سياسية". أشارت التقارير الإخبارية ورسائل البريد الإلكتروني المسربة لاحقًا إلى أنه بعد ترك وكالة المخابرات المركزية، انضم موريل إلى شركة Beacon Global Strategies، التي تمولها الإمارات العربية المتحدة.

كان هناك اجتماع العتيبة في فندق هاميلتون ورسائله إلى بلينكن وسوليفان
تمت سرقة بعض رسائل البريد الإلكتروني العديدة من حسابه وتسريبها للجمهور. لقد تأكدت من دقة محتوى كلتا الرسالتين الإلكترونيتين مع الآخرين.
يصف كتاب "اللعبة الطويلة" بقلم ديريك شوليت أيضًا المعارضة الأمريكية لمرسي
الحلفاء في المنطقة، بما في ذلك إسرائيل ودول الخليج. وكتب: "شركاؤنا الإقليميون المقربون الآخرون -الذين لم يحزن أي منهم على رؤية مرسي يرحل، معتقدين أنه كان أداة في يد إيران -كانوا داعمين للغاية للسيسي". إن فكرة أن مرسي كان أداة في يد إيران كانت فكرة سخيفة، حتى قبل موقفه تجاه دمشق. لكن ذلك جعل وجهات نظره واضحة تمامًا. وفي مقابلة، قال شوليت إن القادة الإسرائيليين والسعوديين والإماراتيين تجاهلوا الأدلة على الاختلافات بين الإسلاميين -حتى السنة والشيعة -لأنهم كانوا ملتزمين للغاية بفكرة أن الجميع متماثلون. قال: "لقد كان الأمر أشبه بالتنافر المعرفي".

23: يقتلون أنفسهم الباحث الذي كتب عن "لفة النصر للملك عبد الله في القاهرة" هو بروس ريدل، المراقب المخضرم للمملكة العربية السعودية لدى وكالة المخابرات المركزية والبيت الأبيض، في كتابه "ملوك ورؤساء" (واشنطن العاصمة: مطبعة معهد بروكينجز، 2018). (2013).

السلفي الذي أقتبس منه مهاجمة المسيحيين من منصة رابعة هو عاصم عبد الماجد.

واسم الشرطي الذي رأى إبراهيم الشيخ مقتولاً هو محمد المسيري.

أعرف أن مرسي كان لا يزال محتجزًا داخل مجمع الحراسة يوم 8 يوليو/تموز من مقابلاتي معه الأشخاص الذين اعتقلوا معه وكذلك من مقابلة مع أحد أفراد أسرته المباشرة.

وكان المتحدث باسم جبهة الإنقاذ الوطني في 8 تموز/يوليو هو خالد طليمه، والمذيع التلفزيوني المذكور هنا هو يوسف الحسيني.

محمد المصري هو باحث مصري أمريكي في الاتصالات
كتب عن تصوير الإعلام المصري لرابعة.

24: أسد

حول أغاني البوب القومية المصرية لعام 2013، انظر 5"أغاني بوب توضح عبادة الشخصية في مصر" لمريم بيرجر، على موقع BuzzFeed، 1 نوفمبر 2013، و"القومية الموسيقية في مصر، وجورج أورويل الصغير" لمها النبوي، مدى مصر ، 20أغسطس 2013.

النكتة حول ملابس السيسي الداخلية قالها الصحفي توم جارا.

أخبرني هيكل أنه نصح السيسي بإجراء استفتاء أو استفتاء شعبي على طريقة
عبد الناصر . وكانت "مسيرة الانتداب" هي البديل الذي طرحه السيسي.

زار كيري القاهرة في نوفمبر 2013 وأثنى على السيسي لاتباعه "خريطة الطريق" التي وضعها.
إلى الديمقراطية. وفي 22يونيو 2014، شكر كيري المصريين على العمل في التحول إلى الديمقراطية.

الإسلاميان المعتدلان هما أبو العلا ماضي، مؤسس مركز ما بعد الإسلاموية
الحزب، وسعد الكتاتني، رئيس البرلمان الأسبق. ونشرت صورة وزير الخارجية الإماراتي مع مؤسسي تمرد في صحيفة اليوم السابع.

25: تطهير الساحة

وأكد العديد من الصحفيين والجماعات الحقوقية عدم وجود مخرج آمن من رابعة.
لم تكن هناك طريقة للتحرك بأمان عبر منطقة الاعتصام، ناهيك عن الدخول أو الخروج. دخلت أنا ومي وخرجنا مرتين في ذلك اليوم، وفي كل مرة كان الأمر مرعبًا. أتذكر أنني مررت بالمركز الطبي في المرتين. تتذكر مي دخولنا لأول مرة عبر ممر خطير مختلف ثم بحثنا طويلاً عن طريقة للخروج. بخلاف طريق دخولنا الأول، لا تختلف ذكرياتنا إلا في تفاصيل قليلة.

الصحفي الذي أخبرني أنه رأى مسدسين بين المتظاهرين هو سامر الاطروش من وكالة فرانس برس. وكان قد نام الليلة السابقة داخل مقر الاعتصام، واستيقظ هناك في ذلك الصباح.

لواء الشرطة الذي قال إن المتظاهرين أطلقوا النار أولاً هو اللواء مدحت
المنشاوي في مقابلة تلفزيونية مع وائل الإبراشي.
من المراجع الجيدة عن مذبحة رابعة تقرير هيومن رايتس ووتش "الكل
"وفقًا للخطة: مذبحة رابعة والقتل الجماعي للمتظاهرين في مصر"، نُشرت في 12أغسطس/آب 2014.

26فبراير: الجهاديون في البيت الأبيض أكد ثلاثة مسؤولين في البنتاغون أنهم سمعوا تلك النكات عن
البيت الأبيض.

27: القصاص

توثق هيومن رايتس ووتش الأسماء والملابسات المحيطة بمقاطع الفيديو الخاصة بعمليات القتل خارج نطاق القضاء في شمال سيناء في عدة تقارير، منها: "مصر: مقاطع فيديو تظهر إعدامات الجيش في سيناء"، 21أبريل/نيسان 2017.

ووقعت أعمال الشغب على أطراف القاهرة في المطرية. وأكد قيادات الإخوان الحالية والسابقة أعدادهم.

28: الدولة العميقة لدور محلب في قضية فساد مبارك، انظر: “قصور مبارك”
لحسام بهجت، في مدى مصر، 20مايو 2014.

للاطلاع على طرد أنور السادات من البرلمان، راجع "البرلمان المصري يزيل المنشق البارز: أنور السادات" بقلم ديكلان والش، نيويورك تايمز، 28فبراير/شباط 2017.
تستند رواية خسائر الفساد على الكنوز الأثرية المصرية إلى مقابلات مع مونيكا حنا، من بين آخرين. إذا كنت ترغب في لصق لحية الملك توت، انظر "مصري

مسؤولو المتحف يواجهون المحكمة بتهمة إتلاف قناع الملك توت عنخ آمون" بقلم ديكلان والش، نيويورك تايمز، 25يناير 2016.

لمعرفة مصير هشام جنينة، راجع "مقاتل الفساد في مصر يجد نفسه متهماً
في المحكمة" بقلم ديكلان والش، نيويورك تايمز، 7يونيو 2016.
وكان ضابط المخابرات السابق الذي أدار الائتلاف البرلماني المؤيد للسيسي هو الجنرال
Sameh Seif el-Yazel.

وكان كبير العلماء في الوزارة المشرفة على المساجد الذي تحدث مع الشيخ علي جمعة هو سالم عبد الجليل.

تم نشر خطبة ذكرى الربيع العربي لعام 2016لأول مرة في "الرئيس المصري يلجأ إلى الدين لتعزيز سلطته" بقلم ديكلان والش، نيويورك تايمز، 10 يناير 2016.
وعن القضاء المصري بعد الانقلاب، انظر: "الانشقاق والانشقاق بين القضاة المصريين" بقلم منى الغباشي، في تقرير الشرق الأوسط (عدد 279، ربيع 2016).
وكانت المذيعة مها بهنسي على قناة التحرير. كما قطع المذيع معتز الدمرداش مراسلته عن التحرش.

تأتي رواية اجتماع أوباما مع السيسي في الأمم المتحدة حول سلطان من العديد من مستشاري أوباما الذين كانوا حاضرين، وكذلك من آخرين تم إطلاعهم على الحدث بعد وقوعه. وتستند رواية الاجتماع حول إنهاء تعليق المساعدات العسكرية إلى ذكريات خمسة أشخاص معنيين. ويقدم ديريك تشوليه وصفًا مفيدًا للنقاش حول المساعدات في كتابه "اللعبة الطويلة" أيضًا. وباستئناف المساعدات، أوقف البيت الأبيض برنامجًا مواتيًا على نحو غير عادي سمح لمصر بالاستفادة من المساعدات المستقبلية للحصول على معدات عسكرية. وزاد هذا البرنامج من صعوبة قطع المساعدات لأن مصنعي الأسلحة الأمريكيين توقعوا أن المساعدات المستقبلية لمصر ستغطي ثمن المعدات التي باعوها بالفعل. وإسرائيل هي الدولة الأخرى الوحيدة التي تتلقى مساعدات عسكرية أمريكية في تلك المناطق

شروط.

قام بترجمة قصيدة شيماء الصباغ ماجد زاهر، محرر ومترجم تحرير القصائد (سياتل، واشنطن: أليس بلو بوكس، 2014). ويستخدم هنا بإذنه.

الإسلامي البالغ من العمر سبعة عشر عاماً والذي قتلته الشرطة في نفس اليوم الذي قُتل فيه الصباغ هو سندس رضا.

للاطلاع على تفاصيل تشريح جثة جوليو ريجيني، راجع "لماذا تم تعذيب وقتل طالب دراسات عليا إيطالي في مصر؟" بقلم ديكلان والش، مجلة نيويورك تايمز، 15أغسطس 2017.

A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z

فِهرِس





عن المؤلف

ديفيد دي كيركباتريك مراسل دولي لصحيفة نيويورك تايمز ومقره في لندن. ومن عام 2011 حتى عام 2015 كان رئيسًا لمكتب القاهرة. لقد كان أيضًا مراسلًا لصحيفة وول ستريت جورنال ومحررًا مساهمًا في مجلة نيويورك .

هذا كتابه الأول.


Penguin
Random House
PENGUIN PUBLISHING GROUP